



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المطبعة

البيان
في تفسير القرآن

تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي

المجلد ٣

دار الكتب والوثائق
بمطبعة - طهران

المطبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التبيان فى تفسير القرآن

كاتب:

محمد بن حسن طوسى

نشرت فى الطباعة:

موسسه النشر الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٨	التبيان فى تفسير القرآن المجلد ٣
٣٨	اشارة
٣٩	المجلد الثالث
٣٩	اتتمة سورة آل عمران ص: ٣
٣٩	قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤١]..... ص: ٣
٣٩	اشارة
٣٩	المعنى، و اللغة..... ص: ٣
٣٩	قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٢]..... ص: ٤
٣٩	اشارة
٤٠	القراءة و المعنى و اللغة..... ص: ٤
٤٠	قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٣]..... ص: ٥
٤٠	اشارة
٤٠	المعنى..... ص: ٥
٤١	قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٤]..... ص: ٦
٤١	اشارة
٤١	القصة، و النزول..... ص: ٦
٤٢	قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٥]..... ص: ٨
٤٢	اشارة
٤٢	المعنى، و الاعراب، و اللغة..... ص: ٨
٤٣	قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٦]..... ص: ١٠
٤٣	اشارة
٤٣	القراءة و اللغة..... ص: ١٠

- ٤٤ المعنى، و اللغة:..... ص: ١٠
- ٤٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٧]..... ص: ١١
- ٤٤ اشارة
- ٤٤ المعنى و اللغة:..... ص: ١٢
- ٤٥ الاعراب، و المعنى:..... ص: ١٢
- ٤٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٨]..... ص: ١٣
- ٤٥ اشارة
- ٤٥ المعنى، و اللغة:..... ص: ١٣
- ٤٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠]..... ص: ١٤
- ٤٦ اشارة
- ٤٦ المعنى:..... ص: ١٤
- ٤٧ الاعراب، و الحجّة، و اللغة، و المعنى:..... ص: ١٥
- ٤٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥١]..... ص: ١٦
- ٤٧ اشارة
- ٤٧ اللغة، و الحجّة:..... ص: ١٦
- ٤٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٢]..... ص: ١٧
- ٤٨ اشارة
- ٤٨ المعنى، و القصة:..... ص: ١٧
- ٤٩ اللغة:..... ص: ١٨
- ٤٩ المعنى:..... ص: ١٨
- ٤٩ الاعراب، و المعنى:..... ص: ١٩
- ٥٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٣]..... ص: ٢٠
- ٥٠ اشارة
- ٥٠ القراءة، و الحجّة، و اللغة، و المعنى:..... ص: ٢٠

- ٥١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٤]..... ص: ٢٢
- ٥١ اشارة
- ٥٢ القراءة و المعنى و الحجّة و الاعراب و القصة:..... ص: ٢٢
- ٥٢ المعنى:..... ص: ٢٣
- ٥٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٥]..... ص: ٢٤
- ٥٣ اشارة
- ٥٣ المعنى، و اللغّة:..... ص: ٢٥
- ٥٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٦]..... ص: ٢٤
- ٥٤ اشارة
- ٥٤ المعنى، و اللغّة، و الاعراب:..... ص: ٢٦
- ٥٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٧]..... ص: ٢٨
- ٥٥ اشارة
- ٥٥ المعنى، و الاعراب:..... ص: ٢٨
- ٥٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٨]..... ص: ٢٩
- ٥٦ اشارة
- ٥٦ اللغّة، و الاعراب، و المعنى:..... ص: ٢٩
- ٥٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٩]..... ص: ٣٠
- ٥٦ اشارة
- ٥٧ الاعراب و المعنى:..... ص: ٣١
- ٥٧ اللغّة، و المعنى:..... ص: ٣١
- ٥٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٠]..... ص: ٣٢
- ٥٨ اشارة
- ٥٨ المعنى:..... ص: ٣٢
- ٥٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦١]..... ص: ٣٤

- ٥٨ اشارة
- ٥٩ القراءة، و المعنى، و الحجّة، و النزول، و اللغة:..... ص: ٣٤
- ٦٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٢]..... ص: ٣٥
- ٦٠ اشارة
- ٦٠ المعنى، و النزول:..... ص: ٣٦
- ٦٠ اللغة:..... ص: ٣٦
- ٦٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٣]..... ص: ٣٧
- ٦١ اشارة
- ٦١ المعنى:..... ص: ٣٧
- ٦١ اللغة، و الحجّة:..... ص: ٣٨
- ٦٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٤]..... ص: ٣٨
- ٦٢ اشارة
- ٦٢ اللغة، و المعنى:..... ص: ٣٨
- ٦٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٥]..... ص: ٤٠
- ٦٣ اشارة
- ٦٣ المعنى:..... ص: ٤٠
- ٦٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٦]..... ص: ٤١
- ٦٣ اشارة
- ٦٤ المعنى:..... ص: ٤١
- ٦٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٧]..... ص: ٤٣
- ٦٥ اشارة
- ٦٥ المعنى:..... ص: ٤٣
- ٦٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٨]..... ص: ٤٤
- ٦٥ اشارة

٤٤: ص: الاعراب:..... ٤٤ ٦٦

٤٥: ص: المعنى:..... ٤٥ ٦٦

٤٥: ص: قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٩]..... ٤٥ ٦٦

اشارة ٤٥ ٦٦

٤٥: ص: المعنى:..... ٤٥ ٦٦

٤٦: ص: الاعراب:..... ٤٦ ٦٧

٤٧: ص: المعنى و الحجة:..... ٤٧ ٦٧

٤٧: ص: قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٠]..... ٤٧ ٦٨

اشارة ٤٧ ٦٨

٤٨: ص: الاعراب:..... ٤٨ ٦٨

٤٨: ص: المعنى، و اللغة:..... ٤٨ ٦٨

٤٨: ص: قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧١]..... ٤٨ ٦٨

اشارة ٤٨ ٦٨

٤٩: ص: القراءة:..... ٤٩ ٦٩

٤٩: ص: المعنى:..... ٤٩ ٦٩

٤٩: ص: قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٢]..... ٤٩ ٦٩

اشارة ٤٩ ٦٩

٥٠: ص: سبب النزول و القصة:..... ٥٠ ٦٩

٥١: ص: الاعراب، و اللغة:..... ٥١ ٧٠

٥٢: ص: قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٣]..... ٥٢ ٧٠

اشارة ٥٢ ٧٠

٥٢: ص: المعنى:..... ٥٢ ٧٠

٥٢: ص: اللغة، و القصة:..... ٥٢ ٧١

٥٣: ص: قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٤]..... ٥٣ ٧١

- ٧١ اشارة
- ٧١ المعنى، و اللغة، و الاعراب:..... ص: ٥٣
- ٧٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٥]..... ص: ٥٤
- ٧٢ اشارة
- ٧٢ معنى الآية..... ص: ٥٤
- ٧٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٦]..... ص: ٥٥
- ٧٣ اشارة
- ٧٣ القراءة:..... ص: ٥٥
- ٧٣ اللغة:..... ص: ٥٦
- ٧٣ المعنى:..... ص: ٥٦
- ٧٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٧]..... ص: ٥٧
- ٧٤ اشارة
- ٧٤ المعنى:..... ص: ٥٧
- ٧٤ اللغة:..... ص: ٥٨
- ٧٤ الاعراب:..... ص: ٥٨
- ٧٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٨]..... ص: ٥٨
- ٧٥ اشارة
- ٧٥ القراءة، و الاعراب:..... ص: ٥٨
- ٧٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٩]..... ص: ٦٢
- ٧٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٠]..... ص: ٦٣
- ٧٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨١]..... ص: ٦٤
- ٧٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٢]..... ص: ٦٦
- ٧٩ اشارة
- ٨٠ المعنى:..... ص: ٦٦

- ٨٠ الاعراب: ص: ٦٧-.....
- ٨٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٣]..... ص: ٦٧-.....
- ٨٠ اشارة.....
- ٨٠ الاعراب و المعنى: ص: ٦٧-.....
- ٨١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٤]..... ص: ٦٨-.....
- ٨١ اشارة.....
- ٨١ القراءة، و الحجّة: ص: ٦٩-.....
- ٨٢ اللغّة، و المعنى: ص: ٦٩-.....
- ٨٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٥]..... ص: ٧٠-.....
- ٨٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٦]..... ص: ٧٢-.....
- ٨٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٧]..... ص: ٧٣-.....
- ٨٤ اشارة.....
- ٨٤ القراءة و الحجّة: ص: ٧٣-.....
- ٨٤ المعنى: ص: ٧٤-.....
- ٨٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٨]..... ص: ٧٥-.....
- ٨٥ اشارة.....
- ٨٥ القراءة و الحجّة و الاعراب: ص: ٧٥-.....
- ٨٦ النزول، و المعنى: ص: ٧٦-.....
- ٨٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٩]..... ص: ٧٧-.....
- ٨٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٠]..... ص: ٧٨-.....
- ٨٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩١]..... ص: ٨٠-.....
- ٨٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٢]..... ص: ٨٢-.....
- ٩٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٣]..... ص: ٨٣-.....
- ٩٠ اشارة.....

- ٩١ اللغة، و المعنى:..... ص: ٨٥
- ٩١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٤]..... ص: ٨٥
- ٩٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٥]..... ص: ٨٧
- ٩٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٩٦ الى ١٩٧]..... ص: ٩٠
- ٩٤ اشارة
- ٩٤ المعنى:..... ص: ٩٠
- ٩٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٨]..... ص: ٩١
- ٩٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٩]..... ص: ٩٣
- ٩٥ اشارة
- ٩٦ النزول:..... ص: ٩٣
- ٩٦ المعنى:..... ص: ٩٣
- ٩٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٠٠]..... ص: ٩٥
- ٩٨ ٤-سورة النساء..... ص: ٩٧
- ٩٨ اشارة
- ٩٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١]..... ص: ٩٧
- ٩٨ اشارة
- ٩٨ القراءة و الحججة:..... ص: ٩٧
- ٩٨ المعنى:..... ص: ٩٨
- ٩٩ المعنى، و اللغة:..... ص: ٩٩
- ١٠١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢]..... ص: ١٠١
- ١٠١ اشارة
- ١٠١ المعنى:..... ص: ١٠١
- ١٠١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٣ الى ٤]..... ص: ١٠٢
- ١٠١ اشارة

- ١٠٢ النزول، و المعنى:..... ص: ١٠٣
- ١٠٣ المعنى، و اللغة، و الاعراب..... ص: ١٠٤
- ١٠٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥]..... ص: ١١٢
- ١٠٨ اشارة
- ١٠٨ القراءة، و المعنى:..... ص: ١١٢
- ١٠٨ اللغة:..... ص: ١١٣
- ١٠٨ المعنى:..... ص: ١١٣
- ١٠٩ اللغة:..... ص: ١١٤
- ١٠٩ المعنى:..... ص: ١١٥
- ١١٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦]..... ص: ١١٦
- ١١٠ اشارة
- ١١٠ المعنى:..... ص: ١١٦
- ١١٠ اللغة:..... ص: ١١٧
- ١١١ المعنى:..... ص: ١١٧
- ١١٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧]..... ص: ١٢٠
- ١١٣ اشارة
- ١١٣ النزول:..... ص: ١٢٠
- ١١٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨]..... ص: ١٢٢
- ١١٤ اشارة
- ١١٤ المعنى:..... ص: ١٢٢
- ١١٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩]..... ص: ١٢٤
- ١١٥ اشارة
- ١١٥ المعنى:..... ص: ١٢٤
- ١١٥ اللغة:..... ص: ١٢٤

- ١١٥ المعنى:..... ص: ١٢٥
- ١١٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠]..... ص: ١٢٥
- ١١٦ اشارة.....
- ١١٦ القراءة و الحجة:..... ص: ١٢٥
- ١١٦ المعنى:..... ص: ١٢٥
- ١١٧ اللغة:..... ص: ١٢٦
- ١١٧ المعنى:..... ص: ١٢٧
- ١١٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١]..... ص: ١٢٧
- ١١٧ اشارة.....
- ١١٨ القراءة و الحجة:..... ص: ١٢٨
- ١١٨ سبب النزول و القصة:..... ص: ١٢٨
- ١١٨ المعنى:..... ص: ١٢٩
- ١٢١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢]..... ص: ١٣٣
- ١٢١ اشارة.....
- ١٢٢ الاعراب:..... ص: ١٣٥
- ١٢٢ المعنى:..... ص: ١٣٥
- ١٢٢ اللغة:..... ص: ١٣٥
- ١٢٣ الاعراب:..... ص: ١٣٦
- ١٢٣ المعنى:..... ص: ١٣٧
- ١٢٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٣ الى ١٤]..... ص: ١٣٩
- ١٢٤ اشارة.....
- ١٢٤ القراءة، و الحجة:..... ص: ١٣٩
- ١٢٤ المعنى، و الاعراب:..... ص: ١٣٩
- ١٢٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥]..... ص: ١٤١

- ١٢٦ المعنى:..... ص: ١٤٢
- ١٢٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦]..... ص: ١٤٣
- ١٢٧ اشارة.....
- ١٢٧ القراءة، و اللغة:..... ص: ١٤٣
- ١٢٧ المعنى:..... ص: ١٤٣
- ١٢٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧]..... ص: ١٤٥
- ١٢٨ اشارة.....
- ١٢٨ المعنى:..... ص: ١٤٥
- ١٢٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٨]..... ص: ١٤٧
- ١٢٩ اشارة.....
- ١٣٠ المعنى:..... ص: ١٤٧
- ١٣٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٩]..... ص: ١٤٨
- ١٣٠ اشارة.....
- ١٣٠ القراءة و اللغة:..... ص: ١٤٨
- ١٣١ المعنى:..... ص: ١٤٩
- ١٣١ اللغة:..... ص: ١٥٠
- ١٣١ المعنى:..... ص: ١٥٠
- ١٣٢ الاعراب:..... ص: ١٥٠
- ١٣٢ النزول:..... ص: ١٥١
- ١٣٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٠]..... ص: ١٥١
- ١٣٢ اشارة.....
- ١٣٢ المعنى:..... ص: ١٥١
- ١٣٣ اللغة:..... ص: ١٥٢
- ١٣٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢١]..... ص: ١٥٢

- ١٣٣ اشارة
- ١٣٣ المعنى:..... ص: ١٥٢
- ١٣٤ اللغة و المعنى:..... ص: ١٥٣
- ١٣٤ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٢٢]..... ص: ١٥٤
- ١٣٤ اشارة
- ١٣٤ المعنى:..... ص: ١٥٤
- ١٣٥ اللغة و الاعراب، و المعنى..... ص: ١٥٥
- ١٣٥ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٢٣]..... ص: ١٥٦
- ١٣٥ اشارة
- ١٣٥ المعنى:..... ص: ١٥٦
- ١٣٦ اللغة:..... ص: ١٥٧
- ١٣٦ الاعراب:..... ص: ١٥٨
- ١٣٧ المعنى:..... ص: ١٥٨
- ١٣٨ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٢٤]..... ص: ١٦١
- ١٣٨ اشارة
- ١٣٩ القراءة:..... ص: ١٦٢
- ١٣٩ المعنى:..... ص: ١٦٢
- ١٣٩ اللغة و الاعراب..... ص: ١٦٣
- ١٤٠ المعنى:..... ص: ١٦٤
- ١٤٢ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٢٥]..... ص: ١٦٨
- ١٤٢ اشارة
- ١٤٢ القراءة، و اللغة:..... ص: ١٦٨
- ١٤٣ المعنى:..... ص: ١٦٩
- ١٤٥ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٢٦]..... ص: ١٧٣

- ١٤٥ اشارة
- ١٤٥ الاعراب: ص: ١٧٣
- ١٤٧ المعنى: ص: ١٧٥
- ١٤٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٧] ص: ١٧٥
- ١٤٧ اشارة
- ١٤٧ المعنى: ص: ١٧٥
- ١٤٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٨] ص: ١٧٧
- ١٤٨ اشارة
- ١٤٨ المعنى و اللغة: ص: ١٧٧
- ١٤٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٩] ص: ١٧٧
- ١٤٩ اشارة
- ١٤٩ القراءة، و الاعراب: ص: ١٧٨
- ١٤٩ المعنى: ص: ١٧٨
- ١٥٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٠] ص: ١٨٠
- ١٥٠ اشارة
- ١٥١ المعنى: ص: ١٨٠
- ١٥١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣١] ص: ١٨١
- ١٥١ اشارة
- ١٥١ القراءة، و الحجج: ص: ١٨٢
- ١٥٢ المعنى: ص: ١٨٢
- ١٥٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٢] ص: ١٨٣
- ١٥٢ اشارة
- ١٥٣ القراءة: ص: ١٨٣
- ١٥٣ النزول: ص: ١٨٤

- ١٥٣ اللغة:..... ص: ١٨٤
- ١٥٣ المعنى:..... ص: ١٨٤
- ١٥٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٣]..... ص: ١٨٥
- ١٥٤ اشارة
- ١٥٤ القراءة، و الاعراب، و الحجية:..... ص: ١٨٦
- ١٥٤ المعنى و اللغة:..... ص: ١٨٦
- ١٥٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٤]..... ص: ١٨٨
- ١٥٦ اشارة
- ١٥٦ القراءة و النزول:..... ص: ١٨٩
- ١٥٦ المعنى و اللغة:..... ص: ١٨٩
- ١٥٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٥]..... ص: ١٩١
- ١٥٨ اشارة
- ١٥٨ المعنى و اللغة:..... ص: ١٩١
- ١٥٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٦]..... ص: ١٩٣
- ١٥٩ اشارة
- ١٥٩ المعنى:..... ص: ١٩٣
- ١٥٩ اللغة:..... ص: ١٩٣
- ١٦٠ المعنى و اللغة:..... ص: ١٩٤
- ١٦٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٧]..... ص: ١٩٥
- ١٦٠ اشارة
- ١٦١ القراءة:..... ص: ١٩٦
- ١٦١ الاعراب:..... ص: ١٩٦
- ١٦١ المعنى و اللغة:..... ص: ١٩٦
- ١٦١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٨]..... ص: ١٩٦

- ١٦١ اشارة
- ١٦٢ الاعراب: ص: ١٩٧
- ١٦٢ المعنى و اللغة: ص: ١٩٧
- ١٦٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٩] ص: ١٩٨
- ١٦٢ اشارة
- ١٦٢ المعنى و الاعراب: ص: ١٩٨
- ١٦٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٠] ص: ١٩٩
- ١٦٣ اشارة
- ١٦٣ القراءة، و الحجّة، و الاعراب: ص: ١٩٩
- ١٦٤ اللغة: ص: ٢٠٠
- ١٦٤ المعنى: ص: ٢٠٠
- ١٦٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤١] ص: ٢٠١
- ١٦٤ اشارة
- ١٦٤ الاعراب: ص: ٢٠١
- ١٦٥ المعنى: ص: ٢٠١
- ١٦٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٢] ص: ٢٠٢
- ١٦٥ اشارة
- ١٦٥ القراءة، و الحجّة: ص: ٢٠٢
- ١٦٥ المعنى: ص: ٢٠٢
- ١٦٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٣] ص: ٢٠٤
- ١٦٧ اشارة
- ١٦٧ القراءة و المعنى: ص: ٢٠٥
- ١٦٧ النزول: ص: ٢٠٥
- ١٦٧ المعنى و اللغة: ص: ٢٠٥

- ١٦٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٤٤ الى ٤٥]..... ص: ٢٠٩
- ١٧٠ اشارة
- ١٧٠ القراءة و النزول:..... ص: ٢١٠
- ١٧٠ المعنى:..... ص: ٢١٠
- ١٧١ اللغة:..... ص: ٢١١
- ١٧١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٦]..... ص: ٢١١
- ١٧١ اشارة
- ١٧١ المعنى و الاعراب:..... ص: ٢١٢
- ١٧٢ اللغة:..... ص: ٢١٤
- ١٧٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٧]..... ص: ٢١٥
- ١٧٣ اشارة
- ١٧٣ المعنى:..... ص: ٢١٥
- ١٧٤ اللغة:..... ص: ٢١٦
- ١٧٤ المعنى:..... ص: ٢١٧
- ١٧٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٨]..... ص: ٢١٨
- ١٧٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٩]..... ص: ٢٢٠
- ١٧٦ اشارة
- ١٧٦ المعنى:..... ص: ٢٢٠
- ١٧٧ اللغة و الاعراب و النظم:..... ص: ٢٢١
- ١٧٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٠]..... ص: ٢٢٢
- ١٧٨ اشارة
- ١٧٨ اللغة:..... ص: ٢٢٢
- ١٧٨ المعنى:..... ص: ٢٢٢
- ١٧٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥١]..... ص: ٢٢٣

- ١٧٨ اشارة
- ١٧٨ المعنى:..... ص: ٢٢٣
- ١٧٩ اللغة:..... ص: ٢٢٤
- ١٧٩ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٥٢]..... ص: ٢٢٤
- ١٧٩ اشارة
- ١٧٩ النزول:..... ص: ٢٢٥
- ١٨٠ اللغة و المعنى:..... ص: ٢٢٥
- ١٨٠ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٥٣]..... ص: ٢٢٥
- ١٨٠ اشارة
- ١٨٠ النظم و الاعراب:..... ص: ٢٢٦
- ١٨١ المعنى و اللغة:..... ص: ٢٢٦
- ١٨١ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٥٤]..... ص: ٢٢٧
- ١٨١ اشارة
- ١٨١ المعنى:..... ص: ٢٢٧
- ١٨٢ اللغة:..... ص: ٢٢٨
- ١٨٢ المعنى:..... ص: ٢٢٨
- ١٨٢ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٥٥]..... ص: ٢٢٩
- ١٨٢ اشارة
- ١٨٢ المعنى:..... ص: ٢٢٩
- ١٨٣ اللغة:..... ص: ٢٢٩
- ١٨٣ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٥٦]..... ص: ٢٣٠
- ١٨٣ اشارة
- ١٨٣ المعنى و اللغة:..... ص: ٢٣٠
- ١٨٤ قوله تعالى:[سورة النساء (٤): آية ٥٧]..... ص: ٢٣٢

- ١٨٥ اشارة
- ١٨٥ المعنى:..... ص: ٢٣٢
- ١٨٥ اللغة:..... ص: ٢٣٣
- ١٨٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٨]..... ص: ٢٣٣
- ١٨٦ اشارة
- ١٨٦ المعنى:..... ص: ٢٣٤
- ١٨٦ اللغة و المعنى:..... ص: ٢٣٤
- ١٨٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٩]..... ص: ٢٣٥
- ١٨٧ اشارة
- ١٨٧ المعنى:..... ص: ٢٣٥
- ١٨٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٠]..... ص: ٢٣٧
- ١٨٨ اشارة
- ١٨٨ المعنى و اللغة:..... ص: ٢٣٨
- ١٨٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦١]..... ص: ٢٣٩
- ١٨٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٢]..... ص: ٢٤٠
- ١٨٩ اشارة
- ١٩٠ الاعراب:..... ص: ٢٤٠
- ١٩٠ المعنى:..... ص: ٢٤٠
- ١٩١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٣]..... ص: ٢٤١
- ١٩١ اشارة
- ١٩١ المعنى:..... ص: ٢٤٢
- ١٩١ اللغة:..... ص: ٢٤٢
- ١٩١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٤]..... ص: ٢٤٣
- ١٩١ اشارة

- المعنى:..... ص: ٢٤٣ ١٩٢
- الاعراب و المعنى:..... ص: ٢٤٣ ١٩٢
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٥]..... ص: ٢٤٤ ١٩٢
- اشارة ١٩٣
- النزول:..... ص: ٢٤٥ ١٩٣
- اللغة و المعنى:..... ص: ٢٤٥ ١٩٣
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٦]..... ص: ٢٤٦ ١٩٤
- اشارة ١٩٤
- القراءة، و الحجة:..... ص: ٢٤٦ ١٩٤
- المعنى:..... ص: ٢٤٧ ١٩٤
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٦٧ الى ٦٨]..... ص: ٢٤٨ ١٩٥
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٦٩ الى ٧٠]..... ص: ٢٤٩ ١٩٦
- اشارة ١٩٦
- المعنى و اللغة و النزول:..... ص: ٢٥٠ ١٩٦
- الاعراب:..... ص: ٢٥١ ١٩٧
- اللغة:..... ص: ٢٥١ ١٩٧
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧١]..... ص: ٢٥٢ ١٩٨
- اشارة ١٩٨
- المعنى و اللغة:..... ص: ٢٥٢ ١٩٨
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٢]..... ص: ٢٥٤ ١٩٩
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٣]..... ص: ٢٥٥ ١٩٩
- اشارة ٢٠٠
- المعنى:..... ص: ٢٥٦ ٢٠٠
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٤]..... ص: ٢٥٧ ٢٠٠

- ٢٠١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٥] ص: ٢٥٨
- ٢٠١ اشارة
- ٢٠١ المعنى و الاعراب: ص: ٢٥٨
- ٢٠٢ اللغة و المعنى: ص: ٢٥٩
- ٢٠٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٦] ص: ٢٥٩
- ٢٠٢ اشارة
- ٢٠٢ المعنى: ص: ٢٥٩
- ٢٠٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٧] ص: ٢٦١
- ٢٠٣ اشارة
- ٢٠٣ القراءة، و الحجّة: ص: ٢٦١
- ٢٠٣ النزول: ص: ٢٦١
- ٢٠٤ المعنى: ص: ٢٦٢
- ٢٠٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٨] ص: ٢٦٣
- ٢٠٤ اشارة
- ٢٠٥ اللغة و المعنى: ص: ٢٦٣
- ٢٠٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٩] ص: ٢٦٥
- ٢٠٦ اشارة
- ٢٠٦ المعنى: ص: ٢٦٥
- ٢٠٧ الاعراب و الحجّة: ص: ٢٦٧
- ٢٠٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٠] ص: ٢٦٧
- ٢٠٧ اشارة
- ٢٠٧ النظم: ص: ٢٦٨
- ٢٠٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨١] ص: ٢٦٨
- ٢٠٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٢] ص: ٢٧٠

- ٢٠٩ اشارة
- ٢٠٩ المعنى:..... ص: ٢٧٠
- ٢٠٩ اللغة:..... ص: ٢٧٠
- ٢١٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٣]..... ص: ٢٧٢
- ٢١٠ اشارة
- ٢١٠ اللغة:..... ص: ٢٧٢
- ٢١١ المعنى:..... ص: ٢٧٣
- ٢١١ اللغة و الاعراب و المعنى:..... ص: ٢٧٣
- ٢١٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٤]..... ص: ٢٧٥
- ٢١٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٥]..... ص: ٢٧٦
- ٢١٣ اشارة
- ٢١٣ المعنى و اللغة:..... ص: ٢٧٦
- ٢١٤ [سورة النساء (٤): آية ٨٦]..... ص: ٢٧٨
- ٢١٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٧]..... ص: ٢٧٩
- ٢١٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٨]..... ص: ٢٨٠
- ٢١٦ اشارة
- ٢١٦ المعنى و النزول:..... ص: ٢٨١
- ٢١٧ الاعراب:..... ص: ٢٨٢
- ٢١٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٩]..... ص: ٢٨٤
- ٢١٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩٠]..... ص: ٢٨٥
- ٢٢٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩١]..... ص: ٢٨٧
- ٢٢٠ اشارة
- ٢٢٠ النزول:..... ص: ٢٨٧
- ٢٢١ المعنى:..... ص: ٢٨٨

- ٢٢١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩٢]..... ص: ٢٨٩
- ٢٢١ اشارة
- ٢٢١ المعنى و الاعراب:..... ص: ٢٨٩
- ٢٢٢ النزول:..... ص: ٢٩٠
- ٢٢٢ المعنى:..... ص: ٢٩١
- ٢٢٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩٣]..... ص: ٢٩٤
- ٢٢٤ اشارة
- ٢٢٤ المعنى:..... ص: ٢٩٤
- ٢٢٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩٤]..... ص: ٢٩٦
- ٢٢٥ اشارة
- ٢٢٦ القراءة، و الحجّة:..... ص: ٢٩٧
- ٢٢٦ المعنى:..... ص: ٢٩٧
- ٢٢٦ النزول:..... ص: ٢٩٨
- ٢٢٧ المعنى:..... ص: ٢٩٩
- ٢٢٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٩٥ الى ٩٦]..... ص: ٢٩٩
- ٢٢٧ اشارة
- ٢٢٧ القراءة، و الحجّة:..... ص: ٣٠٠
- ٢٢٨ المعنى:..... ص: ٣٠٠
- ٢٢٨ الاعراب و المعنى:..... ص: ٣٠٠
- ٢٢٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٩٧ الى ٩٩]..... ص: ٣٠٢
- ٢٣٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٠]..... ص: ٣٠٤
- ٢٣٠ اشارة
- ٢٣٠ اللغة:..... ص: ٣٠٥
- ٢٣١ المعنى:..... ص: ٣٠٥

- ٢٣١ النزول:..... ص: ٣٠٦
- ٢٣١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠١]..... ص: ٣٠٦
- ٢٣٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٢]..... ص: ٣٠٨
- ٢٣٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٣]..... ص: ٣١١
- ٢٣٤ اشارة
- ٢٣٤ المعنى:..... ص: ٣١١
- ٢٣٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٤]..... ص: ٣١٣
- ٢٣٥ اشارة
- ٢٣٥ المعنى:..... ص: ٣١٣
- ٢٣٦ النزول:..... ص: ٣١٤
- ٢٣٦ المعنى و اللغة:..... ص: ٣١٤
- ٢٣٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦]..... ص: ٣١٥
- ٢٣٧ اشارة
- ٢٣٧ المعنى:..... ص: ٣١٥
- ٢٣٧ القصة و النزول:..... ص: ٣١٦
- ٢٣٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٧]..... ص: ٣١٨
- ٢٣٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٨]..... ص: ٣١٨
- ٢٣٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٩]..... ص: ٣١٩
- ٢٤٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٠]..... ص: ٣٢١
- ٢٤٠ اشارة
- ٢٤٠ المعنى:..... ص: ٣٢١
- ٢٤٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١١]..... ص: ٣٢١
- ٢٤١ اشارة
- ٢٤١ المعنى:..... ص: ٣٢١

- ٢٤١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٢]..... ص: ٣٢٢
- ٢٤١ اشارة
- ٢٤١ اللغة، و المعنى:..... ص: ٣٢٢
- ٢٤٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٣]..... ص: ٣٢٤
- ٢٤٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٤]..... ص: ٣٢٥
- ٢٤٣ اشارة
- ٢٤٣ (القراءة و الحجة):..... ص: ٣٢٥
- ٢٤٤ الاعراب:..... ص: ٣٢٦
- ٢٤٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٥]..... ص: ٣٢٧
- ٢٤٥ اشارة
- ٢٤٥ المعنى:..... ص: ٣٢٨
- ٢٤٥ القراءة:..... ص: ٣٢٨
- ٢٤٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٦]..... ص: ٣٣٠
- ٢٤٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٧]..... ص: ٣٣١
- ٢٤٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٨]..... ص: ٣٣٢
- ٢٤٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١١٩ الى ١٢١]..... ص: ٣٣٣
- ٢٤٨ اشارة
- ٢٤٨ المعنى:..... ص: ٣٣٣
- ٢٤٨ اللغة:..... ص: ٣٣٤
- ٢٤٩ اللغة:..... ص: ٣٣٥
- ٢٤٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٢]..... ص: ٣٣٥
- ٢٥٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٣]..... ص: ٣٣٦
- ٢٥٠ اشارة
- ٢٥٠ المعنى:..... ص: ٣٣٦

- ٢٥١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٤]..... ص: ٣٣٨
- ٢٥١ اشارة
- ٢٥١ القراءة:..... ص: ٣٣٨
- ٢٥١ المعنى:..... ص: ٣٣٨
- ٢٥٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٥]..... ص: ٣٣٩
- ٢٥٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٦]..... ص: ٣٤٢
- ٢٥٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٧]..... ص: ٣٤٣
- ٢٥٤ اشارة
- ٢٥٤ المعنى:..... ص: ٣٤٣
- ٢٥٤ الاعراب:..... ص: ٣٤٣
- ٢٥٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٨]..... ص: ٣٤٥
- ٢٥٥ اشارة
- ٢٥٦ القراءة و الحجج:..... ص: ٣٤٦
- ٢٥٦ المعنى:..... ص: ٣٤٦
- ٢٥٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٩]..... ص: ٣٤٨
- ٢٥٧ اشارة
- ٢٥٧ المعنى:..... ص: ٣٤٩
- ٢٥٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٠]..... ص: ٣٥٠
- ٢٥٨ اشارة
- ٢٥٨ المعنى:..... ص: ٣٥٠
- ٢٥٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٣١ الى ١٣٤]..... ص: ٣٥١
- ٢٦٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٥]..... ص: ٣٥٣
- ٢٦٠ اشارة
- ٢٦٠ القراءة و الحجج:..... ص: ٣٥٣

- ٢٦١ المعنى و اللغة:..... ص: ٣٥٤
- ٢٦٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٦]..... ص: ٣٥٧
- ٢٦٢ اشارة
- ٢٦٣ القراءة و الحجّة:..... ص: ٣٥٧
- ٢٦٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٧]..... ص: ٣٥٩
- ٢٦٤ اشارة
- ٢٦٤ المعنى:..... ص: ٣٥٩
- ٢٦٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٣٨ الى ١٣٩]..... ص: ٣٦٠
- ٢٦٥ اشارة
- ٢٦٥ المعنى:..... ص: ٣٦٠
- ٢٦٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٠]..... ص: ٣٦١
- ٢٦٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤١]..... ص: ٣٦٣
- ٢٦٧ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣]..... ص: ٣٦٤
- ٢٦٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٤]..... ص: ٣٦٧
- ٢٦٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٤٥ الى ١٤٦]..... ص: ٣٦٧
- ٢٦٨ اشارة
- ٢٦٩ القراءة و الحجّة:..... ص: ٣٦٨
- ٢٦٩ المعنى:..... ص: ٣٦٨
- ٢٦٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٧]..... ص: ٣٦٩
- ٢٧٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٨]..... ص: ٣٧٠
- ٢٧٠ اشارة
- ٢٧٠ القراءة و الحجّة:..... ص: ٣٧٠
- ٢٧٠ الاعراب:..... ص: ٣٧٠
- ٢٧٠ المعنى:..... ص: ٣٧١

- ٢٧١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٩]..... ص: ٣٧٢
- ٢٧١ اشارة
- ٢٧١ المعنى:..... ص: ٣٧٣
- ٢٧٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٠ الى ١٥١]..... ص: ٣٧٣
- ٢٧٢ اشارة
- ٢٧٢ المعنى:..... ص: ٣٧٣
- ٢٧٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٢]..... ص: ٣٧٥
- ٢٧٣ اشارة
- ٢٧٣ القراءة و الحجّة:..... ص: ٣٧٥
- ٢٧٣ المعنى:..... ص: ٣٧٥
- ٢٧٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٣]..... ص: ٣٧٦
- ٢٧٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٤]..... ص: ٣٧٨
- ٢٧٤ اشارة
- ٢٧٤ القراءة و الحجّة:..... ص: ٣٧٨
- ٢٧٥ المعنى:..... ص: ٣٧٨
- ٢٧٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٥ الى ١٥٦]..... ص: ٣٧٩
- ٢٧٥ اشارة
- ٢٧٥ المعنى:..... ص: ٣٧٩
- ٢٧٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٧ الى ١٥٨]..... ص: ٣٨٢
- ٢٧٧ اشارة
- ٢٧٧ المعنى:..... ص: ٣٨٢
- ٢٧٨ القراءة و الحجّة:..... ص: ٣٨٥
- ٢٧٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٩]..... ص: ٣٨٦
- ٢٧٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٦٠ الى ١٦١]..... ص: ٣٨٧

- ٢٨٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٢] ص: ٣٨٩
- ٢٨١ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٣] ص: ٣٩١
- ٢٨١ اشارة
- ٢٨٢ القراءة و الحجج: ص: ٣٩١
- ٢٨٢ المعنى: ص: ٣٩٢
- ٢٨٢ المعنى: ص: ٣٩٢
- ٢٨٢ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٤] ص: ٣٩٣
- ٢٨٢ اشارة
- ٢٨٣ الاعراب و المعنى: ص: ٣٩٣
- ٢٨٣ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٥] ص: ٣٩٤
- ٢٨٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٦] ص: ٣٩٥
- ٢٨٤ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٧] ص: ٣٩٦
- ٢٨٤ اشارة
- ٢٨٤ المعنى: ص: ٣٩٦
- ٢٨٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٦٨ الى ١٦٩] ص: ٣٩٧
- ٢٨٥ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٠] ص: ٣٩٨
- ٢٨٥ اشارة
- ٢٨٦ الاعراب: ص: ٣٩٨
- ٢٨٦ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧١] ص: ٣٩٩
- ٢٨٨ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٢] ص: ٤٠٤
- ٢٨٩ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٣] ص: ٤٠٥
- ٢٩٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٤] ص: ٤٠٦
- ٢٩٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٥] ص: ٤٠٦
- ٢٩٠ قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٦] ص: ٤٠٧

- ٢٩٠ اشارة
- ٢٩٠ النزول:..... ص: ٤٠٧
- ٢٩١ المعنى:..... ص: ٤٠٨
- ٢٩٣ ٥-سورة المائدة..... ص: ٤١٣
- ٢٩٣ اشارة
- ٢٩٤ قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ١]..... ص: ٤١٣
- ٢٩٤ اشارة
- ٢٩٤ الاعراب:..... ص: ٤١٧
- ٢٩٤ قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٢]..... ص: ٤١٧
- ٢٩٤ اشارة
- ٢٩٤ القراءة:..... ص: ٤١٨
- ٢٩٤ المعنى:..... ص: ٤١٨
- ٢٩٨ النزول:..... ص: ٤٢١
- ٢٩٨ النسخ:..... ص: ٤٢٢
- ٢٩٩ المعنى:..... ص: ٤٢٣
- ٣٠٠ الاعراب:..... ص: ٤٢٤
- ٣٠١ اللغة:..... ص: ٤٢٤
- ٣٠٢ قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٣]..... ص: ٤٢٨
- ٣٠٢ اشارة
- ٣٠٢ اللغة:..... ص: ٤٢٨
- ٣٠٨ قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٤]..... ص: ٤٣٨
- ٣١٠ قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٥]..... ص: ٤٤٣
- ٣١٢ قوله تعالى:[سورة المائدة (٥): آية ٦]..... ص: ٤٤٧
- ٣١٢ اشارة

- ٣١٢ القراء: ص: ٤٤٧
- ٣١٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧] ص: ٤٥٩
- ٣١٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨] ص: ٤٦٠
- ٣٢٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٩] ص: ٤٦١
- ٣٢١ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٠] ص: ٤٦٢
- ٣٢١ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١١] ص: ٤٦٣
- ٣٢١ اشارة
- ٣٢٢ اللغه: ص: ٤٦٤
- ٣٢٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٢] ص: ٤٦٥
- ٣٢٢ اشارة
- ٣٢٣ اللغه: ص: ٤٦٥
- ٣٢٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٣] ص: ٤٦٨
- ٣٢٤ اشارة
- ٣٢٤ القراء: ص: ٤٦٨
- ٣٢٥ المعنى: ص: ٤٦٨
- ٣٢٦ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٤] ص: ٤٧١
- ٣٢٧ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): الآيات ١٥ الى ١٦] ص: ٤٧٤
- ٣٢٨ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٧] ص: ٤٧٦
- ٣٢٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٨] ص: ٤٧٧
- ٣٣٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٩] ص: ٤٧٩
- ٣٣١ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٠] ص: ٤٨٠
- ٣٣٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢١] ص: ٤٨٣
- ٣٣٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٢] ص: ٤٨٤
- ٣٣٣ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٣] ص: ٤٨٦

- ٣٣٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٤] ص: ٤٨٧
- ٣٣٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٥] ص: ٤٨٨
- ٣٣٥ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٦] ص: ٤٩٠
- ٣٣٦ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٧] ص: ٤٩٢
- ٣٣٧ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٨] ص: ٤٩٤
- ٣٣٨ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٩] ص: ٤٩٦
- ٣٣٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٠] ص: ٤٩٧
- ٣٣٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣١] ص: ٤٩٩
- ٣٤٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٢] ص: ٥٠١
- ٣٤٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٣] ص: ٥٠٤
- ٣٤٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٤] ص: ٥٠٨
- ٣٤٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٥] ص: ٥٠٩
- ٣٤٥ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): الآيات ٣٦ الى ٣٧] ص: ٥١١
- ٣٤٧ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٨] ص: ٥١٤
- ٣٤٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٩] ص: ٥١٩
- ٣٥٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٠] ص: ٥٢٠
- ٣٥٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤١] ص: ٥٢١
- ٣٥٣ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٢] ص: ٥٢٧
- ٣٥٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٣] ص: ٥٣٠
- ٣٥٥ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٤] ص: ٥٣١
- ٣٥٧ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٥] ص: ٥٣٥
- ٣٥٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٦] ص: ٥٣٩
- ٣٥٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٧] ص: ٥٤١
- ٣٦٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٨] ص: ٥٤٢

- ٣٦٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٩]..... ص: ٥٤٧
- ٣٦٣ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٠]..... ص: ٥٤٩
- ٣٦٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥١]..... ص: ٥٥٠
- ٣٦٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٢]..... ص: ٥٥١
- ٣٦٥ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٣]..... ص: ٥٥٢
- ٣٦٦ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٤]..... ص: ٥٥٤
- ٣٦٨ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٥]..... ص: ٥٥٨
- ٣٧١ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٦]..... ص: ٥٦٥
- ٣٧٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٧]..... ص: ٥٦٧
- ٣٧٣ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٨]..... ص: ٥٦٩
- ٣٧٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٩]..... ص: ٥٧٠
- ٣٧٥ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٠]..... ص: ٥٧٢
- ٣٧٧ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦١]..... ص: ٥٧٦
- ٣٧٧ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٢]..... ص: ٥٧٧
- ٣٧٨ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٣]..... ص: ٥٧٨
- ٣٧٨ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٤]..... ص: ٥٧٩
- ٣٨٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٥]..... ص: ٥٨٣
- ٣٨١ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٦]..... ص: ٥٨٤
- ٣٨٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٧]..... ص: ٥٨٧
- ٣٨٣ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٨]..... ص: ٥٨٩
- ٣٨٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٩]..... ص: ٥٩١
- ٣٨٦ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٠]..... ص: ٥٩٤
- ٣٨٧ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧١]..... ص: ٥٩٥
- ٣٨٩ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٢]..... ص: ٦٠٠

- ٣٩٠ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٣] ص: ٦٠٢
- ٣٩١ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٤] ص: ٦٠٤
- ٣٩١ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٥] ص: ٦٠٤
- ٣٩٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٦] ص: ٦٠٦
- ٣٩٢ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٧] ص: ٦٠٧
- ٣٩٣ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٨] ص: ٦٠٨
- ٣٩٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٩] ص: ٦١٠
- ٣٩٤ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨٠] ص: ٦١١
- ٣٩٥ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨١] ص: ٦١٢
- ٣٩٥ قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨٢] ص: ٦١٣
- ٣٩٧ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

التبيان في تفسير القرآن المجلد ۳

اشاره

شماره بازيابي: ۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه: طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پديدآور: التبيان في تفسير القرآن [نسخه خطي] / محمد بن الحسن الطوسي
وضعت استنساخ:، صفر ۵۹۵ق.

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: بسملة الحمد لله الواحد...سوره و الصافات. مكيه في قول قتاده و مجاهد و... ليس فيها ناسخ و لا منسوخ...
انجام:.... و لو كان مامورا...دون التلاوه لما وجب ان ياتي بلفظه قل في هذه المواضع كلها. تم الكتاب و الحمد لله رب العالمين.
انجامه: فرغ الحسين بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن الوكيل المعروف بابن الطو...من كتابه هذا الجزء
الخامس لنفسه...عشر صفر من سنة خمس و تسعين و خمس مائه و صلى الله على سيدنا محمد النبي و اهل بيته الطاهرين و سلم
تسلما كثيرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابي يزيد و ان محمد و على سعيد.

مشخصات ظاهري: گ ۴۰۰ - ۷۳۱، ۲۷ سطری

يادداشت مشخصات ظاهري: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: نخودی رنگ، آهار مهره

ترتيبات متن: بعضی عناوين و علائم: قرمز

خصوصيات نسخه موجود: امتياز: ابتداءى كتابت اين نسخه ربيع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ي كتابت صفر ۵۹۵ ق. است.

حواشی اوراق: اندکی تصحيح با نشان " صح " دارد.

يادداشت های مربوط به نسخه: يادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین
تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است: " فافهم ان هذا الكتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجيهه لمذهبه " در برگ
۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات
دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرين و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت
قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. این نسخه جلد
۵ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدایی " دایره المعارف
بزرگ اسلامی " است که از " کتابخانه های یمن " تهیه شده است.

يادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بیضی دیگری
با سجع " جمال الدين الحسيني " (؟) در برگ ۴۰۰ دارد.

توضیحات نسخه: نسخه بررسی شده. اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه،
رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

يادداشت کلی: زبان: عربی

عنوانهای دیگر: تفسیر تبيان

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۵ق.

شناسه افزوده: حسين بن محمد، قرن ٦ق. كاتب

المجلد الثالث

[تنمة سورة آل عمران ص: ٣]

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤١]..... ص: ٣

إشارة

وَ لِيَمَّحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَّحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)

المعنى، و اللغة..... ص: ٣

قيل في معنى قوله: «وَ لِيَمَّحَّصَ اللَّهُ» أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: ليبثلى، «وَ يَمَّحَقَ الْكَافِرِينَ» بنقصهم في قول ابن عباس، و قال غيره يهلكهم، و قال الفراء: معنى «وَ لِيَمَّحَّصَ اللَّهُ» يعنى ذنوب المؤمنين. و قال الزجاج: يخلصهم من الذنوب و هذا قريب من قول الفراء: و قال الرماني معناه «وَ لِيَمَّحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» ينجيهم من الذنوب بالابتلاء و يهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء. و أصل التمحيص التخليص في قول أبي العباس تقول محصت الشيء أمحصه محصاً: إذا خلصته. و قال الخليل: المحص الخلوص من العيب، محصته محصاً أى خلصته من كل عيب، و محص الجمل: إذا ذهب و بره يمحص. و جبل محص أى ملص، و محص الطيبى، و يمحص إذا عدا عدواً شديداً محصاً، و يستحب أن تمحص قوائم الفرس أى تخلص من الرهل. و تقول: اللهم محص عنا ذنوبنا أى اذهبها عنا، لأنه تخليص الحسنات بتكفير السيئات. و يقال تمحص الفرس:

إذا ذهب شحمه الردىء، و بقى لحمه، و قوته بالضمور. و أصل المحق فناء الشيء حالاً بعد حال، و لهذا دخله معنى النقصان. و أمحق الشيء امحاقاً. و المحاق: آخر الشهر إذا أمحق الهلال، فلم ير، لذهاب ضوئه حالاً بعد حال. و امتحق الشيء و تمحق:

إذا ذهب بركته بنقصانها حالاً بعد حال. و محقه تمحيقاً. و إنما قابل بين التمحيص، و المحق، لأن محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك باهلاك أنفسهم، و هذه مقابلة فى المعنى. و قيل فى تمحيص المؤمنين بالمداولة قولان:

أحدهما- لما فى تخليصهم مع تمكين الكافرين منهم من التعريض للصبر الذى يستحقون به عظيم الأجر، و يحط كثيراً من الذنوب. الثانى- لما فى ذلك من اللطف الذى يعصم من اقتراف المعصية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٢]..... ص: ٤

إشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ (١٤٢)
آية بلا خلاف.

القراءة والمعنى واللغة:..... ص: ٤

قرأ الحسن «وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ» بكسر الميم. الباقون بفتحها. ووجه قراءة الحسن أنه عطف على، و لما يعلم الله كأنه قال، و لما يعلم الله و يعلم الصابرين. و قوله:

«أَمْ حَسِبْتُمْ» معناه: أ حسبتم «أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ» و قيل معنى (أم) معنى بل على جهة الإنكار، لأن يحسبوا ذلك الحسبان، كما يقال: قد صممت على الخلاف أم تتوهم الإهمال، و الفرق بين لم و لما أن لما جواب، لقول القائل: قد فعل فلان يريد به الحال، فجوابه (لما فعل) و إذا قال: فعل فجوابه (لم يفعل)، فلما كانت (لما) مؤكدة بحرف كانت جواباً لما هو مؤكد بحرف. و أيضاً، فانه يجوز الوقف على (لما) في مثل أن يقول القائل: قد جاء فلان، فيجيبه آخر فيقول:

لما أى لما يجيء، و لا- يجوز ذلك في (لم). و معنى «وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» أى لما يعلم الله جهادكم يعنى أنهم لا يدخلون الجنة إلا بفعل الجهاد، لأنه من أعظم أركان الشرع. و قوله: «وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ» نصب على الصرف عن العطف إذ ليس المعنى على نفى الثانى، و الاول، و إنما هو على نفى اجتماع الثانى و الاول، نحو قولهم: لا يسعنى شيء و يعجز عنك. و قال الشاعر:

لا تته عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم «١»

و انما جاز «وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» على معنى نفى الجهاد دون

(١) قائله أبو الأسود الدؤلى، و نسب للمتوكل الكنانى معجم البلدان ٧: ٣٨٤، و الاغانى ١١: ٣٩ طبعه بولاق. و البيت من الأبيات الحكيمية المشهورة و قبله:

ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥

العلم، لما فيه من الإيجاز فى انتفاء الجهاد، لأنه لو كان لعلمه. و تقديره و لما يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم، لأن المعنى مفهوم لا يشتهه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٣]..... ص: ٥

إشارة

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)

المعنى:..... ص: ٥

قال الحسن، و مجاهد، و الربيع، و قتادة، و السدى: كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أحد، فلما رأوه يوم أحد أعرض كثير منهم عنه، فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك. و قوله: «فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» فيه حذف و معناه رأيتم أسباب الموت، لأن الموت لا يرى كما قال الشاعر:

و محلما يمشون تحت لوائه و الموت تحت لواء آل محلم

أى أسباب الموت. و قال البلخى: معنى «رَأَيْتُمُوهُ» أى علمتم، و أنتم تنظرون أسباب الموت من غير أن يكون فى الأول حذف. فان قيل هل يجوز أن يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة؟ قلنا: لا، لأن قتل المشركين لهم معصية، و لا يجوز تمنى المعاصى، كما

لا يجوز إرادتها، ولا الأمر بها. فإذا ثبت ذلك، فتمنيهم الشهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا. وقال الجبائي: إنما تمنوا الموت دون القتل إذا كانوا مجاهدين. قال الازهرى قوله: «رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» معناه وأعينكم صحيحة، كما يقول القائل رأيت كذا، وليس في عينك سوء. والفرق بين التمني والارادة أن الارادة من أفعال القلوب، والتمني هو قول القائل: ليت كان كذا و ليت لم يكن كذا. وقوله: «وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» بعد، قوله «فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون تأكيداً للرؤية، كما تقول: رأيت عياناً ورأيت بعيني التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦
وسمعته باذني، لثلاثا يتوهم رؤية القلب، و سمع العلم.

والثاني- أن يكون معناه و أنتم تتأملون الحال في ذلك كيف هي، لأن النظر هو قلب الحدة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته، و ليس معناه الرؤية على وجه الحقيقة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٤]..... ص: ٦

إشارة

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)
آية بلا خلاف.

القصة، و النزول:..... ص: ٦

قال ابن عباس، و قتاده، و الضحاك، و مجاهد: إن سبب نزول هذه الآية انه لما ارجف بان النبي (ص) قتل يوم أحد و اشيع ذلك، قال ناس لو كان نبياً ما قتل. و قال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به. و كان سبب انهزامهم و تضعفهم إخلال الرماة بمكانهم من فم الشعب، و كان النبي (ص) نهاهم عن الإخلال به، و حذرهم من الانصراف عن الشعب مخافة أن يخرج منه كمين عليهم، فلما انهزم المشركون في الجولة الأولى، فتبعوهم المسلمون، و تواقفوا في غنائمهم فقال الموكلون بالشعب: يغنمون و لا نغنم، فقال لهم رئيسهم: الله لا تفعلوا فان النبي (ص) أمرنا ألا نبرح، فلم يقبلوا منه و انصرفوا، و ثبت رئيسهم مع اثني عشر رجلاً، فقتلوا، خرج عليهم خالد بن الوليد في مأتي فارس من الشعب، و كان كامناً فيه.

و كان ذلك سبب هزيمة المسلمين، و إصابة رباعية النبي (ص) و جرحه. و كان الذي جرحه و كسر رباعيته عتبة بن أبي وقاص، و قيل إن عبد الله ابن قمية ضربه على جبل عاتقه، و مضى إلى المشركين، و قال قتلت محمداً و شاع ذلك فأنزل الله هذه الآية. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧

فان قيل: كيف دخل الاستفهام على الشرط. و إنما هو كغيره من الانقلاب و التقدير أ تنقلبون إن مات أو قتل؟ قيل: لأنه لما انعقد الشرط به صار جملة واحدة و خبراً واحداً بمنزلة تقديم الاسم قبل الفعل في الذكر إذا قيل أزيد قام، و كذلك تقديمه في القسم، و الاكتفاء بجواب الشرط من جواب القسم، كما قال الشاعر: (١)

حلفت له إن تدلج الليل لا يزل أمامك بيت من بيوتى سائر (٢)

أى حلفت له لا- يزال أمامك بيت و أجاز الفراء في مثله أفان مات أو قتل تنقلبون بالرفع، و الجزم و معنى «انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» أى ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم، لأن الرجوع من الحق إلى الباطل بمنزلة رجوع القهقري في القبح، و التنكيل (٣) بالنفس فجرى كالمثل

في هذا المعنى. و الالف في قوله: «أفإن» ألف انكار بصورة ألف استفهام، لأن التقرير به يظهر ما فيه من المنكر، فلذلك أخرج مخرج الاستفهام مع أن معناه الإنكار. و مثله أ تختار الفساد على الصلاح و الخطأ على الصواب. و قوله: (أفإن مات أو قُتل) يدل على أن الموت غير القتل لأنه لو كان هو إياه لما عطف به عليه، لأن الشيء لا يعطف على نفسه. و القتل هو نقض بنيه الحياة. و الموت: في الناس من قال: هو معنى يضاد الحياة. و فيهم من قال: هو افساد البنية التي تحتاج الحياة إليها بفعل معان فيه تضاد المعاني التي تحتاج إليها الحياة. و قوله: «وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ» أى من یرتد و يرجع عن الإسلام «فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا» لأنه لا يجوز عليه المضار بل مضرتة عائده عليه، لأنه يستحق العقاب الدائم. و قوله: «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» معناه يثيب

(١) هو الراعى.

(٢) معانى القرآن للفراء ١: ٦٩-٢٣٦ و المعانى الكبير: ٨٠٥. و خزائن الأدب ٤: ٤٥٠. و رواية المعانى الكبير (عائز) بدل (سائر) و قال: أى بيت هجاء عائز. من قولهم: عار الفرس: إذا ذهب و جاء متردداً و يقال: قصيدة عائزة أى سائره فى كل وجه. ادلج: سار فى أول الليل.

(٣) فى المخطوطة (و السيل) و الصحيح ما فى المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨

اللّه الشاكرين على شكرهم لنعم الله و اعترافهم بها. و وجه اتصال هذا بما قبله اتصال الوعد بالوعيد، لأن قوله: «فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا» دليل على معنى الوعيد، لأن معناه انما يضر نفسه باستحقاقه العقاب «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» بما يستحقونه من الثواب.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٥]..... ص: ٨

إشارة

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا - وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥)
آية بلا خلاف.

المعنى، و الاعراب، و اللغة:..... ص: ٨

قيل فى السبب الذى اقتضى قوله: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قولان: أحدهما- التسليّة عما يلحق النفس بموت النبى (ص) من جهة أنه بإذن الله عز و جل. الثانى- للحض على الجهاد من حيث لا يموت أحد إلا بإذن الله تعالى. و قوله: «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- إلا- بعلمه. و الثانى إلا بأمره. و قال أبو على: الآية تدل على أنه لا يقدر على الموت غير الله، كما لا يقدر على ضده من الحياة إلا الله، و لو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه، لأنه عاص الله فى فعله.

و قوله: «كِتَابًا مُؤَجَّلًا» نصب على المصدر بفعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كلما يكون فقد كتبه الله، فتقديره كتب الله ذلك «كِتَابًا مُؤَجَّلًا». و يجوز أن يدل عليه الفعل المحذوف مصدره المنتصب به. و قوله: «وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا»

قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة- في قول ابن إسحاق- أى فلا يغتر بحاله في الدنيا.

[الثاني - (١) من أراد بجهاده ثواب الدنيا أى النصيب من الغنيمه في قول أبي علي الجبائي.

الثالث- من يرد ثواب الدنيا بالتعرض له بعمل النوافل مع مواقعه الكبائر جوزى بها في الدنيا من غير حظ في الآخرة لإحباط عمله بفسقه على مذهب من يقول بالإحباط، و من يرد بعلمه ثواب الآخرة نوته إياها. و (من) في قوله:

«منها» تكون زائدة. و يحتمل أن تكون للتبويض، لأنه يستحق الثواب على قدر عمله. و إنما كرر قوله: «وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» ها هنا، و في الآية الأولى، لأمرين:

أحدهما- للتأكيد ليمكن المعنى في النفس.

الثاني- «وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» من الرزق في الدنيا، عن ابن إسحاق لثلاثا يتوهم ان الشاكر يحرم ما يعطاه الكافر مما قسم له في الدنيا. و قال الجبائي في الآية دلالة على أن اجل الإنسان إنما هو أجل واحد. و هو الوقت الذي يموت فيه، لأنه لا يقطع بالقتل عن الأجل الذي أخبر الله أنه اجل لموته. و قال ابن الاخشاذ:

لا دليل فيه على ذلك، لأن للإنسان أجلين أجل يموت فيه لا محاله، و أجل هو موهبه من الله تعالى له، و مع ذلك فلن يموت إلا عند الأجل الذي جعله الله أجلا لموته. و الأقوى الأول، لأن الأجل عبارة عن الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل، و بالتقدير لا يكون الشيء أجلا كما لا يكون بالتقدير ملكا، و قد بينا في شرح الجمل ذلك مستوفى.

(١) في المطبوعه (الثاني) ساقطه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٦]..... ص: ١٠

إشارة

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)
آية بلا خلاف.

القراءة و اللغة:..... ص: ١٠

قرأ ابن كثير «كاين» على وزن كاعن. و الباقون «كأين» مشددة على وزن كعين. و معناهما واحد، و هو بمعنى كما قال جرير:

و كائن بالاباطح من صديق يرانى لو اصبحت هو المصابا (١)

و قال آخر:

و كائن رددنا عنكم من مدجج يجيء أمام الالف يردى مقنعا (٢)

و مثل المشدد قول الشاعر:

كاين في المعاشر من أناس أخوهم فوقهم و هم كرام

و أصل كاين (أى) دخلت عليها كاف التشبيه، كما أن أصل (كذا) (إذا) دخلت عليها كاف التشبيه. و انما غيرت في اللفظ لتغيرها في المعنى، لأنها نقلت إلى معنى (كم) في التكثير. و من خفف فلكراهية التضعيف، كما خفف لا سيما. و قرأ أهل الكوفة، و ابن عامر

(قاتل) الباقون (قتل) فمن قرأ (قتل) نفى الوهن عنم بقى. و من قرأ (قاتل) نفاه عنم ذكر.

المعنى، واللغة:..... ص: ١٠

و قوله: (ربيون) قيل فى معناه أقوال.
أحدها- قال ابن عباس، و الحسن: علماء فقهاء. و قال مجاهد، و قتادة:

(١) ديوانه ١: ٩.

(٢) الكامل للمبرد: ١٠٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١

جموع كثيرة. و قال الأخفش: هم منسوبون إلى الرب. و معناه المتمسكون بعبادة الله. و قال غيره: منسوبون إلى علم الرب. و قال الزجاج:

الربو عشرة آلاف، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

، و ارتفاعه يحتمل أمرين:

أحدهما- على مذهب الحسن فى أنه لم يقتل نبى قط فى معركة فيرتفع بأنه لم يسم فاعله فى (قتل)، و على مذهب ابن إسحاق، و قتادة، و الربيع، و السدى: رفع بالابتداء، فقدم عليه الخبر بمعنى قتل، و معه ربيون كثير، فعلى هذا يكون النبى المقتول، و الذين معه لا يهنون، و ذلك

أن يوم أحد كان ارجف بأن النبى (ص) قتل، فبين الله تعالى انه لو قتل لما أوجب ذلك أن تهنوا و تضعفوا، كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و الوهن هو الضعف و إنما قال: فما وهنوا، و ما ضعفوا من حيث أن الوهن انكسار الجذ بالخوف، و نحوه. و الضعف: نقصان القوة و قوله: «وَمَا اسْتِكَانُوا» معناه ما ظهروا الضعف. و قيل معناه ما خضعوا، لأنه يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد، فلم يهنوا بالخوف، و لا ضعفوا بنقصان العدة، و لا استكانوا بالخضوع.

و قال ابن إسحاق: فما وهنوا بقتل نبيهم، و لا ضعفوا عن عدوهم، و لا استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن دينهم. و قال الزجاج معنى ما وهنوا ما فتروا، و ما ضعفوا و ما جنبوا عن قتال عدوهم. و ما استكانوا ما خضعوا. و قال الازهرى: الاستكانة أصلها من الكنية، و هى الحالة السيئة يقال بات بكنية يعنى بيته سوء، و مجيئه سوء أى بحال سوء. و قوله: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» معناه يريد ثواب من صبر فى جنبه فى امتثال أمره، و القيام بواجباته التى من جملتها الجهاد فى سبيل الله.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٧]..... ص: ١١

إشارة

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢

المعنى و اللغة:..... ص: ١٢

هذا إخبار عن الربيبين الذين ذكرهم في الآية الأولى بأنهم كانوا يقولون في أكثر أحوالهم «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» لأن من المعلوم أنهم قد كانوا يقولون أقوالاً غير هذا، لكن لما كان هذا هو الأكثر لم يعتد بذلك. وقيل: معناه و ما كان قولهم حين قتل نبيهم إلا هذا القول انقطاعاً إلى الله و طلباً لمغفرته. وقوله:

«اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» أى استرنا علينا بترك عقابنا، و مجازاتنا عليها «وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا» فالإسراف هو مجاوزة المقدار الذى تقتضيه الحكمة. و الإسراف مذموم، كما أن الإقتار مذموم، كما قال تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ» (١) و كما قال «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» (٢) و الإسراف، و الإفراط بمعنى، و ضدهما التقصير و التقتير. و قيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزيادة أو نقصان. و الأول أظهر. و أصل الإسراف مجاوزة الحد يقال: سرفت القوم إذا جاوزتهم، و أنت لا تعرف مكانهم و سرفت الشيء إذا نسيتك لأنك جاوزته إلى غيره بالسهو عنه. و يقال: أصنع من سرفه، و هى دويبة صغيرة تنقب الشجر، و تبنى فيه بيتاً.

إن قيل: كيف قوبل الذنوب و الإسراف فى الامر؟ قلنا: قال الضحاك: هو بمنزلة اغفر لنا الصغير و الكبير من خطايانا.

الاعراب، و المعنى:..... ص: ١٢

و «قولهم» نصب بأنه خبر (كان) و الاسم (أن قالوا)، و انما اختيار ذلك، لأن ما بعد الإيجاب معرفة، فهو أحق بأن يكون الاسم، كقول الشاعر:

و قد علم الأقسام ما كان داءها بثهلان إلا الخزى ممن يقودها «٣»

(١) سورة الإسراء آية: ٢٩.

(٢) سورة الفرقان آية: ٦٧.

(٣) سيبويه ١: ٢٤ و لم ينسبه. يصف كتيبة متهزمة يقول: لم يكن سبب انهزامها الا جبن من يقودها، فجعل الخزى كناية عن الجبن.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣

و يجوز الرفع على أنه اسم (كان) و قد قرئ به فى الشواذ. و مثله قوله:

«مَا كَانَ حُجَّجَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا» (١) «وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا» (٢) و قوله:

«وَتَبَّتْ أقدامنا» أى أعنا و ألطف لنا بما تثبت معه أقدامنا و إن كان ثبوت القدم من فعل العباد لكن لما كان بلطفه و معونته جاز نسبته إليه مجازاً.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤٨]..... ص: ١٣

إشارة

فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)

المعنى، و اللغة:..... ص: ١٣

قوله: «فَاتَاهُمُ اللَّهُ» يعنى من تقدم ذكره من الربيبين الذين وصفهم. و قال الجبائى: يعنى به المسلمين الذين صفتهم ما تقدم ذكره أى

أعطاهم الله ثواب الدنيا قال قتادة، و الربيع: هو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم، وقهروهم. و «ثواب الآخرة»: الجنة. و زاد ابن جريج الغنيمة. و يجوز أن يكون ما آتاهم الله في الدنيا من الظفر و النصر و أخذ الغنيمة ثواباً مستحقاً لهم على طاعتهم، لأن في ذلك تعظيماً لهم و تبجيلاً، و لذلك تقول: إن المدح على أفعال الطاعة و التسمية بالأسماء الشريفة بعض الثواب، و يجوز أن يكون الله تعالى أعطاهم ذلك تفضلاً منه تعالى، أو لما لهم فيه من اللطف، فتكون تسميته بأنه ثواب مجازاً. و حد الثواب هو النفع الخالص المستحق الذي يقارنه تعظيم و تبجيل، و العوض هو النفع المستحق الخالي من التعظيم و التبجيل، و التفضل هو النفع الذي ليس بمستحق و لا معه تعظيم و تبجيل.

و انما جاز تأخير الثواب المستحق مع ثبوت الاستحقاق له عقيب الطاعة لافرين:

أحدهما- قال أبو علي: لأنه يوفر عليه ما يفوته في زمان التكليف إلى خير الثواب. و قال الرماني: لأنه إذا أخر عظم ما يستحقه بالتأخر على ما كان

(١) سورة الجاثية آية: ٢٤.

(٢) سورة الاعراف آية: ٨١ [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤

لو قدم، لأنه إذا استحق مثلاً مائة جزء عاجلاً، فإذا أخر استحق مائة و عشرة أو مائة و جزء. و قيل في وجه حسن تأخيره أنه لو كان عقيب الطاعة لأدى إلى أن يكون المكلف ملجأ إلى فعل الطاعة، لأن المنافع الكثيرة تلجئ إلى الفعل كما أن دفع المضار العظيمة تلجئ إلى مثله، و ذلك ينافي التكليف. و قوله: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى يريد ثوابهم و تعظيمهم و تبجيلهم و الفرق بين الإحسان و الانعام أن الإحسان قد يكون إنعاماً بأن يكون نفعاً للمتفعين به، و قد يكون إحساناً بأن يكون فعلاً حسناً، و من القسم الأخير يقال هو تعالى محسن بفعل العقاب، و لا يقال محسن من القسم الأول. و يقال و هو محسن بفعل الثواب على الوجهين معا «١» .

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٤٩ إلى ١٥٠]..... ص: ١٤

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) آيتان بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ١٤

هذا خطاب للمؤمنين حذرهم الله من أن يطيعوا الكفار، و بين أنهم إن أطاعوهم ردوهم كافرين. و المعنى ب «الَّذِينَ كَفَرُوا» قيل فيهم قولان:

أحدهما- قال الحسن، و ابن جريج إنهم اليهود، و النصارى أى إن تستنصحوهم و تقبلوا رأيهم يردوكم خاسرين. و قال السدى: أراد إن تطيعوا أبا سفيان و أصحابه يرجعوكم كافرين. و الطاعة موافقة الارادة المرغبة فى الفعل، و بالترغيب ينفصل من الاجابة، و إن كان موافقة الارادة حاصله. و فى الناس من قال: الطاعة هى موافقة الأمر، و الاول أصح، لأن من فعل ما يقتضى العقل وجوبه أو حسنه يقال: إنه

(١) في المخطوطة بالسقط (معاً).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥

مطيع لله، وان لم يكن هناك أمر على أن من امتثل الأمر إنما سمي مطيعاً لموافقته الارادة المرغبه من حيث أن الأمر لا يكون أمراً إلا بارادة المأمور به، والطاعة تكون بمتابعه الواجب والندب معاً، لأن الارادة تتناولهما.

الاعراب، والحجّة، واللغة، والمعنى:..... ص: ١٥

وقوله: (إن تطيعوا) جزم بأنه شرط. وقوله: «يردوكم» جزم بأنه جواب الشرط. وقوله: «فتقلبوا» جزم بالعطف عليه. وقوله: «خاسرين» نصب على الحال. وقوله: «بل الله»، فحقيقه (بل) الاضراب عن الأول إلى الثاني سواء كانا موجبين أو نفيين أو إحداهما موجباً والآخر نفيّاً تقول: جاء زيد بل عمرو، و ما جاء زيد بل عمرو لم يجيء، و ما أتى زيد بل خالد.

فان قيل: كيف عطف ببل و هي لا تشرك الثاني مع الأول في المعنى؟ قلنا:

لأن الاضراب عن الاول كالبدل، ولذلك وجب العطف بالاشراك في الاعراب كما يجب في البدل غير أن البدل لم يحتج إلى حرف، لأن الثاني هو الأول أو في تقدير ما هو كالأول، و (لكن) للاستدراك أيضاً، و هو يقتضى نفيّاً إما متقدماً أو متأخراً كقولك ما جاءني زيد، لكن عمرو، و جاء زيد لكن عمرو لم يأت، و بهذا فارقت بل. وقوله: «بل الله» كان يجوز النصب في (الله) قال الفراء:

على معنى أطيعوا الله مولاكم، لأن قبله «إِنْ تُطِيعُوا» ثم أضرب عن الأول و أوجب الثاني بل أطيعوا الله (مولاكم). و الرفع يحتمل أن يكون على الابتداء و مولاكم خبره، و يحتمل أن يكون مولاكم مبتدأ، و (الله) خبره، و قد قدم عليه. و معنى مولاكم أي هو أولى بطاعتكم و نصرتكم. و قيل معناه وليكم بالنصرة بدلالة قوله: «هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» و الأصل فيه، ولى الشيء من غير فصل بينه و بينه، فالولاية إيلاء النصره، و يجوز لأنه يتولى فعل النصره، و ان لم يكله إلى غيره، لأن من فعل شيئاً فقد تولى فعله. فان قيل: كيف قال: «وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» مع أنه لا يعتد بنصر غير الله مع نصرته؟ قيل: معناه إنه ان اعتد بنصره غير الله فنصره التبيان في تفسير

القرآن، ج ٣، ص: ١٦

الله خير منها، لأنه لا يجوز أن يغلب، و غيره يجوز أن يغلب، و ان نصر فالثقة بنصره الله تحصل، و لا تحصل بنصره غيره.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥١]..... ص: ١٦

إشارة

سُنِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ مَا وَاهُمُ النَّارُ وَ بِنَسِ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١)
- آية بلا خلاف -.

ذكر ابن إسحاق أنه لما نال المسلمين ما نالهم يوم أحد بمخالفة الرماة أمر نبيهم (ص)، و كان من ظهور المشركين عليهم ما كان عرفهم الله عز و جل الحال في ذلك ثم وعدهم بالنصر لهم، و الخذلان، لأعدائهم بالرعب. و ذكر السدي: أن أبا سفيان و أصحابه هموا بالرجوع بعد أحد لاستئصال المسلمين عند أنفسهم، فالتقى الله الرعب في قلوبهم حتى انقلبوا خائبين عقوبه على شركهم «بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا» يعني برهاناً.

اللغة، والحجّة:..... ص: ١٦

فالسُلطان معناه ها هنا الحجة، و البرهان. و أصله القوة، فسُلطان الملك قوته. و السلطان: البرهان لقوته على دفع الباطل. و السلطان: التوكيل على المطالبة بالحق، لأنه تقوية عليه، و التسليط على الشيء: التقوية عليه مع الإغراء به. و السلاطة: حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلك مع إثبات «١» فعله: و السليط: الزيت لقوة اشتعاله بحدته. و الإلقاء حقيقته في الأعيان، كقوله: «وَأَلْقَى الْأَوَاخِ» «٢» و استعمل في الرعب مجازاً، و مثل قوله: «وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي» «٣»، و قوله: «وَمَا أُوَاهُمُ النَّارُ» أى مستقرهم و في الآية دلالة على

(١) في المخطوطة (إيثار)

(٢) سورة الاعراف آية: ١٤٩.

(٣) سورة طه آية: ٣٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧

فساد التقليد، لأنه لا برهان مع صاحبه على صحة مذهبه، فكل من قال بمذهب لا برهان عليه، فمبطل بدلالة الآية. و قوله: «وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» فالمثوى:

المنزل، و أصله الثواء، و هو طول الإقامة ثوى يثوى ثواء: إذا طال مقامه و أثوانى فلا مثوى أى أنزلنى منزلاً و ربه البيت: أم مثواه. و الثوى: الضيف لأنه مقيم مع القوم. و انما قيل لجهنم «بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» و بئس للذم، كما أن نعم للحمد لامرين: أحدهما- إن الضرر تنفر منه النفس كما ينفر العقل من القبح فجرى التشبيه على وجه المجاز- هذا قول أبى على-. و قال البلخى: لأن الدم يجرى على النقص كما يجرى على القبح حقيقة فيهما، نحو قولهم: الأخلاف المحموده و الأخلاق المذمومة و روى عن النبى (ص) أنه قال: (نصرت بالرعب مسيرة شهر) و قد رعبته رعباً أى أفرعته، و الاسم الرعب و رعبت الأثناء إذا ملأته، فهو مرعوب.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٢]..... ص: ١٧

إشارة

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَّهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)

المعنى، و القصة:..... ص: ١٧

ذكر ابن عباس، و البراء بن عازب، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الربيع، و ابن إسحاق: أن الوعد المذكور كان يوم أحد، لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين قتلاً ذريعاً حتى أخل الرماة بمكانهم الذى أمرهم النبى (ص) بملازمته، فحينئذ حمل خالد بن الوليد من وراء المسلمين، و تراجع المشركون، و قتل من المسلمين التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨ سبعون رجلاً ثم هزموا، و قد نادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين، فرجعوا و قويت نفوسهم، و نزل الخذلان بعدوهم، حتى و لوا عنهم، و معنى «تحسونهم» تقتلونهم.

اللغة:..... ص: ١٨

و الحس هو القتل على وجه الاستئصال قال جرير:
 تحسهم السيوف كما تسامى حريق النار في أجم الحصيد «١»
 و أصله الاحساس. و منه قوله: «هَلْ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» «٢» و قوله:
 «فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ» «٣» أى وجده من جهة الحاسة، و حسه يحسه:
 إذا قتله، لأنه أبطل حسه بالقتل، و التحسس طلب الاخبار. و فى التنزيل «يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ» «٤» و ذلك لأنه
 طلب لهما بحاسة السمع.
 و المحسة التى ينفذ بها التراب عن الدابة، لأنه يحس بها من جهة حكها لجلدها.
 و قوله: «بأذنه» معناه بعلمه. و يجوز أن يكون المراد بلطفه، لأن أصل الاذن الإطلاق فى الفعل، فاللطف تيسر «٥» له، كما أن الاذن
 كذلك إلا أن اللطف تدبير يقع معه الفعل لا محالة اختياراً كما يقع فى أصل الاذن اختياراً.

المعنى:..... ص: ١٨

قال أبو على قوله: «إِذْ تَحَسُّوهُمْ» يعنى يوم بدر «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ» يوم أحد «مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ» يوم بدر. و الأولى أن يكون
 هذا حكاية عن يوم أحد على ما بيناه. و قوله: «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ» معناه جبنتم عن عدوكم و كعتم

(١) ديوانه ١: ٤٧ من قصيدة يمدح بها الحجاج.

(٢) سورة الكهف آية: ٩٩.

(٣) سورة آل عمران آية: ٥٢.

(٤) سورة يوسف آية: ٨٧.

(٥) فى المخطوطة (تفسير).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩

«وَ تَنَازَعْتُمْ» فى الأمر يعنى اختلفتم «مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ» معناه أنهم أعطوا النصر، فخالقوا فى ما قيل لهم من لزوم فم الشعب. و
 اختلفوا، فعوقبوا بأن ديل عليهم فى قول الحسن. و قوله: «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا» أى منكم من قصده الغنيمه فى حربكم «وَ مِنْكُمْ مَنْ
 يُرِيدُ الآخِرَةَ» أى بشوته فى موضعه بقصده بجهاده إلى ما عند الله فى قول ابن مسعود، و ابن عباس، و الربيع.

الاعراب، و المعنى:..... ص: ١٩

فان قيل أين جواب «حتى إذا» قلنا: فيه قولان:

أحدهما- إنه محذوف، و تقديره امتحنتم.

و الآخر- على زيادة الواو و التقديم و التأخير، و تقديره حتى إذا تنازعتم فى الأمر، فشلتم- فى قول الفراء-، كما قال «فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّه
 لِلْجَبِينِ وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ» «١» و معناه نادينا، و الواو زائدة. و مثله «حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ... وَ اقْتَرَبَ» «٢» و معناه
 اقترب. و مثله قوله: «حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَ فُتِحَتْ» «٣» و أنشد:

حتى إذا قملت بطونكم و رأيتم أبناءكم شبوا

قلبتهم ظهر المجن لنا ان اللثيم العاجز الخب (٤)

و البصريون لا يجيزون زيادة الواو و يتأولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ في الكلام، و أحسن من جهة الإيجاز. و قوله: «ثُمَّ صَرَّفَكُم عَنْهُمْ» قيل في إضافة انصرفهم إلى الله مع أنه معصية قولان:

(١) سورة الصافات: آية ١٠٣-١٠٥.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٧٦-٧٧.

(٣) سورة الزمر: آية ٧٣.

(٤) قائلهما الأسود بن يعفر النهشلي و هو في اكثر الكتب غير منسوب معاني القران:

للبراء ١: ١٠٧، ٢٣٨ و اللسان: (قمل) و تأويل مشكل القرآن ٢: ٣٨١. المعاني الكبير:

٥٣٣ و اللسان: (وقب) قملت بطونكم: كثرت قبائلكم المجن: الترس. الخب المخداع.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠

أحدهما- إنهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه، و منهم من لم يعص، لأنهم قلوبا بعد انهزام تلك الفرقه، فانصرفوا بإذن الله بأن التجأوا إلى أحد، لأن الله إنما أوجب ثبات المائة للمائتين فإذا نقصوا، لا يجب عليهم ذلك. و جاز أن يذكر الفريقين في الجملة بأنه صرفهم، و بأنهم عفا عنهم، و يكون على ما بيناه في التفصيل هذا قول أبي علي. و قال البلخي «ثُمَّ صَرَّفَكُم عَنْهُمْ» معناه لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم «لِيَبْتَلِيَكُمْ» بالمظاهرة في الانعام عليكم، و التخفيف عنكم. و قوله: «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصِيْعِدُونَ» فإذا تصعدون متعلق بقوله: «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ» في قول الزجاج. و قال الجبائي قوله: «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ» خاص لمن لم يعص بانصرافه، و الأولى أن يكون عاماً في جميعهم، لأنه لا يمتنع أن يكون الله عفا لهم عن هذه المعصية. و قال البلخي: معناه «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ» بتببعهم بعد أن كان أمرهم بالتببع لهم، فلما بلغوا حمراء الأسد أعفاهم من ذلك، و لا يجوز أن يكون، صرفهم فعل الله، لأنه قبيح و الله تعالى لا يفعل القبيح.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٣]..... ص: ٢٠

إشارة

إِذْ تُصِيْعِدُونَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)
آية

القراءة، و الحجة، و اللغة، و المعنى:..... ص: ٢٠

التقدير اذكروا «إِذْ تُصِيْعِدُونَ» و يجوز أن يكون متعلقاً بقوله: «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ... إِذْ تُصِيْعِدُونَ»، و الفراء كلهم على ضم التاء من الإصعاد. و قرأ الحسن بفتح التاء و العين من الصعود، و قيل: الإصعاد في مستوى الأرض، و الصعود في التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١

ارتفاع يقال أصدعنا من مكة إذا ابتدأنا السفر منها و كذلك أصدعنا من الكوفة إلى خراسان على قول الفراء، و المبرد، و الزجاج. و وجه ذلك أن الإصعاد إبعاد في الأرض كالإبعاد في الارتفاع، و على ذلك تأويل «تُصِيْعِدُونَ» أي أصدعوا في الوادي يوم أحد عن

قتادة، و الربيع. و قال ابن عباس و الحسن انهم صعّدوا في أحد في الجبل فراراً، فيجوز أن يكون ذلك بعد أن أصعدوا في الوادي. و قوله «وَلَا تَلُؤُونَ عَلَيَّ أَحَدٍ» معناه لا تعرجون على أحد. و قوله: «وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ»

قال ابن عباس و السدي، و الربيع: إن النبي (ص) كان يدعوهم، فيقول: ارجعوا أي عباد الله ارجعوا أنا رسول الله.

و قوله: «فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعَمَّ» في معناه قولان:

أحدهما- إنه إنما قيل في الغم ثواب، لأن أصله ما يرجع من الجزاء على الفعل طاعة كان أو معصية ثم كثير في جزاء الطاعة كما قال الشاعر:

و ارانى طرباً في إثرهم طرب الواله أو كالمختبل

فعلى هذا يكون الغم عقوبة لهم على فعلهم، و هزيمتهم. و الثاني- أن يكون وضع الشيء مكان غيره كما قال «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» «١» أي ضعه موضع البشارة، كما قال الشاعر:

أخاف زياداً أن يكون عطاؤه أداهم سودا او محدرجة سمرا «٢»

أراد بقوله سودا قيودا. و قيل في معنى قوله: «عَمَّا بَعَمَّ» قولان:

أحدهما- غمّاً على غم، كما يقال: نزلت ببني فلان و على بني فلان. و قال قتادة، و الربيع: الغم الأول: القتل و الجراح. و الثاني: الإرجاف بقتل محمد (ص).

و القول الثاني- غمّاً بغم أي مع غم كما يقال: ما زلت بزيد حتى فعل أي

(١) سورة الأنبياء: ٣، و التوبة آية: ٣٥، و الانشقاق آية: ٢٤. [...]

(٢) قائله الفرزدق. ديوانه: ٢٢٧، و النقائص: ٦١٨ و طبقات فحول الشعراء:

٢٥٦، و تاريخ الطبري ٦: ١٣٩، و معاني القرآن للفراء ١: ٢٣٩. و رواية مختلفة. و في أغلب المصادر هكذا: و لما خشيت أن يكون عطاؤه....

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢

مع زيد. و قال الحسن غما يوم أحد بعد غم يعني يوم بدر. أي كله للاستصلاح و ان احتلف الحال. و قال الحسين بن علي المغربي: معنى «عَمَّا بَعَمَّ» يعني غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم على حمراء الأسد، فجعل هذا الغم عوض غم المسلمين بما نيل منهم. و قوله: «لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ» معناه ما فاتكم من الغنيمه «وَلَا مَا أَصَابَكُمْ» من الهزيمة في قول ابن زيد. و اللام في قوله: «لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ» يحتمل أن يكون متعلقاً بقوله: «عَمَّا بَعَمَّ» «لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ» و يحتمل أن يتعلق ب «فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعَمَّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ» من الغنيمه و لا ما أصابكم من الشدة في طاعة الله، لأن ذلك يؤديكم إلى مضاعفة الغم عليكم.

و قوله: «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» فيه تجديد تحذير بأنه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٤]..... ص: ٢٢

إشارة

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعِسًا يُعْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ

كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)

آية بلا خلاف.

القراءة و المعنى و الحجة و الاعراب و القصة:..... ص: ٢٢

قرأ حمزة، و الكسائي: تغشى بالتاء الباقون بالياء. فمن قرأ بالتذكير أراد التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣

النعاس، و من أنت أراد الامنة، و مثله «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنِي (١)» «وَ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي (٢)» بالتاء، و الياء. و قرأ أبو عمرو، وحده «إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ» بالرفع. الباقون بالنصب، و وجه الرفع أنه على الابتداء، كما قال: «وَ كُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٣)» و يكون (للّه) خيره، لأنه لما وقع الأمر في الجواب اديت صورته في الاسم ثم جاءت الفائدة في الخبر، و لأنه نقيض بعض، فكما يجوز الرفع في (بعض) يجوز في (كل) نحو إن الأمر بعضه لزيد. و النصب على أنه تأكيد للأمر «و امانة» منصوب، لأنه مفعول به، و نعاساً بدلاً منه، و النعاس هو الامنة.

و هذه الأمانة التي ذكرها الله في هذه الآية نزلت يوم أحد في قول عبد الرحمن ابن عوف و أبي طلحة، و الزبير بن العوام، و قتادة، و الربيع، و كان السبب في ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع، فكانوا تحت الجحف متهئين للقتال فأنزل الله تعالى الأمانة على المؤمنين، فناموا دون المنافقين الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم أو يغيروا على المدينة لسوء الظن، فطير عنهم النوم على ما ذكره ابن إسحاق و ابن زيد، و قتادة، و الربيع. و قوله: «يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ» يعنى النعاس يغشى المؤمنين «وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ» الفراء على الرفع. و الواو او الحال كأنه قال: يغشى النعاس طائفة في حال ما أهمت طائفة منهم أنفسهم. و رفعه بالابتداء، و الخبر يظنون، و يصلح أن يكون الخبر «قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» و الجملة في موضع الحال. و لا يجوز النصب على أن يجعل واو العطف كما تقول ضربت زيداً و عمراً كلمته. و التقدير و أهمت طائفة أهمتهم أنفسهم.

المعنى:..... ص: ٢٣

و قوله: (يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) قيل في معناه قولان:

(١) سورة القيامة آية: ٢٧.

(٢) سورة الدخان: ٤٣-٤٥.

(٣) سورة النمل آية: ٨٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤

أحدهما- قال الحسن أخرجنا كرهاً، و لو كان الأمر إلينا ما خرجنا.

و ذلك من قبل عبد الله بن أبي بن سلول، و معتب بن قشير على قول الزبير بن العوام، و ابن جريج.

و الآخر- أى ليس لنا من الظفر شىء كما عدونا على وجه التكذيب بذلك «يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ» أى من الشك، و

النفاق، و تكذيب الوعد بالاستعلاء على أهل الشرك ذكره الجبائي. و قوله: «وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ» يحتمل أمرين:

أحدهما- ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم مظاهرة في العدل عليكم و إخراج مخرج كلام المختبر لهذه لعله، لأنه تعالى عالم

بالأشياء قبل كونها، فلا يبتلى ليستفيد علماً.

و الثاني - ليبتلى أولياء الله ما في صدوركم إلا أنه أضيف الابتلاء إلى الله عز وجل تفخيماً لشأنه. وقوله: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) يحتمل أمرين: أحدهما - لو تحلقتم لخرج منكم الذين كتب عليهم القتل و لم يكن لينجيه قعودكم - عن أبي علي -.

الثاني - لو تحلقتم لخرج المؤمنون، و لم يتخلفوا بتخلفكم ذكره البلخي، و لا يوجب ذلك أن يكون المشركون غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله منهم ذلك، و كتبه، لأنه كما علم أنهم لا يختارون ذلك بسوء اختيارهم علم أنهم قادرون. و لو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادراً على ما علم أنه لا يفعله و ذلك كفر بالله.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٥]..... ص: ٢٤

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)
آية التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥

المعنى، و اللغة:..... ص: ٢٥

روى عن عمر بن الخطاب، و قتادة، و الربيع: ان المعنى بالمتولى فى هذه الآية هم الذين و لو الدبر عن المشركين بأحد. و قال السدى: هم الذين هربوا إلى المدينة فى وقت الهزيمة. و قوله: (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) قيل فى الكسب الذى أداهم إلى الفرار الذى اقترفوه قولان:

أحدهما - محبتهم للغنيمه مع حرصهم على تبقية الحياة، و فى ذلك الوجه عما يؤدى إلى الفتور فيما يلزم من الأمور على قول الجبائى. و الثانى - ذكره الزجاج، استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم، فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة منها، و الخروج من المظلمة فيها. و قوله: (وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ) يحتمل أمرين:

أحدهما - قال ابن جريج، و ابن زيد: حلم عنهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة به، ليدل على عظم تلك المعصية. و الآخر - عفا لهم تلك الخطيئة ليدل على أنهم قد أخلصوا التوبة. و قوله:

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ فحلّمه تعالى عنهم هو إمهاله بطول المدّة بترك الانتقام مع ما فعل بهم من ضروب الانعام.

و أصل الحلم الاناة، و هى ترك العجلة، فالامهال بفعل النعمة بدلا من النقمه كالاناة بترك العجلة. و منه الحلم فى النوم، لأن حال السكون و الدعة كحال الاناة. و منه الحلمة: رأس الثدى، لخروج اللبن الذى يحلم الصبى.

و ذكر البلخي أن الذين بقوا مع النبى (ص) يوم أحد فلم ينهزموا ثلاثة عشر رجلا: خمسة من المهاجرين: على (ع) و أبو بكر، و طلحة، و عبد الرحمن ابن أبى عوف، و سعد بن أبى وقاص، و الباقر من الأنصار. فعلى و طلحة، لا - خلاف فيهما. و الباقر فيهم خلاف. و أما عمر،

فروى عنه أنه قال: رأيتنى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦

أصعد فى الجبل كانى أروى «١». و عثمان انهزم، فلم يرجع إلا بعد ثلاثة [أيام «٢»] فقال له النبى (ص): لقد ذهبت فيها عريضة. و فى الآية دليل على فساد قول المجبرة: من أن المعاصى من الله، لأنه تعالى نسب ذلك فى الآية إلى الاستزلال الشيطان.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٦]..... ص: ٢٦

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)

آية

المعنى، واللغة، والاعراب:..... ص: ٢٦

هذا خطاب متوجه إلى المؤمنين الذين نهاهم الله أن يكونوا مثل الذين كفروا، وقالوا لإخوانهم، وهم عبد الله بن أبي بن سلول، وأصحابه- في قول السدى ومجاهد-: إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ «أى سافروا فيها لتجارة أو طلب معيشة- فى قول ابن إسحاق، والسدى-، فأصله الضرب باليد. وقيل الأصل فى الضرب فى الأرض الإيغال فى السير «أَوْ كَانُوا غُزًى» أى جمع غاز كما قالوا: شاهد و شاهد، و قائل وقول، قال رؤية:

فاليوم قد نهنهني تنهنهني وأول حلم ليس بالمسفه

وقول: الاده فلاده «٣»

(١) اروى: ضأن الجبل. ج أرويه- بضم الهمزة و كسرهما-.

(٢) (يام) ساقطه من المطبوعه

(٣) ديوانه: ١٦٦ و مجاز القرآن لأبى عبيده ١: ٩٠٦ و اللسان: (قول)، (ده) و خزانه الأدب ٣: ٩٠ و غيرها و هو من قصيدة يذكر فيها شبابه. نهنهني فلانا عن الشىء-- فتنهني زجرته فانزجر. و الأول: الرجوع و قد اختلف فى تفسير (الاده فلاده). قال أبو عبيده: ان لم يكن هذا، فلا ذا و قال ابن قتيبة: ان لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره.

و يروى أهل العربية ان الدال مبدله من ذال. قال بعضهم: هذا مثل يضرب للرجل يطلب شيئاً فإذا منعه، طلب غيره. و قال الأصمعى: لا أدري ما أصله. قال بعضهم: (ده) كلمة فارسيه:

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧

و يجوز فيه غزاه كقاض، و قضاء. و غزاه ممدود كخارب و خراب، و كاتب و كتاب. و يجوز (قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ)، و لا يجوز أكرمتمك إذا زرتنى على أن توقع إذا موضع إذ، لأمرين:

أحدهما- لأنه متصل ب «لا تكونوا» كهؤلاء إذا ضرب إخوانكم فى الأرض.

الثانى- لأن (الذى) إذا كان مبهما غير موقت يجرى مجرى ما فى الجزاء، فيقع الماضى فيه. موقع المستقبل، نحو «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» (١) معناه يكفرون، و يصدون. و مثله «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ» (٢) معناه إلا من يتوب. و مثله كثير. و يجوز لأكرم من الذى أكرمك إذا زرته، لا بهام الذى، و لا يجوز لأكرم من هذا الذى أكرمك إذا زرته، لتوقيت الذى من أجل الإشارة إليه بهذا و لأنه دخله معنى كلما ضربوا فى الأرض، فلا يصح على هذا المعنى إلا إذا دون إذ قال الشاعر:

و انى لا تيكتم تشكر ما مضى من الأمر و استيجاب ما كان فى غد «٣»

أى ما يكون فى غد، و هذا قول الفراء و اللام فى قوله: «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» متعلقه ب «لا تكونوا» كهؤلاء الكفار فى هذا القول منهم، «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» دونكم.

و الثانى- قالوا ذلك ليجعله حسرة على لام العاقبة- و هذا قول أبى على- و الحسرة عليهم فى ذلك من وجهين:

أحدهما- الخيبة فيما أملوا من الموافقة لهم من المؤمنين، فلما لم يقبلوا منهم،

(١) سورة الحج: آية ٢٥.

(٢) سورة مريم: آية ٦٠.

(٣) انظر ١: ٣٥١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨

كان ذلك حسرة في قلوبهم.

و الآخر- ما فاتهم من عز الظفر والغنيمه. قوله: «وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ» معناه هاهنا الاحتجاج على من خالف أمر الله في الجهاد طلباً للحياة، و هرباً من الموت، لأن الله تعالى إذا كان هو الذى يحيى ويميت لم ينفع «١» الهرب من أمره بذلك خوف الموت، و طلب الحياة «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى مبصر. و يحتمل أن يكون بمعنى عليم. و فيه تهديد، لأن معناه أن الله يجازى كلا منهم بعمله ان خيراً فخييراً و ان شراً فشرأ.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٧]..... ص: ٢٨

إشارة

وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧)
آية

المعنى، و الاعراب:..... ص: ٢٨

إن قيل كيف قال: «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» مع تفاوت ما بينهما ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الإنسان للمدرة «٢» خير من البعرة؟! قيل: إنما جاز ذلك لأن الناس يؤثرون حال الدنيا على الآخرة حتى أنهم يتركون الجهاد في سبيل الله محبةً للدنيا، و الاستكثار منها، و ما جمعوا فيها.

فان قيل أين جواب الجزاء ب (ان)؟ قيل: استغنى عنه بجواب القسم فى قوله: «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ» و قد اجتمع شيان كل واحد منهما يحتاج إلى جواب، فكان جواب القسم أولى بالذكر- لأن له صدر الكلام- مما يذكر فى حشوه. فان قيل: لم شرط «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» و هو خير كيف

(١) فى المخطوطة (لم يمنع).

(٢) فى المخطوطة (الذرة).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩

تصرفت الحال؟ قلنا: لأنه لا يكون «المغفرة» بالتعرض للقتل فى سبيل الله خيراً من غير أن يقع التعرض لذلك لاستحالة استحقاقها بما لم يكن منه، لأنه لم يفعل.

فان قيل: لم جاز جواب القسم مع الماضى فى الجزاء دون المستقبل فى نحو قولهم لئن قتلتم لمغفرة خير؟ قلنا: لأن حرف الجزاء إذا لم يعمل فى الجواب لم يحسن أن يعمل فى الشرط، لأن إلغاء من أحدهما يوجب الغاء من الآخر كما أن اعماله فى أحدهما يوجب

اعماله في الآخر لثلاثا يتنافر الكلام بالتفاوت.
فان قيل: لم أعلمت (ان) و لم تعمل (لو) و كل واحدة منهما تعقد الفعل بالجواب؟ قلنا: لأن (ان) تنقل الفعل نقلين على «١» الاستقبال، و الجزاء، و ليس كذلك (لو) لأنها لما مضى.
ان قيل: كيف وجب بالتعرض للقتل المغفرة و إنما تجب بالتوبة؟ قلنا: لأنه يجب به تكفير الصغيرة مع أنه لطف في التوبة من الكبيرة. و معنى الآية أن المنافقين كانوا يشبطون المؤمنين عن الجهاد، على ما تقدم شرحه في هذه السورة فبين الله تعالى لو انكم إن قتلتم أو متم من غير أن تقتلوا «لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ» تناولونها «حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» من حطام الدنيا، و البقاء فيها، و انتفاعكم في هذه الدنيا، لأن جميع ذلك إلى زوال.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٨]..... ص: ٢٩

إشارة

وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قَاتِلٌ لِّإِلَهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)
آية

اللغة، و الاعراب، و المعنى:..... ص: ٢٩

اللام في قوله: (وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قَاتِلٌ) يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون خلفاً من القسم، و يكون اللام في قوله: «لِإِلَهِ» جواباً كقولك: و الله ان متم أو قاتلتم لتحشرون إلى الله.

(١) في المطبوعة (في) بدل (إلى)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠

و الثاني- أن تكون مؤكدة لما بعدها، كما تؤكد (ان) ما بعدها، و تكون الثانية جواباً لقسم محذوف، و النون مع لام القسم في فعل المضارع لا بد منها، لأن القسم أحق بالتأكيد من كلما تدخله النون من جهة أن ذكر القسم دليل أنه من مواضع التأكيد فإذا جازت في غيره من الأمر، و النهي، و الاستفهام، و العرض، و الجزاء مع ما إذ كان ذكر القسم قد أنبأ أنه من مواضع التأكيد، لزممت فيه، لأنه أحق بها من غيره «١». و الفرق بين لام القسم و لام الابتداء: أن لام الابتداء تصرف الاسم إليه، فلا يعمل فيه ما قبلها نحو (قد علمت لزيد خير منك) (و قد علمت بأن زيدا ليقدم). و ليس كذلك لام القسم، لأنها لا تدخل على الاسم، و لا تكسر لها لام (إن) نحو (قد علمت ان زيدا ليقومن، و يلزمها النون في المستقبل. و الفرق بين (أو) و (أم) أن (أم) استفهام، و فيها معادلة الالف نحو (أزيد في الدار أم عمرو) و ليس ذلك في (أو) و لهذا اختلف الجواب فيهما، فكان في (أم) بالتعيين و في (أو) ب (نعم) أو (لا) و معنى الآية الحث على الجهاد و ترك التعاقد. و يقال أن الله يحشر العباد ليجزى كل واحد على ما يستحقه: المحسن على إحسانه و المسيء على إساءته سواء قتل أو مات كيف تصرف به الحال.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥٩]..... ص: ٣٠

إشارة

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) آية.

(١) في المخطوطة (لم لام الاخر من تفسير) بدل (فيه لأنه أ حق بها من غير) وقد أثبتنا ما في المطبوعة لأنه أوضح. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١

الاعراب و المعنى:..... ص: ٣١

قوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ) معناه فبرحمته، و ما زائدة بإجماع المفسرين ذهب إليه قتادة، و الزجاج، و الفراء و جميع أهل التأويل. و مثله قوله: «عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضْهِقُنَّ نَادِمِينَ» فجاءت (ما) مؤكدة للكلام و سبيل دخولها لحسن النظم، كدخولها لا تزان الشعر، و كل ذلك تأكيد ليتمكن المعنى في النفس، فجرى مجرى التكرير. قال الحسن بن علي المغربي عندي أن معنى (ما) أى و تقديره فبأى رحمة من الله، و هذا ضعيف. و رحمة مجرورة بالباء، و لو رفعت كان جائزاً على تقدير فيما هو رحمة. و المعنى ان لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين، لأنك تأتيهم بالحجج و البراهين مع لين خلق.

اللغة، و المعنى:..... ص: ٣١

و قوله: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَمَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) فاللفظ الجافى، و الغليظ القلب القاسى، يقال فيه فظت تفظ فظاظه، فأنت فظ، و هو على وزن فعل إلا أنه ادغم كضب. و أصل الفظاظه الجفوة. و منه الفظاظه. و منه الفظاظ:

خشونة الكلام. و الافتظاظ: شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع.

و قوله: (فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ) انما جمع بين الصفتين مع اتفاقهما فى المعنى، لازالة التوهم أن الفظاظه فى الكلام دون ما ينطوى عليه القلب من الحال، و هو وجه من وجوه التأكيد إذ يكون لازالة الغلط فى التأويل، و لتمكين المعنى فى النفس بالتكرير، و ما يقوم مقامه.

و قوله: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) أمر من الله تعالى لنبيه أن يشاور أصحابه يقال شاورت الرجل مشاورة و شواراً و ما يكون عن ذلك اسمه المشورة. و بعضهم يقول المشورة. و فلان حسن الشورة، و الصورة أى حسن الهيئة و اللباس و إنه لشير صير، و حسن الشارة، و الشوار: متاع البيت. و معنى شاورت فلاناً أى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢

أظهرت ما عندي فى رأى، و ما عنده «١». و شرت الدابة أشورها: إذا امتحتها فعرفت هيئتها فى سيرها. و قيل فى وجه مشاورة النبى (ص) إياهم مع استغنائه بالوحى عن تعرف صواب الرأى من العباد ثلاثة أقوال:

أحدها- قال قتادة، و الربيع، و ابن إسحاق أن ذلك على وجه التطيب لنفوسهم، و التألف لهم، و الرفع من أقدارهم إذ كانوا ممن يوثق بقوله: «و يرجع إلى رأيه».

و الثانى- قال سفيان بن عيينه: وجه ذلك لتقتدى به أمته فى المشاورة و لا يرونها منزلة نقيصة كما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم.

الثالث- قال الحسن، و الضحاك: انه للأمرين، لاجلال الصحابة و اقتداء الأمة به فى ذلك. و أجاز أبو على الجبائى: أن يستعين برأيهم فى بعض أمور الدنيا.

و قال قوم: وجه ذلك أن يمتحنهم فيتميز الناصح فى مشورته من الغاشى النية.

وقوله: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» فالتوكل على الله هو تفويض الأمر إليه للثقة بحسن تدبيره، وأصله الاتكال. وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج إليه بمن يسند إليه. ومنه الوكالة، لأنها عقد على الكفاية بالنيابة والوكيل هو المتكفل عليه بتفويض الأمر إليه. وقوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» معناه يريد ثوابهم على توكلهم واسنادهم أمورهم إلى الله تعالى.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٠]..... ص: ٣٢

إشارة

إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ٣٢

معنى هذه الآية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصر، والتحذير

(١) في المخطوطة ساقطة جملة (في الرأي و ما عنده).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣

من معصيته التي يستحق بها خذلانه مع إيجاب التوكل عليه الذي يؤمن معه أن يكلهم إلى أنفسهم فيهلكوا، ولأنه إذا نصرهم الله فلا أحد يقدر على مغالبتة، وإذا خذلهم فلا أحد يقدر على نصرتهم بعده. و (من) في قوله: «فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» معناها التقرير بالنفي في صورة الاستفهام أى لا- ينصركم أحد من بعده، كما تقول من يعد لك إن فسقك الامام. وإنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي، لأن جوابه يجب أن يكون بالنفي، فصار ذكره يغنى عن ذكر جوابه.

و كان أبلغ لتقرير المخاطب فيه. قال أبو علي الجبائي: و في الآية دليل على أن من غلبه أعداء الله من الباغين لم ينصره الله، لأنه لو نصره لما غلبوه، وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد من تعريض المؤمنين لمنازل الأبرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على أمان من غلبة الفجار، وهذا إنما هو في النصر بالغلبة، فاما النصر بالحجة، فان الله تعالى نصر المؤمنين من حيث هداهم إلى طريق الحق بما نصب لهم من الأدلة الواضحة والبراهين النيرة، و لو لا- ذلك لما حسن التكليف. قال البلخي: المؤمنون منصورون أبداً إن غلبوا، فهم المنصورون بالغلبة، و ان غلبوا، فهم المنصورون بالحجة. قال الجبائي: و النصر بالغلبة ثواب، لأنه لا يجوز أن ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم.

و قال ابن الأخشاد: ليس بثواب كيف تصرف الحال، لأن الله قد أمرنا أن ننصر الفئة المبغي عليها. و قال البلخي لا يجوز أن ينصر الله الكافر على وجه. فأما الخذلان فعقاب بلا خلاف. و الخذلان هو الامتناع من المعونة على العدو في وقت الحاجة إليها، لأنه لو امتنع إنسان من معونة بعض الملوك على عدوه مع استغنائه عنها لم يكن خاذلاً، وكذلك سبيل المؤمن المغلوب في بعض الحروب ليس يحتاج إلى المعونة مع الاستفساد بها بدلا من الاستصلاح، فلذلك لم يكن ما وقع به على جهة الخذلان.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦١]..... ص: ٣٣

إشارة

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) آية

القراءة، والمعنى، والحجة، والنزول، واللغة:..... ص: ٣٤

قرأ ابن كثير و ابن عمرو، و عاصم «يغل» بفتح الياء و ضم الغين. الباكون بضم الياء و فتح الغين. فمن قرأ بفتح الياء و ضم الغين، فمعناه ما كان لنبي أن يخون يقال من الغنيمه غل يغل: إذا خان فيها. و من الخيانة أغل يغل قال النمر بن تولب: جزى الله عنا حمزة ابنه نوفل جزاء مغل بالامانه كاذب

بما سألت عنى الوشاء ليكذبوا على و قد أوليتها فى النوائب «١»

[و يقال من «٢» الخيانة غل يغل، و من قرأ بضم الياء و فتح الغين أراد، و ما كان لنبي أن يخون أى ينسب إليه الخيانة. و يحتمل أن يكون أراد ما كان لنبي أن يخان بمعنى يسرق منه. و يكون تخصيص النبي بذلك تعظيماً للذنب. قال أبو على الفارسي: لا يكاد يقال: ما كان لزيد أن يضرب، فهذه حجة من قرأ بفتح الياء. و قال ابن عباس، و سعيد بن جبير: سبب نزول هذه الآية أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم لعل النبي (ص) أخذها. و قال الضحاك إنما لم يقسم للطلائع من المغنم، فعرفه الله الحكم. و روى عن الحسن أنه قال: معنى يُغْل يُخَان. و قال بعضهم: هذا غلط، لأنه لا يجوز أن يخان أحد نبياً كان أو غيره، فلا معنى للاختصاص. و هذا الطعن ليس بشيء لأن وجه اختصاصه بالذكر لعظم خيانتته على خيانه غيره، كما قال: «فَأَجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» «٣» و إن وجب اجتناب جميع الارجاس، و قد يجوز أن يخص النبي بالذكر، لأنه القائم

(١) الصحاح للجواهر (غلل).

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعه.

(٣) سورة الحج: آية: ٣

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥

بأمر الغنائم، فيكون بمنزله ما كان لأحد أن يغل. و أصل الغلول هو الغلل، و هو دخول الماء فى خلل الشجر تقول: انغل الماء فى أصول الشجر ينغل انغلالاً، فالمنغلول الخيانة، لأنها تجرى فى الملك على خفى من غير الوجه الذى يحل كالغلل، و انما خصت الخيانة بالصفة دون السرقة، لأنه يجرى إليها بسهولة، لأنها مع عقد الامانه. و منه الغل الحقد، لأن العداوة تجرى به فى النفس كالغلل. و منه الغل. و منه الغليل:

حرارة العطش. و الغلة، لأنها تجرى فى الملك من جهات مختلفه، و الغلاله، لأنها شعار تحت. البدن و الغلاله مسمار الدرع. و قوله: (وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- يأتى به حاملاً له على ظهره، كما

روى عن النبي (ص) أنه كان إذا غنم مغنماً بعث منادياً ألا لا يغلن أحد مخيطاً فما دونه، ألا لا يغلن أحد بغيراً فيأتى به على ظهره له رغاء، ألا لا يغلن أحد فرساً فيأتى به يوم القيامة على ظهره له حمحمه

- فى قول ابن عباس، و أبى هريره و أبى حميد الساعدى، و عبد الله بن أنيس و ابن عمر، و قتاده- و ذلك ليفضح به على رؤوس الاشهاد. قال البلخي: يجوز أن يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كأن الله تعالى إذا فضحه يوم القيامة جرى ذلك مجرى أن يكون حاملاً له و له صوت.

الثانى - يأتى به يوم القيامة، لأنه لم يكفر عنه، كما تكفر الصغائر، فهو يعاقب عليه.
و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: إن الله تعالى لو عذب الأنبياء و المؤمنين لم يكن ظلماً لهم، لأنه قد بين أنه لو لم يوفها ما كسبت، لكان ظلماً لها

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٢]..... ص: ٣٥

إشارة

أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)
آية بلا خلاف - التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦

المعنى، و النزول:..... ص: ٣٦

قيل. فى معنى الآية ثلاثة أقوال:
أحدها- قال الحسن، و الضحاك معناها، أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله فى فعل الغلول، و هو اختيار الطبرى قال: لأنه أشبه بما تقدم.
الثانى - قال ابن إسحاق «أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ» فى العمل بطاعته على ما كرهه الناس «كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» فى العمل بمعصيته على ما أحبوا.
الثالث - قال الزجاج، و أبو على: «أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ» بالجهاد فى سبيله «كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» بالفرار منه رغبة عنه.
و سبب نزولها أن النبى (ص) لما أمر بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعة من المنافقين، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

اللغة:..... ص: ٣٦

«رِضْوَانَ اللَّهِ» - بكسر الراء و ضمها - لغتان، و قرأ بالضم حفص عن عاصم على ما حكيناها عنه، فالضم على وزن الكفران. و الكسر على وزن حسابان.
و باء معناه رجع تقول: باء بذنبه بيوء بوءاً إذا رجع به. و بوأته منزلاً أى هيأته، لأنه يرجع إليه، لأنه مأواه. و البواء قتل الجانى بمن قتله. و السخط من الله من هو إرادة العقاب بمستحقه، و لعنه و هو مخالف للغيط، لأن الغيط هو هيجان الطبع و انزعاج النفس، و لا يجوز إطلاقه على الله تعالى. و المصير: هو المرجع.
و الفرق بينهما أن المرجع هو انقلاب الشىء إلى حال قد كان عليها. و المصير: انقلاب الشىء إلى خلاف الحال التى هو عليها نحو مصير الطين خزفاً، و لم يرجع خزفاً، لأنه لم يكن قبل ذلك خزفاً، فأما مرجع الفضة خاتماً فصحيح، لأنه قد كان قبل خاتماً و أما مرجع العباد إلى الله، فلأنهم ينقلبون إلى حال لا يملكون فيها لأنفسهم شيئاً، كما كانوا قبل ما ملكوا.
التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٣]..... ص: ٣٧

إشارة

هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٤٣)

المعنى:..... ص: ٣٧

قيل معنى قوله: «هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ» أن تقديره المؤمنون ذووا درجة رفيعة عند الله. و الكفار ذووا درجة خسيئة. و قيل في معناه قولان:

أحدهما- اختلاف مراتب كل فريق من أهل الثواب، و العقاب، لأن النار أدراك لقوله: «إِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (١) و الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض، كما

روى أن أهل الجنة ليرون أهل عليين (٢)، كما يرى النجم في أفق السماء.

و الثاني- اختلاف مرتبتي أهل الثواب، و العقاب بما لهؤلاء من النعيم، و الكرامة و لأولئك من العذاب و المهانة. و عبر عن ذلك بدرجات مجازاً. فان قيل كيف قال: «هم درجات» و انما لهم درجات قيل، لأن اختلاف أعمالهم قد ميزهم بمنزلة المختلفي الذوات كاختلاف مراتب الدرجات لتباعدهم من استواء الأحوال، فجاء هذا على وجه التجوز، كما قال ابن هرمة- أنشده سيويه:-

أنصب للمنية تعترتهم رجالى أم هم درج السيول (٣)

و قوله: (وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) معناه عليم. و فيه تحذير من أن يتكل على الاسرار في الأعمال ظناً بأن ذلك يخفى على الله، لأن أسرار العباد عند الله علانية. و فيه توثيق بأنه لا يضيع للعامل لربه شيء لأنه لا يخفى عليه جميعه.

(١) سورة النساء: آية ١٤٤.

(٢) في المخطوطة (أ) كما

روى أن أهل الجنة ليرون أهل النار يطلعون عليهم فيرونهم كما يرى النجم في أفق السماء. و الأصح ما في المطبوعة.

(٣) سيويه ١: ٢٠٦، و اللسان (درج) و مجاز القرآن لأبى عبيدة ١: ١٠٧ و الخزائن ١: ٢٠٣ و قد رواه بعضهم:

أرجما للمنون يكون قومي لريب الدهر أم درج السيول

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨

اللغة، و الحجته:..... ص: ٣٨

و أصل الدرجة الرتبة، فمنه الدرج، لأنه يطوى رتبة بعد رتبة يقال:

أدرجه إدراجاً. و الدرجان مشى الصبي لتقارب الرتب، درج يدرج درجاً و درجاناً.

و الدرج معروف. و الترقى في العلم درجة بعد درجة أى منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة. فان قيل هلاكا القرآن كله حقيقة، و لم يكن فيه شيء من المجاز، فان الحقيقة أحسن من المجاز؟ قلنا: ليس الأمر على ذلك فان المجاز في موضعه أولى، و أحسن من الحقيقة لما فيه من الإيجاز من غير إخلال بمعنى، و هى المبالغة بالاستعارة التى لا تنوب منابها الحقيقة، لأن قولهم إذ هو الشمس ضياء أبلغ في النفوس من قولهم هو كالشمس ضياء، كذلك الجزء بالجزء أحسن من الجزء بالابتداء، لأنه أدل على تقابل المعنى بتقابل اللفظ، فكذلك «هُم دَرَجَاتٌ» أولى و أبلغ من هم أهل درجات، للإيجاز من غير إخلال.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٤]..... ص: ٣٨

إشارة

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)

اللغة، والمعنى:..... ص: ٣٨

قوله: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ» معناه أنعم الله. و أصل المن القطع. منه يمنه مناً: إذا قطعه. «و لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» (١) أى غير مقطوع. و المن النعمة، لأنه يقطع بها عن البلية. و يقول القائل: من على بكذا أى استنقذنى به مما أنه فيه. و المن تكدير النعمة، لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها. و المنه القوة، لأنه

(١) سورة حم السجدة: آية ٨ و سورة الانشقاق: آية ٢٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩

يقطع بها الاعمال. و فى تخصيص المؤمن بذكر هذه النعمة و إن كانت نعمة على جميع المكلفين قيل فيه من حيث أنها على المؤمنين أعظم منها على الكافرين، لأنها نعمة عليهم من حيث هى نفع فى نفسها. و فيما يودى إليه من الايمان بها، و العمل بما توجه أحكامها، فالؤمن يستحق اضافتها إليه من وجهين، لما بيناه من حالها، و نظائر ذلك قد بيناه مثل قوله: «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» و غير ذلك و إنما أضافه إلى المتقين من حيث أنهم المنتفعون بها دون غيرهم. و قوله: «إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها- من أنفسهم ليكون ذلك شرفاً لهم، فيكون ذلك داعياً لهم إلى الايمان. الثانى- من أنفسهم، لسهولة تعلم الحكمة عليهم، لأنه بلسانه.

الثالث- من أنفسهم، ليتيسر عليهم علم أحواله من الصدق و الأمانة و العفة و الطهارة. و قال الزجاج: منّ عليهم إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من الأميين، لا يتلو كتاباً و لا يخط بيمينه، فنشأ بين قوم يخبرونه و يعرفونه بالصدق و الأمانة و أنه لم يقرأ كتاباً و لا لقنه، فتلا عليهم أقاصيص الأمم السالفة، فكان ذلك من أدل دليل على صفقه فيما أتى به. و قوله: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» معناه يقرأ عليهم ما أنزله عليه من آيات القرآن «و يُزَكِّيهِمْ» يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- يشهد لهم بأنهم أزكيا فى الدين، فيصيروا بهذه المنزلة الرفيعة فى الخلق.

الثانى- يدعوهم إلى ما يكونون به زاكين سالكين سبيل المهتدين.

الثالث: قال الفراء يأخذ منهم الزكاة التى يطهرهم بها. و قوله: «و يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» يعنى القرآن، و هو الحكمة. و إنما كرره بواو العطف لأمرين:

أحدهما- قال قتادة: الكتاب القرآن، و الحكمة السنة.

و الثانى: لاختلاف فائدة الصفتين، و ذلك أن الكتاب ذكر للبيان أنه مما يكتب و يخلد ليقى على الدهر، و الحكمة و البيان عما يحتاج إليه من طريق المعرفة. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠

و قوله: «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» يعنى أنهم كانوا كفاراً. و كفرهم هو ضلالهم فانقذهم الله بالنبي (ص).

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٥]..... ص: ٤٠

إشارة

أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)
- آية واحدة-

المعنى:..... ص: ٤٠

إنما دخلت الواو في «أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ» لعطف جملة على جملة إلا أنه تقدمها ألف الاستفهام، لأن له صدر الكلام. وإنما اتصل الواو الثاني بالأول ليدل على تعلقه به في المعنى، وذلك أنه وصل التقرير على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة. والمصيبة التي أصابت المسلمين هو ما أصابهم يوم أحد، فانه قتل منهم سبعون رجلا و كانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثلها، فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين و أسروا منهم سبعين في - قول قتادة، و الربيع، و عكرمة، و السدي - فقال الزجاج: لأنهم أصابوا يوم أحد منهم مثلهم، و يوم بدر مثلهم، فقد أصابوا مثلهم. و هذا ضعيف، لأنه خلاف لأهل السير، لأنه لا خلاف أنه لم يقتل من المشركين مثل من قتل من المسلمين بل قتل منهم نفر يسير، فحملة على ما قاله ترك الظاهر. وقوله: حكاية عن المسلمين «أنى هذا» أى من أين هذا.

وقوله: «قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها -

قال قتادة، و الربيع: لأنهم اختلفوا في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد و كان دعاهم النبي (ص) إلى أن يتحصنوا بها و يدعوا المشركين إلى أن يقصدوهم فيها، فقالوا كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية، و نحن في الإسلام، و أنت يا رسول الله نبينا أحق بالامتناع و أعز.

و الثاني -

روى عن علي (ع) و عبيدة السلماني أن الحكم كان في أسرى بدر التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١

القتل، فاختاروا هم الفداء، و شرط عليهم أنكم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم، فقالوا رضينا بذلك، فانا نأخذ الفداء و ننتفع به. و إذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء. و هو المروى عن أبي جعفر (ع).

الثالث - لخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم به النبي (ص) من ملازمة موضعهم.

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه هاهنا أنه على كل شيء قدير يدبركم بأحسن التدبير من النصر مع طاعتكم و تركه مع المخالفة إلى ما وقع به النهي، و هذا جواب لقوله: «أنى هذا» و قد تقدم الوعد بالنصرة، و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة: بان المعاصى كلها من فعل الله، لأنه تعالى قال «قُلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» و لو لم يكن فعلوه، لما كان من عند أنفسهم كما أنه لو فعله الله، لكان من عنده.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٦]..... ص: ٤١

إشارة

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦)
- آية -.

المعنى:..... ص: ٤١

قوله: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانِ) يعني يوم أحد و ما دخل عليهم من المصيبة بقتل من قتل من المؤمنين. وقوله: «فَيَاذَنْ لِلَّهِ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- بعلم الله. و منه قوله: «فَأَذَّنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ» (١) معناه اعلموا و منه قوله: «وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ» (٢) أى إعلام. و منه «أَذَّنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ» (٣) يعنى أعلمناك.

الثانى- أنه بتخليه الله التى تقوم مقام الإطلاق فى الفعل برفع الموانع،

(١) سورة البقرة: آية ٢٧٩.

(٢) سورة التوبة: آية ٣.

(٣) حم السجدة: آية ٤٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢

و التمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف. و لا يجوز أن يكون المراد به بأمر الله، لأنه خلاف الإجماع، لأن أحداً لا يقول: إن الله يأمر المشركين بقتل المؤمنين، و لا- انه يأمر بشيء من القبائح، و لأن الأمر بالقبيح قبيح، لا يجوز أن يفعله الله تعالى. و يمكن أن يحمل مع تسليم أنه بأمر الله بأن يكون ذلك مصروفاً الى المنهزمين المعذورين بعد إخلال من أخل بالشعب، و ضعفهم عن مقاومة عدوهم، و ان حمل على الجميع أمكن أن يكون ذلك بعد تفرقهم و تبدد شملهم و انفساد نظامهم، لأن عند ذلك أذن الله فى الرجوع و ألا- يخاطروا بنفوسهم و قوله: «وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ» ليس معناه أن الله يعلم عند ذلك ما لم يكن عالماً به، لأنه تعالى عالم بالأشياء قبل كونها و إنما معناه، و لتمييز المؤمنون من المنافقين إلا أنه أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازاً على المظاهرة فى المجازاة بالقول على ما يظهر من الفعل من جهه أنه ليس يعاملهم بما فى معلومه أنه يكون منهم إن بقوا، بل يعلمهم معاملته من كأنه لا يعلم ما يكون منهم حتى يظهر. ليكونوا على غاية الثقة بأن الله إنما يجازى بحسب ما وقع من الإحسان أو الاساءة.

فان قيل: هل يجوز أن يقول القائل: المعاصى تقع بإذن الله، كما قال:

«مَا أَصَابَكُمْ» من إيقاع المشركين بكم «فَيَاذَنْ لِلَّهِ»؟ قلنا: لا يجوز ذلك لأن الله تعالى إنما خاطبهم بذلك على وجه التسليية للمؤمنين، فدل ذلك على أن الاذن المراد به التمكين لتمييزوا بظهور الطاعة منهم. و ليس كذلك قولهم: المعاصى ياذن الله، لأنه لما عرى من تلك القرينه صار بمعنى اباحه الله، و الله تعالى لا يبيح المعاصى، لأنها قبيحة، و لأن إباحتها تخرجها من معنى المعصية. و الفاء انما دخلت فى قوله:

«فَيَاذَنْ لِلَّهِ» و لأن خبر (ما) التى بمعنى الذى يشبه جواب الجزاء، لأنه معلق بالفعل فى الصلة كتعليقه بالفعل فى الشرط، كقولك الذى قام فمن أجل أنه كريم أى، لأجل قيامه صح أنه كريم. و من أجل كرمه قام. و قد قيل أن (ما) هى بمعنى الجزاء، و لا يصح هاهنا لأن الفعل بمعنى المضى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٧]..... ص: ٤٣

إشارة

وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمًا أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)

- آية بلا خلاف-

المعنى:..... ص: ٤٣

قوله: «وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا» عطف على قوله: «وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ» وقيل في خبر ليعلم قولان: أحدهما- أنه مكتف بالاسم، لأنه بمعنى ليعرف المنافقين.

والثاني- أنه محذوف، و تقديره: و ليعلم المنافقين متميزين من المؤمنين.

وقوله: «وَقِيلَ لَهُمْ: تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» روى أن القائل لهم ذلك كان عبد الله بن عمرو بن خزام يذكرهم الله و يحذرهم أن يخذلوا نبيه عند حضوره عدوه- في قول ابن إسحاق و السدى- و قوله: «أَوْ ادْفَعُوا» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال السدى، و ابن جريج: ادفعوا بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا.

الثاني- قال ابن عون الانصاري: معناه رابطوا بالقيام على الخيل إن لم تقاتلوا معنا. و قوله: «قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ» قال ابن إسحاق، و السدى ان القائل لذلك عبد الله بن أبي بن سلول، انخزل يوم أحد بثلاثمائة نفس، قال لهم علام نقتل أنفسنا ارجعوا بنا، و قالوا للمؤمنين لا يكون بينكم قتال، و لو علمنا أنه يكون قتال لخرجنا معكم و أضمرنا في باطنهم عداوة النبي (ص)، و المؤمنين، فقال الله تعالى: «هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمًا أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ» لأنهم بهذا الاظهار إلى الكفر أقرب منهم للإيمان إذا كانوا قبل ذلك في ظاهر أحوالهم إلى الايمان أقرب التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤

حتى هتكوا أنفسهم عند من كانت تخفى عليه حالهم من المؤمنين الذين كانوا يحسنون الظن بهم، و ليس المراد أن بينهم و بين المؤمنين قرباً يوجب دخول لفظه أفعل بينهم. و انما هو مثل قول القائل:- و هو صادق- لمن هو كاذب: أنا أصدق منك، و إن لم يكن بينهما مقارنة في الصدق. و قوله: «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» انما ذكر الأفواه، و إن كان القول لا يكون إلا بالأفواه لا مريين:

أحدهما- للتأكيد من حيث يضاف القول إلى الإنسان على جهة المجاز، فيقال: قد قال كذا: إذا قاله غيره و رضى به، و كذلك «يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ» «١» أى يتلونه على غير جهة الأمر به.

والثاني- لأنه فرق بذكر الأفواه بين قول اللسان و قول الكتاب.

وقوله: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» يعنى أعلم من الكافرين الذين قالوا: لا يكون قتال، و ما كتموه في نفوسهم من النفاق.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٨]..... ص: ٤٤

إشارة

الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)

آية

الأعراب:..... ص: ٤٤

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الأعراب:
أحدها- أن يكون نصباً على البدل من الذين نافقوا.
الثاني- الرفع على البدل من الضمير في يكتمون.
الثالث- الرفع على خبر الابتداء، و تقديره: هم «الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ»

(١) سورة البقرة: آية ٧٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥

المعنى:..... ص: ٤٥

و المعنى بهذا الكلام و القائلون لهذا القول عبد الله بن أبي و أصحابه من المنافقين قالوه في قتلى يوم أحد من إخوانهم- على قول جابر بن عبد الله، و قتاده، و السدي، و الربيع- و قوله: (قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) معناه ادفعوا قال الشاعر:
تقول إذا درأت لها وضيئي أ هذا دينه أبداً و ديني «١»
فان قيل كيف يلزمهم دفع الموت عن أنفسهم بقولهم أنهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا؟ قيل لأن من علم الغيب في السلامة من القتل يجب أن يمكنه أن يدفع عن نفسه الموت فليدفعه، فهو أجدى عليه.
فان قيل: كيف كان هذا القول منهم كذباً مع أنه اخبار على ما جرت به العادة؟ قلنا: لأنهم لا يدرون لعلهم لو لم يخرجوا لدخل المشركون عليهم في ديارهم، فقتلوهم هذا قول أبي على و قال غيره معنى «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أى محقين في تشييطكم من الجهاد فراراً من القتل.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦٩]..... ص: ٤٥

إشارة

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ (١٦٩)
- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ٤٥

ذكر ابن عباس، و ابن مسعود، و جابر بن عبد الله عن النبي (ص) أنه قال لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة، و تأكل من ثمارها.
قال البلخي: و هذا ضعيف، لأن الأرواح جماد لا حياة فيها،

(١) انظر ٢: ١٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦

ولو كانت حية لاحتاجت إلى أرواح أخر وأدى إلى ما لا يتناهى فضعف الخير من هذا الوجه. و في الناس من قال: إن تأويل الآية اخبار عن صفة حال الشهداء في الجنة من حيث فسد القول بالرجعة، وهذا ليس بشيء لأنه خلاف الظاهر، ولأن أحداً من المؤمنين لا يحسب أن الشهداء في الجنة أموات، وأيضاً، فقد وصفهم الله بأنهم أحياء فرحون في الحال، لأن نصب فرحين هو على الحال. وقوله: (لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) يؤكد ذلك، لأنهم في الآخرة قد لحقوا بهم، ومعنى الآية النهي عن أن يظن أحد أن المقتولين في سبيل الله أموات.

و الخطاب للنبي (ص)، والمراد به جميع المكلفين، كما قال: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» وأنه ينبغي أن يعتقد أنهم «أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين بما آتاهم الله» وبهذا قال الحسن، وعمرو بن عبيد، واصل بن عطاء واختاره الجبائي، والرماني، وأكثر المفسرين. وقال بعضهم وذكره الزجاج: المعنى ولا تحسبهم أمواتاً في دينهم بل هم أحياء في دينهم، كما قال: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ» الآية «١» وقال البلخي معناه: لا تحسبهم كما يقول الكفار أنهم لا يبعثون بل يبعثون، وهم «أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين». وقال قوم: إن أرواحهم تسرح في الجنة وتلتذ بنعيمها، فهم «أحياء عند ربهم» وقوله: «عند ربهم» قيل في معناه قولان: أحدهما- أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لأن ذلك من صفة الأجسام وذلك مستحيل عليه تعالى.

و الوجه الآخر- عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس - ذكره أبو علي -.

الاعراب:..... ص: ٤٦

وقوله: «بَلْ أحياء» رفع على أنه خبر الابتداء، وتقديره بل هم أحياء، ولا يجوز فيه نصب بحال، لأنه كان يصير المعنى بل احسبهم أحياء، والمراد بل

(١) سورة الانعام: آية ١٢٢. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧

أعلمهم احياء.

المعنى والحجة:..... ص: ٤٧

فان قيل لم لا يجوز أن يكون المعنى بل أحياء على معنى أنهم بمنزلة الأحياء كما يقال لمن خلف خلفاً صالحاً أو ثناء جميلاً: ما مات فلان بل هو حي؟ قلنا:

لا- يجوز ذلك لأنه انما جاز هذا بقرينة دلت عليه من حصول العلم بأنه ميت فانصرف الكلام إلى أنه بمنزلة الحي، وليس كذلك الآية لأن إحياء الله لهم في البرزخ جائز مقدور والحكمة تجيزه.

فان قيل أليس في الناس من أنكر الحديث من حيث أن الروح عرض لا يجوز أن يتنعم؟ قيل: هذا ليس بصحيح، لأن الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح. والدليل على ذلك أن الروح تخرج من البدن وترد إليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن، وليست من الحياة في شيء، لأن ضد الحياة الموت وليس كذلك الروح- هذا قول الرماني سؤاله وجوابه. وفي الآية دليل على أن الرجعة إلى دار الدنيا جائزة لأقوام مخصوصين، لأنه تعالى أخبر أن قوماً ممن قتلوا في سبيل الله ردهم الله أحياء كما كانوا، فأما الرجعة التي يذهب إليها أهل التناسخ، ففاسدة، والقول بها باطل لما بيناه في غير موضع، وذكرنا جملة منه في شرح جمل العلم فمن أراد وقف

عليه من هناك ان شاء الله. وقال أكثر المفسرين الآية مختصة بقتلى أحد. وقال أبو جعفر (ع)، وكثير من المفسرين: انها تتناول قتلى بدر وأحد معا

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٠]..... ص: ٤٧

إشارة

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) - آية- التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨

الاعراب:..... ص: ٤٨

قوله: «فَرِحِينَ» نصب على الحال من «يُزْزَقُونَ» وهو أولى من رفعه على بل أحياء لأن النصب يبنى عن اجتماع الرزق والفرح في حال واحدة، ولو رفع على الاستئناف لكان جائزا. وقال الفراء: يجوز نصبه على القطع عن الأول.

المعنى، واللغة:..... ص: ٤٨

وقوله: (بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) معناه بما أعطاهم الله من ضروب نعمه، ومعنى يستبشرون أى يسرون بالبشارة وأصل الاستفعال طلب الفعل فالمستبشر بمنزلة من طلب السرور في البشارة، فوجده. وأصل البشارة من البشرية وذلك لظهور السرور بها في بشرة الوجه. ومنه البشر لظهور بشرته. ومعنى قوله:

(وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ) أى هم بمنزلة من قد بشر في صاحبه بما يسر به. ولأهل التأويل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن جريج، و قتادة: يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من كرامته الله ما أصبنا.

والآخرة- أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه يبشر ذلك فيستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدمه في الدنيا- ذكره السدي- وقال الزجاج: معناه أن لم يلحقوا بهم في الفعل إلا أن لهم فضلا عظيما بتصديقهم وإيمانهم.

ولحقت ذلك وألحقت غيرى، مثل علمت وأعلمت، وقيل لحقت وألحقت لغتان بمعنى واحد مثل بان وأبان، وعلى ذلك: إن عذابك بالكفار ملحق أى لا حق على هذا أكثر نقاد الحديث. و روى بعض الثقات ملحق بنصب الحاء ذكره البلخي.

وقوله: (أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) قيل فى موضع أن قولان:

أحدهما- انه خفض بالباء وتقديره بان لا خوف، هذا قول الخليل، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩ والكسائى والزجاج.

الثانى- ان يكون موضعه نصبا على أنه لما حذف حرف الجر نصب بالفعل كما قال الشاعر:

أمرتك الخير «١»

أى بالخير فى قول غيرهم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧١]..... ص: ٤٩

إشارة

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)

آية

القراءة:..... ص: ٤٩

قرأ الكسائي (وإن الله) - بكسر الالف - الباقون بفتحها على معنى وبأن الله، ورجح هذه القراءة أبو علي الفارسي. والكسر على الاستئناف. وفي قراءة عبد الله «وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ». وهو يقوى قراءة من قرأ بالكسر. قوله: «يَسْتَبْشِرُونَ».

المعنى:..... ص: ٤٩

يعنى هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله الذين وصفهم بأنهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله، وانهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، فوصفهم هاهنا بأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل. وفضل الله وان كان هو النعمة قيل في تكراره هاهنا قولان: أحدهما - لأنها ليست نعمة مضيقه على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة.

(١) انظر ٢: ٣٤٨ فقد مر البيت هناك كاملا.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠

والآخر - للتأكيد لتمكين المعنى في النفس، والمبالغة. والنعمة هي المنفعة التي يستحق بها الشكر إذا كانت خالية من وجوه القبح، لأن المنفعة على ضربين:

أحدهما - منفعة اغترار، وحيلة، و [الثاني - منفعة خالصة من شائب الاساءة. والنعمة: تعظيم بفعل غير المنعم، كنعمة الرسول على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له، لأن دعاءه له نفع من وجهين:

أحدهما - حسن النية في دعائه إلى الحق ليستجيب له.

والآخر - قصده الدعاء إلى حق من يعلم انه يستجيب له المدعو وانما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة في الجلالة و عظم المنزلة.

وقوله: (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) وان كانوا هم علموا ذلك فإنما ذكر الله انهم يستبشرون بذلك، لأن ما يعلمونه في دار التكليف يعلمونه بدليل.

وما يعلمونه بعد الموت يعلمونه ضروره. وبينهما فرق واضح، لأن مع العلم الضروري يتضاعف سرورهم، ويشد اغتباطهم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٢]..... ص: ٥٠

إشارة

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)
- آية واحدة -.

سبب النزول و القصة:..... ص: ٥٠

ذكر ابن عباس و السدي، و ابن إسحاق، و ابن جريج، و قتادة: أن سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان: صخر بن حرب، و أصحابه لما انصرفوا عن أحد، ندموا. و قال بعضهم لبعض: لا محمداً قتلتم و لا الكواعب أردفتهم فارجعوا فاغبروا على المدينة، و اسبوا ذراريهم. و قيل: إن بعضهم قال لبعض: إنكم قتلتم عدوكم حتى إذا لم يبق إلا الرشيد تركتموهم. ارجعوا فاستأصلوهم. فرجعوا الى حمراء الأسد و سمع بهم النبي (ص) فدعا أصحابه إلى الخروج، و قال: لا يخرج معنا التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١ إلا من حضرنا أمس للقتال، و من تأخر عنا، فلا يخرج معنا.

و روى أنه (ص) أذن لجابر وحده في الخروج. - و كان خلفه أبوه على بناته يقوم بهن - فاعتل بعضهم بأن قال: بنا جراح، و آلام فانزل الله تعالى «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ» و قيل نزلت فيهم أيضاً «وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ» (١) ثم استجابوا على ما بهم إلى اتباعهم و ألقى الله الرعب في قلوب المشركين، فانهزموا من غير حرب. و خرج المسلمون إلى حمراء الأسد. و هي على ثمانية أميال من المدينة.

الاعراب، و اللغة:..... ص: ٥١

و موضع «الذين» يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: الجر - على أن يكون نعتاً للمؤمنين - و الرفع - على الابتداء - و خبر الذين الجملة - و النصب - على المدح - و قوله: (مَنْ بَعِدَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) معناه من بعد ما نالهم الجراح و أصله الخلوص من الكدر. و منه ماء قراح أى خالص. و القراح من الأرض: ما خلص طينه من السبخ، و غيره. و القريحة خالص الطيبة. و اقترحت عليه كذا أى اشتهيته عليه لخلوصه على ما تتوق نفسه إليه، كأنه قال: استخلصته. و فرس قراح أى طلع نابه لخلوصه ببلوغ تلك الحال عن نقص الصغار، و كذلك ناقة قراح أى حامل. فالقراح الجراح، لخلوص ألمه إلى النفس. و أجاب، و استجاب بمعنى واحد. و قال قوم: استجاب: طلب الاجابة. و أجاب: فعل الاجابة. و قوله: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا» فالاحسان هو النفع الحسن. و الإفضال: النفع الزائد على أقل المقدار. و قوله: «وَ اتَّقُوا» معناه اتقوا معاصي الله «أَجْرٌ عَظِيمٌ» معناه هاهنا الذين فعلوا الحسن الجميل من طاعة النبي (ص)، و الانتهاء إلى قوله. و قوله: «منهم» معناه تبين الصفة لا التبعض.

(١) سورة النساء: آية ١٠٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٣]..... ص: ٥٢

إشارة

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ٥٢

وقيل في المعنى بقوله: «الناس» الأول ثلاثة أقوال:

أولها- قال ابن عباس، و ابن إسحاق: انهم ركب دسهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجنواهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع إليهم و قال السدي: هو اعرابي ضمن له جعل على ذلك. و قال الواقدي هو نعيم بن مسعود الاشجعي و هو قول أبي جعفر و أبي عبد الله (ع).

و قوله: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» المعنى به أبو سفيان و أصحابه- في قول أكثر المفسرين- و قال مجاهد: انما كان ذلك في بدر الصغرى و هي سنة أربع و كانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة. و إنما عبر بلفظ الجميع عن الواحد في قوله: «قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» لأمرين: أحدهما- ان تقديره جاء القول من قبل الناس، فوضع كلام موضع كلام- ذكره الرماني.-

و الثاني- إن الواحد يقوم مقام الناس، لأن «الإنسان» إذا انتظر قوماً فجاء واحد منهم، قد يقال: جاء الناس إما لتفخيم الشأن، و أما لابتداء الإتيان.

و قوله: «فاخشوهم» حكاية عن قول نعيم بن مسعود للمسلمين. يعني اخشوا أبا سفيان، و أصحابه فبين الله تعالى ان ذلك القول زادهم ايماناً و ثباتاً على دينهم، و اقامة على نصرته نبيهم. و قالوا عند ذلك «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و معناه كافينا الله.

اللغة، و القصة:..... ص: ٥٢

و أصله من الحساب، لأن الكفاية بحسب الحاجة، و بحساب الحاجة. و منه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣ الحسابان و هو الظن. و الوكيل: الحفيظ. و قيل: هو الولي. و أصله القيام بالتدبير. و المتولى للشئ قائم بتدبيره، و الحافظ له يرجع إلى هذا المعنى. و معنى الوكيل في صفات الله المتولى للقيام بتدبير خلقه، لأنه مالكمهم رحيم بهم. و الوكيل في صفة غيره: انما يعقد بالتوكيل.

و قال قوم من المفسرين: إن هذا التخويف من المشركين كان في السنة المقبلة، لأن أبا سفيان، لما انصرف يوم أحد، قال موعدكم البدر في العام المقبل. فقال النبي (ص) لمن حضره: قولوا نعم. فلما كان العام المقبل خرج النبي (ص) بأصحابه، و كان أبو سفيان كره الخروج، فدرس من يخوف النبي (ص) و أصحابه لم يسمعوا منهم، و خرجوا إلى بدر فلما لم يحضر أحد من المشركين، رجعوا، و كانوا صادفوا هناك تجارة اشتروها فربحوا فيها، و كان ذلك نعمة من الله. و روى ذلك أبو الجارود عن أبي جعفر (ع).

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٤]..... ص: ٥٣

إشارة

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَ فَضْلِ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)
- آية بلا خلاف-

المعنى، و اللغة، و الاعراب:..... ص: ٥٣

الانقلاب، و الرجوع، و المصير واحد. و قد فرق بينهما بأن الانقلاب هو المصير إلى ضد ما كان قبل ذلك كانقلاب الطين خزفاً. و لم يكن قبل ذلك خزفاً و الرجوع هو المصير إلى ما كان قبل ذلك و قوله: «بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ» قيل في معناه قولان: أحدهما- ان النعمة العافية. و الفضل: التجارة. و السوء: القتل- في قول السدي، و مجاهد- و قال الزجاج: النعمة هاهنا الثبوت على

الايان في طاعة الله و فضل الريح في تجارتهم، لأنه روى أنهم أقاموا في الموضع ثلاثة أيام فاشترى أدمًا و زيبًا ربحوا فيه: و قال قوم: إن أقل ما يفعله الله بالخلق فهو نعمة، و ما زاد عليه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤

فهو الموصوف بأنه فضل. و الفرق بين النعمة و المنفعة أن النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة، لأنه يستحق بها الشكر و لا يستحق الشكر بالقيح. و المنفعة قد تكون حسنة و قد تكون قبيحة مثل ان يغضب ما لا ينتفع به- و إن كان قبيحاً- و قوله: (لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ) موضعه نصب على الحال. و تقديره: فانقلبوا بنعمة من الله و فضل سالمين. و العامل فيه «فَانْقَلَبُوا» و المعنى بالآية الذين أمرهم الله تعالى بتتبع المشركين إلى حمراء الأسد، فلما بلغوا إليها و كان المشركون أسرعوا في المضى إلى مكة رجع المسلمون من هناك من غير أن يمسهم قتل و لا- جراح غانمين سالمين، و قد امتثلوا ما أمرهم الله تعالى به. و اتبعوا رضوانه «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» أى ذو إحسان عظيم على عباده ديني و دنيوي.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٥]..... ص: ٥٤

إشارة

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)
- آية -

معنى الآية..... ص: ٥٤

انما ذلك التخويف الذى كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان، و باغوائه، و تسويله. و يخوف أولياء المؤمنين. قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة: يخوف المؤمنين بالكافرين. و قال الزجاج، و أبو على الفارسي، و غيرهما من أهل العربية: إن تقديره يخوفكم أولياءه. أى من أوليائه بدلالة قوله: «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى إن كنتم مصدقين بالله فقد أعلمتكم أنى انصرفكم عليهم، فقد سقط عنكم الخوف. و مثله قوله: «لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ» (١) و معناه لينذركم بأساً و التقدير لينذركم بأس شديد، فلما حذف الجار نصبه. و قيل: إن «يخوف» يتعدى إلى مفعولين، لأنك تقول: خفت زيدا و خفت زيدا عمراً. و يكون فى الآية حذف أحد المفعولين، كما قلناه فى

(١) سورة الكهف: آية ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥

قولهم: فلان يعطى الدراهم و يكسو الثياب. و قال بعضهم: هذا لا- يشبه الآية، لأنه انما أجازوا حذف المفعول الثانى فى أعطى الدراهم، لأنه لا- يشبهه أن الدراهم هى التى أعطيت. و فى الآية تشبهه الحال فى من المخوف و من المخوف و قال قوم: «يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» أى انما خاف المنافقون و من لا حقيقة لإيمانه. و قال الحسن، و السدى:

يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين و يخوف يتعدى إلى مفعولين كما يتعدى، يعطى لأن أصله خاف زيد القتال. و خوفته القتال. كما تقول. عرف زيد أخاك و عرفته أخاك. فان قيل: كيف يكون الأولياء على المفعول الثانى و انما التخويف من الأولياء لغيرهم؟ قيل: ليس التقدير هكذا. و انما هو على (خاف المؤمنون أولياء الشيطان). و هو خوفهم أولياءه. قال الرماني: و غلط من قدر التقدير الأول. و قوله: «فلا تخافوهم» يعنى لا تخافوا المشركين. و انما قال:

(ذلك) و هى انما يشار بها إلى ما هو بعيد لأنه أراد ذلك القول تقدم من المخوف لهم من قوله: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ» .

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٦]..... ص: ٥٥

إشارة

وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦)
- آية بلا خلاف-

القراءة:..... ص: ٥٥

قرأ نافع في جميع القرآن «يحزنك» - بضم الياء- إلا قوله: «لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ» «١» . الباقون بفتح الياء في جميع القرآن. وقرأ أبو جعفر عكس ما قرأ نافع. فانه فتح في جميع القرآن إلا قوله «لَا يَحْزَنُهُمْ» فانه ضم الياء

(١) سورة الأنبياء: آية ١٠٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦

و حكي البلخي عن ابن أبي محييص الضم في الجميع.

اللغة:..... ص: ٥٦

قال سيبويه: تقول: فتن الرجل، و فتنته. و حزن، و حزنه. و زعم الخليل أنك حيث قلت فتنته، و حزنه، لم ترد أن تقول: جعلته حزينا و جعلته فاتنا.

كما أنك حين قلت: أدخلته جعلته داخلا، و لكن أردت أن تقول: جعلت فيه حزنا، و فتنه. فقلت فتنته كما قلت كحلته أي جعلت فيه كحلا- و دهنته جعلت فيه دهنا. فجئت بفعلته- على حده- و لم ترد بفعلته هاهنا نفس قولك حزن و فتن و لو أردت ذلك لقلت أحزنه و أفتنته. و فتن من فتنته مثل حزن من حزنه قال:

وقال بعض العرب: أفتنت الرجل و أحزنه إذا جعلته حزينا، و فاتنا، فغيره إلى أفعال- هذا حكاه أبو على الفارسي حجة لنافع- و قال قوله: «لَا يَحْزَنُهُمْ» إنما ضم على خلاف أصله لعله اتبع أثرا أو أحب الأخذ بالوجهين:

المعنى:..... ص: ٥٦

و المعنى بقوله: «الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» - على قول مجاهد- و ابن إسحاق- المنافقون. و في قول أبي على الجبائي: قوم من العرب ارتدوا عن الإسلام.

فان قيل: كيف قال: «يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ» و الارادة لا تتعلق بالأى يكون الشيء و إنما تتعلق بما يصح حدوثه؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- قال ابن إسحاق: «يُرِيدُ اللَّهُ» أن يحبط أعمالهم بما استحقوه من المعاصي و الكبائر.

و الثاني- ان الله يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له بتكليفهم، و هو الذي يليق بمذهبا، لأن الإحباط عندنا ليس بصحيح

فان قيل: كيف قال: «يريد الله» و هذا إخبار عن كونه مريداً في حال الاخبار، و إرادة الله تعالى لعقابهم تكون يوم القيامة، و تقديمها على وجه يكون عزمًا و توطئاً للنفس التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧
لا «١» يجوز عليه تعالى؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- قال أبو علي: معناه أنه سيريد في الآخرة حرمانهم الثواب، لكفرهم الذي ارتكبوه.

و الثاني- أن الارادة متعلقة بالحكم بذلك، و ذلك حاصل في حال الخطاب.

و قال الحسن: يريد بذلك فيما حكم من عدله. و قوله: «يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» أي يبادرون إليه. و السرعة و إن كانت محمودة في كثير من المواضع، فإنها مذمومة في الكفر. و العجلة مذمومة على كل حال إلا في المبادرة إلى الطاعات. و قيل:

إن العجلة هي تقديم الشيء قبل وقته، و هي مذمومة على كل حال، و السرعة فعل لم يتأخر فيه شيء عن وقته، و لا يقدم قبله، ثم بين تعالى أنهم لمسارعتهم إلى الكفر لا- يضررون الله شيئاً، لأن الضرر يستحيل عليه تعالى. و انما يضررون أنفسهم بأن يفوتوا نفوسهم الثواب، و يستحقوا العظيم من العقاب، ففي الآية تسليئة للنبي (ص) عما يناله من الغم باسراع قوم إلى الكفر بأن و بال ذلك عائد عليهم، و لا يضررون الله شيئاً.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٧]..... ص: ٥٧

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)
- آية -.

المعنى:..... ص: ٥٧

استأنف الله تعالى بهذه الآية الاخبار بأن من اشترى الكفر بالايان بمعنى استبدل الكفر بالايان. و قد بينا فيما مضى أن تسمية ذلك شراء مجاز لكن لما فعلوا الكفر بدلا من الايمان شبه ذلك بشراء السلعة بالثمن و بين أن من فعل ذلك لا يضر الله شيئاً. لأن مضرته عائدة عليه على ما بيناه. و انما كرر «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ»

(١) في المطبوعة (و لا).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨

في هذه الآية، فإنه ذكر في الآية الأولى - على طريقة العلة- لما يجب من التسليئة عن المسارعة إلى الضلالة، و ذكر في هذه الآية على وجه العلة لاختصاص المضرة للعاصي دون المعصي.

اللغة:..... ص: ٥٨

و الفرق بين المضرة و الاساءة أن الاساءة لا تكون إلا قبيحة، و المضرة قد تكون حسنة إذا كانت لطفاً، أو مستحقة أو فيها نفع يوفي عليها أو دفع ضرر أعظم منها كفعل العقاب، و ضرب الصبي للتأديب، و غير ذلك.

الاعراب:..... ص: ٥٨

وقوله: (شيئاً) نصب على أنه وقع موقع المصدر، وتقديره «لن يضرروا الله شيئاً» من الضرر. و يحتمل أن يكون نصباً بحذف الباء كأنه قال بشيء مما يضر به، كما يقول القائل: ما ضررت زيدا شيئاً من نقص مال، ولا غيره.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٨]..... ص: ٥٨

إشارة

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)
- آية واحدة بلا خلاف -.

القراءة، و الاعراب:..... ص: ٥٨

قرأ حمزه «و لا تحسبن» بالتاء و فتح السين. الباقون بالياء، و هو الأقوى، لأن حسبت يتعدى إلى مفعولين (و أن) على تقدير مفعولين، لأن قوله: «أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ» سد مسد المفعولين لأنه لا يعمل فى (أَنَّمَا) إلا ما يتعدى إلى مفعولين: نحو حسبت و ظننت و أخواتهما. و حسبت يتعدى إلى مفعولين أو مفعول التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩ يسد مسد المفعولين نحو حسبت أن زيدا منطلق و حسبت أن يقوم عمرو. فقوله:

«أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ»، سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما «يحسبن» و كسر (إن) مع القراءة بالياء ضعيف و قرئ به. و وجه ذلك قال أبو على الفارسي (إن) يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء، و يدخل كل واحد منهما على الابتداء و الخير فكسر (إن) بعد «يحسبن» و علق عنها الحسبان، كما يعلق باللام، فكأنه قال: لا يحسبن الذين كفروا للاخرة خير لهم. و من قرأ بالتاء فعلى البدل، كقوله: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» (١) و كما قال الشاعر:

فما كان قيس هللكه هلك واحد و لكنه بنيان قوم تهدما (٢)

و قال الفراء: يجوز أن يكون عمل فيه «يحسبن» مقدرة تدل عليها الاولى.

و تقديره: و لا تحسبن الذين كفروا يحسبون انما نملى لهم و هكذا فى قوله:

«هَلْ يَنْظُرُونَ» و يجوز كسر (انما) مع التاء فى (يحسبن) و هو وجه الكلام، لتكون الجملة فى موضع الخبر: نحو حسبت زيدا انه كريم. غير انه لم يقرأ به أحد من السبعة. و قوله: «إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا» معنى اللام هاهنا للعاقبة و ليست بلام الغرض. كأنه قال: إن عاقبة أمرهم ازدياد الإثم كما قال:

(١) سورة الزخرف: آية ٦٦.

(٢) قاله عبدة بن الطبيب أمالى السيد المرتضى ١: ١١٤، و الاغانى ١٢: ١٤٨ و الحماسة شرح التبريزى ٢: ٢٨٥، ٢٨٦ و غيرها و هو من أبيات قالها فى قيس بن عاصم و مطلعها:

عليك سلام الله قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن ترحما

و قيس بن عاصم رجل حلیم شريف فى قومه، و كان الأحنف بن قيس يقول: انما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم. و قال ابن الاعرابى: قيل ليس بما ذا عدت؟ فقال: بثلاث: بذل الندى و كف الأذى، و نصر المولى. قال التبريزى فى شرحه لهذا البيت: يروى (هلك) بالنصب و بالرفع، فإذا نصبته كان (هلكه) فى موضع البدل من (قيس) و (ملك) ينتصب على أنه خبر (كان) كأنه قال: فما

كان هلك قيس هلك واحد من الناس بل مات لموته خلق كثير. و إذ رفعته كان (هلكه) في موضع المبتدأ (و هلك واحد) في موضع الخبر. و الجملة في موضع النصب على انها خبر كان.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠

«فَالْتَفَتُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا» (١) و كما قال: «وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» (٢) و كقوله: «لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ...»

إلى قوله: «لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» (٣) و ما قالوا ذلك ليكون حسرة و إنما كان عاقبته كذلك و قال الشاعر:

و أم سماك فلا تجزعي فلموت ما تلد الوالده (٤)

و قال آخر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدهر نبنينا

و قال:

و للمنايا تربي كل مرضعة و للخراب يجد الناس بنيانا

و قال آخر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب [فكلكم يصير إلى ذهاب

و يقول القائل: ما تزيدك موعظتي الا شرا، و ما أراها عليك إلا و بالا. و لا يجوز أن يحمل ذلك على لام الغرض و الارادة، لوجهين: أحدهما- ان ارادة القبيح قبيحة و لا يجوز ذلك عليه تعالى.

و الثاني- لو كانت اللام لام الارادة لكان الكفار مطيعين لله من حيث فعلوا ما أراه الله و ذلك خلاف الإجماع. و قد قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (٥) و قال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» (٦) و قال أبو الحسن الأنخفش و الاسكافي: في الآية تقديم و تأخير. و تقديره و لا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم ليزدادوا إثماً أنما نملى لهم خير لأنفسهم. و هذا ضعيف،

(١) سورة القصص: آية ٨.

(٢) سورة الزمر: آية ٨.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٦.

(٤) العجز في الذيل من سمط الآلى: ٩٢ و هو مثل سائر ينسب لشتيم بن خويلد الفزارى، و لسماك بن عمرو الباهلى.

(٥) سورة الذاريات: آية ٥٦.

(٦) سورة النساء: آية ٦٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١

لأنه كان يجب لو كان على التقديم، و التأخير أن تكون انما الخيرة مفتوحة الهمزة لأنها معمول تحسبن- على هذا القول- و أن تكون الاولى مكسورة، لأنها مبتدأة في اللفظ و التقديم و التأخير لا يغير الاعراب عن استحقاقه و ذلك خلاف ما عليه جميع القراء، فإنهم أجمعوا على كسر الثانية. و الأكثر على فتح الاولى. و يمكن أن يقال:- نصره لأبى الحسن- أن يكون التقدير و لا تحسبن الذين كفروا قائلين:

إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً، بل فليعلموا أنما نملى لهم خير لأنفسهم. فيكون الحساب قد علق، و لم يعمل. و تكون إنما الثانية كسرت، لأنها بعد القول. و تكون في موضع نصب بالقول المقدر و تكون أنما الاولى منصوبة بالعلم المقدر الذى بيناه. و على هذا يجوز أن

يكون الوعد عاماً، و يكون الوعيد المذكور مشروطاً بالمقام على الكفر. و على الوجه الأول الذى حملنا اللام على العاقبة لا بد من تخصيصها بمن علم منه انه لا يؤمن، لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه إليهم هذا الوعيد المخصوص و قال البلخي: معناه لا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم رضاء بأفعالهم، و قبول لها بل هو شر لهم، لأننا نملئ لهم و هم يزدادون إثماً يستحقون به عذاباً أليماً. و مثله: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ» (١) أى ذرأنا كثيراً من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء فعالهم و «ما» فى قوله: «إنما» تحتل أمرين:

أحدهما- أن تكون بمعنى الذى و التقدير: إن الذى نملئ خيراً لأنفسهم.

و الآخر- أن يكون ما نملئ بمنزلة الاملاء فتكون مصدرًا. و إذا كانت كذلك فلا تحتاج إلى عائذ يعود إليها. و الاملاء: طول المدء. «نَمَلَى لَهُمْ» معناه نطول أعمارهم. و منه قوله: «وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا» (٢) أى حيناً طويلاً. و منه قوله: عشت طويلاً، و تمليت حيناً. و الملاء: الدهر و الملوان: الليل و النهار، لطول تعاقبهما. و إملاء الكتاب و انما أنكر تعالى أن يكون الاملاء خيراً لهم- و ان

(١) سورة الاعراف: آية ١٧٨. [.....]

(٢) سورة مريم: آية ٤٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٢

كانت نعمة دنيوية- من وجهين:

أحدهما- قال الجبائي: أراد خير من القتل فى سبيل الله، كشهداء أحد الثانى- قال البلخي: لا تحسبن ان ذلك خير استحقوه بفعلهم، أى لا تغتروا بذلك فتظنوا انه لمنزلة لهم، لأنهم كانوا يقولون: إنه تعالى لو لم يرد ما هم عليه، لم يمهلهم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧٩]..... ص: ٦٢

مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاٰمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

- آية بلا خلاف-

قرأ حمزة و الكسائي «يميز» - بالتشديد- الباقون بالتخفيف. يقال: مازه يميزه، و ميزه يميزه- لغتان-

و معنى الآية لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه، فلا يميز المؤمن من المنافق، و الكافر «حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ». و قيل فى معنى الخبيث هاهنا:

قولان:

أحدهما- قال مجاهد، و ابن إسحاق، و ابن جريح: هو المنافق. قالوا: كما ميز المؤمن من المنافق يوم أحد. بالامتحان على ما مضى شرحه.

الثانى- قال قتادة، و السدى: حتى يميز المؤمن من الكافر.

و سبب نزول الآية ما قاله السدى: إن المشركين قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا، و من يكفر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. و قال قوم: إن كان يعلم المنافقين، فما حاجته إلى اختبارهم؟ فأنزل الله تعالى انه يميزهم. و ذلك يكون: تارة باختيارهم، و تارة بتعيينهم.

و التمييز بين الكافر و بين المؤمن أو المنافق و المؤمن بالامتحان و الاختبار فى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٣

تكليف الجهاد، و نحوه: مما يظهر به حالهم، و تنكشف ضمائرهم و قيل: بالدلالات، و العلامات التى يستدل بها عليهم من غير نص

اعلام لهم فان قيل: هل اطلع نبيه (ص) على الغيب؟ قلنا: عن ذلك جوابان:

أحدهما- قال السدي: لا، ولكنه اجتباها، فجعله رسولا وقال ابن إسحاق:

ولكن الله اجتبى رسوله بإعلامه كثيراً من الغائبات. وهذا هو الأليق بالآية.

وقال الزجاج قوله: (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) سببه أن قوماً قالوا:

هالا- جعلنا الله أنبياء؟ فأخبر الله تعالى أنه «يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» و (من) في الآية لتبيين الصفة لا للتبعيض، لأن الأنبياء كلهم مجتوبون.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٠].... ص: ٦٣

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

قرأ حمزة «و لا تحسبن» بالتاء المعجمة من فوق الباقون بالياء، وهو الأقوى، لأن عليه أكثر القراء، فمن قرأ بالتاء فالتقدير على قراءته و لا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم. و جاز حذف البخل مع الفصل لدلالة يبخلون عليه، كما يقال من كذب كان شراً له. و المعنى كان الكذب شراً له. قال الشاعر:

إذا نُهي السفيه جرى إليه و خالف و السفية إلى خلاف «١»

و معناه خالف إلى السفه. قال الزجاج: إنما تكون هو، و هما، و هم، و أنا و أنت، و نحن فصولاً مع الافعال التي تحتاج إلى اسم و خبر، و لم يذكر سيبويه الفصل مع الابتداء، و الخبر. قال: و لو تأول متأول قوله الفصل ها هنا أنه يدل

(١) معاني القرآن للفراء ١: ١٠٤-٢٤٩. آمالي ابن السجري ١: ٦٨-١١٣-٣٠٥ و ٢: ١٣٢-٢٠٩ و الانصاف: ٦٣ و الخزانة: ٣٨٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٤

على أنه جائز في المبتدأ و الخبر كان جائزاً. قال: و القراءة بالياء عندي هو الأجود و يكون الاسم محذوفاً، قال: و القراءة بالتاء لا تمتنع مثل قوله: «وَسئَلِ الْقَرْيَةَ» «١» و تقديره و لا تحسبن بخل الباخلين خيراً.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما قاله السدي: إن المعنى بخلوا أن ينفقوا في سبيل الله كما بخلوا بمنع الزكاة. و قيل إنها نزلت في أهل الكتاب بخلوا أن يبينوه للناس - على قول ابن عباس - و الوجه الأول أظهر لأن أكثر المفسرين على

أنها نزلت في مانعي الزكاة، و هو قول أبي جعفر (ع)

و قوله: «هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ» فلفظه «هو» فصل، بين الاسم، و الخبر على تقدير و لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خيراً لهم فيمن قرأ بالياء و قوله: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قيل في معناه قولان: أحدهما-

رواه ابن مسعود عن النبي (ص) أنه شجاع أقرع يطوقونه، و هو المروى عن أبي جعفر (ع).

و قال ابراهيم النخعي: انهم يطوقون طوقاً من نار. و قال أبو علي: هو كقوله: «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» «٢» و قال البلخي معناه سيجاوزن كأنهم طوقوا. و قوله. «وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»

معناه أنه يبطل ملك كل شيء إلا ملك الله، فيصير كالميراث لصحة الملك الثاني بعد زوال الأول و إن لم يكن في صفات الله على جهة الانتقال، لأنه لم يزل مالكاً (عز و جل) و البخل هو منع الواجب لأنه تعالى ذم به و توعد عليه و أصله في اللغة مشقة العطاء، و

إنما يمنع الواجب لمشقة الإعطاء.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨١]..... ص: ٦٤

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١)

(١) سورة يوسف: آية ٨٢.

(٢) سورة التوبة: آية ٣٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٥.

- آية بلا خلاف -.

قرأ حمزة وحده «سيكتب» بضم الياء. الباقيون بالنون. ذكر الحسن و قتاده: أن الذين نسبوا الله تعالى إلى الفقر و أنفسهم إلى الغناء و هم قوم من اليهود لما نزل قوله: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) «١» قالوا إنما يستقرض الفقير من الأغنياء، فهو فقير و نحن أغنياء، و القائل لذلك حتى بن أخطب و فنحاص اليهودي.

و قال أبو علي الجبائي: هم قوم من اليهود، و انما قالوا ذلك من جهة ضيق الرزق.

و قيل: انهم قالوا ذلك تمويهاً على ضعفائهم لا أنهم اعتقدوا أن الله فقير على الحقيقة. و قيل: انهم عنوا بذلك إله محمد الذي يدعى أنه رسوله دون من يعتقدون هم أنه على الحقيقة.

فان قيل: كيف الحكاية عنهم بأنهم قالوا ذلك، و إنما قالوه على جهة الإلزام دون الاعتقاد؟ قلنا: لأنه إلزام باطل من حيث لا يوجهه الأصل الذي الزموا عليه، لأنه إنما قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) على وجه التلطف في الاستدعاء إلى الطاعة، و حقيقته أن منزلة ما ينفقون في وجوه البر كمنزلة القرض الذي يرجع إليكم و يضاعف به الأجر لكم مع أنهم أخرجوا ذلك مخرج الاخبار عن الاعتقاد.

و في الآية دلالة على أن الرضا بقبیح الفعل يجرى مجراه في عظم الجرم، لأن اليهود الذين وصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلك في الحقيقة، و إنما ذموا به، لأنهم بمنزلة من تولاه في عظم الإثم. و قوله: (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) قيل في معناه قولان:

أحدهما- انه يكتب في صحائف أعمالهم، لأنه أظهر في الحجة عليهم و أجرى ان يستحيوا من قراءة ما أثبت من فضائهم - على قول الجبائي -.

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٤ و سورة الحديد: آية ١١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٦.

الثاني - قال البلخي سيحفظ ما قالوا حتى يجازوا به أي هو بمنزلة ما قد كتب في أنه لا يضيع منه شيء. و الأولى أظهر. و قوله: (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) يعنى المحرق، و الفائدة فيه ان يعلم أنه عذاب بالنار التي تحرق، و هي الملتهبة، لأن ما لم يلهب لا يسمى حريقاً، و قد يكون العذاب بغير النار. و قوله: «ذُوقُوا» يفيد أنكم لا تتخلصون من ذلك كما يقول القائل: ذق هذا البلاء يعنى انك لست بناج منه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٢]..... ص: ٦٤

إشارة

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)

آية

المعنى:..... ص: ٦٦

قوله: «ذلك» اشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله: «وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ» و معناه بما جنيتموه على أنفسكم، فان الله لا يظلم أحداً من عباده، و لا يبخسهم حقهم. و فيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنها تدل على أنه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد، لكان ظلماً و ذلك بخلاف ما يذهبون إليه من أن الله تعالى يعذب الأطفال من غير جرم. فان قيل: لم نفى كثرة الظلم على وجه لا يدخل فيه القليل، و هلا نفى على وجه العموم كقوله: «لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» (١) و كقوله: «لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً» (٢) و قوله: «وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً» (٣) و «نقيراً»؟ قيل: لأنه خرج مخرج الجواب لمن توهم مذهب المجبرة فدل على أنه لو كان على ما يذهبون إليه، لكان ظلماً للعبيد، و ما هو بظلام لهم. فان قيل: لم

(١) سورة النساء: آية ٣٩.

(٢) سورة يونس: آية ٤٤.

(٣) سورة النساء: آية ٤٨ و سورة الإسراء: آية ٧١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٧

أضيف التقديم إلى أيديهم و إنما هو لهم في الحقيقة؟ قيل: لأنه إذا أضيف على هذه الطريقة كان أبعد من توهم الفساد في معنى الاضافة إذ قد يضاف الفعل إلى الإنسان على معنى أنه أمر به و دعا إليه. كما قال: «يُدَّبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ» (١) و إذا ذكرت اليد دل على تولى الفعل نحو قوله «أَ و لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً» (٢).

الاعراب:..... ص: ٦٧

«وَأَنَّ اللَّهَ» انما فتح ان لأنه معطوف على ما عملت فيه الباء، و تقديره و بأن الله ليس بظلام للعبيد أى ذلك العذاب بما سلف من الاجرام و بامتناع ظلم الله للعباد، فموضع أن جر و موضع الباء في قوله: «بما» رفع، لأنها في موضع خبر ذلك و هي متصلة بالاستقرار كأنه قيل ذلك مستقر بما قدمت أيديكم، كما يقول القائل: عقابك بما كسبت يداك.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٣]..... ص: ٦٧

إشارة

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِينَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣)

- آية- المعنى بقوله: «الَّذِينَ قَالُوا» هم الذين وصفهم الله بقوله: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَرِيقٌ. الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِينَا» .

الاعراب و المعنى:..... ص: ٦٧

و الذين في موضع خفض رداً على قوله: «الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» و معنى قولهم «إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا» أى أوصانا فى كتبه، و على ألسن أنبيائه ألا نصدق

(١) سورة القصص: آية ٤.

(٢) سورة يس: آية ٧١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٨

لرسول فيما يقوله: من أنه جاء به من عند الله من أمر و نهى، و غير ذلك، فالعهد:

العقد الذى يتقدم به للتوثق، و هو كالوصية. و قوله: «حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ» معناه حتى يجيئنا بما يقرب به العبد إلى الله من صدقة و بر. و قربان مصدر على وزن عدوان، و خسران تقول قربت قرباناً. و أما قوله: «تَأْكُلُهُ النَّارُ» فلأن أكل النار ما قربه أحدهم لله فى ذلك الزمان كان دليلاً على قبول الله له، و دلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه حق فيما نوزع فيه - فى قول ابن عباس، و الضحاك -، فقال الله تعالى لنبىه (ص) قل لهم يا معشر من يزعم أن الله عهد إليه ألا يؤمن لرسول حتى يأتيه بقربان تأكله النار، قل: قد جاءكم رسل من الله من قبل. المعنى جاء أسلافكم بالبينات يعنى بالحجج الدالة على صدق نبوتهم، و حقيقة قولهم: و قد ادعيتم أنه يدل على تصديق من أتى به و الإقرار بنبوته من أكل النار قربانه، فلم تقتلتموه إن كنتم صادقين؟ يعنى قتلتموهم و أنتم مقرون بأن الذين جاءوكم به من ذلك حجة لهم عليكم إن كنتم صادقين فيما عهد إليكم مما ادعيتموه و أضاف القتل إليهم و إن كان أسلافهم تولوه لأنهم رضوا بأفعالهم فنسب ذلك إليهم كما بيناه فيما تقدم فى قوله تعالى: «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» «١» فأراد الله أن يعلم المؤمنين ان هؤلاء معاندون متعنتون، و إلا فهم عالمون بصفات النبى (ص) و ما ذكره الله تعالى فى التوراة و انه صادق فيما يدعيه، و إنما لم ينزل الله ما طلبوه لأن المعجزات تابعة للمصالح و ليست على الاقتراحات و التعنت. فان قيل هلا قطع الله عذرهم بالذى سألوا من القربان الذى تأكله النار؟ قيل: له لا يجب ذلك لأن ذلك اقتراح فى الأدلة على الله و الذى يلزم من ذلك أن يزيح علتهم بنصب الأدلة على ما دعاهم إلى معرفته.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٤]..... ص: ٦٨

إشارة

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)

(١) سورة البقرة: آية ٦١

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٩

- آية واحدة -.

القراءة، و الحجة:..... ص: ٦٩

قرأ ابن عامر وحده و بالزبر و كذلك هو فى مصاحف أهل الشام. الباقون بحذف الباء، فمن حذف فلأن واو العطف أغنت عن تكرار العامل و من أثبتها فإنما كرر العامل تأكيداً، و كلاهما جيدان.

اللغة، والمعنى:..... ص: ٦٩

وهذه الآية فيها تسلية للنبي (ص) عما كان يصيبه من الأذى من اليهود و أهل الشرك بتكذيبهم إياه بأن قال فقد كذب أسلافهم من رسل الله من جاءهم بالبينات و الحجج القاطعة، و الأدلة الواضحة. و الزبر جمع زبور و هو البينات و كل كتاب فيه حكمة فهو زبور. منه قول امرئ القيس:

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان «١»

و يقال زبرت الكتاب إذا كتبه، فهو مزبور و زبرت الرجل أزره: إذا زجرته و الزبرة: القطعة العظيمة من الحديد، و منه قوله: «آتوني زُبْرَ الْحَدِيدِ» «٢» و الزبير: الحماة. و الزبرة مجتمع الشعر على كتف الأسد. و زبرت البئر إذا أحكمت طيها بالحجارة، فهو مزبور و ما لفلان زبر أى عقل، و الكتاب المراد به التوراة و الإنجيل، لأن اليهود كذبت عيسى، و ما جاء به من الإنجيل و حرفت ما جاء به موسى من صفة النبي (ص)، و بدلت عهده إليهم فيه. و النصرى أيضاً جحدت ما فى الإنجيل من نعتة و غيرت ما أمرهم فيه به. و قوله: «المنير» معناه الذى ينير، فينير الحق لمن اشتبه عليه، و هو حجة له. و إنما هو من النور، و الاضاءة يقال: قد أثار لك هذا الأمر بمعنى أضاء لك و ينير انارة فهو منير، و هذا قول

(١) ديوانه: ٢١٠ و روايته (الزبور فى العسيب اليماني). الزبور الكتاب المزبور أى المكتوب بالمزبر و هو القلم. العسيب اليماني: سعف النخل.

(٢) سورة الكهف: آية ٩٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٠

الحسن و ابن جريج و الضحاك، و أكثر المفسرين. فان قيل: لم جمع بين الزبر و الكتاب و معناهما واحد؟ قلنا: لأن أصلهما مختلف، فهو زبور لما فيه من الزجر عن خلاف الحق، و هو كتاب، لأنه ضم الحروف بعضها إلى بعض، و سمي زبور داود لكثرة ما فيه من المواعظ و الزواجر. فان قيل: كيف قال «فإن كذبوك، فقد كذب رسل من قبلك» و هم و ان لم يكذبوه أيضاً، فقد كذب رسل من قبله؟

قلنا: لأن المعنى فقد جروا على عادة من قبلهم فى تكذيب أنبيائهم إلا أنه ورد على وجه الإيجاز كما تقول: إن أحسنت إلى فقد طالما أحسنت.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٥]..... ص: ٧٠

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)

- آية بلا خلاف -.

لا يجوز أن يجعل (ما) فى (إنما) بمعنى الذى و ترفع أجوركم، لأن يوم القيامة يصير من صلة توفون و توفون من صلة الذين فلا يأتى ما فى الصلة بعد أجوركم. و أجوركم خبر، و معنى الآية إن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله الذين وصفهم، و مصير غيرهم من جميع الخلق إليه تعالى من حيث حتم الموت على جميعهم، فقال لنبىه (ص) لا يحزنك قولهم و تكذيبهم و افتراء من افتري منهم على الله و عليك، و تكذيب من تقدمك من الرسل. فان مرجعهم إلى و أوفى كل نفس منهم جزاء عمله، فقال: توفون أجوركم يعنى أجور أعمالكم إن خيراً فخييراً و ثواباً. و إن شراً فشرراً و عقاباً، و هو نصب على أنه مفعول به.

وقوله: «فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ» معناه نحى عن النار، و أبعد منها «وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ» أى نجا و ظفر بعظيم الكرامة. و كل من لقي ما يغتبط به فقد فاز، و معنى «فاز» تباعد من المكروه، و لقي ما يجب. و المفاضة: مهلكة. و إنما سموها مفاضة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧١

أى منجاة كما سموها اللديغ سيما، و الأعمى بصيراً. و ظاهر الآية يدل على أن كل نفس تذوق الموت، و إن كانت مقتولة- على قول الرماني- و نحن و إن قلنا: إن الموت غير القتل، فلا بد أن نقول: إن المقتول يختار الله أن يفعل فيه الموت إذا كان فى فعله مصلحة. و قوله: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» معناه و ما لذات الدنيا، و شهواتها، و ما فيها من زينتها إلا متعة متعمكوها الغرور، و الخداع: المضمحل الذى لا حقيقة له عند الاختبار و الامتحان، لأنكم تلتذون بما يمتعكم الغرور من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفجائع و المصائب، فلا- تركنوا إليه، و لا- تسكنوا، وإنما هى غرور و إنما أنتم منها فى غرور. و قال عكرمة: متاع الغرور، القوارير، و هى فى الأصل كل متاع لا بقاء له، و إنما وصفت الحياة الدنيا بأنها متاع الغرور مع كشفها عن حالها، لأنها بمنزلة من يغر بالمحجوب و يبذل ما فيه الفرح و السرور، ليقع فى بلية تؤدى إلى هلكة، مبالغة فى التحذير منها- على ما بيناه- و فى الآية دلالة على أن أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره و لذلك

قال (ص): (موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا، و ما فيها)

و استدل بهذه الآية على أن القتل هو الموت على الحقيقة. و منه من قال فى المقتول: موت، و قتل و للمخالف أن يقول: يمكن أن تكون الآية مخصوصة بمن يموت، و لا يقتل كما قال: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (١) و هى مختصة بالعقلاء البالغين، و يمكن أن يكون المراد كل نفس تعدم الحياة، فيكون ذلك على وجه الاستعارة. ذكره البلخي. و قوله: «ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» مجاز، لأن الموت لا يذاق فى الحقيقة، لأن ذلك مشهور فى كلامهم يقولون: ذاق الموت، و شرب بكأس المنون، لأنه بمنزلة ما يذاق بذوق شدائده. و الفرق بين الذوق و إدراك الطعم أن الذوق تقريب جسم المدوق إلى حاسة الذوق، و الإدراك للطعم هو وجدانه (٢) و إن لم يكن هناك احساس، و لذلك يوصف تعالى بأنه مدرك للطعم و لا يوصف

(١) سورة المدثر: آية ٣٨. [.....]

(٢) فى المخطوطة: (هو وجدك به...)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٢

بأنه ذائق له. و يقولون: ذقته فلم أجد له طعماً أى لا بس فى فلم أحس له طعماً.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٦]..... ص: ٧٢

لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَ لَتَشِيعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أذى كثيراً و إن تصبروا و تتقوا فإن ذلك من عزم الأمور (١٨٦)

- آية- قوله: «لَتَبْلُؤَنَّ» معناه لتختبرن أى توقع عليكم المحن، و تلحقكم الشدائد فى أنفسكم، و أموالكم من قبل الكفار نحو ما نالهم من الشدائد فى أنفسهم يوم أحد، و نحو ما كان الله يفعل بهم من الفقر و شدة العسر، و إنما فعله ليصبروا و سماه بلوى مجازاً، لأن حقيقته لا- تجوز عليه تعالى، لأنها التجربة فى اللغة. و يتعالى الله عن ذلك، لأنه عالم بالأشياء قبل كونها. و إنما فعله ليميز المحق منكم من غيره- هذا قول أبى على الجبائى- و قال البلخي: معناه لتبلون بالعبادات فى أنفسكم كالصلاة و الصيام و غيرهما. و فى أموالكم من الإنفاق فى سبيل الله و الزكوات، ليميز المطيع من العاصى. و اللازم لام القسم. و النون دخلت مؤكدة، و ضمت الواو لسكونها، و سكون النون. و لم تنصب لأنها واو الجمع فرقا بينها و بين واو الاعراب. و يقال للواحد، لتبلين يا رجل و للثنتين لتبليان. و

يفتح الياء في لتلين في الواحد عند سيبويه لسكونها و سكون النون. و في قول غيره تبنى على الفتح لضم النون إليها، كما بينى ما قبل هاء التأنيث. و للمرأة لتلين و للمرأتين لتبليان و للنساء لتبتليان.

زيدت الالف لاجتماع النونات و قوله: «وَلَشِيْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا» يعنى ما سمعوه من اليهود و من كفار مكة و غيرهم من تكذيب النبى (ص) و من الكلام الذى يغمهم و يكثرهم ثم بين تعالى بقوله:

«وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا» إنكم ان صبرتم على ذلك و تمسكتم بالطاعة و لم تجزعوا عنده جزعاً يبلغ الإثم، «فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» و معناه من جزم الأمور، أى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٣

ما بان رشده و صوابه. و وجب على العاقل العزم عليه. و أذى مقصور. و يكتب بالياء يقال أذى يأذى أذى: إذا سمع ما يسوءه و قد آذانى فلان يؤذينى إيذاءً و تأذيت به تأذياً. و قال عكرمة و غيره: إن هذه الآيات كلها نزلت فى فحاص اليهودى سيد بنى قينقاع حين كتب النبى (ص) إليه يستمده، فقال فحاص: قد احتاج ربكم أن نمده. و هو القائل: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ» (١) و نزلت فيه أيضاً «لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ» (٢) و قال الزهرى: الآية نزلت فى كعب بن الأشرف، و كان يهجو النبى (ص)، و المؤمنين و يحرض المشركين عليهم حتى قتله محمد بن مسلمة غيلةً. و البلوى التى ابتلوا بها، قال الحسن: هى فرائض الدين من الجهاد فى سبيل الله، و النفقة فى طاعة الله، و التمسك بما يجب لله فى كلما أمر به و دعا إليه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٧]..... ص: ٧٣

إشارة

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) - آية بلا خلاف-

القراءة و الحجة:..... ص: ٧٣

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم «ليبينه للناس و لا يكتُمونه» بالياء فيهما. الباقون بالتاء فيهما، فمن قرأ بالياء، فلائهم غيب. و من قرأ بالتاء حكى المخاطبة التى كانت فى وقت أخذ الميثاق «و لتبينه» لجماعة الرجال و للواحد تفتح النون.

(١) سورة آل عمران: آية ١٨١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٤

المعنى:..... ص: ٧٤

و المعنى به اذكروا «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ» منهم الميثاق ليبين أمر نبوة النبى (ص) و لا يكتُمونه «فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» أى رموا به فى قول ابن عباس، و لم يعملوا به و إن كانوا مقرين به. و يقال لمن يطرح الشىء و لا يعبا به رميته بظهر، قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتى بظهر و لا يعيا على جوابها (١)

أى لا- تتركنها، لا- تعبا بها، فأخبر الله تعالى عما حمل اليهود الذين كانوا رؤساء على كتمان أمر النبى (ص)، فقال: «وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا

قِيلًا» أى قبلوا على ذلك الرشا، وقامت لهم بذلك رئاسة اكتسبها فذلك حملهم على الكفر بما يخفونه، ثم ذم تعالى أفعالهم بقوله: «فَيْسَسَ مَا يَشْتَرُونَ» لأن ما يكون عاقبته الهلاك والعقاب الدائم، وان كان نفعاً عاجلاً، فهو بثس الشيء. وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير وعكرمة والسدى وابن جريج ان المعنى بهذه الآية فخاص اليهودى، وأصحابه الذين كتموا أمر النبي (ص) وما بينه الله فى التوراة. وقال قتادة وكعب وعبد الله بن مسعود هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم كافة، فمن علم شيئاً فليعلمه وإياكم وكتمان العلم، فان كتمان هلاك. وقال الجبائى: المعنى بالآية اليهود والنصارى. وقال الحسن «لتبينه ولا تكتمونه» معناه لتكلمن بالحق و لتصدقن بالعمل. والميثاق الذى ذكره الله فى الآية هو الأيمان التى أخذها عليهم أنبياءهم ليبينن ما فى كتبهم من الاخبار والآيات الدالة على نبوة النبي (ص) ولا يكتمونه.

والهاء فى «لتبينه» عائدة على محمد (ص) فى قول سعيد بن جبير والسدى، فيعود

(١) ديوانه ١: ٩٥ وروايته:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتى لديك ولا يعيا على جوابها

وفى اللسان وفى الاغانى الصدر كما فى الديوان والعجز هكذا: (بظهر فلا يخفى على جوابها) ومعناه أى لا تجبنى بجواب لا أدرى ما هو.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٥

على معلوم غير مذكور. وقال الحسن و قتادة: هى عائدة على الكتاب فيدخل فيه بيان أمر النبي (ص) لأنه فى الكتاب

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٨]..... ص: ٧٥

إشارة

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)
- آية بلا خلاف -.

القراءة والحجة والاعراب:..... ص: ٧٥

قرأ أهل الكوفة ويعقوب «لَا تَحْسَبَنَّ» بالتاء وفتح الباء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء، وضم الباء. الباقون بالياء وفتح الباء. «و تَحْسَبَنَّهُمْ» الأخير بالتاء بلا خلاف. قال أبو على من قرأ بالياء، لم يوقع يحسبن على شىء، (و الذين) رفع بأنه فاعل (لا تحسبن) قال: ووجه قراءة ابن كثير وأبى عمرو فى أن لم يعديا (حسبت) إلى مفعوليته ان (يحسب) فى قوله: «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ» لما جعل بدلا من الأول و عدى إلى مفعوليته استغنى بها فى تعدية الأول إليهما كما استغنى فى قول الشاعر:

بأى كتاب أم بأية سنة ترى حبهام عاراً على و تحسب

فاكتفى بتعدية أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر إليهما. فان قال قائل: كيف يستقيم تقدير البدل، و قد دخل الفاء بينهما، و لا يدخل بين البدل و المبدل منه الفاء؟ و الجواب أن الفاء زائدة، يدلك على ذلك أنها لا يجوز أن تكون التى تدخل على الخبر، لأن ما قبل الفاء ليس بمبتدأ، فتكون الفاء خبره، و لا تكون العاطفة، لأن المعنى «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا» و يحبون أنفسهم

«بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ» فإذا كان ذلك لم يجز تقدير العطف، لأن الكلام التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٦

لم يستقل بعد فيستقيم فيه تقدير العطف. و أما قوله: (فلا تحسبنهم) فان فعل الفاعل الذي هو يحسبون تعدى إلى ضميره، و حذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة. و قوله: (بِمَفَاذٍ مِنَ الْعَذَابِ) فى موضع المفعول الثانى، و فيه ذكر المفعول الأول. و فعل الفاعل فى هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتنى أخاه، لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على الابتداء و الخبر أشبهت (إن) و أخواتها فى دخولهن على الابتداء و الخبر كدخول هذه الافعال عليهما، و ذلك نحو قولك:

ظننتنى ذاهباً، كما تقول: إنى ذاهب، و لو قلت أظن نفسى تفعل، لم يجز كما يجوز أظننتنى فاعلا. و قال أبو سعيد الخدرى، و أبو وهب، و الزجاج: المعنى بهذه الآية قوم من أهل الكتاب دخلوا على النبى (ص) و خرجوا من عنده، فذكروا لمن كان رآهم فى ذلك الوقت أن النبى (ص) قد أتاهم بأشياء قد عرفوها، فحمدهم من شاهدهم من المسلمين على ذلك، و أظهروا خلاف ما أبطنوا، و أقاموا فيما بعد على الكفر، فأعلم الله تعالى نبيه أنهم ليسوا بمفازة أى ليسوا ببعده من العذاب.

و قيل معناه ليسوا بمنجاة من العذاب، و وقعت، «فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ» مكررة لطول القصه كما يقولون: لا تظنن زيدا إذا جاءك كلمك بكذا و كذا، فلا تظننه صادقا، فيعيد فلا تظننه تو كيدا، و اعلاما أن ذلك يتعلق بالأول، و لو لم يكرر كان جائزا، لكن مع التأكيد أوضح. و قوله: «وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» قال البلخى:

إنهم قالوا: «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ» «١» و أهل الصوم و الصلاة و ليسوا بأولياء الله، و لا أحباؤه، و لا أهل الصلاة و الصيام، و لكنهم أهل شرك و نفاق. و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال قوم: «يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا» على أنهم أبطلوا أمر محمد (ص)، و كذبوا ما أبطلوه، و لا لهم قدرة على ذلك.

النزول، و المعنى:..... ص: ٧٦

و روى عن ابن عباس، و سعيد أن الآية نزلت فى اليهود حيث كانوا يفرحون

(١) سورة المائدة: آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٧

باجلال الناس لهم و نسبهم إياهم إلى العلم. و قال الضحاك، و السدى: نزلت فى اليهود حيث فرحوا بما أثبتوا من تكذيب النبى (ص). و قال سعيد بن جبیر: فرحوا بما أتى الله آل ابراهيم. و قال ابن عباس: إن النبى (ص) سألهم عن شىء، فتكتموه ففرحوا بكتمانهم، و أقوى هذه الأقوال أن يكون قوله: «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ» يعنى بها من أخبر الله عنهم أنه أخذ ميثاقهم ليبين للناس أمر محمد (ص)، و لا- يكتمونهم، لأن قوله: «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ» فى سياق الخبر عنهم و شبيهه بقصتهم مع أن أكثر أهل التأويل عليه. و قال الجبائى: الآية فى المنافقين، لأنهم كانوا يعطون المؤمنين شيئا يستعينون به على الجهاد لا على وجه القربة إلى الله بل على وجه الرياء و يفرحون بذلك، و يريدون مع ذلك أن يحمدا على ذلك و يعتقد أنهم فعلوه لوجه القربة، فقال: «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» بمنزلة المؤمنين الذين يفعلون الافعال لله على وجه القربة إليه. و قال: «فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ» مع ذلك بمنجاة «مِنَ الْعَذَابِ» بل «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يعنى مؤلم فحسبان الثانى متعلق بغير ما تعلق به الأول، فلذلك كرر. فان قيل: أين خبر «لَا تَحْسَبَنَّ» الاولى؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- «بِمَفَاذٍ مِنَ الْعَذَابِ»، لأنها مكررة لطول الكلام. و قيل: الفاء زائدة على هذا، و هو قول الزجاج.

و الثانى- ان الخبر محذوف، كأنه قال ناجين، و دل الخبر الأخير عليه. فان قيل: كيف يجوز أن يذم بالفرح و ليس من فعل الإنسان؟ قلنا ذم بالتعرض له على جهة الأشر و البطر كما قال: «لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» .

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨٩]..... ص: ٧٧

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩)

- آية بلا خلاف-. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٨

معنى الآية الاخبار من الله تعالى بأنه مالك ما فى السماوات، و ما فى الأرض بمعنى أنه يملك تدبيرهما، و تصريفهما على ما شاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فى ذلك و انه المقتدر على جميع ذلك «وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، و فى الآية تكذيب لمن قال: «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ» (١) لأن من ملك ما فى السماوات و الأرض لا يكون فقيراً. و فى قوله: (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تنبيه على أنه قادر على إهلاك من يقول هذا القول جهلاً منه و عناداً، لكنه يحلم عنه و يؤخر عذابه لضرب من المصلحة و قوله: «عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» خرج مخرج المبالغه، و هو أخص من قوله: «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لأن أفعال العباد لا توصف بالقدرة عليها، و فرق الرمانى بين أن يقال هو قادر على أفعال العباد، و بين قادر على فعلهم، فقال قادر عليها يحتمل ما لا يحتمل قادر على فعلهم لأنه يفيد أنه قادر على تصريفه كما يقولون فلان قادر على هذا الحجر أى قادر على رفعه، و وضعه، و فلان قادر على نفسه أى قادر على ضبطها، و منعها مما تنازع إليه، فعلى هذا جائز أن يقال انه قادر على أفعال العباد بمعنى أنه قادر على المنع منها، و التمكين منها دون ما يستحيل من القدرة على إيجادها

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٠]..... ص: ٧٨

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)

- آية- فى هذه الآية دلالة على وجوب النظر و الفكر، و الاعتبار بما يشاهد من الخلق و الاستدلال على الله تعالى، و مدح لمن كانت صفته هذه، و رد على من أنكر وجوب ذلك، و زعم أن الايمان لا يكون إلا تقليداً و بالخبر، لأنه تعالى أخبر عما فى خلق السماوات و الأرض، و اختلاف الليل و النهار من الدلالات عليه

(١) سورة آل عمران: آية ١٨١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٧٩

و على وحدانيته، لأن من فكر فى السماوات و عظمها و عجائب ما فيها من النجوم و الأفلاك، و مسير ذلك على التقدير الذى تسير عليه، و فكر فى الأرض و ما فيها من ضرور المنافع، و فى اختلاف الليل و النهار و مجيئهما بالأوقات و الازمنة التى فيها المصالح، و اتساق ذلك و انتظام بعضها إلى بعض، و حاجة بعضها إلى بعض حتى لو عدم شىء منه لم يقم ما سواه [مقامه (١)] علم أن ذلك لا يكون إلا- من مدبر قادر عليم حكيم واحد، لأنه لو كان قادراً، و لم يكن عالماً بالعواقب لما أغتت القدرة شيئاً، و لو كان عالماً غير حكيم فى فعله لما أغنى العلم شيئاً، و لو كانا اثنين ما انتظم تدبير، و لا تم خلق، و لعلا بعضهم على بعض، كما قال تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» (٢) فكيف ينسب إلى الفقر من كان جميع ما فى السماوات و الأرض بيده، أم كيف يكون غنياً من كان رزقه بيد غيره إذا شاء رزقه و إذا شاء حرمه، و يدل على أن خالق الجسم لا يشبهه، لأنه لو أشبهه، لكان محدثاً مثله، و يدل على أنه قديم، لأنه لو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث و لأدى ذلك إلى ما لا يتناهى و يدل أيضاً على أنه قادر على جميع الأجناس، لأنه من قدر على الجسم يقدر على سائر الأجناس، و وجه الدلالة من خلق السماوات و الأرض على الله هو ان الإنسان إذا فكر و رأى عظمها، و ثقل الأرض، و وقوفها على غير عمد يقلها، و حركة السماوات حولها لا على شىء يدعها، علم أن الممسك لذلك هو الذى لا يشبه الأجسام و لا المحدثات، لأنه لو اجتمع جميع الخلق على أن يمسكوا جسماً خفيف المقدار، و يقوله فى الجو من غير أن يدعموه لما قدروا عليه، فعلم حينئذ ان الذى يقدر عليه مخالف لجميع الأشياء و علم أيضاً أنها لو كانت السماوات و الأرض معتمدة على

وقال قوم: «يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ» أى يصلون على قدر إمكانهم فى صحتهم و سقمهم، و هو المروى فى أخبارنا ، و لا- تنافى بين التأويلين، لأنه لا يمتنع أن يصفهم بأنهم يفكرون فى خلق السماوات و الأرض فى هذه الأحوال و مع ذلك يصلون على هذه الأحوال فى أوقات الصلوات، و هو قول ابن جريج و قتادة. و قوله: «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا» انما قال هذا و لم يقل هذه و لا هؤلاء، لأنه أراد به الخلق كأنه قال ما خلقت هذا الخلق باطلا «٣» أى يقولون «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا» بل خلقته دليلا على وحدانيتك و على صدق ما أتت به أنبياءك، لأنهم يأتون بما يعجز عنه جميع الخلق. و قوله: (سبحانك) معناه براءة لك من سوء و تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلا قال الشاعر:

أقول- لما جاءنى فحره- سبحان من علقمة الفاخر «٤»

(١) ما بين القوسين ساقط من المخطوطة (أ).

(٢) سورة يونس: آية ١٢.

(٣) فى المخطوطة نقص سطر فى هذا الموضع. [.....]

(٤) قائله اعشى بنى تغلب. ديوان الأعشى الكبير: ١٤٣، القصيدة ١٨، و اللسان (صبح).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٢

و قال آخر:

سبحانه ثم سبحانا يعود له و قبلنا سبح الجودى و الحمد «١»

و قوله: «فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» أى فقد صدقنا رسلك بأن لك جنه و ناراً فقنا عذاب النار. و وجه اتصال قوله «فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» بما قبله قيل فيه قولان:

أحدهما- كأنه قال: «ما خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا» بل تعريضاً للثواب بدلا من العقاب «فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» بلطفك الذى نتمسك معه بطاعتك. الثانى- اتصال الدعاء الذى هو طاعة لله بالاعتراف الذى هو طاعة له.

و فى الآية دلالة على أن الكفر و الضلال و جميع القبائح ليست خلقاً لله، لأن هذه الأشياء كلها باطلة بلا خلاف. و قد نفى الله تعالى بحكايته عن أولى الألباب الذين رضى أقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه، فيجب بذلك القطع على أن القبائح كلها من فعل غيره، و أنه لا يجوز اضافتها إليه تعالى.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٢]..... ص: ٨٢

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢)

- آية- و هذه أيضاً حكاية عن أولى الألباب الذين وصفهم بأنهم أيضاً يقولون (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ) أى من ناله عذاب النار و ما فيها من الذل و المهانة فهو المخزى. و قال ابن جريج، و قتادة، و أنس بن مالك، و سعيد بن المسيب: الاخزاء يكون بالتأييد فيها. و قال جابر بن عبد الله:

إن الخزى يكون بالدخول فيها. و روى عنه عمرو بن دينار و عطا أنه قال: و ما أخزاه من أحرقه بالنار إن دون ذا لخزياً، و هذا هو الأقوى، لأن الخزى إنما هو هتك المخزى، و فضيحته، و من عاقبه الله على ذنوبه، فقد فضحه و ذلك هو

(١) اللسان: (سح) نسبة لأمية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٣

الخزى، ولا ينافى ذلك ما نذهب إليه من جواز العفو عن المذنبين، لأنه تعالى إذا عفا عن العاصي لا يكون أخزاه و إن أدخله النار ثم أخرجه منها بعد استيفاء العقاب، فعلى قول من قال: الخزى يكون بالدوام لا يكون أخزاه، و من قال يكون بنفس الدخول، له أن يقول: إن ذلك و إن كان خزيًا، فليس مثل خزى الكفار، و ما يفعل بهم من دوام العقاب، و على هذا يحمل قوله تعالى: (يوم لا يخزى الله النبي و الذين آمنوا معه) «١» و قوله: (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) معناه ليس للظالمين من يدفع عنهم على وجه المغالبة و القهر، لأن الناصر هو الذى يدفع عن المنصور على وجه المغالبة و لا ينافى ذلك الشفاعة فى أهل الكبائر لأن الشفاعة هى مسألة و خضوع و ضرع إلى الله تعالى، و ليست من النصرة فى شىء و

قوله (ص) (يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمماً و فحماً)

صريح بوقوع العفو عن مرتكبي الكبائر و تأول الرماني الخبر تأويلين:

أحدهما- أنه لو لا الشفاعة، لواقعوا كبيرة يستوجبون بها الدخول فيها، فيخرجون بالشفاعة على هذا الوجه، كما يقال أخرجتني من السلعة إذا كان لو لا مشورته، لدخول فيها بابتاعه إياها.

الثانى- لو لا الشفاعة، لدخولها بما معه من الصغيرة ثم أخرجوا عنها إلى الجنة. و الأول فاسد، لأنه مجاز. و الثانى- ليس بمذهب لأحد من القائلين بالوعيد لأن الصغيرة تقع مكفرة لا عقاب عليها فكيف يدخل بها النار.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٣]..... ص: ٨٣

إشارة

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣)
- آية بلا خلاف-

(١) سورة التحريم: آية ٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٤

فى هذه الآية أيضاً حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم أولوا الأبواب و غير ذلك من الأوصاف التى مضت بأنهم يقولون: (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ) و اختلفوا فيمن المنادى هاهنا، فقال محمد بن كعب القرظى و قتادة: هو القرآن.

و قال ابن جريج و ابن زيد: هو رسول الله (ص)، و هو الذى اختاره الجبائى، و اختار الطبرى الأول قال: لأنه ليس كل أحد سمع قول النبى (ص) و لا رآه و لا عاينه و سمع دعاءه إلى الله تعالى. و القرآن سمعه من رآه و من لم يره كما قال تعالى مخبراً عن الجن انهم قالوا: (سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) و هذا الذى ذكره ليس بطعن، لأنه إذا بلغه دعوة النبى (ص) جاز أن يقول (سَمِعْنَا مُنَادِيًا) و إن كان فيه ضرب من التجوز، و قال قتادة سمعوا دعوة من الله فأجابوها و أحسنوا فيها و صبروا عليها. و قوله: (سَمِعْنَا مُنَادِيًا) يعنى نداء مناد لأن المنادى لا يسمع و قوله: (للايمان) معناه إلى الايمان، كما قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) «١» و معناه إلى هذا قال الراجز: أوحى لها القرار فاستقرت و شدها بالراسيات الثبت «٢»

يعنى أوحى إليها. و منه قوله: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) «٣» أى إليها، فمعنى الآية (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا) داعياً يدعو إلى الايمان و التصديق بك، و الإقرار بوحدانيتك، و اتباع رسولك و اتباع أمره و نهيه، فصدقنا بذلك يا (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) و معناه استرها علينا، و لا تفضحنا بها فى القيامة على رؤوس الاشهاد بعقوبتك، لكن كفرها عنا (وَكَفَّرْنَا عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) معناه امحها بفضلك و رحمتك إيانا (وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) معناه و اقبضنا إليك إذا قبضتنا فى جملة الأبرار، و احشرنا معهم.

(١) سورة الاعراف: آية ٤٢.

(٢) انظر ٢: ٤٥٩ تعليقه ١.

(٣) سورة الزلزال: آية ٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٥

اللغة، والمعنى:..... ص: ٨٥

و الأبرار جمع بر، و هم الذين بروا الله بطاعتهم إياه حتى أرضوه، فرضى عنهم. و قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذر و أصل البر الاتساع، فالبر الواسع من الأرض خلاف البحر و البر صلة الرحم و البر: العمل الصالح. و البر: الحنطة و الأبرار على الخصم الزيادة عليه. و ابتر من أصحابه إذا انفرد منهم.

فان قيل: إذا كان النداء إنما هو تنبيه المنادى ليقبل بوجهه على المكلم له، فما معنى ربنا؟ قلنا: الأصل في النداء تنبيه المنادى ثم استعمل في استفتاح بالدعاء اقتضاءً للاجابة و اعترافاً بالفضل، و لا يجوز فتح (أن) بعد ربنا بإيقاع النداء عليه، لأن بعده لا يكون إلا جملة و لا- يقع فيه مفرد، لأنه لا- يجوز ربنا إدخالك النار من أخزيتته، لأنه ابتداء لا خبر له. فان قيل: ما معنى قوله: «و كَفَّرْنَا عَنْكَ» و قد أغنى عنه قوله: «فَأَغْفِرْ لَنَا» قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة، و كفر عنا إن تبنا.

و الثاني- اغفر لنا بالتوبة ذنوبنا، و كفر عنا باجتنا الكبائر السيئات، لأن الغفران قد يكون ابتداء و من سبب و التكفير لا يكون إلا عند فعل من العبد و قوله: «ان آمنوا» تحتل ان أمرين:

أحدهما- أن تكون بمعنى أى على ما ذكره الرماني.

و الثاني- أن تكون الناصبة للفعل، لأنه لا يقع في مثله دخول الباء نحو بأن آمنوا.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٤]..... ص: ٨٥

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)
- آية بلا خلاف -.

فهذه أيضاً حكاية عن تقدم وصفهم بأنهم يقولون أعطنا ما وعدتنا على التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٦
لسان رسلك من الثواب و لا تحزنا. و المخزى في اللغة المذل المحقور بأمر قد لزمه بحجة تقول أخزيتته أى ألزمته حجة أذلته معها، و الخزى و الانقماح و الارتداع متقاربة المعنى، و الخزاية شدة الاستحياء. و قوله (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) استئناف كلام و لذلك كسرت (إن) و المعنى انك وعدت الجنة لمن آمن بك، و إنك لا- تخلف الميعاد. فان قيل: ما وجه مسألتهم لله أن يؤتيهم ما وعدهم، و المعلوم أن الله ينجز وعده، و لا يجوز عليه الخلف في الميعاد؟ قيل عن ذلك أجوبة:

أحدها- ما اختاره الجبائي، و الرماني ان ذلك على وجه الانقطاع إليه و التضرع له و التعبد له كما قال: (رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ) «١» و قوله: (لَا تُخْلِفْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) «٢» و أمثال ذلك كثيرة.

و الثاني- قال قوم إن ذلك خرج مخرج المسألة و معناه الخبر، و تقدير الكلام ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فأمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار، لتوفينا ما وعدتنا به على رسلك و لا تحزنا يوم القيامة لأنهم علموا ان ما وعد الله به فلا بد من أن ينجزه و الثالث- قال قوم: معناه المسألة و الدعاء بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن

رساله، لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم، لأنه لو كان كذا، لكانوا زكوا أنفسهم وشهدوا لها أنهم ممن قد استوجب كرامة الله، و ثوابه، و لا يليق ذلك بصفة أهل الفضل من المؤمنين.

و الرابع- قال قوم إنما سألوا ذلك على وجه الرغبة منهم إليه تعالى أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر و إعلاء كلمة الحق على الباطل فيجعل ذلك لهم لأنه لا يجوز أن يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين و لا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا إليه في تعجيل ذلك، و لكنهم

(١) سورة الأنبياء: آية ١١٢.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٧

كانوا وعدوا النصر و لم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا إليه تعالى في تعجيل ذلك لهم لما لهم فيه من السرور بالظفر و هو اختيار الطبرى. و قال الآية مختصة بمن هاجر من أصحاب النبي (ص) من وطنه و أهله مفارقاً لأهل الشرك بالله إلى رسول الله (ص) و غيرهم من تباع رسول الله (ص) الذين رغبوا إليه تعالى في تعجيل نصرهم على أعدائهم و علموا انه لا يخلف الميعاد ذلك غير أنهم سألوه تعجيله و قالوا لا صبر لنا على أناتك و حلمك و قوى ذلك بما بعد هذه الآية من قوله: «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا...» الآيات بعدها و ذلك لا يليق إلا بما ذكره، و لا يليق بالأقوال الباقية و إلى هذا أو ما البلخي، لأنه قال في الآية الأخرى: انها و التي بعدها في الذين هاجروا إلى النبي (ص).

و في الآية دلالة على أنه يجوز أن يدعو العبد بما يعلم أنه يفعله مثل أن يقول رب احكم بالحق. و قوله: «فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» خلاف ما يقوله المجبرة، و لا يلزم على ذلك جواز التعبد بأن يدعو بما يعلم أنه لا يكون مثل أن يقول لا يظلم، لأن في ذلك تحكما على فاعله و تجبراً عليه في تدبيره، و لو سوى بينهما كان جائزاً كما قلنا في قوله: (لا تُحْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) «١» على أحد الوجهين و قوله: «إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْمِيعَادَ» فيه اعتراف بأنه لا يخلف الميعاد بعد الدعاء بالايجاز لثلاثتهم عليهم تجويز الخلف على الله تعالى.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٥]..... ص: ٨٧

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٨

- آية بلا خلاف-

قرأ حمزة و الكسائي و خلف «و قتلوا و قاتلوا» بتقديم المفعولين على الفاعلين الباقون «قاتلوا و قتلوا» بتقديم الفاعلين على المفعولين، و شدد التاء من (قتلوا) ابن كثير و ابن عامر. و قرأ عمر بن عبد العزيز «و قتلوا» بلا الف «و قتلوا» و قال الطبرى القراءة بتقديم المفعولين لا تجوز، و هذا خطأ ظاهر، لأن من اختار اسم الفاعلين على المفعولين، وجه قراءته أن القتال قبل القتل. و من قدم المفعولين على

الفاعلين وجه قراءته يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون المعطوف بالواو ويجوز أن يكون أو لا في المعنى. وان كان مؤخراً في اللفظ، لأن الواو، لا يوجب الترتيب و هي تخالف الفاء في هذا المعنى، وهكذا خلافهم في سورة التوبة.

والثاني- أن يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم ينهوا ولم يضعفوا لمكان من قتل منهم كما قال تعالى (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) «١» وقوله: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي) أى بأنى وحذف الباء، ولو قرئ بكسر الهمزة كان جائزاً على تقدير: قال لهم «أَنِّي لَا أُضَيِّعُ عَمَلَكُمْ» ومعنى قوله: «فَاسْتَجَابَ» أجابهم ربهم يعنى الداعين بما تقدم وصف الله إياهم وأجاب واستجاب بمعنى قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب «٢»

أى لم يجبه. «بأنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى» من زائده كما يقال كان من الحديث ومن الأمر ومن القصه. ومن هاهنا أحسن، لأن حرف

(١) سورة آل عمران: آية ١٤٦.

(٢) قاله كعب بن سعد الغنوى الاصمعيات: ٩٨ والقصيدة مشهورة، يرثى بها أخاه أبا المغوار مر منها أبيات متفرقة. وقد مر هذا البيت فى ١: ٨٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٨٩

النفى قد دخل فى قوله: «لا أضيع» وقال قوم: من هاهنا ليست زائده، لأنها دخلت لمعنى ولا يصلح الكلام إلا بها، لأنها للترجمة والتفسير عن قوله: «منكم» بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث، قالوا ولا تكون من زائده إلا فى موضع جحد. وقوله: (لَا أُضَيِّعُ عَمَلَكُمْ) لم يدركه الجحد لأنك لا تقول لا أضرب غلام رجل فى الدار، ولا فى البيت، فيدخل ولا، لأنه لم ينله الجحد ولكن (من) مفسرة. وقوله: «لَا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» معناه لأذهبها واسقط عقابها، وهذه الآية، والتى قبلها- فى قول البلخى- نزلت فى المتبعين للنبي (ص) والمهاجرين معه ثم هى فى جميع من سلك سبيلهم واتبع آثارهم من المسلمين. وقوله:

«لَا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أى لأغطينها وأمحونها وأحطنها عنهم بما ينالهم من ألم الهجرة والجهاد واحتمال تلك الشدائد فى جنب الله. وحمل السيئات على الصغائر.

وقوله: «ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» نصب على المصدر ذكر على وجه التأكيد، لأن معنى «وَلَمَّا دَخَلْتَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» «١» لأثيبنهم، ومثله «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» لأن قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ» «٢» معناه كتب الله عليكم «وكتاب الله عليكم» مؤكداً ومثل ذلك «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي» «٣» لأن قوله: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» «٤» قد علم منه أن ذلك صنع الله. وقوله: «مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى»

روى انه قيل لرسول الله (ص):

ما بال الرجال يذكرون، ولا تذكر النساء فى الهجرة، فأنزل الله هذه الآية

روى ذلك عن مجاهد، وعمرو بن دينار، ويقال ان القائل لرسول الله (ص) كانت أم سلمة (رض). وقوله: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» قال أبو على: يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يريد بقوله: «بعضكم» العاملين «من بعض» يعنى بعض العمل الذى أمرتم به.

(١) سورة المائدة: آية ١٣.

(٢) سورة النساء: آية ٢٢.

(٣، ٤) سورة النمل: ٨٨. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٠

و الثاني - أن يكون عنى بقوله: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» أن ذكور المؤمنين و أناتهم مستونون فى أن لا يضع الله لأحد منهم عملا، و ان يجازيهم على طاعاتهم، فأنات المؤمنين بعض المؤمنين، و كذلك ذكورهم، فبعضهم كبعض فى هذا الباب.

و قال الطبرى «بعضكم» يعنى الذين يذكروننى «قِيَاماً وَ قُوداً وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ» من بعض فى النصره، و المله، و الدين، و حكم جميعكم فيما أفعل بكم حكم أحدكم فى «أَنْتَى لَا أَضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ» ذكر منكم و لا أنتى. و الاضاعه: الإهلاك. ضاع الشىء يضيع: إذا هلك. و أضاعه اضاعه و ضيعه تضييعاً، و منه الضيعة: القرية.

و قوله: «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» يعنى الذين هاجروا عن قومهم من أهل الكفر فى الله إلى إخوانهم المؤمنين «وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» هم المهاجرون الذين أخرجهم المشركون من مكه «وَ أُودُوا فِي سَبِيلِي» بمعنى أودوا فى طاعتي و عبادتي، و دينى. و ذلك هو سبيل الله «وَ قَاتَلُوا» يعنى فى سبيل الله «وَ قَاتَلُوا» فيها «لَأَكْفُرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» يعنى لأمحونها عنهم، و لأفضلن عليهم بعمورى و رحمتى، و لأغفرنهم لهم. و ذلك يدل على أن إسقاط العقاب تفضل على كل حال.

«وَ لَمَّا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا» يعنى جزاء لهم على أعمالهم «وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» معناه أن عنده من حسن الجزاء على الاعمال مالا يبلغه وصف و اصف مما لا عين رأت و لا خطر على قلب بشر.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٩٦ الى ١٩٧]..... ص: ٩٠

إشارة

لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بئس المهاد (١٩٧) - آيتان بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ٩٠

هذا خطاب للنبي (ص). و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان ذلك على وجه التأييد و التحذير، لأن النبى لا تجوز عليه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩١
المعاصى لمكان التحذير من الله و التخويف، كما قال (لَيْتُنَّ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) «١» الثانى - ان الخطاب و ان توجه إليه، فالمراد به جميع المؤمنين، و تقديره لا- يغرنكم أيها المؤمنون ما ترون ان قوماً من الكفار كانوا يتجرون و يربحون فى الاسفار التى كانوا يسافرونها، و يسلمون فيها لكونهم فى الحرم، فأعلم الله تعالى أن ذلك مما لا ينبغى أن يغبطوا به، لأن مأواهم و مصيرهم بكفرهم إلى النار، و لا خير بخير بعده النار. و قوله: «مَتَاعٌ قَلِيلٌ» معناه ذلك الكسب، و الربح الذى يربحونه متاع قليل و سماه متاعاً، لأنهم متعوا به فى الدنيا، و المتاع النفع الذى تتعجل به اللذة اما بوجود اللذة أو بما يكون به اللذة نحو المال الجليل، و الملك، و غير ذلك من الأولاد و الاخوان. و وصفه بالقله لسرعة زواله و انقطاعه، و ذلك قليل بالاضافه إلى نعيم الآخرة. و المهاد الموضع الذى يسكن فيه الإنسان و يفتقرشه.

و وصفه بأنه بئس المهاد على ضرب من المجاز، لما فيه من أنواع العذاب، لأن الدم انما هو على الاساءة كقولك: بئس الرجل - هذا قول أبى على الجبائى - و قال البلخى: هو حقيقة لأنه على وجهين:

أحدهما- هو حقيقة لأنه على وجهين:

أحدهما- من جهة النقص.

و الآخر- من جهة الاساءة، و هو معنى قول السدى، و قتاده، و أكثر المفسرين. و الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه في المعلوم، و ليس كل إيهام غروراً، لأنه قد يتوهمه مخوفاً فيحذر منه، فلا يقال غره. و الفرق بين الغرر و الخطر ان الغرر قبيح، لأنه ترك الحزم فيما يمكن أن يتوثق منه، و الخطر قد يحسن على بعض الوجوه، لأنه من العظم من قولهم: رجل خطير أى عظيم، و بنى المضارع مع النون الشديدة، لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم للتأكيد.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٨]..... ص: ٩١

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨)

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٢

- آية- قرأ أبو جعفر (لكن) بتشديد النون و فتحها- هاهنا و فى (الزمر)- و قرأ أبو عمرو و الكسائى، و حمزة فى أكثر الروايات (الأشرار، و الأبرار، و القرار) بالامامة. الباقون- بالتفخيم- و الامالة فى فتحه الراء حسنة، لأن الراء المكسورة تغلب المفتوحة كما غلبت المستعلى فى قولهم: قارب و طارد، و قادر فيمن أمالهن، فإذا غلبت المستعلى، فان تغلب الراء المفتوحة أولى، لأنه لا استعلاء فى الراء، و إنما هو حرف من مخرج اللام فيه تكرير. و من لم يمل، فلأن كثيراً من الناس لا يميل شيئاً من ذلك.

لما أخبر الله تعالى عما للكفار من سوء العاقبة و أنواع العذاب بشر المؤمنين بما أعد لهم من الجزاء عند الله و جزيل الثواب، فقال: (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بفعل الطاعات، و ترك المعاصى (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يعنى ثواباً من عند الله، و هو نصب على المصدر على وجه التأكيد، لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها، كأنه قال: نزلوها نزلاً، و هو بمعنى أنزلوها إنزالاً.

و يحتمل أن يكون نصبا على التفسير، كقولك: هو لك هبة. و واحدة الأبرار بار:

مثل صاحب، و أصحاب. و يجوز أن يكون بر و أبرار- على فعل و أفعال- تقول:

بررت والدى، فانا بر. و أصله برر لكن أدغمت الراء للتضعيف. و قوله: «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ» يعنى من الجباء و الكرامة، و حسن المآب خير للأبرار مما يتقلب فيه الذين كفروا، لأن ما يتقلبون فيه زائل فان قليل، و ما عند الله دائم غير زائل.

و قد بينا معنى (لكن) فيما مضى، و انها للاستدراك بها خلاف المعنى المتقدم من اثبات بعد نفى أو نفى بعد اثبات. فقوله: (لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ) يتضمن معنى فما لهم كبير نفع، فجاء على ذلك، (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ) و قوله: (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) معناه تجرى من تحت شجرها. بيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٣

و يقال انها تجرى معلقة من غير أخدود لها. روى ذلك عن عبد الله بن مسعود، ثم قال: ما من نفس بره و لا فاجرة إلا و الموت خير لها «١»، و قوله فى الفاجرة:

إن الموت خير لها يعنى إذا كانت تدوم على فجورها.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩٩]..... ص: ٩٣

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)
- آية بلا خلاف -.

النزول:..... ص: ٩٣

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، فقال جابر بن عبد الله، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و ابن جريج إن النبي (ص) لما بلغه موت النجاشي، دعا له و استغفر له، و صلى عليه، و قال للمؤمنين: صلوا عليه، فقالوا نصلى على رجل ليس بمسلم؟ و قال قوم منافقون: نصلى على علق بنجران؟ فنزلت هذه الآية، فالصفات التي فيها صفات النجاشي. و قال ابن زيد و في رواية عن ابن جريج و ابن إسحاق إنها نزلت في جماعة من اليهودي و كانوا أسلموا، منهم: عبد الله بن سلام، و من معه. و قال مجاهد: إنها نزلت في كل من أسلم من أهل الكتاب من اليهودي و النصراني و هو أولى، لأنه عموم الآية، و لا دليل يقطع به على ما قالوه على أنها لو نزلت في النجاشي أو من ذكر، لم يمنع ذلك من حملها على عمومها، في كل من أسلم من أهل الكتاب، لأن الآية قد تنزل على سبب و تكون عامة في كل من تناوله.

المعنى:..... ص: ٩٣

و إنما خصوا بالوعيد، ليبين ان جزاء أعمالهم موفر عليهم، لا يضرهم كفر

(١) في المطبوعة: (فيها).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٤

من كفر منهم فتأويل الآية «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»: التوراة و الإنجيل «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى يصدق بالله و يقر بوحدانيته، «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ» أيها المؤمنون من كتابه و وحيه على لسان نبيه محمد (ص)، «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ» يعنى إلى أهل الكتاب من الكتب «خَاشِعِينَ» يعنى خاضعين بالطاعة مستكينين لها بها متذللين قال ابن زيد:

الخاشع: المتذلل الخائف. «لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا» معناه لا يحرفون ما أنزل الله فى كتبه من أوصاف محمد (ص) فيبدلون، و لا غير ذلك من أحكامه، و حججه لغرض من الدنيا خسيس يعطونه على التبدل، و ابتغاء الرئاسة على الجهال، كما فعله غيرهم ممن وصفه بقوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى (١)» و قال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ» (٢) لكن ينقادون للحق، و يعلمون بما أمرهم الله به مما أنزل إليهم، و ينتهون عما نهاهم عنه ثم قال: «أُولَئِكَ» يعنى هؤلاء الذين يؤمنون «بِاللَّهِ. وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ... لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعنى لهم عوض أعمالهم و ثواب طاعاتهم فيما يطيعونه فيها مذخور عند ربهم حتى يوفيهم يوم القيامة «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» وصفه بالسرعة لأنه لا يؤخر الجزاء عن يستحقه لطول الحساب، لأنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها و بعد أن عملوها، فلا حاجة به إلى احصاء، عدد فيقع فى الإحصاء إبطاء و قال الجبائي: لأنه قادر على أن يكلمهم فى حال واحدة كل واحد بكلام يخصه. لأنه قادر لنفسه و «خاشعين» نصب على الحال، و يمكن أن يكون حالا من الضمير فى «يؤمن» و هو عائد إلى قوله: «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» و يمكن أن يكون حالا من قوله: (إليهم) و قال الحسن: الخشوع: الخوف اللازم للقلب من الله. و أصل الخشوع: السهولة: و الخشعة، سهولة الرمل كالربوة. و الخاشع من الأرض: الذى لا يهتدى له، لأن الرمل

يعنى اثاره.

(١) سورة البقرة: آية ١٦.

(٢) سورة البقرة: آية ٨٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٥

و منه قوله: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» (١) «وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ» (٢) و الخاشع: الخاضع ببصره. و الخشوع: التذلل خلاف التصعب.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٠٠]..... ص: ٩٥

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

- آية بلا خلاف -.

اختلفوا في تأويل هذه الآية، فقال قوم: معنى اصبروا اثبتوا على دينكم و صابروا الكفار و رابطوهم يعنى فى سبيل الله ذهب إليه الحسن، و قتادة، و ابن جريج، و الضحاك و قال آخرون: معناها «اصبروا» على دينكم «و صابروا» الوعد الذى وعدتكم به «و رابطوا» عدوى و عدوكم ذهب إليه محمد بن كعب القرظى. و قال آخرون «اصبروا» على الجهاد «و صابروا» عدوكم «و رابطوا» الخيل عليه ذهب إليه زيد بن أسلم. و قال آخرون:

رابطوا الصلوات أى انتظروها واحدة بعد واحدة، لأن المرابطة لم تكن حينئذ و هذا مروى عن على (ع)

ذهب «٣» إليه أبو سلمة بن عبد الرحمن، و جابر بن عبد الله و أبو هريرة و الأولى أن تحمل الآية على عمومها فى الصبر على كل ما هو من الدين، فعلا كان أو تركا.

و أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو، و الربط الشد، و منه قولهم: ربط الله على قلبه بالصبر، ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عنم وراء من أرادهم بسوء و ينبغى «٤» أن يحمل قوله رابطوا أيضاً على المرابطة لما عند الله لأنه العرف فى استعمال الخبر، و على انتظار الصلاة واحدة بعد أخرى. و قوله: «و اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا ان تخالفوه فيما يأمركم به لكى تفلحوا [و تفوزوا] «٥» بنعيم الأبد و تنجحوا بطاعتكم من الثواب الدائم.

(١) سورة القلم: آية ٤٣.

(٢) سورة طه: آية ١٠٨.

(٣) فى المخطوطة (و ذهب).

(٤) فى المطبوعة (ينبغى) بإسقاط الواو.

(٥) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٦

و روى عن أبى جعفر (ع) انه قال اصبروا على المصائب، و صابروا على عدوكم، و رابطوا عدوكم.

و انما جمع بين «اصبروا و صابروا» من أن المصابرة من الصبر، للبيان عن تفصيل «١» الصبر الذى يعنى به فى الذكر لأن المصابرة صبر على جهاد العدو يقابل صبره لأن المفاعلة بين اثنين.

و إنما وصف (أى) بالموصول و لم يوصف بالمضاف، لأن (الذى) يجرى مجرى الجنس، لأن فيه الالف و اللازم بمنزلة قوله يا أيها المؤمنون، و لا يجوز يا أيها أخو زيد، لأنه لا يصح فيه الجنس.

(١) في المطبوعة (تفضيل).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٧

٤- سورة النساء..... ص: ٩٧

إشارة

مائة و سبعون آية كوفى. و خمس و سبعون بصرى و هى مدنية كلها و قد روى عن بعضهم أنه قال: كلما فى القرآن من قوله: (يا أيها الناس) نزل بمكة، و الأول قول قتادة، و مجاهد، و عبد الله بن عباس بن أبى ربيعه، و قال بعضهم: ان جميعها نزلت بالمدينة إلا آية واحدة و هى قوله. (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) «١» فإنها نزلت بمكة حين أراد النبي (ص) أن يأخذ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة و يسلمها إلى عمه العباس

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١]..... ص: ٩٧

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)
- آية- بلا خلاف-

القراءة و الحجة..... ص: ٩٧

قرأ أهل الكوفة (تساءلون به) بتخفيف السين، و الباقون بتشديدها، وقرأ حمزة وحده «و الأرحام» بجر الميم، الباقون بفتحها. فمن قرأ من أهل الكوفة

(١) سورة النساء: آية ٥٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٨

«تَسَاءَلُونَ بِهِ» بالتخفيف فوجه ان أصله تتساءلون، فحذف احدى التاءين و هى الاصلية، لأن الاخرى للمضارعة، و انما حذفوها لاستثقالهم إياها فى اللفظ فحذفت لأن الكلام غير ملتبس. و من شدد أدم احدى التاءين فى السين، لقرب مكان هذه من هذه.

المعنى..... ص: ٩٨

و معنى «تَسَاءَلُونَ بِهِ» تطلبون حقوقكم به «و الأرحام» القراءة المختارة عند النحويين النصب فى الأرحام على تقدير: و اتقوا الأرحام. و تكون «١» معطوفة على موضع «به» ذكره أبو على الفارسي، فأما الخفض فلا يجوز عندهم إلا فى ضرورة الشعر كما قال الشاعر أنشده سيويه:

فاليوم قربت تهجونا و تشمتنا فاذهب فما بك و الأيام من عجب

فجروا الأيام عطفاً على موضع الكاف في «بك» و قال آخر:

نعلق في مثل السوارى سيوفنا و ما بينها و الكعب غوط نfanف «٢»

فعطف الكعب على الهاء و الالف في (بينها) و هو ظاهر على مكنى و قال آخر:

و ان الله يعلمنى و وهباً و انا سوف نلقاه سوانا

فعطف وهباً على الياء في يعلمنى، و مثل ذلك لا يجوز في القرآن و الكلام.

قال المازنى: لأن الثانى فى العطف شريك للأول، فان كان الأول يصلح أن يكون شريكاً للثانى جاز و إن لم يصلح أن يكون الثانى

شريكاً له لم يجوز، قال: فكم الا تقول:

مررت بزيد و ذاك «٣» لا تقول مررت بك و زيد. و قال أبو على الفارسي: لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل فكأنه كالتنوين

فى الاسم فقبح أن يعطف باسم

(١) فى المطبوعه: (أو يكون).

(٢) قائله مسكين الدارمى معانى القرآن للفراء ١: ٢٥٣، و الانصاف: ١٩٣ و الخزانة ٣٣٨٢. السوارى جمع سارية و هى الاسطوانة و

الغوط: المطمئن من الأرض. و النfanف جمع نفف و هو الهواء بين الشيتين و البيت كناية عن طول قامتهم

(٣) فى النسخ المخطوطة و المطبوعه (كذلك) و الظاهر ما ذكرنا. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٩٩

يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. و يفسد من جهة المعنى من حيث ان اليمين بالرحم لا يجوز،

لأن النبى (ص) قال: (لا تحلفوا بأبائكم)

فكيف تساءلون به و بالرحم على هذا و قال إسماعيل بن إسحاق:

الحلف بغير الله أمر عظيم، و ان ذلك خاص بالله تعالى، و هو المروى فى أخبارنا.

و قال ابراهيم النخعى و غيره: انه من قولهم: نشدتك بالله و بالرحم. و قال ابن عباس، و السدى، و عكرمة، و الحسن، و الربيع، و

الضحاك، و ابن جريج، و ابن زيد، و قتادة: المعنى و الأرحام فصلوها.

و هذه الآية خطاب لجميع المكلفين من البشر.

و قوله: (و اتقوا ربكم) فيه وعظ بان يتقى عصيانه بترك «١» ما أمر به و ارتكاب ما نهى عنه. و حذر من قطع الأرحام لما أراد من

الوصية بالأولاد و النساء و الضعفاء، فأعلمهم انهم جميعاً من نفس واحدة، فيكون ذلك داعياً لهم إلى لزوم أمره و حدوده فى ورتتهم

و من يخلفون بعدهم، و فى النساء، و الأيتام عطفاً لهم عليهم. ثم اخبر تعالى انه خلق الخلق من نفس واحدة فقال: «الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» و المراد بالنفس هاهنا آدم عند جميع المفسرين: السدى و قتادة و مجاهد و غيرهم. و قوله: (وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يعنى

حواء. روى انها خلقت من ضلع من أضلاع آدم، ذهب إليه أكثر المفسرين.

و قال أبو جعفر (ع): خلقها من فضل الطينة التى خلق منها آدم

، و لفظ النفس مؤنث بالصيغة، و معناه التذكير هاهنا، و لو قيل نفس واحد لجاز.

المعنى، و اللغة:..... ص: ٩٩

و قوله: (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً) معنى بث نشر، يقال: بث الله الخلق.

و منه قوله: «كَالْفَرَّاشِ الْمَبْتُوثِ» (٢) و ذلك يدل على بث. و بعض العرب يقول أبث الله الخلق، و يقال بثتك سرى، و أبثتك سرى لغتان.

و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) أى حافظاً تقول رقب رقباً و انما

(١) فى المطبوعة: (بقول).

(٢) سورة القارعة: آية ٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٠

قال: «كَانَ عَلَيْكُمْ» و لفظ كان يفيد الماضى لأنه أراد أنه كان حفيظاً على من تقدم زمانه من عهد آدم و ولده إلى زمان المخاطبين، و انه كان عالماً بما صدر منهم، لم يخف عليه منه شىء. و الرقيب الحافظ فى قول مجاهد. و قال ابن زيد: الرقيب العالم، و المعنى متقارب، يقال: رقب رقباً و رقوباً و رقباً و رقبه. قال أبو داود:

كقواعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد (١)

و قيل فى معنى «الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ» قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد و ابراهيم: هو من قولهم: أسألك بالله و الرحم، فعلى هذا يكون عطفاً على موضع به كأنه قال: و تذكرون الأرحام فى التساؤل.

الثانى- قال ابن عباس و قتادة و مجاهد و الضحاك و الربيع و ابن زيد

و هو المروى عن أبى جعفر (ع): و اتقوا الأرحام أن تقطعوها

، فعلى هذا يكون معطوفاً على اسم الله تعالى، و وجه النعمة فى الخلق من نفس واحدة انه أقرب إلى أن يتعطفوا و يأمن بعضهم بعضاً و يحامى بعضهم عن بعض، و لا يأنف بعضهم عن بعض، لما بينهم من القرابة و الرجوع إلى نفس واحدة، لأن النفس الواحدة هاهنا آدم (ع) بإجماع المفسرين: الحسن و قتادة و السدى و مجاهد. و جاز من نفس واحدة لأن حواء من آدم على ما بيناه، فرجع الجميع إلى آدم و انما أنت النفس و المراد بها آدم لأن لفظ النفس مؤنثة، و ان عنى بها مذكر كما قال الشاعر:

أبوك خليفة ولدته أخرى و أنت خليفة ذاك الكمال (٢)

فانث على اللفظ، و قد حكينا عن أكثر المفسرين: ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و السدى و ابن إسحاق: ان حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم.

و روى عن النبى (ص) انه قال: (المرأة خلقت من ضلع، و انك ان أردت أن تقيمها كسرتها و ان تركتها و فيها عوج استمعت بها).

و روى عن أبى جعفر (ع)

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١: ١١٣، و اللسان (رقب) و هو من أبيات فى نعت الثور الأبيض. و الرقباء جمع رقيب و هو أمين أصحاب الميسر بحفظ ضربهم بالقداح.

و الضرباء جميع ضريب و هو: الضارب بالقداح. و قيل أن الضمير فى (أيديهم) يعود الى الضرباء.

و قيل انه يعود الى الرقباء، و هو الأصح.

(٢) انظر ٢: ٤٤٩ تعليقه ٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠١

أن حواء خلقت من فضل طينة آدم (ع).

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢]..... ص: ١٠١

إشارة

وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)
- آية- بلا خلاف-

المعنى:..... ص: ١٠١

هذا خطاب لأوصياء اليتامى، أمرهم الله بأن يعطوا اليتامى أموالهم إذا بلغوا الحلم و أونس منهم الرشد، و سماهم يتامى بعد البلوغ، و
يناس الرشد مجازاً،

لأن النبي (ص) قال: (لا يتم بعد احتلام)

كما قالوا في النبي (ص) إنه يتيم أبي طالب بعد كبره يعنون انه رباة. و قوله. (وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ) معناه: لا تستبدلوا لما حرمه
الله عليكم من أموال اليتامى بما أحله الله لكم من أموالكم، و اختلفوا في صفة التبديل فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون
الجيد من مال اليتيم و الرفيع منه و يجعلون مكانه الرديء الخسيس، ذهب إليه ابراهيم النخعي، و السدي، و ابن المسيب، و الزهري، و
الضحاك، و قال قوم: معناه «وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ» بأن تتعجلوا الحرام قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم. ذهب إليه
أبو صالح، و مجاهد. و قال ابن زيد: معناه ما كان أهل الجاهلية يفعلونه، من أنهم لم يكونوا يرزقون النساء و لا الصغار بل يأخذ
الكبار.

و أقوى الوجوه الوجه الأول، لأنه ذكر عقيب مال اليتامى و إن حمل على عموم النهي عن التبديل بكل مال حرام كان قوياً. و قوله: (وَ
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ) يعني أموال اليتامى مع أموالكم و التقدير: و لا- تضيفوا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوهما جميعاً، فأما
خلط مال اليتيم بمال نفسه إذا لم يظلمه فلا بأس به بلا خلاف التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٢

قال الحسن لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى، فشق ذلك عليهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله، فانزل الله تعالى: (وَيَسْئَلُونَكَ
عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) «١» و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد
الله (ع).

و قوله: (إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) يعني إن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم حوب كبير، أى اثم كبير فى قول ابن عباس و مجاهد.
و الهاء فى قوله: «انه» دالة على اسم الفعل الذى هو الاكل. و الحوب الإ-ثم، يقال: حاب يحوب حوباً و حباةً و الاسم الحوب. و قرأ
الحسن حوباً: ذهب إلى المصدر. و يقال:

تحوب فلان من كذا إذا تخرج منه. و يقال نزلنا بحوبة من الأرض و بحيب من الأرض يعنى بموضع سوء. و حكى الفراء عن بنى أسد
ان الحائب القاتل. و قال الشاعر:

إيها تطيع ابن عباس انها رحم حُبتم بها فاناختكم بجمعجاء «٢»

أى أئتمتم و الحوبة الحزن، و التحوب التحزن، و التحوب التأثم، و التحوب الصياح الشديد، و الحوباء الروح و الكبير العظيم

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٣ الى ٤]..... ص: ١٠٢

إشارة

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤) - آيتان -.

(١) سورة آل عمران: آية ٢٢٠.

(٢) اللسان (حوب) نسبه الى النابغة و في (جمع) نسبه الى نهيكه الفزارى و روايه البيت فيهما:

صبراً بغيض بن ريث انها رحم...

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٣

النزول، والمعنى:..... ص: ١٠٣

و اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على ستة أقوال:

أولها- ما روى عن عائشة انها قالت: نزلت في اليتيمة التي تكون في حجر وليها فيرغب في مالها و جمالها، و يريد أن ينكحها بدون صداق مثلها، فنها أن ينكحهن إلا- أن يقسطوا لها صداق مهر مثلها، و أمروا أن ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء إلى الأربع «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً» من سواهن «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» و مثل هذا ذكر في تفسير أصحابنا. و قالوا: انها متصله بقوله: «وَيَسِّرْ لَكُمْ فِي النِّسَاءِ قَبْلَ اللَّهِ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» (١) «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» الآية و به قال الحسن و الجبائي و المبرد.

و الثاني- قال ابن عباس و عكرمة: ان الرجل منهم كان يتزوج الأربع و الخمس و الست و العشر و يقول ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان فإذا فني ماله مال على مال اليتيم فأنفقه، فنهاهم الله تعالى عن أن يتجاوزوا بالأربع إن خافوا على مال اليتيم و إن خافوا من الأربع أيضاً أن يقتصروا على واحدة.

و الثالث- قال سعيد بن جبير و السدي و قتادة و الربيع و الضحاك. و في احدى الروايات عن ابن عباس قالوا: كانوا يشددون في أمر اليتامى و لا يشددون في النساء، ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن، فقال الله تعالى كما تخافون ألا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء، فانكحوا واحدة إلى الأربع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة:

و الرابع- قال مجاهد: ان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى معناه: ان تخرجتم

(١) سورة النساء: آية ١٢٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٤

من ولاية اليتامى و أكل أموالهم إيماناً و تصديقاً فكذلك تخرجوا من الزنا، و انكحوا النكاح المباح من واحدة إلى أربع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة.

و الخامس- قال الحسن: ان خفتم ألا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما أحل لكم من يتامى قراباتكم مثنى و ثلاث و رباع، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة، أو ما ملكت ايمانكم. و به قال الجبائي و قال:

الخطاب متوجه إلى أولياء اليتيمة إذا أراد أن يتزوجها إذا كان هو وليها كان له أن يزوجه قبل البلوغ و له أن يتزوجها.

و السادس- قال الفراء: المعنى ان كنتم تتخرجون من مؤاكله اليتامى فاحرجوا من جمعكم بين اليتامى، ثم لا تعدلون بينهن. و قوله:

«فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ» جواب لقوله: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا» على قول من قال ما رويناه أولاً عن عائشة و أبي جعفر (ع). و من قال:

تقديره: ان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء الجواب قوله: «فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» و التقدير: فان خفتم ألا تقسطوا في أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك خافوا ألا تقسطوا في حقوق النساء، فلا تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور، مثنى و ثلاث و رابع، و ان خفتم أيضاً من ذلك فواحدة، فان خفتم من الواحدة فما ملكت ايمانكم، فترك ذكر قوله فكذلك خافوا ألا تقسطوا في حقوق النساء لدلالة الكلام عليه و هو قوله: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) و معنى «أَلَّا تُقْسَطُوا» أى لا تعدلوا و لا تنصفوا، فالاقساط هو العدل و الانصاف و القسط هو الجور. و منه قوله: أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) «١» و قد بيناه فيما مضى. و اليتامى جمع لذكران اليتامى و إناثهم فى هذا المعنى.

المعنى، و اللغة، و الاعراب.... ص: ١٠٤

و قال الحسين بن على المغربى: معنى ما طاب أى بلغ من النساء كما يقال: طابت الثمرة إذا بلغت، قال: و المراد المنع من تزويج اليتيمة قبل البلوغ لئلا يجرى

(١) سورة الجن: آية ١٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٥

عليها الظلم، فان البالغة تختار لنفسها، و قيل: معنى «ما طاب لكم من النساء» من أحل لكم منهن دون من حرم عليكم، و انما قال: «ما طاب» و لم يقل: من طاب و ان كان من لما يعقل و ما لما لا يعقل لأن المعنى: انكحوا الطيب أى الحلال هذه العدة، لأنه ليس كل النساء حلالا، لأن الله حرم كثيراً منهن بقوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» «١» الآية. هذا قول الفراء. و قال مجاهد: فانكحوا النساء نكاحاً طيباً. و قال المبرد: «ما» هاهنا للجنس كقول القائل: ما عندك؟ فتقول: رجل أو امرأة، فالمعنى بقوله: ما طاب الفعل دون اعيان النساء و اشخاصهن، لأن الأعيان لا تحرم و لا تحلل، و إنما يتناول التحريم و التحليل التصرف فيها، و جرى ذلك مجرى قول القائل: خذ من رقيقى ما أردت: إذا أراد خذ منهم ارادتك و لو أراد خذ الذى تريد لم يجز إلا أن يقول خذ من رقيقى من أردت و كذلك قوله:

«أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» معناه أو ملك ايمانكم، و معنى «فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ» فليتكح كل واحد منكم مثنى و ثلاث و رابع، كما قال: «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً» «٢» معناه: فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة. و قوله: (مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ) بدل من (ما طاب) و موضعه النصب و تقديره: اثنين اثنين، و ثلاثاً و ثلاثاً، و اربعاً اربعا، إلا انه لا ينصرف لعنتين، إحداهما: انه معدول عن اثنين اثنين و ثلاث ثلاث فى قول الزجاج، و قال غيره: لأنه معدول و لأنه نكرة، و النكرة أصل للأشياء، و قال غيرهم: هو معرفة، و هذا فاسد عند البصريين، لأنه صفة للنكرة فى قوله: «أُولَىٰ أَجْنَحِهِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ» «٣» و المعنى اولى اجنحه ثلاثة ثلاثة و اربعة اربعة. و قال الفراء لأنه معدول، لأنه يقع على الذكر و الأنثى، و لأنه مضاف الى ما يضاف إليه الثلاث، فكان لامتناعه من الاضافة كان فيه الالف و اللام. قال الشاعر:

(١) سورة النساء: آية ٢٢٠.

(٢) سورة النور: آية ٤.

(٣) سورة فاطر: آية ١٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٦

و لكنها اهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى و موحد «١»

و من قال: انه اسم للعدد معرفة استدل بقول تميم بن أبي مقبل:

ترى النعرات الرزق تحت لبانه أحاد و مثنى أصعقتها صواهلة «٢»

فرد أحدا و مثنى على النعرات و هي معرفة، و قد يجيء منكرًا مصروفًا كما قال الشاعر:

قتلنا به من بين مثنى و موحد باربعة منكم و آخر خامس «٣»

و ترك الصرف أكثر قال صخر الغي:

منت لك أن تلاقيني المنايا أحاد أحاد في شهر حلال «٤»

و قد تقع هذه الألفاظ على الذكر و الأنثى، فوقعها على الأنثى مثل الآية التي نحن في تفسيرها، و وقعها على الذكر قوله: «أولى أُجْنِحِي مَثْنِي وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعٍ» لأن المراد به الجناح و هو مذكر، و يقال: أحاد و موحد و ثنى و مثنى، و ثلاث و مثلث، و رباع و مربع، و لم يسمع في ما زاد عليه مثل خماس و لا الخمس و لا السداس و السباع إلا بيت للكميته فانه يروى في العشرة عشار، و هو قوله:

(١) قائله ساعده بن جؤيه الهذلي. اللسان (بغى) و روايته (سباع) بدل (ذئاب).

(٢) معاني القرآن ١: ٢٥٥، ٣٤٥، و اللسان (نعر)، (صعق)، (فرد) (ثنى) و روايته في (فرد) فراد، بدل، أحاد. و أضعفتها، بدل أصعقتها و في (نعر) و (صعق) الحضرم، بدل، الزرق.

النعرات جمع نعة و هي ذبابة سقط على الدواب فتؤذيها و أصعقتها صواهلة أى قتلتها سهيله

(٣) معاني القرآن للفراء ١: ٢٥٤ و روايته:

و ان الغلام المستهام بذكره قتلنا به من بين مثنى و موحد

باربعة منكم و آخر خامس و ساد مع الاظلام في رمح معبد

و لم يعرف لهما قائل. و البيت في المتن كما ترى ملفق منهما. و ساد- بالتثوين - بمعنى سادس. [...]

(٤) نسبة محمود محمد شاعر في تفسير الطبري ٧: ٥٤٥ الى عمرو ذى الكلب و خطأ من نسبه الى غيره، و هذا خطأ منه لا محالة لأن رواية القدماء أكثرها إذا لم تكن جميعها تنسبه الى صخر الغي. و قد اعترف هو أن الطبري روايته كذلك. و في بعض الروايات (في شهر حلال). منت لك. أى قدرت لك نيتك أن تلقاني في شهر حلال، أو حرام على اختلاف الرواية.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٧

فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا «١» يريد عشاراً. و قال صخر السلمى في ثنا و موحد:

و لقد قتلتمك ثناء و موحداً و تركت مرة مثل أمس الدابر «٢»

و لم يرد أنه قتل الثلاثة، و انما أراد انه قتل نفراً كثيراً منهم واحداً بعد واحد و اثنين بعد اثنين، و قوله: «فواحدة» نصب على انه مفعول به، و التقدير:

فان خفتم ألا تعدلوا فيما زاد على الواحدة فانكحوا واحدة، و لو رفع كان جائزاً، و قد قرأ به أبو جعفر المدني، و تقديره: فواحدة كافية، أو فواحدة مجزيه، كما قال: (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ أَمْرَاتَانِ) «٣» و من استدل بهذه الآية على أن نكاح التسع، جائز فقد اخطأ، لأن ذلك خلاف الإجماع، و أيضاً فالمعنى:

فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى ان أمتم الجور و إما ثلاث ان لم تخافوا ذلك أو رباع ان أمتم ذلك فيهن، بدلالة قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً» لأن معناه فان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة، ثم قال: فان خفتم أيضاً في الواحدة فما ملكت ايمانكم. على أن مثنى لا- يصح إلا لاثنتين اثنتين، أو اثنتين اثنتين على التفريق في قول الزجاج، فتقدير الآية «فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنِي وَ ثَلَاثٌ» [فثلاث «٤» بدلا من مثنى و رباع بدلا من ثلاث، و لو قيل ب (أو) لظن أنه ليس لصاحب مثنى ثلاث، و لا لصاحب الثلاث

رابع. و من استدلل بقوله: «فانكحوا» على وجوب التزويج من حيث أن الامر يقتضى الإيجاب، فقد اخطأ، لأن ظاهر الأمر و إن اقتضى الإيجاب، فقد ينصرف عنه بدليل، و قد قام الدليل على أن التزويج ليس بواجب على أن الغرض بالآية النهى عن العقد

(١) مجاز القرآن ١: ١١٦، و الاغانى ٣: ١٣٩ و اللسان (عشر) استرأته:

استبطأه، و عشار أى عشرا عشرا.

(٢) مجاز القرآن ١: ١١٥، و الاغانى ١٣: ١٣٩. و روايته فيهما (المدير) بدل (الدابر).

(٣) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٤) أثبتنا ما بين القوسين لعدم استقامة المعنى بدونه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٨

على من يخاف ألا يعدل بينهن، و التقدير: و إن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى، فتخرجتم فيهم، فكذلك فتخرجوا فى النساء، فلا تنكحوا إلا- ما أمنتكم الجور فيه «١» منهن، مما أحلته لكم منهن، من الواحدة الى الأربع، و قد يراد بصورة الأمر ما يراد بالنهى «٢» أو التهديد كقوله: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ مَنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ» «٣» و قال: «لِيُكْفِرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» «٤» و المراد بذلك كله التهديد و الزجر، فكذلك معنى الآية النهى، و تقديرها: فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء على ما بيناه.

و قوله: (ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها، أو الاقتصار على ما ملكت إيمانكم، و معنى «أدنى» أقرب «أَلَّا تَعُولُوا» و قيل فى معنى ألا تعولوا ثلاثة أقوال:

أحدها- و هو الأقوى و الأصح- أن معناه: ألا تجوروا، و لا تميلوا يقال منه: عال الرجل يعول عولا و عياله إذا مال و جار، و منه عول الفرائض، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص، قال أبو طالب:

بميزان قسط وزنه غير عائل «٥»

و قال أبو طالب أيضاً:

بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل «٦»

و روى: لا يضل شعيرة، و بهذا قال ابراهيم، و عكرمة، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و أبو مالك، و الربيع بن أنس، و السدى، و ابن عباس، و اختاره الطبرى، و الجبائى. و قال قوم: معناه: ألا تفتقروا، و هذا خطأ، لأن [العول «٧» الحاجة، يقال منه: عال الرجل يعيل عيلة إذا احتاج، كما قال الشاعر:

(١) فى المطبوعة: (الا ما أمنتكم به الجور فيه...)

(٢) فى المطبوعة: (ما يراد بالنهى.) و فى المخطوطة: (ما يراد به النهى...)

(٣) سورة الكهف: آية ٢٩.

(٤) سورة النحل: آية ٥٥، و سورة الروم: آية ٣٤.

(٥-٦) سيرة ابن هشام ١: ٢٩٦. و فى البيت رواية أخرى هى (بميزان صدق).

(٧) أثبتنا ما بين القوسين لعدم تمامية المعنى الا به.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٠٩

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل «١»

أى: متى يفتقر. و قال ابن زيد: معناه: ألا تكثر عيالكم، و هذا أيضاً خطأ، لأن المراد لو كان ذلك لما أباح الواحدة، و ما شاء من ملك

الايمان، لأن اباحه كل ما ملكت اليمين أزيد في العيال من أربع حرائر، على أن من كثرة العيال يقال: أعال يعيل فهو معيل، إذا كثرت عياله و عال العيال: إذ أمانهم، ومنه قوله: ابدأ بمن تعول. وحكى الكسائي، قال: سمعت كثيراً من العرب يقول: عال الرجل يعول إذا كثرت عياله. وقوله: «وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» فصدقاتهن: جمع صدقة، يقال: هو صدق المرأة، و صدقة المرأة، و صدقة المرأة، و صدق المرأة، و من قال: صدقة المرأة قال: صدقاتهن، كما تقول: غرفة و غرفات، و يجوز صدقاتهن، بضم الصاد و فتح الدال، و صدقاتهن، ذكره الزجاج. و لا يقرأ من هذه إلا بما قرئ به صدقاته، لأن القراءة سنة متبعة. وقوله: «نحلة» نصب على المصدر، و معناه، قال بعضهم: فريضة، و قال بعضهم ديانة، كما يقال: فلا- ينتحل كذا و كذا، أى يدين به، ذكره الزجاج، و ابن خالويه. قال بعضهم: هى نحلة من الله لهن، أن يجعل على الرجل الصداق و لم يجعل على المرأة شيئاً من الغرم، و ذلك نحلة من الله تعالى للنساء. و يقال: نحل الرجل: إذا وهبت له نحلة و نحلا، و نحل جسمه و نحل: إذا دق، و سمي النحل نحلا لأن الله نحل الناس منها العسل الذى يخرج من بطونها، و النحلة عطية عليك على غير جهة المثلثة، و النحلة الديانة، و المنحول من الشعر ما ليس له، و اختلفوا فى المعنى بقوله «وَآتُوا النِّسَاءَ» فقال ابن عباس، و قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد، و اختاره الطبرى، و الجبائى، و الرماني، و الزجاج: المراد به الأزواج، أمرهم الله تعالى بإعطاء المهر إذا دخل بها كاملاً، إذا سمى لها، فأما غير المدخول بها إذا طلقت فان لها نصف المسمى، و إن لم يكن سمي

(١) قاله أحيحة بن الجلاح الأوسى. معانى القرآن للفراء ١: ٢٥٥، و الكامل لابن الأثير ١: ٢٧٨، و اللسان (عيل) من قصيدة قالها فى حرب بين قومه و بين الخزرج، و فى معانى القرآن بدل (و ما) فى الموضعين (و لا).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٠

فلها المتعة على ما بيناه فيما مضى.

و قال أبو صالح: هذا خطاب للأولياء، لأن الرجل منهم كان إذا زوج أيمته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك، و أنزل هذه الآية. و روى هذا أبو الجارود، عن أبي جعفر (ع)، و ذكر المعمر بن سليمان عن أبيه، قال: زعم حضرمي ان اناساً كانوا يعطى هذا الرجل أخته، و يأخذ أخت الرجل، و لا يأخذون كثير مهر، فهى الله عن ذلك، و أمر بإعطاء صداقهن،

و أول الأقوال أقوى، لأن الله تعالى ابتداء ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين للنساء، و نهاهم عن ظلمهن و الجور عليهن، و لا ينبغي أن يترك الظاهر من غير حجة و لا دلالة، و قوله: «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا» اختلفوا فىمن المخاطب به، فقال عكرمة، و ابراهيم، و علقمة، و قتادة، و ابن عباس، و ابن جريج، و ابن زيد: الخطاب متوجه الى الأزواج، لأن أناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شىء مما ساق إلى امرأته، فانزل الله هذه الآية. و قال أبو صالح: المعنى به الأولياء، لأنه حمل أول الآية أيضاً عليهم، على ما حكينا عنه، و الأول هو الأولى، لأننا بينا أن الخطاب متوجه إلى الأزواج الناكحين، فكذلك آخر الآية. و معنى «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا» إن طابت لكم أنفسهن بشىء، و نصبه على التمييز، كما يقولون: ضقت بهذا الأمر ذرعاً، و قررت به عيناً، و المعنى ضاق به ذرعى و قرت به عيني، كما قال الشاعر:

إذ التياز ذو العضلات قلنا «اليك اليك» ضاق بها ذراعاً (١)

و إنما هو على ذراعاً و ذراعاً، لأن المصدر و الاسم يدلان على معنى واحد، فنقل صفة الذراع الى رب الذراع، ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل، و لذلك وحد النفس لما كانت مفسرة لموقع الخبر، و النفس المراد به الجنس، يقع على الواحد

(١) قاله القطامى، ديوانه: ٤٤. و اللسان (تيز) و معانى القرآن ١: ٢٥٦.

و التياز: الكثير اللحم. و قوله (اليك اليك) أى: خذها.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١١

و الجمع، كما قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيفيض و أما جلدها فصليب «١»

و لم يقل: فجلودها، و لو قال: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ) أنفساً لمجاز، و كذلك ضقت به أذرا و ذراعا. فأما قوله: (بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) «٢» إنما جمع لثلا- يوهم أنه عمل يضاف الى الجميع، كما يضاف القتل إلى جماعة إذا رضوا به، و مالتوا عليه. و مثل الآية: أنت حسن وجهاً، فالفعل للوجه، فلما نقل الى صاحب الوجه، نصب الوجه على التمييز. و قوله: (فَكُلُّوهُ هَنِئًا مَرِيئًا) فهنيئاً مأخوذ من هنأت البعير بالقطران، و ذلك إذا جرب فعولج به، كما قال الشاعر:

متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب «٣»

.فالهنى شفاء من المرض، كما أن الهناء شفاء من الجرب. و معنى (فَكُلُّوهُ هَنِئًا مَرِيئًا) أى دواء شافياً، يقال منه: هنأنى الطعام و مرأتى: إذا صار لى دواء و علاجاً شافياً، و هينى و مرينى بالكسر، و هى قليلة، و من قال: هنانى يقول فى المستقبل: يهنانى، و ميرانى، و من يقول: هنأنى، يقول يهنئنى، و يمرئنى، فإذا أفردوا قالوا:

قد أمرانى هذا الطعام، و لا يقولون: أهنانى، و المصدر منه هنأ، مرأً، و قد مرؤ هذا الطعام مرأً، و يقال: هنأت القوم إذا علتهم، و هنأت فلاناً المال إذا وهبته له، أهنؤه هنأً، و منه قولهم: انما سميت هانياً لتهنا، أى: لتعطى، و معنى قوله: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ) يعنى من المهر، و «من» هاهنا ليست للتبويض و انما معناه لتبيين الجنس، كما قال (فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) «٤»

(١) قائلة علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) ديوانه: ٢٧، و شرح المفضليات: ٧٧٧، و سيبويه ١: ١٠٧ من قصيدة فى الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى حين أسر أخاه شأسا، فرحل اليه علقمة يطلب فكه. و قوله: (بها جيف الحسرى) الضمير راجع الى المطلوب فى البيت السابق، و هى آثار الطريق، و الصليب الودك الذى يسيل من خلودها بعد موتها. [...]

(٢) سورة الكهف: آية ١٠٤.

(٣) قائلة دريد بن الصمة. اللسان (نقب) و الأغانى ١٠: ٢٢، و الشعر و الشعراء ٣٠٢. و النقب- بضم النون و سكون القاف و فتحها- جمع نقبه، أول الجرب حين يبدو.

(٤) سورة الحج: آية ٣٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٢

و لو وهبت له المهر كله لجاز، و كان حلالاً بلا خلاف. و استدل أبو على بهذه الآية على أن لولى اليتيمة الذى هو غير الأب أن يزوج اليتيمة، أو يتزوجها قبل أن تحيض، أو يكمل عقلها، بأن «١» قال الخطاب فى قوله: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى متوجه إلى الأولياء الذين كانوا يتخرجون من العقد على اليتامى اللاتى لهم عليهن ولايه، خوفا من الجور، فقال الله لهم: ان خفتم من العقد على أربع فعلى ثلاث، أو اثنتين، أو واحدة، أو ما ملكت أيمانكم من سواهن، ثم أمرهم بإعطائهن المهر، ثم قال: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ) يعنى الأزواج الذين هم الأولياء، «عن شىء» من ذلك، «فَكُلُّوهُ هَنِئًا مَرِيئًا» و هذا الذى قاله ليس بصحيح، لأنه لا يسلم له أولاً أنه خطاب للأولياء فما الدليل على لك ثم إن عندنا و عند الشافعى ليس لأحد من الأولياء أن يزوج الصغيرة إلا الأب «٢» خاصة فكيف يسلم له ما قاله؟ و من قال: يجوز ذلك، قال: يكون العقد موقوفا على بلوغها و رضاها، فان لم ترض كان لها الفسخ، فعلى كل حال لا يصح ما قاله.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥]..... ص: ١١٢

إشارة

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)
- آية -.

القراءة، والمعنى:..... ص: ١١٢

قرأ نافع، و ابن عباس، قيما بغير الف. اختلف أهل التأويل فيمن المراد بالسفهاء المذكورين في الآية، فقال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و السدي، و الضحاك، و مجاهد، و قتادة، و أبو مالك:
إنهم النساء و الصبيان، و هو الذي رواه أبو الجارود، عن أبي جعفر (ع)
و قال سعيد بن جبير، و الحسن

(١) في المطبوعة: فان، و قد صححنا على المخطوطة.

(٢) في المطبوعة: الى الأب، و هو تحريف.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٣

و قتادة، و في رواية أخرى عنهم: أنهم الصبيان الذين لم يبلغوا فحسب، و قال أبو مالك، معناه: لا تعط ولدك السفهه مالك فيفسده الذي هو قيامك و قال ابن عباس في رواية أخرى: إنها نزلت في السفهاء و ليس لليتامى في ذلك شيء، و به قال ابن زيد، و قال ابو موسى الاشعري ثلاثة يدعون فلا يستجيب الله لهم:

رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، و قال: اللهم خلصني منها، و رجل أعطى ما لا سفيهاً، و قد قال الله: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ»، و رجل له على غيره مال فلم يشهد عليه.

و قد روى عن أبي عبد الله (ع) ان السفهه شارب الخمر، و من جرى مجراه

، و قال المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أن المراد به النساء خاصة، و روى ذلك عن مجاهد، و الضحاك، و ابن عمر، و الأولى حمل الآية على عمومها في المنع من إعطاء المال السفهه، سواء كان رجلاً أو امرأة بالغاً أو غير بالغ.

و السفهه هو الذي يستحق الحجر عليه، لتضييعه ماله، و وضعه في غير موضعه، لأن الله تعالى قال عقيب هذه الأوصاف: «وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» فأمر الأولياء بدفع الأموال إلى اليتامى إذا بلغوا، و أنس منهم رشد، و قد يدخل في اليتامى الذكور و الإناث، فوجب حملها على عمومها.

اللغة:..... ص: ١١٣

فأما من حمل الآية على النساء خاصة، فقولته ليس بصحيح، لأن فعلية لا يجمع فعلاء، و انما يجمع فعائل و فعيلات، كغريبة و غرائب و غريبات، و قد جاء فقيرة و فقراء، ذكره الرماني. فأما الغرباء فجمع غريب

المعنى:..... ص: ١١٣

و قوله: «أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ» التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٤

اختلفوا في معناه. فقال ابن عباس، و أبو موسى الأشعري، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و حضرمي. معناه: لا تؤتوا يا أيها الرشد السفهاء من النساء و الصبيان - على ما ذكرنا من اختلافهم - «أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ» يعني أموالكم التي تملكونها، فتسلطوهم عليها، فيفسدوها، و يضيعوها، و لكن «ارزقوهم فيها» إن كانوا ممن يلزمكم نفقته، و اكسوهم «وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا». و قال السدي: معناه: لا تعط امرأتك و ولدك مالك، فيكونوا هم الذين ينفقون و يقومون عليك، و أطعمهم من مالك، و اكسهم. و به قال ابن عباس، و ابن زيد. و قال سعيد ابن جبير: يعني ب «أموالكم» أموالهم، كما قال: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» (١) قال: و اليتامى لا تؤتوهم أموالهم، «وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ». و الأولى حمل الآية على الامرين، لأن عمومها يقتضى ذلك، فلا يجوز أن يعطى السفهه الذى يفسد المال، و لا اليتيم الذى لم يبلغ، و لا الذى بلغ و لم يؤنس منه الرشد، و لا أن يوصى إلى سفهه، و لا يختص ببعض دون بعض، و إنما يكون اضافة مال اليتيم إلى من له القيام بأمرهم، على ضرب من المجاز، أو لأنه أراد: لا تعطوا الأولياء ما يخصهم لمن هو سفهه (٢) و يجرى ذلك مجرى قول القائل لواحد: يا فلان أكلتم أموالكم بالباطل، فيخاطب الواحد بخطاب الجميع، و يريد به أنك و أصحابك أو قومك أكلتم، و يكون التقدير فى الآية: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ» التي بعضها لكم، و بعضها لهم، فيضيعوها.

اللغة:..... ص: ١١٤

و قوله: (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) معناه: ما جعله قوام معاشكم و معاش سفهائكم، التي بها تقومون قياماً، و قيماً، و قواماً، بمعنى واحد. و أصل القيام القوام، فقلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها، كما قالوا: صمت صياماً، و حلت

(١) سورة النساء: آية ٢٨.

(٢) هكذا فى المطبوعه و المخطوطه، و هى كما ترى

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٥

حيالا، و منه: فلان قوام أهله، و قيام أهله. و منه: قوام الأمر و ملاكته، و هو اسم. و القيام مصدر.

المعنى:..... ص: ١١٥

و بهذا التأويل قال أبو مالك، و السدي، و ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و ابن زيد. و قوله: (وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ) اختلفوا فى تأويله، فمن قال:

عنى بقوله: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) يعنى أموال أولياء السفهه، فإنهم قالوا: معناه: و ارزقوا أيها الناس سفههكم، من نسائكم و أولادكم من أموالكم، طعامهم، و ما لا بد لهم منه. ذهب إليه مجاهد، و السدي، و غيرهما ممن تقدم ذكره. و من قال: إن الخطاب للأولياء، بأن لا يؤتوا السفهه أموالهم، يعنى أموال السفهه، حمل قوله: «وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ» على أنه من أموال السفهه، يعنى ما لا بد منه من مؤنهم، و كسوتهم، و إذا حملنا الآية على عمومها، على ما بيناه، فالتقدير: و ارزقوا أيها الرشد من خاص أموالكم من يلزمكم النفقه عليه، مما لا بد منه من مؤنه و كسوة، و لا تسلموا إليه إذا كان سفهه، فيفسد المال. و يا أيها الأولياء، أنفقوا على السفهه من أموالهم، التي لكم الولاية عليها، قدر ما يحتاجون إليه من النفقه و الكسوة. و قوله:

«وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» قال مجاهد، و ابن جريج. قولوا لهم، يعنى للنساء و الصبيان، و هم السفهه، «قَوْلًا مَعْرُوفًا» فى البر و الصلة. و

قال ابن زيد: ان كان السفيه ليس من ولدك، ولا يجب عليك نفقته، فقل له قولاً معروفاً، مثل: عافانا الله وإياك، بارك الله فيك. وقال ابن جريج. معناه: يا معاشر ولاء السفهاء، قولوا قولاً معروفاً للسفهاء، و هو: إن صلحتم و رشدتم، سلمنا إليكم أموالكم، و خيلنا بينكم و بينها، فاتقوا الله في أنفسكم و أموالكم، و ما أشبه ذلك، مما هو واجب عليكم، و يحثكم على الطاعة، و ينهاكم عن المعصية. و قال الزجاج: معناه:

علموهم مع إطعامكم إياهم و كسوتكم إياهم، و أمر دينهم. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٦
و في الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذا بلغ، و لم يؤنس منه الرشد، لأن الله تعالى منع من دفع المال إلى السفهاء، و قد بينا أن المراد به أموالهم على بعض الأحوال.

و في الآية دلالة على وجوب الوصية، إذا كان الورثة سفهاء، لأن ترك الوصية بمنزلة إعطاء المال في حال الحياة إلى من هو سفيه، و إنما سمى الناقص العقل سفيهاً «١»، و إن لم يكن عاصياً، لأن السفه هو خفة الحلم، و لذلك سمى الفاسق سفيهاً، لأنه لا وزن له عند أهل الدين «٢»، و العلم فتقل الوزن و خفته، ككبر القدر و صغره.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦]..... ص: ١١٦

إشارة

وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ١١٦

هذا خطاب لأولياء اليتامى، أمر الله تعالى بأن يختبروا عقول اليتامى في أفهامهم، و صلاحهم في أديانهم، و إصلاحهم أموالهم. و هو قول قتادة، و الحسن، و السدي، و مجاهد، و ابن عباس، و ابن زيد. و قد بينا أن الابتلاء معناه الاختبار فيما مضى. و قوله: «حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ» معناه: حتى يبلغوا الحد الذي يقدر على مجامعة النساء و ينزل، و ليس المراد الاحتلام، لأن في الناس من

(١) (سفيهاً) ساقطة من المطبوعة.

(٢) عند (أهل الدين) ساقطة من المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٧

لا يحتلم، أو يتأخر احتلامه، و هو قول أكثر المفسرين: مجاهد، و السدي، و ابن عباس، و ابن زيد. و منهم من قال: إذا كمل عقله، و أونس منه الرشد، سلم إليه ماله، و هو الأقوى. و منه من قال: لا يسلم إليه حتى يكمل له خمس عشرة سنة، و إن كان عاقلاً، لأن هذا حكم شرعي، و بكمال العقل تلزمه المعارف لا غير، و قال أصحابنا: حد البلوغ إما بلوغ النكاح، أو الانبات في العانة، أو كمال خمس عشرة سنة. و قوله: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا» معناه: فان وجدتم منه رشداً و عرفتموه، و هو قول ابن عباس.

اللغة:..... ص: ١١٧

تقول: آنتست من فلان خيراً إيناساً و أنست به أنساً: إذا ألفتة. و في قراءة عبد الله: فان أحسيتم يعني أحسستم، أي وجدتم، و الأصل فيه: أبصرتم.

و منه قول: «آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ناراً» (١) أي أبصر، و منه أخذ انسان العين، و هو حدقتها التي يبصر بها.

المعنى:..... ص: ١١٧

و اختلفوا في معنى الرشد (٢)، فقال السدي، و قتادة: معناه عقلا و ديناً و صلاحاً. و قال الحسن (٣)، و ابن عباس: معناه: صلاحاً في الدين، و إصلاحاً للمال. و قال مجاهد، و الشعبي: معناه العقل. قال: لا يدفع إلى اليتيم ماله، و إن أخذ بلحيته، و إن كان شيخاً، حتى يؤنس منه رشده: العقل. و قال ابن جريج:

صلاحاً، و علماً بما يصلحه.

و الأقوى أن يحمل على

أن المراد به العقل، و إصلاح المال، على ما قال ابن عباس، و الحسن، و هو المروى عن أبي جعفر (ع)، للإجماع على أن من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله، و ان كان فاجراً في دينه، فإذا كان ذلك اجماعاً

(١) سورة القصص: آية ٢٩.

(٢) (و اختلفوا في معنى الرشد) ساقطة من المطبوعة.

(٣) (الحسن) ساقط من المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٨

فكذلك إذا بلغ، و له مال في يد وصى أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله، و جب عليه أن يسلم إليه ماله، إذا كان عاقلاً، مصلحاً لما له، و إن كان فاسقاً في دينه. و في الآية دلالة على جواز الحجر على العاقل، إذا كان مفسداً في ماله، من حيث أنه إذا كان عند البلوغ يجوز منعه المال إذا كان مفسداً له، فكذلك في حال كمال العقل إذا صار بحيث يفسد المال، جاز الحج عليه، و هو المشهور في أخبارنا.

و من الناس من قال: لا يجوز الحجر على العاقل، ذكرناه في الخلاف.

و قوله: (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا) فهو خطاب لأولياء اليتيم، أمرهم الله تعالى إذا بلغ اليتيم، و أونس منه الرشد، على ما فسرناه، أن يسلم إليه ماله، و لا يحبسه عنه. و قوله: (وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا) معناه بغير ما أباحه الله لكم. و قال الحسن، و السدي: الإسراف في الأكل. و أصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح، و ربما كان ذلك في الإفراط، و ربما كان في التقصير، غير أنه إذا كان في الإفراط يقال منه: أسرف يسرف إسرافاً، و إذا كان في التقصير يقال: سرف يسرف سرفاً، يقال: مررت بكم فسرفتكم، يريد:

فسهوت عنكم، و اخطأتكم، كما قال الشاعر:

اعطوا هنيذة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من و لا سرف (١)

يعنى لا خطأ فيه، يريد أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطونها. و قوله:

«و بداراً أن يكبروا» فالبدار و المبادرة مصدران، ففيه الله تعالى أولياء اليتامى أن يأكلوا أموالهم اسرافاً بغير ما أباح الله لهم أكله، و لا مبادرة منكم بلوغهم، و إيناس الرشد منهم، حذراً أن يبلغوا، فيلزمكم تسليمه إليهم، و به قال ابن عباس، و قتادة، و الحسن، و السدي، و ابن زيد.

(١) قائله جرير ديوانه ٢: ١٥ واللسان (هند) و (سرف) و هو من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك، و يهجو آل المهلب. قوله: (هنيدة) اسم لكل مائة من الإبل، و (هنيد) لا يصرف و لا يدخل عليه الالف و اللام و لا يجمع و ليس له واحد من جنسه. و (ثمانية) أى ثمانية من العبيد. و كان فى المخطوطة و المطبوعه (عطاء كم) و هو مناسب فى المعنى و لكن لم أجد أحد يرويه الا (عطائهم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١١٩

و أصل البدار الامتلاء. و منه البدر القمر، لامتلائه نوراً، و البدره:

لامتلائها بالمال، و البيدر: لامتلائه بالطعام، و موضع «أن» نصب بالمبادره، و المعنى:

لا- تأكلوها مبادره كبرهم. و قوله: «وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسِّرْ تَعْفُفٌ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى: من كان غنياً من ولاة أموال اليتامى فليستعفف بماله عن أكلها، و به قال ابن عباس، و ابراهيم. و قوله: «وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» قال عبيده:

معناه القرض، و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

، أ لا ترى أنه قال: (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ) «وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا» فاختلفوا فى الوجه الذى يجوز له أكل مال اليتيم به إذا كان فقيراً، و هو المعروف، فقال سعيد بن جبير، و عبيده السلماني، و أبو العاليه، و أبو وائل، و الشعبى، و مجاهد، و عمر بن الخطاب: هو أن يأخذه قرضاً على نفسه فيما لا بد له منه، ثم يقضيه، و بينا أنه المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال الحسن، و ابراهيم، و مكحول، و عطاء بن أبى رباح: يأخذ ماسد الجوعه، و وارى العوره، و لا- قضاء عليه، و لم يوجبوا أجره المثل، لأن أجره المثل ربما كانت أكثر من قدر الحاجه. و الظاهر فى أخبارنا أن له أجره المثل، سواء كان قدر كفايته، أو لم يكن. و سئل ابن عباس عن ولى يتيماً له إبل هل له أن يصيب من ألبانها؟ فقال: إن كنت تلوط حوضها، و تهناً جرباها، فأصبت من رسلها، غير مضر بغسل و لا ناهكه فى الحلب.

معنى تلوط حوضها: تطينه، و تهناً جرباها، و معناه: تطليها بالهناء، و هو الخضخاض، ذكره الازهرى، و الرسل اللبن، و النهك: المبالغه فى الحلب.

و اختلفوا فى هل للفقير من ولى اليتيم أن يأكل من ماله هو و عياله، فقال عمرو بن عبيد: ليس له ذلك، لقوله: «فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» فخصه بالأكل، و قال الجبائى: له ذلك لأن قوله: «بالمعروف» يقتضى أن يأكل هو و عياله، على ما جرت به العاده فى أمثاله، و قال إن كان المال واسعاً كان له أن يأخذ قدر كفايته، له و لمن يلزمه نفقته من غير إسراف، و إن كان قليلاً كان له أجره المثل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٠

لا- غير، و إنما لم يجعل له أجره المثل إذا كان المال كثيراً لأنه ربما كان أجره المثل أكثر من نفقته بالمعروف، و على ما قلناه من أن له أجره المثل سقط هذا الاعتبار و قوله: (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ) خطاب لأولياء اليتامى، إذا دفعوا أموال اليتامى إليهم، أن يحتاطوا لأنفسهم بالإشهاد عليهم، لئلا- يقع منهم جحود، و يكونوا أبعد من التهمه، و سواء كان ذلك فى أيديهم، أو استقرضوه ديناً على نفوسهم، فان الاشهاد يقتضيه الاحتياط، و ليس بواجب. و قوله:

(كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) معناه: كفى الله، و الباء زائده، و قال السدى: معناه شهيدا هاهنا، و قيل: معناه: و كفى بالله كافياً من الشهود، و لأن أحسبني معناه: كفانى، و المعنى: و كفى بالله شهيداً فى الثقه بإيصال الحق إلى صاحبه و المحسب من الرجال المرتفع النسب. و المحسب، المكفى. و ولى اليتيم المأمور بابتلائه، و هو الذى جعل إليه القيام به، من وصى، أو حاكم، أو أمين، ينصبه الحاكم. و أجاز أصحابنا الاستقراض من مال اليتيم إذا كان ملياً، و فيه خلاف.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧].... ص: ١٢٠

إشارة

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)
- آية بلا خلاف -.

النزول:..... ص: ١٢٠

اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فقال قتادة، وابن جريج، وابن زيد:

إن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث، فنزلت هذه الآية ردًا لقولهم. وقال الزجاج: كانت العرب لا تورث إلا من طاعن بالرمح، و زاد عن الحريم والمال، فنزلت هذه الآية ردًا عليهم، وبين أن للرجال نصيبًا مما ترك الوالدان والأقربون، «وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا» يعنى حظًا مفروضًا، قال الزجاج: مفروضًا. نصب على الحال، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢١

وقال غيره: هو اسم في موضع المصدر، كقولك قسما واجبا، وفرضا لازما، ولو كان اسما ليس فيه معنى المصدر، لم يجز قولك: عندى حق درهمًا، ويجوز: لك عندى درهم هبة مفترضة «١» وأصل الفرض الثبوت، والفرض: الحز في سية القوس حيث يثبت الوتر، والفرض: ما أثبتته على نفسك من هبة أو صلة، والفرض: إيجاب الله عز وجل على العبد ما يلزمه فعله لإثباته عليه، والفرض: جند يفترضون، والفرض: ما أعطيت من غير قرض، لثبوت تملكه، والفرض:

ضرب من التمر. والفارض المسنة، والفرضة: حيث ترمى «٢» السفن من النهر وكل ضخم فارض، والفرق بين الفرض والوجوب أن الفرض هو الإيجاب، غير أن الفرض يقتضى فرضاً فرضه، وليس كذلك الواجب لأنه قد يجب الشيء في نفسه من غير إيجاب موجب، ولذلك صح وجوب الثواب والعوض على الله تعالى، ولم يجز فرضه عليه. وأصل الوجوب الوقوع، يقال: وجب الحائط وجوباً فهو واجب، إذا وقع، وسمعت وجبة أى وقعة كالهدة، ومنه «وَجِبَتْ جُنُوبُهَا» «٣» أى وقعت لجنوبها، ووجب الحق وجوباً، إذا وقع سببه، كوجوب رد الوديعة، وقضاء الدين، ووجوب شكر المنعم، ووجوب الأجر، وإنجاز الوعد، ووجب القلب وجوباً إذا خفق من فرع وقعة كالهدة.

وفي الآية دليل على بطلان القول بالعصبية، لأن الله تعالى فرض الميراث للرجال والنساء، فلو جاز أن يقال: النساء لا يرثن في موضع، لجاز لآخرين أن يقولوا: والرجال لا يرثون، والخبر المدعى في العصبية خبر واحد، لا يترك له عموم القرآن، لأنه معلوم، والخبر مظنون، وقد بينا ضعف الخبر في كتاب تهذيب الأحكام، فمن أراد وقفاً عليه من هناك.

وفي الآية أيضاً دلالة على أن الأنبياء يورثون، لأنه تعالى عم الميراث للرجال والنساء، ولم يخص نبياً من غيره، وكما لا يجوز أن يقال: النبي لا يرث،

(١) في المطبوعة: مقبوضة. [.....]

(٢) في المطبوعة: ترقا.

(٣) سورة الحج: آية ٣٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٢

لأنه خلاف الآية، فكذلك لا يجوز أن يقال: لا يرث، لأنه خلافها، والخبر الذى يروون أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، خبر واحد، وقد بينا ما فيه، فى غير موضع، وتأولناه، بعد تسليمه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨].... ص: ١٢٢

إشارة

وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:.... ص: ١٢٢

هذه الآية عندنا محكمة، وليست منسوخة، و هو قول ابن عباس، و سعيد ابن جبير، و الحسن، و ابراهيم، و مجاهد، و الشعبي، و الزهري، و يحيى بن يعمر، و السدي، و البلخي، و الجبائي، و الزجاج، و أكثر المفسرين و الفقهاء. و قال سعيد ابن المسيب، و أبو مالك، و الضحاك، هي منسوخة، و إرزاق من حضر قسمة الميراث من هذه الأصناف، ليس بواجب، بل هو مندوب إليه، و هو الذي اختاره الجبائي، و البلخي، و الرماني، و جعفر بن مبشر، و أكثر الفقهاء و المفسرين. و قال مجاهد: هو واجب، و حق لازم ما طابت به أنفس الورثة. و كل من ذهب إلى أنها منسوخة قال: إن الرزق ليس بواجب، و كذلك من قال انها في الوصية.

و اختلفوا فيمن المخاطب بقوله: «فَارْزُقُوهُمْ» فقال أكثر المفسرين: إن المخاطب بذلك الورثة، أمروا بأن يرزقوا المذكورين، إذا كانوا لا- سهم لهم في الميراث، و قال آخرون إنها تتوجه إلى من حضرته الوفاة، و أراد الوصية، فانه ينبغي له أن يوصى لمن لا يرثه من هؤلاء المذكورين، بشيء من ماله. و روى هذا القول الأخير عن ابن عباس، و عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، و سعيد ابن المسيب، و اختار الطبري هذا الوجه، و الوجه، الاول روى عن ابن عباس، و عبد الله بن الزبير، و أبي موسى الاشعري، و ابن سيرين، و الحسن، و سعيد بن جبير. قال سعيد بن جبير: إن كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذ وصيته، و إن التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص:

١٢٣

كان الورثة كباراً أرضخوا لهم، و إن كانوا صغاراً قال وليهم: إنى لست أملك هذا المال، و ليس لى، إنما هو للصغار، فذلك قوله: «و قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» و به قال السدي، و ابن عباس. و اختلفوا فيمن المأمور [يقول «١» المعروف، فقال سعيد بن جبير: أمر الله أن يقول الولي الذي لا- يرث، للمذكورين قولاً- معروفاً، و يقول: إن هذا لقوم غيب أو يتامى صغار، و لكم فيه حق، و لسنا نملك أن نعطيكم منه. و قال قوم: المأمور بذلك الرجل الذي يوصى في ماله، و القول المعروف: أن يدعو لهم بالرزق و الغنى، و ما أشبه ذلك. و روى عن ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و ابن زيد: أن الآية في الوصية، على أن يوصوا للقرابة، و يقولوا لغيرهم قولاً معروفاً. و من قال إنها على الوجوب، قال: لا- يعطى من مال اليتيم شيئاً، و يقول قولاً معروفاً، ذهب إليه ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و السدي. و روى ابن علقمة، عن عبيدة، أنه ذبح شاة من مال اليتيم، و قسمه بينهم، و قال: كنت أحب أن يكون من مالى لو لا هذه الآية. و عمل ابن سيرين في مال اليتيم ما عمل عبيدة، و أقوى الأقوال أن يكون الخطاب متوجهاً إلى الوارث البالغين، لأن فيه أمراً بالرزق لمن حضر، و لم يخاطب الله من لا- يملك أن يخرج من مال غيره شيئاً، فكأن الله تعالى حث هؤلاء، و رغبتهم في أن يجعلوا للحاضرين شيئاً مما يحقهم «٢»، و يقولوا لهم قولاً معروفاً، فيصير رداً جميلاً، من غير تأفف، و لا تضجر، و كذلك لو قلنا إنها متوجهة إلى الموصى، لكان محمولاً على أنه يستحب له أن يوصى لهؤلاء بشيء من ماله، ما لم يزد على الثلث، فان لم يختر ذلك قال لهم قولاً جميلاً، لا يتألمون منه، و لا يغتمون به.

و في الآية حجة على المجبرة، لأنه تعالى قال: «فَارْزُقُوهُمْ» و فيه دلالة على أن الإنسان يرزق غيره على معنى التمليك، و أن الله لا يرزق حراماً، لأنه لو رزقه لخرج برزقه إياه من أن يكون حراماً، و مثله قوله: «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» .

(١) في المطبوعة: لقوله المعروف، و في المخطوطة: لقوله بالمعروف، و كلاهما تحريف.

(٢) هكذا في المطبوعة و المخطوطة و الأولى: مما يلحقهم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٤

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩]..... ص: ١٢٤

إشارة

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ١٢٤

قيل في معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها- النهى عن الوصية بما يجحف بالورثة، و يضر بهم، هذا قول ابن عباس، في بعض الروايات، و سعيد بن جبير، و الحسن، و قتادة، و السدى، و الضحاك، و مجاهد.

الثاني- قال الحسن: كان الرجل يكون عند الميت فيقول: أوص بأكثر من الثلث من مالك، فنهاه الله عن ذلك.

الثالث- روى عن ابن عباس: أنه خطاب لولى مال اليتيم، يأمره بأداء الأمانة فيه، و القيام بحفظه، كما لو خاف على مخلفيه، إذا كانوا ضعافا، و أحب أن يفعل بهم.

الرابع- قال مقسم: هي في حرمان ذوى القربى أن يوصى لهم، بأن يقول الحاضر للوصية: لا توص لأقاربك، و وفر على ورتكك.

اللغة:..... ص: ١٢٤

و الذرية: على وزن فعليه، منسوبة إلى الذر، و يجوز أن يكون أصلها ذرورة، لكن الراء أبدلت ياء، و أدغمت الواو فيها، و هي بضم الذال، و يجوز فيها كسرهما، و قد قرئ به فى الشواذ، و من كسر الذال فلكسرة الراء، كما قالوا فى عنى عتى و عصى، و ضعاف: جمع ضعيف و ضعيفة، و كقولك: ظريف و ظريفة و ظراف، و خبيث و خباث، و يجمع أيضاً ضعفاء. و أصل الضعاف من الضعف، و هو النقص، فى القوة، و منه المضاعف، لأنه ينفى الضعف، و منه الضعف.

و قوله: «فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ» يعنى: فليتقوا معاصيه، «وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٥

و هو السليم من خلل الفساد، و ذلك الحق بالدعاء إلى العدل فى القسم بما لا- يجحف بالورثة، و لا يحرم ذوى القربى، و أصل السديد من سد الخلل، تقول: سدته أسده سدا، و السداد: الصواب، و السداد- بكسر السين- من قولهم: فيه سداد من عوز، و سدد السهم: إذا قومه، و السد الردم، و السدة فى الأنف.

المعنى:..... ص: ١٢٥

و معنى الآية، أنه ينبغى للمؤمن الذى لو ترك ذرية ضعافا بعد موته، خاف عليهم الفقر و الضياع، أن يخشى على ورثة غيره من الفقر

والضياغ، ولا يقول لمن يحضر وصيته أن يوصى بما يضر بورثته، وليتق الله في ذلك، وليتق الإضرار بورثة المؤمن، وليقل قولاً سديداً، ولذلك نهى النبي (ص) أن يوصى بأكثر من الثلث، وقال: (و الثلث كثير) وقال لسعد (لأن تدع ورثتك أغنياء أحب الي من أن تدعهم عائلة يتكفون الناس بأيديهم).

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ١٠]..... ص: ١٢٥

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا (١٠) - آية -

القراءة والحجوة:..... ص: ١٢٥

قرأ ابن عامر، و أبو بكر، عن عاصم: و سيصلون- بضم الياء- الباقون، بفتحها، و الفتح أقوى، لقوله: «لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى» (١) و قوله: «إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ» (٢) و من ضم الياء ذهب إلى أصلاهِ الله إذا أحرقه بالنار.

المعنى:..... ص: ١٢٥

و إنما علق الله تعالى الوعيد في الآية لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً، لأنه قد

(١) سورة الليل: آية ١٥.

(٢) سورة الصافات: آية ١٦٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٦

يأكله على وجه الاستحقاق، بأن يأخذ منه أجره المثل، على ما قلناه. أو يأكل منه بالمعروف على ما فسرناه، أو يأخذ قرضاً على نفسه، فان قيل: إذا أخذ قرضاً على نفسه، أو أجره المثل، فلا يكون أكل مال اليتيم، و إنما أكل مال نفسه. قلنا: ليس الأمر على ذلك، لأنه يكون أكل مال اليتيم، لكنه على وجه التزم عوضه في ذمته، أو استحققه بالعمل في ماله، فلم يخرج بذلك من استحقاق الاسم بانه مال اليتيم، و لو سلم ذلك، لجاز أن يكون المراد بذلك ضرباً من التأكيد و بياناً، لأنه لا يكون أكل مال اليتيم إلا ظلماً. و نصب ظلماً على المصدر، و تقديره: إن من أكل مال اليتيم فانه يظلمه ظلماً. و قوله: «إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا» قيل في معناه وجهان: أحدهما- ما قاله السدي من أن من أكل مال اليتيم ظلماً يبعث يوم القيامة و لهب النار يخرج من فيه، و من مسامعه، و من أذنيه و أنفه و عينيه، و يعرفه من رآه. بأكل مال اليتيم.

الثاني- أنه على وجه المثل، من حيث أن فعل ذلك يصير إلى جهنم، فتمتلى بالنار أجوافهم، عقابا على ذلك الأكل منهم، كما قال الشاعر:

و ان الذي أصبحتم تحلبونه دم غير أن اللون ليس باحمر

يصف أقواماً أخذوا الإبل في الدية، يقول: فالذي تحلبون من ألبانها ليس لبناً، إنما هو دم القتل.

اللغة:..... ص: ١٢٦

وقوله: «وَسَيُضَلُّونَ سَعِيرًا» فالصلاة لزوم النار، للإحراق، أو التسخن، أو الإنضاج، يقال: صلى بالنار يصلى صلا بالقصر، قال العجاج:
و صاليات للصلا صلى «١»
و يقال الصلا بالكسر و المد، قال الفرزدق:

(١) ديوانه: ٦٧ من أرجوزته المشهورة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٧

و قاتل كلب الحى عن نار أهله ليربض فيها و الصلا متكنف «١»

و اصطلى صلى بالنار اصطلاء، و أصليته النار أصلا، إذا ألقىته فيها. و فى التنزيل: «فَسَوْفَ نُضَلِّيهِ نَارًا» «٢» و الصالى بالشر الواقع فيه قال الشاعر:

لم أكن من جناتها علم الله و انى بحرها اليوم صالى «٣»

و منه شاء مصلياً، أى مشوية. و السعير بمعنى مسعورة، مثل كف خضيب، بمعنى مخضوبه، و السعير إشعال النار تقول سعرتها أسعرها سعراً. و منه قوله:

«وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» «٤» و استعرت النار فى الحطب استعاراً، و استعرت الحرب و الشر استعاراً، و منه سعر السوق، لاستعارها به فى النفاق.

المعنى:..... ص: ١٢٧

و أكل مال اليتيم على وجه الظلم، و غضبه متساويان فى توجه الوعيد إليه، و لا يدل على مثل ذلك فى غير مال اليتيم، لأن الزواجر عن مال اليتيم أعظم.

و قال الجبائى: هما سواء، و من غضب من مال اليتيم خمسة دراهم فان الوعيد يتوجه إليه و قال الرماني: لا يتوجه إليه، لأن أقل المال مائتا درهم. و قال الجبائى:

يلزمه كما يلزم مانع الزكاة. و قال الرماني: هذا ليس بصحيح، لأنه يجوز أن يكون منع الزكاة أعظم، و ما قلناه أولاً أولى بعموم الآية. و قوله: لا يسمى المال إلا مائتا درهم دعوى محضة، لا برهان عليها.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١]..... ص: ١٢٧

إشارة

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنِ آبَاؤُكُمْ وَ أبنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)

(١) ديوانه: ٥٦ و النقائض ٥٦١ و اللسان (صلا) و المعنى: ان الكلب يزاحم أهل الحى على النار و هم متجمعون- متكنفون- عليها من

شدة البرد.

(٢) سورة النساء: آية ٢٩.

(٣) قائله الحارث بن عباد البكري اصمعيات ٦٧ القصيدة ١٧، وحماسة البحتري ٣٣ و الكامل لابن الأثير ١: ٢٢٠ و خزائن الأدب ١: ٢٢٥ و غيرها. و قد مر البيت في ١: ١٩٥ من هذا الكتاب.

(٤) سورة التكوير: آية ١٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٨

- آية بلا خلاف -

القراءة والحجة:..... ص: ١٢٨

قرأ ابن عامر، و ابن كثير، و أبو بكر، عن عاصم: يوصى - بفتح الصاد - الباقون بكسرهما، و هو الأقوى، لقوله: «مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ» فتقدم ذكر الميت، و ذكر المفروض مما ترك «١»، و من فتحها فلأنه ليس لميت معين، و إنما هو شائع في الجميع.

سبب النزول و القصة:..... ص: ١٢٨

و قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما - قال السدي، و ابن عباس: إن سبب نزولها، أن القوم لم يكونوا يورثون النساء و البنات و البنين الصغار، و لم يورثوا إلا من قاتل و طاعن، فأنزل الله الآية، و أعلمهم كيفية الميراث. و قال عطاء، عن ابن عباس، و ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، إنهم كانوا يورثون الولد، و للوالدين الوصية، فنسخ الله ذلك. و

قال محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: كنت عليلاً - مدنفاً، فعادته النبي (ص)، و نضح الماء على وجهه فأفاق، و قال: يا رسول الله، كيف أعمل

(١) في المطبوعة (ما ترك).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٢٩

في مالي: فأنزل الله الآية.

و روى عن ابن عباس أنه قال: كان المال للولد، و الوصية للوالدين و الأقربين، فنسخ «١» ذلك بهذه الآية.

المعنى:..... ص: ١٢٩

و هذه الآية عامة في كل ولد يتركه الميت، و ان المال بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، و كذلك حكم البنت و البنتين. و البنت «٢» لها النصف، و لهما الثلثان على كل حال، إلا من خصه الدليل من الرق، و الكفر، و القتل، فانه لا خلاف أن الكافر، و المملوك، و القاتل عمداً، لا- يرثون، و إن كان القاتل خطأ، ففيه الخلاف و عندنا يرث من المال دون الدية. فأما المسلم فانه عندنا يرث الكافر، و فيه خلاف، ذكرناه في مسائل الخلاف،

و العبد لا يورث لأنه لا يملك شيئاً، و المرتد لا يرث و ميراثه لورثته المسلمين، و هذا قول علي (ع).

و قال سعيد بن المسيب: نرثهم و لا يرثونا و به قال معاوية، و الحسن، و عبد الله بن معقل، و مسروق و

قوله (ص) (لا يتوارث أهل ملتين)

معناه: لا يرث كل واحد منهما صاحبه، فإنا نقول: المسلم يرث الكافر، و الكافر لا يرث المسلم، فلم تثبت حقيقة التوارث بينهما. ومعنى «يُوصِيَهُمُ اللَّهُ» فرض عليكم، لأن الوصية من الله فرض، كما قال: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ» (٣) يعني فرض، عليكم، ذكره الزجاج، وإنما لم يعد قوله: «يوصيكم» إلى (مثل) فينصبه، لأنه كالقول في حكاية الجملة بعده، و التقدير: قال الله: «فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» ولأن الغرض بالآية الفرق بين الموصى به و الموصى له، في نحو أوصيت زيدا وعمرو.

وقوله: «فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ» فالظاهر يقتضى أن الثنتين لا يستحقان الثلثين، وإنما يستحق الثلثان إذا كن فوق اثنتين، لكن أجمعت الأمة أن حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات، فتركنا له الظاهر. و قال أبو العباس المبرد،

(١) في المطبوعة (فمنسخ بهذه الآية) بإسقاط ذلك.

(٢) (و البنت) ساقطة من المطبوعة. [.....]

(٣) سورة الانعام: آية ١٥١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٠

و اختاره إسماعيل بن إسحاق القاضي: إن في الآية دليلا على أن للبنتين الثلثين، لأنه إذا قال: «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» و كان أول العدد ذكراً و أنثى، للذكر الثلثان و للأنثى الثلث علم من ذلك أن للبنتين الثلثين، و أعلم الله أن ما فوق البنتين لهن الثلثان. و حكى الزجاج عن قال: ذلك معلوم، بقوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْزُؤَ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) (١) فجعل للاخت النصف، كما جعل للبنت النصف، ثم قال: «فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّلُثَانِ» (٢) فأعطيت البنتان الثلثين (٣)، كما أعطيت الأختان الثلثين و أعطى جملة الأخوات الثلثين، فكذلك جملة البنات. و ذكر عن ابن عباس: أن البنتين بمنزلة البنت، و إنما استحق الثلثين الثلاث بنات فصاعداً. و حكى النظام، في كتاب النكت، عن ابن عباس: أن للبنتين نصفاً و قيراطاً، قال: لأن للبنت الواحدة النصف، و للثلاث بنات الثلثين، فينبغي أن يكون للبنتين ما بينهما، ثم يشتركان في النصف و قيراطا بالسوية. و قوله: «وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ» يدل على أن فاطمة (ع) كانت مستحقة للميراث، لأنه عام في كل بنت، و الخبر المدعى في أن الأنبياء لا يورثون خبر واحد، لا يترك له عموم الآية لأنه معلوم لا يترك بمظنون. و قوله:

«وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ» ليس في ذلك خلاف، و كذلك إن كان واحد من الأبوين مع الولد، كان له السدس بالتسمية، بخلاف، ثم ينظر، فإن كان الولد ذكراً، كان الباقي للولد واحداً كان أو أكثر، بلا خلاف، و كذلك إن كانوا ذكوراً أو اناثاً فالمال بينهم، «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» و إن كانت بنتاً كان لها النصف، و لأحد الأبوين السدس، و الباقي عندنا يرد على البنت و أحد الأبوين على قدر سهامهما، أيهما كان، لأن قرابتهما سواء، و من خالفنا يقول: إن كان أحد الأبوين اباً كان الباقي له، لأنه عصبه و إن كانت أمماً ففيهم من يقول بالرد على البنت و على الأم و منهم من يقول: الباقي لبيت المال،

(١، ٢) سورة النساء: آية ١٧٥.

(٣) في المخطوطة و المطبوعة (فأعطيت البنتين الثلثان) و هو لحي.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣١

و إنما رددنا عليهما لقوله: «وَ أَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» (١) و هاهنا هما متساويان، لأن البنت تتقرب بنفسها إلى الميت، فكذلك أحد الأبوين، و الخبر المدعى في أن ما أبقت الفرائض فلأولى عصبه ذكر، خبر ضعيف، بينا وجهه في تهذيب الأحكام، لا

يخص به عموم القرآن. وقوله «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ» فمفهومه أن الباقي للأب وليس فيه خلاف، فان كان في الفريضة زوج كان له النصف، وللأم الثلث بالظاهر، وما بقي فللأب.

ومن قال: للأم ثلث ما يبقى، فقد ترك الظاهر، وبمثل ما قلناه قال ابن عباس، فان كان بدل الزوج زوجته، كان الأمر مثل ذلك، للزوجة الربع، وللأم الثلث، والباقي للأب، وبه قال ابن عباس، وابن سيرين.

قوله: «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ» ففي أصحابنا من يقول: إنما يكون لها السدس إذا كان هناك أب لأن التقدير: فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث، فان كان له إخوة وورثه أبواه فلأمه السدس، ومنهم من قال: إن لها السدس مع وجود الإخوة، سواء كان هناك أب أو لم يكن، وبه قال جميع الفقهاء، غير أنا نقول: إن كان هناك أب، كان الباقي للأب، وإن لم يكن أب كان الباقي رداً على الأم، ولا يرث - أحد من الإخوة والأخوات مع الأم شيئاً، سواء كانوا من قبل أب وأم أو من قبل أب، أو من قبل أم - على حال، لأن الأم أقرب منهم بدرجة، ولا يحجب عندنا من الإخوة إلا من كان من قبل الأب والأم، أو من قبل الأب، فأما من كان من قبل الأم فحسب، فانه لا يحجب على حال، ولا يحجب أقل من أخوين، أو أخ وأختين، أو أربع أخوات، فأما الأختان فلا يحجبان على حال، وخالفنا جميع الفقهاء في ذلك فأما الأخوان «٢» فلا - خلاف أنه تحجب بهما الأم عن الثلث إلى السدس، إلا ما قال ابن عباس: أنه لا يحجب بأقل من ثلثه، لقوله: (إخوة) و (الثلاثة أقل الجمع، وحكى عن

(١) سورة الانفال: آية ٧٥.

(٢) في المطبوعة (الأخوات).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٢

ابن عباس أيضاً: أن ما يحجبه الإخوة من سهم الأم من الثلث إلى السدس، يأخذه الإخوة دون الأب، وذلك خلاف ما أجمعت الأمة عليه، لأنه لا خلاف أن أحداً من الإخوة لا يستحق مع الأبوين شيئاً، وإنما قلنا إن إخوة بمعنى أخوين للإجماع من أهل العصر على ذلك، وأيضاً فانه يجوز وضع لفظ الجمع في موضع التثنية إذا اقترنت به دلالة، كما قال: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» (١) و يقول القائل: ضربت الرجلين أرؤسهما، ومن أخويك ظهورهما.

فان قيل: لم حجب الإخوة الأم من غير أن يرثوا مع الأب؟ قلنا: قال قتادة: معونة للأب، لأنه يقوم بنفقتهم، ونكاحهم، دون الأم، وهذا بعينه رواه أصحابنا، وهو دال على أن الإخوة من الأم لا يحجبون، لأن الأب لا يلزمه نفقتهم على حال، وقوله: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) معناه: لا تعلمون أيهم أقرب لكم نفعاً في الدين والدنيا، والله يعلمه، فاقسموه على ما بينه من يعلم المصلحة فيه. وقال بعضهم: الأب يجب عليه نفقة الابن إذا احتاج إليها، وكذلك الابن يجب عليه نفقة الأب مع الحاجة، فهما في النفع في هذا الباب سواء، لا تدرين أيهم أقرب نفعاً. وقيل: لا تدرين أيكم يموت قبل صاحبه، فينتفع الآخر بماله.

فان قيل: كيف قدم الوصية على الدين في هذه الآية وفي التي بعدها، مع أن الدين يتقدم عليها بلا خلاف؟ قلنا: لأن (أو) لا توجب الترتيب، وإنما هي لأحد الشيتين، فكأنه قال: من بعد أحد هذين، مفرداً أو مضموماً إلى الآخر كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، أي جالس أحدهما مفرداً أو مضموماً إلى الآخر ويجب البدأ بالدين، لأنه مثل رد الوديعة التي يجب ردها على صاحبها، فكذلك حال الدين، وجب رده أولاً، ثم يكون بعده «٢» الوصية، ثم الميراث.

وما قلناه اختاره الجبائي، والطبري، وهو المعتمد عليه في تأويل الآية. وقوله:

(١) سورة التحريم: آية ٤.

(٢) في المطبوعة (هذه) بدل (بعده)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٣

«فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ» نصب على الحال من قوله: (لأبويه) و تقديره: فلهؤلاء الورثة ما ذكرناه مفروضاً، ف (فريضة) مؤكدة لقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» هذا قول الزجاج، وقال غيره: هو نصب على المصدر من قوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي كَرِهْتُمُ الْأُنثَى» فرضاً مفروضاً. وقال غيره: يجوز أن يكون نصباً على التمييز من قوله: «فَالأُمَّهُ السُّدُسُ» فريضة، كما تقول: هو لك صدقة، أو هبة. و الثلث، و الربع، و السدس، يجوز فيه التخفيف و التثقيل، فالتخفيف لثقل الضمة، و قال قوم: الأصل فيها التخفيف، و إنما ثقل للاتباع، قال الزجاج: هذا خطأ لأن الكلام وضع على الإيجاز بالتخفيف عن التثقيل. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» قيل «١» في معناه ثلاثة أقوال: أحدها- قال سيبويه: كان القوم شاهدوا علماً: و حكمه، و مغفرة، و تفضلاً، ف قيل لهم: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» لم يزل على ما شاهدتم عليه «٢» .

و الثاني- قال الحسن: كان الله عليماً بالأشياء قبل حدوثها، حكيماً فيما يقدره و يدبره منها. الثالث- قال بعضهم: الخبر عن هذه الأشياء بالمضى، كالخبر بالاستقبال و الحال، لأن الأشياء عند الله على كل حال فيما مضى و ما يستقبل. و إنما قال في تشبيه الأب و الأم: أبوان تغليباً للفظ الأب، و يقال أيضاً للأم أبة، و لا يلزم على ذلك أن يقال: في ابن و ابنة: ابنان، لأنه يوهم، فان لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢]..... ص: ١٣٣

إشارة

و لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)

(١) المطبوعه (فيدخل) بدل (قيل).

(٢) هكذا في المخطوطة و المطبوعه و العبارة فيها ما ترى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٤

- آية بلا- خلاف- . قوله: «و لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ» لا خلاف أن للزوج نصف ما تترك الزوجة إذا لم يكن لها ولد، فان كان لها ولد فله الربع أيضاً بلا خلاف سواء كان الولد منه أو من غيره، و إن كان ولد لا يرث لكونه مملوكاً، أو كافراً، أو قاتلاً، فلا يحجب الزوج من النصف إلى الربع، و وجوده كعدمه.

و كذلك حكم الزوجة، لها الربع إذا لم يكن للزوج ولد، على ما قلناه في الزوجة سواء، فان كان له ولد، كان لها الثمن، و ما تستحقه الزوجة إن كانت واحدة فهو لها، و إن كن اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لم يكن لهن أكثر من ذلك بلا خلاف، و لا يستحق الزوج أقل من الربع في حال من الأحوال، و لا الزوجة أقل من الثمن على وجه من الوجوه، و لا يدخل عليهما النقصان، و كذلك الأبوان لا ينقصان في حال من الأحوال من السدسين، لأن العول عندنا باطل على ما بيناه في مسائل الخلاف. و كل من ذكر الله له فرضاً، فإنما يستحقه

إذا أخرج من التركة الكفن، و الدين، و الوصية، فان استغرق الدين المال لم تنفذ الوصية، و لا ميراث، و إن بقي نفذت الوصية، ما لم تزد على ثلث ما يبقى بعد الدين، فان زادت ردت إلى الثلث.

وقوله: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) يعنى من الأم، بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٥

الاعراب:..... ص: ١٣٥

(و كلاله) نصبه يحتمل أمرين:

أحدهما- على أنه مصدر وقع موقع الحال، و تكون كان تامه، و تقديره: يورث متكلل النسب كلاله.

و الثانى- بان يكون خبر كان، ذكره الرماني، و البلخي، و تقديره (فان كان) (رجل) اسم كان و يورث: صفته. و كلاله خبره. و الأول هو الوجه، لأن (يورث) هو الذى اقتضى ذكر الكلاله، كما تقول: يورث هذا الرجل كلاله، بخلاف من يورث ميراث الصلب، و يورث كلاله عصبه و غير عصبه.

المعنى:..... ص: ١٣٥

و اختلفوا فى معنى الكلاله، فقال أبو بكر و عمر، و ابن عباس، و ابن زيد، و قتاده، و الزهرى، و ابن إسحاق: هو ما عدا الوالد و الولد «١». و روى عن ابن عباس فى رواية أخرى، أن الكلاله ما عدا الوالد «٢»، و ورث الاخوة من الأم السدس مع الأبوين، و هذا خلاف إجماع أهل الاعصار. و قال ابن زيد:

الميت يسمى كلاله. و قال جابر، و ابن زيد: من عدا الوالد و الولد من الورثه يسمى كلاله، فعلى هذا يسمى الزوج و الزوجه كلاله، و قال قوم: الكلاله هو الميت الذى لا ولد له، و لا والد.

و عندنا أن الكلاله هم الاخوة و الأخوات، فمن ذكر فى هذه الآيه هو من كان من قبل الأم، و من ذكر فى آخر السوره فهو من قبل الأب و الأم، أو من قبل الأب.

اللغة:..... ص: ١٣٥

و أصل الكلاله: الاحاطه، فمنه الإكليل، لاحاطته بالرأس، و منه الكل

(١، ٢) فى المخطوطه (ما عدا الولد) فى الموضوعين.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٦

لاحاطته بالعدد، و الكلاله لاحاطتها بأصل النسب الذى هو الولد و الوالد، و منه الكلال، لأنه تعب قد أحاط.

و قال أبو مسلم: أصلها من كل إذا أعيأ، فكأنه تناول الميراث من بُعد على كلا و إعياء. و قال الحسين بن على المغربى: أصله عندى ما تركه الإنسان وراء ظهره، مأخوذاً من الكلاله، و هى مصدر الأكل، و هو الظهر، و قال: قرأت على أبى أسامه فى كتاب الجحيم، لأبى عمرو الشيبانى: تقول العرب: و لانى فلان أكله على وزن أظله، أى: و لانى ظهره، قال و هذا الاسم تعرفه العرب، و تخبر به عن جمله النسب و الوارثه، قال عامر بن الطفيل:

و أنى و ان كنت ابن فارس عامر و فى السر منها و الصريح المهذب

فما سودتنى عامر عن كلاله أبى الله ان أسموا بأم و لا أب «١»

هكذا أنشده الرازي في كتابه، و ينشد عن وارثه. و قال زياد بن زيد العذري:

و لم أرث المجد التليد كلاله و لم يأن منى فترة لعقيب

و الكل الثقل، و يقولون لابن الأخ و من يجرى مجراه، ممن يعال على وجه التبرع: هذا كلي، و من قال: إن الأب لا يدخل في الكلالة
استدل بقول الشاعر:

فان أبا المرء أحمى له و مولى الكلالة لا يغضب «٢»

فأفرد الأب من الكلالة. و لا خلاف أن الاخوة و الأخوات من الأم يتساوون في الميراث.

الاعراب:..... ص: ١٣٦

و قوله: «وصية» نصب على المصدر بقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» وصية و قال الفراء: نصب بقوله:

«فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ» وصية كما تقول: لك درهمان نفقة إلى أهلك، و الأول

(١) اللسان (كلل).

(٢) اللسان (كل).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٧

أعم قائدة، و أولى. و قوله: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ» معناه هاهنا: عليم بمصالح خلقه، حلیم بامهال من يعصيه، فلا يغتر مغتر بامهاله. و قوله: «وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَالِأَنفِ أَوْ امْرَأَةٌ» ثم قال: «وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ» و لم يقل: لهما، كما تقول: من كان له أخ أو أخت فليصله، و يجوز: فليصلها، و يجوز: فليصلهما، فالأول يرد الكناية إلى الأخ، و الثاني على الأخت، و الثالث عليهما، كل ذلك حسن. و قوله: «غَيْرَ مُضَارٍّ» نصب على الحال، يعنى: يوصى بذلك غير مضار. و قال الزجاج: يجوز أن يكون نصباً على أنه مفعول به. و حكى البلخي عن أبي عبيدة، و ذكره الزجاج:

«يورث» بكسر الراء، قال: و معناه من ليس بولد و لا والد، و من نصب الراء أراد المصدر.

المعنى:..... ص: ١٣٧

و مسائل الموارث و فروعها بسطناها في النهاية و المبسوط، و أجزناها في الإيجاز، في الفرائض، لا نطول بذكرها في الكتاب، غير أنا نعقد هاهنا جملة تدل على المذهب فنقول: الميراث يستحق بشيئين: نسب و سبب، فالسبب الزوجية، و الولاء، و الولاء على ثلاثة أقسام: ولاء العتق، و ولاء تضمن الجريرة، و ولاء الامامة، و لا يستحق الميراث بالولاء إلا مع عدم ذوى الأنساب. و الميراث بالزوجية ثابت مع جميع الوراث، سواء ورثوا بالفرض أو بالقرابة، و لا ينقص الزوج عن الربع في حال، و لا يزداد على النصف، و الزوجة لا تزداد على الربع، و لا تنقص من الثمن على وجه.

و الميراث بالنسب يستحق على وجهين: بالفرض، و القرابة، فالميراث بالفرض لا يجتمع فيه إلا من كانت قرباه واحدة إلى الميت، مثل البنت أو البنات مع الوالدين أو أحدهما، فانه متى انفرد واحد منهم أخذ المال كله، بعضه بالفرض، و الباقي بالرد، و إذا اجتمعا أخذ كل واحد منهم ما سمي له، و الباقي يرد عليهم، إن التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٨

فضل. على قدر سهامهم، و ان نقص، لمزاحمة الزوج أو الزوجة لهم، كان النقص داخلا على البنت أو البنات، دون الأيوين، أو أحدهما، و دون الزوج و الزوجة.

ولا- يجتمع مع الأولاد، ولا مع الوالدين، ولا مع أحدهما أحد ممن يتقرب لهما، كالكلاليتين فإنهما لا تجتمعان مع الأولاد، ذكوراً كانوا أو إناثاً، ولا مع الوالدين، ولا مع أحدهما أباً كان أو أمماً، بل تجتمع كلاله الأب و كلاله الأم، فكلاله الأم إن كان واحداً كان له السدس، وإن كانا إثنين فصاعداً كان لهما الثلث، لا ينقصون منه، والباقي لكلاله الأب، فإن زاحمهم الزوج أو الزوجة دخل النقص على كلاله الأب دون كلاله الأم، ولا تجتمع كلاله الأب و الأم مع كلاله الأب خاصة، فإن اجتمعا كان المال لكلاله الأب و الأم، دون كلاله الأب، ذكراً كان أو أنثى، أو ذكوراً، أو أنثاً، أو ذكوراً و أنثاً «١» و من يورث بالقرابة دون الفرض لا يجتمع إلا [مع «٢» من كانت قرباه واحدة، و أسبابه و درجته متساوية، فعلى هذا لا يجتمع مع الولد للصلب ولد الولد، ذكراً كان ولد الصلب أو أنثى، لأنه أقرب بدرجته، و كذلك لا يجتمع مع الأبوين و لا مع أحدهما من يتقرب بهما من الاخوة و الأخوات، و الجد و الجدة على حال، و لا يجتمع الجد و الجدة مع الولد للصلب، و لا مع ولد الولد و إن نزلوا، و يجتمع الأبوان مع ولد الولد و إن نزلوا، لأنهم بمنزلة الولد للصلب، إذا لم يكن ولد الصلب، و الجد و الجدة يجتمعان مع الاخوة و الأخوات، لأنهم في درجة واحدة «٣» و الجد من قبل الأب بمنزلة الأخ من قبله، و الجدة من قبله بمنزلة الأخت من قبله، و الجد من قبل الأم بمنزلة الأخ من قبلها، و الجدة من قبلها بمنزلة الأخت من قبلها، و أولاد الاخوة و الأخوات يقاسمون الجد و الجدة، لأنهم بمنزلة آبائهم، و لا يجتمع مع الجد و الجدة من يتقرب بهما من العم و العمه، و الخال و الخالة، و لا الجد الأعلى،

(١) (أو ذكورا و أناثا) ساقطة من المطبوعة.

(٢) (مع) ساقطة من المطبوعة. [.....]

(٣) في المطبوعة (د ج و الجد) بإسقاط واحدة و التأنيث من درجة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٣٩

و لا الجدة العليا، و على هذا تجرى جملة الموارث، فان فروعها لا تنحصر، و فيما ذكرناه تنبيه على ما لم نذكره.
و أما المسائل التي اختلف قول الصحابة فيها، فقد ذكرناها في خلاف الفقهاء، فلا وجه لذكرها هاهنا، لأنه يطول به الكتاب.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٣ الى ١٤]..... ص: ١٣٩

إشارة

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤)
- آيتان بلا خلاف-

القراءة، و الحجة:..... ص: ١٣٩

قرأ نافع، و ابن عامر: ندخله بالنون في الموضعين، الباقون بالياء، فمن قرأ بالياء فلأن ما تقدم لفظ الغائب و من قرأ بالنون عدل عن خطاب الغائب إلى الاخبار عن الله بنون العظمة، كما قال: «بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ» «١» و قال بعده:
«سنلقى» فعدل عن الغائب.

المعنى، و الاعراب:..... ص: ١٣٩

قال الفراء، و الزجاج: معنى (تلك) هذه، كأنه قال هذه حدود الله و اختلفوا في معنى الحدود، فقال السدى: تلك شروط الله، و قال ابن عباس: تلك طاعة الله، و قال قوم: تلك فرائض الله و أمره، و قال قوم: تلك تفصيلات الله لفرائضه، و هو الأقوى، لأن أصل الحد هو الفصل، مأخوذاً من حدود الدار التي تفصلها من غيرها، فمعنى الآية: هذه القسمة التي قسمها الله لكم، و الفرائض التي فرضها لأحيائكم من

(١) سورة آل عمران: آية ١٥٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٠

أمواتكم حدود الله، يعنى فصول بين طاعة الله و معصيته على ما قال ابن عباس، و المعنى تلك حدود طاعة الله، و انما اختص لوضوح المعنى للمخاطبين.

فان قيل: إذا كان ما تقدم ذكره دل على أنها حدود الله، فما الفائدة في هذا القول؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- للتأكيد، و الثانى- أن الوجه فى إعادته ما علق به من الوعد و الوعيد الصريح.

فان قيل: لم خصت الطاعة فى قسمة الميراث بالوعد، مع أنه واجب فى كل طاعة إذا فعلت لوجه الوجوب؟ قلنا: للبيان عن عظم موقع هذه الطاعة، مع التذكير بما يستحق عليها ترغيباً فيها بوعد مقطوع. و قوله: «يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» نصب على الحال. قال الزجاج و التقدير:

يدخلهم مقدرين الخلود فيها، و الحال يستقبل فيها، كما تقول: مررت برجل معه باز، صائداً به غدا، أى يقدر الصيد به غدا. و قوله: «و ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه الفلاح العظيم، فوصفه بأنه عظيم و لم يبين بالاضافة إلى ما ذاك، لأن المراد به أنه عظيم بالاضافة إلى منفعة الخيانة فى التركة، من حيث كان أمر الدنيا حقيراً بالاضافة إلى أمر الآخرة. و قوله: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ» معناه يعصى الله فيما بينه من الفرائض، و أموال اليتامى، «وَيَتَعَدَّ» معناه:

يتجاوز ما بين له، «يُدْخِلُهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» و خالداً نصب على أحد وجهين.

أحدهما- أن يكون حالاً من الهاء فى يدخله.

و الآخرة- أن يكون صفةً لنار فى قول الزجاج، كقولك: زيد مررت بدار ساكن فيها، على حذف الضمير، و التقدير: ساكن هو فيها، لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت: يسكن فيها.

و استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن فاسق أهل الصلاة مخلد فى النار، و معاقب لا محالة، و هذا لا دلالة لهم فيه من وجوه، لأن قوله: «وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ» إشارة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤١

إلى من يتعدى جميع حدود الله، و من كان كذلك فعندنا يكون كافراً، و أيضاً فلا خلاف أن الآية مخصوصة بصاحب الصغيرة، و إن كان فعل المعصية، و تعدى حداً فانه خارج منها، فان جاز لهم إخراج الصغيرة منها لدليل، جاز لنا أن نخرج من يتفضل الله عليه بالعفو، أو يشفع فيه النبى (ص). و أيضاً فان التائب لا بد من إخراجه من هذه الآية لقيام الدلالة على وجوب قبول التوبة، فكذلك يجب أن يشترط من يتفضل الله بإسقاط عقابه، فان قالوا: قبول التوبة واجب، و العفو ليس بواجب، قلنا: قبول التوبة واجب إذا حصلت، و كذلك سقوط العقاب واجب إذا حصل العفو، فان قالوا: يجوز أن لا يختار الله العفو، قلنا:

و كذلك يجوز ألا يختار العاصى التوبة، فان جعلوا الآية دالة على أن الله لا يختار العفو، جاز لغيرهم أن يجعل الآية دالة على أن العاصى لا يختار التوبة، على أن هذه الآية معارضة بآيات كثيرة، فى وقوع العفو، كقوله: «وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (١) على ما سنبينه فيما بعد. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» (٢) و قوله: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ» (٣) فان شرطوا فى آياتنا التوبة، شرطنا فى آياتهم ارتفاع العفو، و الكلام فى ذلك مستقصى فى الوعيد، لا نطول بذكره هذا الكتاب. و يمكن- مع تسليم

ذلك- أن تحمل الآية على من يتعدى الحدود مستحلاً لها، فإنه يكون كافراً، و يتناوله الوعيد، على أن عند كثير من المرجئة العموم لا صيغة له، فمن أين ان (من) يفيد جميع العصاة؟
و ما المنكر أن تكون الآية مختصة بالكفار.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥]..... ص: ١٤١

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥)

(١) سورة النساء: آية ٤٧، ١١٥.

(٢) سورة الزمر: آية ٦٣.

(٣) سورة الرعد: آية ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٢

- آية بلا خلاف -

المعنى:..... ص: ١٤٢

قال أكثر المفسرين، كالضحّاك، و ابن زيد، و الجبائي، و البلخي، و الزجاج، و مجاهد، و ابن عباس، و قتادة، و السدي: إن هذه الآية منسوخة، لأنه كان الفرض الأول أن المرأة إذا زنت و قامت عليها البينة بذلك، أربعة شهود، أن تحبس في البيت أبداً حتى تموت، ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين، و الجلد في البكرين.

و اللاتي جمع التي، و كذلك اللواتي، قال الشاعر:

من اللواتي و التي و اللاتي زعمن أن كبرت لداتي «١»

و يجمع اللاتي بإثبات الياء و بحذفها، قال الشاعر:

من اللات لم يحججن يبعين حسبه و لكن ليقتلن البريء المغفلا «٢»

و قوله: «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» قيل في معنى السبيل ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و عبد الله بن كثير، أنه الجلد للبكر مائة، و للثيب المحصن الرجم، و إذا جلد البكر فإنه ينفي سنة عندنا، و به قال الحسن، و قتادة، و فيه خلاف ذكرناه في الخلاف.

و [الثاني - قال الجبائي: النفي يجوز من طريق اجتهاد الامام، و أما من وجب عليه الرجم فإنه يجلد أولاً ثم يرجم عند أكثر أصحابنا، و به قال الحسن، و قتادة، و عبادة بن الصامت، و جماعة ذكرناهم في الخلاف. و في أصحابنا من يقول: ذلك يختص الشيخ و الشيخة، فإذا لم يكونا كذلك فليس عليهما غير الرجم، و أكثر الفقهاء على أنهما لا يجتمعان، و ثبوت الرجم معلوم من جهة التواتر على وجه لا- يخلج فيه شك، و عليه اجماع الطائفة، بل اجماع الأمة، و لم يخالف فيه إلا الخوارج، و هم لا يعتقد بخلافهم. و قوله: «يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ» يعني بالفاحشة،

(١) اللسان (لنا) و الصحاح، و التاج. و مجاز القرآن ١: ١١٩ و خزائن الأدب و غيرها و لم يعرف قائله.

(٢) نسبة أبو عبيدة الى عمر بن أبي ربيعة و لم نجده في ديوانه، و نسب الى الحارث بن خلد في بعض النسخ. مجاز القرآن ١: ١٢٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٣

و حذف الباء كما يقولون: أتيت أمراً عظيماً، أى: بأمر عظيم، و تكلمت كلاماً قبيحاً، أى بكلام قبيح. و قال أبو مسلم: «و اللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ» قال: هما المرأة تخلوا بالمرأة فى الفاحشة المذكورة عنهن، «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» فالتزويج و الاستغناء بالحلال، و هذا قول مخالف للإجماع، و لما عليه المفسرون، فإنهم لا يختلفون

أن الفاحشة المذكورة فى الآية الزنا، و أن هذا الحكم منسوخ، و هو المروى عن أبي جعفر (ع) و أبي عبد الله (ع).

و لما نزل قوله: «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي» (١) قال النبي (ص): قد جعل الله لهن سيلاً، البكر بالبكر، جلد مائة و تغريب عام، و الثيب بالثيب الجلد ثم الرجم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦]..... ص: ١٤٣

إشارة

وَ الَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأُذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦)
- آية بلا خلاف -

القراءة، و اللغة:..... ص: ١٤٣

قرأ ابن كثير: (و اللذان) بتشديد النون، و كذلك: (هذان) (و فذانك) و وافقه أبو عمرو فى: فذانك. الباقون بالتخفيف، قال أبو على: من شدد النون فوجهه أنه عوض من الحذف الذى لحق الكلمة، لأن قولهم: (ذا) قد حذف لامها، و قد حذف الياء من اللذان فى التشية، لأن أصله اللذيان، فعوض عن ذلك التشديد، و فى العرب من يقول: اللذ بلا ياء، و فى التشية اللذا، و فى الجمع اللذو، و للمرأة اللت، و اللتا، و اللات، بلا ياء، و طى تقول مكان الذى: ذو، و مكان التى: ذات.

المعنى:..... ص: ١٤٣

و المعنى بقوله: (اللذان) فيه ثلاثة أقوال:

(١) سورة النور: آية ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٤

أولها- قال الحسن، و عطا: الرجل و المرأة، و قال السدى و ابن زيد:

هما البكران من الرجال و النساء، و قال مجاهد: هما الرجلان الزانيان، قال الرماني:

قول مجاهد لا يصح، لأنه لو كان كذلك لم يكن للتشية معنى، لأنه إنما يجيء الوعد و الوعيد بلفظ الجمع، لأنه لكل واحد منهم، أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس الذى يعم جميعهم، و أما التشية فلا فائدة فيها، قال: و الأول أظهر. قال أبو مسلم:

هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما،

و روى عن النبي (ص) أنه قال: السحاق زناء النساء بينهن، و مباشرة الرجل للرجل زناء، و مباشرة المرأة للمرأة زناء

، قال: ولا- يعرف في كلام العرب جمع بين الذكر والأنثى في لفظ التذكير إلا- إذا تقدمه ما يدل عليه، كقوله: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» ثم قال: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» (١) و إلى هذا التأويل في معنى الرجلين ذهب أهل العراق، فلا يحدون للوطى، وهذا قول بعيد، والذي عليه جمهور المفسرين أن الفاحشة الزنا، وأن الحكم المذكور في الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور، ذهب إليه الحسن، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و ابن زيد، و الضحاك، و البلخي، و الجبائي، و الطبري، و الزجاج، و غيرهم. و بعضهم قال: نسخها الحدود بالرجم أو الجلد.

و قوله: «فَأَذُوهُمَا» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: هو التغيير باللسان، و الضرب بالنعال. و قال قتادة، و السدى، و مجاهد: هو التعيير و التوبيخ، فان قيل: كيف ذكر الأذى بعد الحبس؟ قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- قال الحسن إن هذه الآية نزلت أولاً، ثم أمر بأن توضع في التلاوة بعد، فكان الأذى أولاً، ثم الحبس، بعد ذلك، ثم «٢» نسخ الحبس بالجلد أو بالرجم.

الثاني- قال السدى: انه في البكرين خاصة، دون الثيبين، و الأولى في

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٥.

(٢) ثم) ساقطة من المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٥

الثيبين دون البكرين.

و الثالث- قال الفراء: هذه الآية نسخت الاولى، قال أبو علي الجبائي:

في الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنة، لأنها نسخت بالرجم أو الجلد، و الرجم ثبت بالسنة، و من خالف في ذلك يقول: هذه الآية نسخت بالجلد في الزنا، و أضيف إليه الرجم زيادة لا- نسخاً، فلم يثبت نسخ القرآن بالسنة. فأما الأذى المذكور في الآية، فليس بمنسوخ، فان الزانى يؤذى و يعنف، و يوبخ على فعله، و يذم. و إنما لا يقتصر عليه، فزيد في الأذى إقامة الحد عليه، و إنما نسخ الاقتصار عليه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧]..... ص: ١٤٥

إشارة

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)
- آية واحدة-

المعنى:..... ص: ١٤٥

التوبة هي الندم على القبيح مع العزم على ألا يعود إلى مثله في القبح، و في الناس من قال: يكفي الندم على ما مضى من القبيح، و العزم على ألا يعود إلى مثله، و الاول أقوى، لإجماع الأمة على أنها إذا حصلت على ذلك الوجه أسقطت العقاب، و إذا حصلت على الوجه الثاني ففي سقوط العقاب عنها خلاف، و قد ذكر الله تعالى في هذه الآية أن التوبة إنما يقبلها ممن يعمل السوء بجهالة، و قيل في معنى بجهالة أربعة أقوال:

أحدها- قال مجاهد، و قتادة، و ابن عباس، و عطاء و ابن زيد: هو أن يفعلوها على جهة المعصية لله تعالى، لأن كل معصية لها جهالة، لأنه يدعو إليها الجهل، و يزينها للعبد، و إن كانت عمدا.

الثاني- بجهالة، أى بحال كحال الجهالة، التى لا يعلم صاحبها ما عليه فى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٦ مثلها من المصرة.

الثالث. قال الفراء: معنى (بجهالة) أى لا يعلمون كله ما فيه من العقوبة، كما يعلم الشئ ضرورة.

الرابع- (بجهالة) أى و هم يجهلون أنها ذنوب و معاصى، اختاره الجبائى، قال: يفعلونها بجهالة إما بتأويل يخطئون فيه، أو بان يفرطوا فى الاستدلال على قبحها، قال الرماني:

هذا ضعيف، لأنه تأويل بخلاف ما أجمع عليه المفسرون، قال أبو العالئة: إن أصحاب رسول الله (ص) كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فبجهالة، و قال قتادة:

أجمع أصحاب رسول الله (ص) على ذلك، و أيضاً فانه يوجب أن من علم أنها ذنوب أن لا يكون له توبه، لأن قوله: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ» يفيد أنه لهؤلاء دون غيرهم، و ظاهر الآية يدل على أن الله يقبل التوبه من جميع المعاصى كفراً كان أو قتلاً أو غيرهما من المعاصى، و يقربه أيضاً قوله: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...» إلى قوله: «إِلَّا مَنْ تَابَ» (١) فاستثنى من القتل، كما استثنى من الزنا و الشرك، و حكى عن الحسن أنه قال: لا يقبل الله توبه القاتل. و روى أنه إنما قال ذلك لرجل كان عزم على قتل رجل على أن يتوب فيما بعد، فأراد صده عن ذلك. و قوله «فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» بعد قوله «ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» معناه إن الله يقبل توبتهم إذا تابوا و أتابوا، و قوله: «من قريب» حث على أن التوبه يجب أن تكون عقيب المعصية، خوفاً من الاخترام، و ليس المراد بذلك أنها لو تأخرت لما قبلت. و قال الزجاج: معناه ثم يتوبون قبل الموت، لأن ما بين الإنسان و بين الموت قريب، و التوبه مقبولة قبل اليقين بالموت. و قال الحسن، و الضحاك، و ابن عمر: القريب ما لم يعاين الموت.

و قال على (ع)، و قد قيل له: فان عاد؟ قال: يغفر الله له و يتوب، مراراً، قيل:

إلى متى؟ قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور.

و قال السدى، و ابن عباس:

فى حال الصحة قبل الموت. و قوله: «وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» معناه هاهنا: و كان الله

(١) سورة الفرقان: آية ٦٨-٧٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٧

عليما بتوبتهم إن تابوا، و إصرارهم إن أصرؤا، حكيماً فى مؤاخذتهم إن لم يتوبوا.

و روى عن النبى (ص) انه قال: لما هبط إبليس قال: و عزتك و عظمتك، لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده، فقال الله: و عزتى و عظمتى لا أحجب التوبه عن عبدى حتى يغرغر.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٨]..... ص: ١٤٧

إشارة

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)

آية واحدة-.

المعنى:..... ص: ١٤٧

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يقبل التوبة من الذي يعمل المعاصي حتى إذا حضره الموت قال: إني تبت الآن، و أجمع أهل التأويل على أن الآية تناولت عصاة أهل الصلاة، إلا ما حكى عن الربيع أنه قال: إنها في المنافقين، وهذا غلط لأن المنافقين كفار، و قد بين الله الكفار بقوله. «وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ» و قال الربيع أيضاً: إن الآية منسوخة بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (١). و هذا خطأ لأن النسخ لا يدخل في الخبر الذي يجرى هذا المجرى، و من جوز العفو بلا توبة يمكنه أن يقول: إن التوبة التي وعد الله بإسقاط العقاب عندها قطعاً متى حصلت في هذا الوقت لا يسقط العقاب، و لا يمنع ذلك من أن يتفضل الله بإسقاط العقاب ابتداءً بلا توبة، كما لو خرج من دار الدنيا من غير توبة أصلاً، لم يمنع ذلك من جواز العفو عنه، فليس في الآية ما ينافي القول بجواز العفو من غير توبة. و قال جميع المفسرين، كابن عباس، و ابن عمر، و ابراهيم، و ابن زيد، و غيرهم: إن الذين يحتضرون لا تقبل لهم توبة، غير إن الذين يحضرون الميت لا يعرفون تلك الحال معرفةً يمكن

(١) سورة النساء: آية ٤٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٨

بها الإشارة إليها. فان قيل: فلم لم تقبل التوبة في الآخرة؟ قيل: لرفع التكليف، و حصول اللجاج إلى فعل الحسن دون القبيح، و الملجأ لا يستحق بفعله ثواباً و لا عقاباً، لأنه يجرى مجرى الاضطرار. و حكى الرماني عن قوم أنهم قالوا بتكليف أهل الآخرة، و ان التوبة إنما لم يجب قبولها، لأن صاحبها هناك في مثل حال المتعوز بها، لا المخلص فيها و هذا خطأ، لأن الله تعالى يعلم أسرارهم كما يعلم إعلانهم. و قوله: «أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» معناه أعددنا، و قال قوم:

التاء بدل من الدال، و قال آخرون هو أفلنا من العتاد، و معناه أعددنا، و عتاد الرجل: عدته، و هو الأصل. و الشيء العتيد هو المعد، و العتيدة: طلبة معدة للطيب، و معنى إعداد العذاب لهم، إنما هو بخلق النار التي هي مصيرهم. و الأليم بمعنى المؤلم. و ليس في الآية ما يمنع من جواز العفو عن مرتكبي الكبائر بلا توبة، لأن قوله: (أولئك) يحتمل أن يكون راجعاً إلى الكفار لأنه جرى ذكر الكفار و هم أقرب إلى أولئك من ذكر الفساق، و يحتمل أن يكون التقدير: أعددنا لهم عذاباً، إن لم نشأ العفو عنهم، و تكون الفائدة فيه إعلامهم ما يستحقونه من العذاب، و ألا يأمنوا أن يفعل بهم ذلك، و إن كان تعالى يعلم هل يعفو أو لا يعفو.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٩]..... ص: ١٤٨

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذَهَبْنَ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)

آية بلا خلاف-.

القراءة و اللغة:..... ص: ١٤٨

قرأ (بفاحشهُ مبيئهُ) بفتح الياء، ابن كثير، و أبو بكر، عن عاصم.

الباقون بالكسر، و هو الأقوى، لأنه لا يقصد إلى إظهارها. وقرأ حمزة و الكسائي التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٤٩ (كراً) بضم الكاف هنا و في التوبة و الأحقاف، وافقهما في الأحقاف عاصم، و ابن عامر، إلا الحلواني، و يعقوب. الكره و الكره لغتان، مثل الشهيد و الشُّهد، و الضعف و الضعف، و الفقر و الفقر.

المعنى:..... ص: ١٤٩

هذا الخطاب متوجه إلى المؤمنين، نهاهم الله أن يرثوا النساء كرها، و اختلفوا في معنى ذلك، فقال الزهري، و الجبائي، و غيرهما، و روى ذلك عن أبي جعفر (ع): هو أن يحبس الرجل المرأة عنده، لا حاجة له إليها، و ينتظر موتها حتى يرثها. فنهى الله (تعالى) عن ذلك. و قال الحسن، و مجاهد:

معناه ما كان يعمل أهل الجاهلية، من أن الرجل إذا مات، و ترك امرأته قال وليه: ورثت امرأته، كما ورثت ماله، فان شاء تزوجها بالصدوق الأول، و لا يعطيها شيئاً، و إن شاء زوجها و أخذ صداقها، و روى ذلك أبو الجارود، عن أبي جعفر (ع). و قال مجاهد: إذا لم يكن الولي ابنها قال أبو مجلز: و كان أولى بالميراث أولى بها من ولي نفسها. و قوله: «وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» قيل فيمن عنى بهذا النهي أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و قتادة، و السدي، و الضحاك: هو الزوج أمره الله بتخليه السبيل إذا لم يكن له فيها حاجة، و لا يمسكها إضراراً بها، حتى تقتدى ببعض مالها. و الثاني- قال الحسن: هو الوارث، نهى عن منع المرأة من التزويج، كما يفعل أهل الجاهلية على ما بيناه. و الثالث- قال مجاهد: المراد الولي.

الرابع- قال ابن زيد: المطلق يمنعها من التزويج، كما كانت تفعل قريش في الجاهلية، ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة، فإذا لم توافقه فارقها، على أن لا تتزوج إلا باذنه، فيشهد عليها بذلك، و يكتب كتاباً، فإذا خطبها خاطب، فان أعطته التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٠

و أرضته، أذن له و إن لم تعطه عضلها، فنهى الله عن ذلك. و الأول أظهر الأقاويل.

اللغة:..... ص: ١٥٠

و العضل هو التصديق بالمنع من التزويج، و أصله الامتناع، يقال: عضلت الدجاجة ببيضتها: إذا عسرت عليها، و منه العضلة: لصلابتها، و منه الداء العضال إذا لم يبرء، و عضل الفضا بالجيش الكثير إذا لم يمكن سلوكه لضيقه.

المعنى:..... ص: ١٥٠

و قوله: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و أبو قلابه، و السدي: يعنى الزنا، و قالوا إذا أطلع منها على زينة فله أخذ الفدية.

و الثاني- قال ابن عباس، و الضحاك، و قتادة:

هو النشوز، و الأولى حمل الآية على كل معصية، لأن العموم يقتضى ذلك، و هو المروى عن أبي جعفر (ع)

و اختاره الطبرى. و قوله: «وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» قال السدى: معناه خالطوهن، و خالقوهن، من العشرة التى هى المصاحبة بما أمركم الله به من المصاحبة، بأداء حقوقهن التى أوجبها على الرجال، أو تسريح بإحسان. و قوله: «فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» يعنى فى إمساكنهن على كره منكم «خَيْرًا كَثِيرًا» من ولد يرزقكم، أو عطفكم عليهن بعد الكراهية، و به قال ابن عباس، و مجاهد.

الاعراب:..... ص: ١٥٠

و الهاء فى فيه، يَحْتَمَلُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الشَّيْءِ فى قوله: «أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا» و يَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً إِلَى الذِّى يَكْرَهُونَهُ. و قوله: «وَ لَا تَعْضُوهُنَّ» يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جُزْمًا بِالنَّهْيِ، و يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ نَصَبًا بِالْعَطْفِ عَلَى قَوْلِهِ: «لَا يَحِلُّ لَكُمْ التَّبْيَانُ فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥١

أَنْ تَرْتُوَا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَ لَا تَعْضُوهُنَّ»
و فى قراءة عبد الله: «وَ لَا أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ» يَأْتِيَاتُ أَنْ.

النزول:..... ص: ١٥١

و قيل فى سبب نزول هذه الآية أن أبا قيس بين الأسلت لما مات عن زوجته كبشة بنت معن بن عاصم، أراد ابنه أن يتزوجها، فجاءت إلى النبى (ص) فقالت:
يا نبى الله: لا أنا ورثت زوجى، و لا أنا تركت فأنكح، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو جعفر عليه السلام ، و غيره.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٠]..... ص: ١٥١

إشارة

وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَ تَأْخُذُونَ بِهَيْتَانَا وَ إِنَّمَا مُبِينًا (٢٠) - آية -

المعنى:..... ص: ١٥١

أخذ مال المرأة، و إن كان محرماً على كل حال من غير أمرها، فإنما خص الله تعالى الاستبدال بالنهى، لأن مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع، من حيث أن الثانية تقوم مقام الأولى، فيكون لها ما أعطيتها الأولى، فبين الله تعالى أن ذلك لا يجوز. و المعنى: إن أردتم تخليء المرأة سواء استبدل مكانها أو لم يستبدل. و قوله: «وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا» معناه: ليس ما آتيتوهن موقوفاً على التمسك بهن، دون تخليتهن، فيكون إذا أردتم الاستبدال جاز لكم أخذه، بل هو تمليك صحيح، لا يجوز الرجوع فيه. و المراد بذلك ما أعطى المرأة مهراً لها، و يكون دخل بها، فأما إذا لم يدخل بها، و طلقها، جاز له أن يسترجع نصف ما أعطاها، فأما ما أعطاها على وجه الهبة، فظاهر الآية يقتضى أنه لا يجوز له الرجوع فى شىء منه. لكن علمنا بالسنة أن ذلك سائغ له، و إن كان مكروهاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٢

اللغة:..... ص: ١٥٢

و القنطار المال الكثير. و اختلفوا في مقداره، فقال بعضهم هو ملء جلد ثور ذهباً، و قال آخرون: هو دية الإنسان، و غير ذلك من الأقوال التي قدمنا ذكرها فيما مضى. و أصل ذلك مأخوذ من القنطرة، و منه القنطرة الداهية، لأنها كالقنطرة في عظم الصورة، و إحكام البنية. و يقال: قنطر في الأمر يقنطر: إذا عظمه، بتكثير الكلام فيه، من غير حاجة إليه. و قوله: «أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا» قيل في معناه قولان:

أحدهما- يعنى بهتاناَ ظلماً كالظلم بالبهتان، و قيل بطلاناً كبطلان البهتان.

الثانى- بهتاناَ أى بأن تبهتوا أنكم ملكتموه فتسترعوه «١» و أصل البهتان الكذب الذى يواجه به صاحبه على وجه المكابرة، و أصله التحير، و منه قوله: «فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ» «٢» أى تحير عند انقطاع حجته، فالبهتان كذب يحير صاحبه. و نصب بهتاناَ على أنه حال فى موضع المصدر، و المعنى أ تأخذونه مباهتين و آثمين. و قوله: «مبيناً» أى ظاهراً لا شك فيه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢١]..... ص: ١٥٢

إشارة

وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)
آية بلا خلاف-

المعنى:..... ص: ١٥٢

قيل فى نسخ هذه الآية، و التى قبلها، ثلاثة أقوال:
أحدها- أنها محكمة ليست منسوخة، لكن للزوج ان يأخذ الفدية من المختلعة، لأن النشوز منها، فالزوج فى حكم المكره لا المختار للاستبدال، و لا

(١) فى المطبوعة (لستوجوه).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٨. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٣

يتنافى حكم الآيتين، فلا يحتاج إلى نسخ إحداهما بالأخرى.

الثانى- قال بكر بن عبد الله المرى: هى محكمة، و ليس للزوج لأجل ظاهرها أن يأخذ من المختلعة شيئاً، و لا من غيرها.

الثالث- قال ابن زيد، و السدى: هى منسوخة بقوله: «إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» «١» و قيل فى معنى الإفضاء قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و السدى: هو كناية عن الجماع.

الثانى- انه الخلو، و إن لم يجامع، فليس له أن يسترجع نصف المهر، و إنما يجوز ذلك فىمن لم يدخل بها بالخلوة معها. و كلاهما قد رواه أصحابنا، و اختلفوا فيه، و الاول هو الأقوى.

اللغة والمعنى:..... ص: ١٥٣

و الإفضاء إلى الشيء هو الوصول إليه بالملابسة له، قال الشاعر:

بلى و تأى أفضى الى كل كئبة بدا سيرها من ظاهر بعد باطن «٢»

أى وصل البلى و الفساد إلى الحرز، و الفضاء السعة، فضا يفصو فضواً و فضاء إذا اتسع، و منه: تمر فضا، مقصور أى مختلط، و قوله: «وَ أَخَذَنَّ مِنْكُمْ مِيثاقًا غَلِيظًا» قيل فى معناه أربعة أقوال:

أحدها- قال الحسن، و ابن سيرين، و الضحاك، و قتادة، و السدى، و الفراء، و هو

المروى عن أبى جعفر (ع) أنه قوله: «فَامْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» «٣»

و قال مجاهد، و ابن زيد، هو كلمة نكاح، التى يستحيل بها الفرج.

الثالث-

قول النبى (ص): أخذتموهن بأمانة الله و استحلتتم فروجهن

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٩.

(٢) لم يعرف قائله. و هو فى تفسير الطبرى، ٨-١٢٤ مشوه محرف و لم نجده فى مصادرنا.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٢٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٤

بكلمة الله.

الرابع- قال قتادة: كان يقال للنكاح فى صدر الإسلام الله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن بإحسان، و هذا الكلام و إن كان ظاهره للاستفهام، فالمراد به التوبيخ، و التهديد، كما يقول القائل لغيره. كيف تفعل هذا و أنا غير راض به، على وجه التهديد له.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٢]..... ص: ١٥٤

إشارة

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢)

المعنى:..... ص: ١٥٤

قيل فى معنى الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة، و عطاء، و عكرمة: إنه حرّم عليهم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب.

و الثانى- أن يكون «ما نَكَحَ» بمنزلة المصدر، و التقدير: و لا تنكحوا نكاح آبائكم، أى مثل نكاح آبائكم، فعلى هذا يدخل فيه النهى

عن حلائل الآباء، و كل نكاح كان لهم فاسداً، و هو اختيار الطبرى و قال: إن هذا الوجه أجود، لأنه لو أراد حلائل الآباء لقال:

لا- تنكحوا من نكح آبائكم، و هذا ليس بطعن، لأنه ذهب به مذهب الجنس، كما يقول القائل: لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء،

فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره.

ب (من). و قوله: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» معنى إلا لكن، و كذلك كل استثناء منقطع، كقول القائل: لا تبع من متاعى إلا ما بعت، أى لكن ما

بعث فلا جناح عليك فيه، وقيل في معنى الآية قولان:

أحدهما- «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» فإنكم لا تؤخذون به.

الثاني- حكاه بعضهم: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» فدعوه فهو جائز لكم، قال التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٥

البلخي: وهذا لا يجوز بالإجماع. والهاء في قوله: «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً» يحتمل أن تكون عائدة إلى النكاح بعد النهي، ويحتمل أن تكون عائدة على النكاح الذي كان عليه أهل الجاهلية، قبل، ولا يكون ذلك إلا وقد قامت عليهم الحجة بتحريمه، من جهة الرسل، فالأول اختاره الجبائي، وهو الأقوى، وتكون «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» فالسلامة منه الاقلاع عنه بالتوبة والناية، قال البلخي: وليس كل نكاح حرمه الله زنا، لأن الزنا هو فعل مخصوص، لا يجري على طريقة لازمة، و سنه جارية، ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية: أولاد زنا، ولا لأولاد أهل الذمة والمعاهدين: أولاد زنا، إذا كان ذلك عقداً بينهم يتعارفونه.

اللغة والاعراب، والمعنى..... ص: ١٥٥

والمقت، هو بغض عن أمر قبيح ركبته صاحبه، وهو مقيت، وقد مقت إلى الناس مقاته، ومقتة الناس مقتاً، فهو ممقوت. وقيل إن ولد الرجل من امرأه أبيه كان يسمى المقتى، قال المبرد: كان زائدة، والتقدير: إنه فاحش. وقال الزجاج: هذا ليس بصحيح، لأنها لو كانت زائدة لم تعمل، كما قال الشاعر:

فكيف إذا حللت ديار قوم و جيران لنا كانوا كرام

لما كانت زائدة لم تعمل في الخير. وقال الرماني: هي كقوله «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» فدخلت كان لتدل على أنه قبل تلك الحال كذا، وقال الجبائي:

معناه أنه كان فيما مضى أيضاً فاحشاً ومقتاً، وكان قد قامت الحجة عليهم بذلك. وكل من عقد عليها الأب من النساء تحرم على الابن، دخل بها الأب، أو لم يدخل، بلا خلاف، فان دخل بها الأب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن ففيه خلاف. وعموم الآية يقضى بأنها تحرم عليه، لأن النكاح يعبر به عن الوطى، كما يعبر به عن العقد، فيجب أن يحمل عليهما، وامرأة الأب وإن علا تحرم على الابن وإن نزل، بلا خلاف. وقوله: «وَسَاءَ سَبِيلًا» أى قبح ذلك السبيل الذى سلوكه سيلا، وهو نصب على التمييز.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٦

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٣]..... ص: ١٥٦

إشارة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣)

آية بلا خلاف -

المعنى..... ص: ١٥٦

في الناس من اعتقد أن هذه الآية و ما يجرى مجراها، كقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» (١) مجمله لا- يمكن التعلق بظاها في تحريم

شيء، و إنما يحتاج إلى بيان قالوا: لأن الأعيان لا تحرم و لا تحل، و إنما يحرم التصرف فيها، و التصرف يختلف، فيحتاج إلى بيان التصرف المحرم، دون التصرف المباح، و الأقوى أنها ليست مجملة، لأن المجمل هو ما لا يفهم المراد بعينه بظاهره، و ليست هذه الآية كذلك لأن المفهوم من ظاهرها تحريم العقد عليهن، و الوطى، دون غيرهما من أنواع الفعل، فلا يحتاج إلى البيان مع ذلك، و كذلك قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» المفهوم الأكل، و البيع، دون النظر إليها، أو رميها، و ما جرى مجراها كيف و قد تقدم هذه الآية ما يكشف عن أن المراد ما يبيها من قوله: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ» فلما قال بعده: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ» كان المفهوم

(١) سورة المائدة: آية ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٧

أيضاً تحريم نكاحهن، و قد استوفينا ذلك في العدة في أصول الفقه، فلا نطول بذكره هاهنا.

قال ابن عباس: حرّم الله في هذه الآية سبعا بالنسب، و سبعا بالسبب، فالمحرمات من النسب الأمهات، و يدخل في ذلك أمهات الأمهات و إن علون، و أمهات الآباء مثل ذلك، و البنات، و يدخل في ذلك بنات الأولاد و أولاد البنين و أولاد البنات و إن نزلن، و الأخوات، سواء كن لأب و أم أو لأب أو لأم، و كذلك العمات و الخالات، و إن علون، من جهة الأب كن أو من جهة الأم، و بنات الأخ، و بنات الأخت و إن نزلن.

و المحرمات بالسبب الأمهات من الرضاعة، و الأخوات أيضاً من الرضاعة، و كل من يحرم بالسبب يحرم مثله بالرضاع، و

لقوله (ص): (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)

و أمهات النساء يحرم بنفس العقد، و إن لم يدخل بالبنات، على قول أكثر الفقهاء، و به قال ابن عباس، و الحسن، و عطاء، و قالوا: هي مبهمه، و خصوا التقييد بقوله: «وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» و رووا عن علي (ع)، و زيد بن ثابت، أنه يجوز العقد على الأم ما لم يدخل بالبنات، و جعلوا قوله: «مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» راجعاً إلى جميع من تقدم من أمهات النساء، و الربائب.

اللغة:..... ص: ١٥٧

و الربائب: جمع ربيبة، و هي بنت الزوجة من غيره، و يدخل فيه أولادها و إن نزلن، و سميت بذلك لتربيته إياها، و معناها مربوبة، نحو قتيلة في موضع:

مقتولة، و يجوز أن تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها و كانت في حجره، أو لم تكن، لأنه إذا تزوج بأماها سمي هو رابها، و هي ربيبة، و العرب تسمى الفاعلين و المفعولين بما يقع بهم، و يوقعونه، و يقولون: هذا مقتول، و هذا ذبيح، و إن لم يقتل بعد و لم يذبح، إذا كان يراد قتله أو ذبحه، و كذلك يقولون: هذه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٨

أضحيه لما أعد للتضحية، و كذلك: هذه قتوبة، و حلوبة، أي مما يقتب، و يحلب فمن قال: إنه لا تحرم بنت الزوجة إلا إذا تربت في حجره فقد أخطأ على ما قلناه و يقال: لزوج المرأة: ربيب ابن امرأته، يعني به رابه، نحو: شهيد، بمعنى شاهد، و خبير، بمعنى خابر، و عليهم، بمعنى عالم.

الاعراب:..... ص: ١٥٨

و قوله: «مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» قال المبرد: «اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» نعت للنساء اللواتي من أمهات الربائب لا- غير قال: لإجماع

الناس على أن الربيبة تحل إذا لم يدخل بأمرها، وإن من أجاز أن يكون قوله: (مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) هو لأمهات نسائكم فيكون معناه: أمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فيخرج أن يكون اللاتي دخلتم بهن لأمهات الربائب، قال الزجاج: لأن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً، لا- يجيز النحويون: مررت بنسائك، وهربت من نساء زيد الظريفات، على أن يكون (الظريفات) نعتاً لهؤلاء النساء، وهؤلاء النساء. وقال:

من اعتبر الدخول بالنساء، لتحريم أمهاتهن يحتاج أن يقدر: أعني، فيكون التقدير: وأمهات نسائكم أعني اللاتي دخلتم بهن، وليس بنا إلى ذلك حاجة.

المعنى:..... ص: ١٥٨

و الدخول المذكور في الآية قيل فيه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس: هو الجماع، واختاره الطبري.

الثاني- قال عطاء: وما جرى مجراه من المسيس، وهو مذهبنا، وفيه خلاف بين الفقهاء. وقوله: «وَحَلَالٌ لِّأَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْبَابِكُمْ» يعنى نساء البنين للصلب، دخل بهن البنون أو لم يدخلوا، ويدخل في ذلك أولاد الأولاد من البنين والبنات، وإنما قال «من أصابكم» لثلا يظن أن امرأة من يتبنى به تحرم عليه.

و

قال عطاء: نزلت الآية حين نكح النبي (ص) امرأة زيد بن حارثة، فقال التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٥٩ المشركون في ذلك، فنزلت: «وَحَلَالٌ لِّأَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْبَابِكُمْ» وقال: «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» «١» وقال: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» «٢» فأما حلالات الأبناء من الرضاة فمحرمات بقوله (ص): (يحرم من الرضاة ما يحرم من النسب). وإنما سميت المرأة حليلة لأمرين: أحدهما- لأنها تحل معه في فراش.

الثاني- لأنه يحل له وطؤها. وقوله: «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» فيه تحريم الجمع بينهما في عقد واحد، وتحريم الجمع بينهما في الوطى بملك اليمين، فإذا وطأ إحدهما لم تحل له الأخرى حتى يخرج تلك من ملكه، وهو قول الحسن، وأكثر المفسرين والفقهاء، وروى عن ابن عباس أنه أجاز الجمع بينهما بملك اليمين، وتوقف فيهما على عثمان، وباقي الصحابة حرموا الجمع بينهما.

وروى عن علي (ع) أنه قال: حرمتها آية، وأحلتهما أخرى، وأنا أنهى عنهما نفسي، وولدي، فغلب التحريم.

ومن أجاز الجمع بينهما في الوطى بملك اليمين - على ما يذهب إليه داود وقوم من أهل الظاهر - فقد أخطأ في الأختين، وكذلك في الربيبة وأم الزوجة، لأن قوله:

«وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ» يدخل فيه المملوكة، والمعقود عليها، وكذلك قوله: «مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» يتناول الجميع، وكذلك قوله: «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» عام في الجميع على كل حال، في العقد والوطى، وإنما أخرجنا جواز ملكهما بدلالة الإجماع، ولا يعارض ذلك قوله: «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» لأن الغرض بهذه الآية مدح من يحفظ فرجه إلا عن الأزواج، أو ملك الايمان، فأما كيفية ذلك فليس فيه، ويمكن الجمع بينهما بأن يقال: «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» إلا على وجه الجمع بين الأم والبت، أو الأختين والسابعة قوله: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ» وهي امرأة الأب، سواء

(١) سورة الأحزاب: آية ٤.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٤٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٠

دخل بها أو لم يدخل، ويدخل في ذلك نساء الأجداد وإن علوا، من قبل الأب والأم بلا خلاف. وقوله: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» استثناء منقطع، وتقديره: لكن ما سلف لا يؤخذكم الله به، وليس المراد أن ما سلف حال النهي تجوز استدامته، بلا خلاف. وقيل إن إلا بمعنى سوى. وقوله: «وَأَنْ تَجْمَعُوا» (أن) في موضع الرفع، والتقدير: حرمت عليكم هذه الأشياء، والجمع بين الأختين، وكل من جرّمه الله في هذه الآية فإنما هو على وجه التأيد، مجتمعات ومنفردات، إلا الأختين فإنهما تحرمان على وجه الجمع دون الانفراد. ويمكن أن يستدل بهذه الآية على أنه لا يصح أن يملك واحدة من ذوات الأنساب المحرمات، لأن التحريم عام، وبقوله (ص) (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)

على أنه لا يصح ملكهن من جهة الرضاع، وإن كان فيه خلاف. وأما المرأة التي وطؤها بلا تزويج، ولا ملك، فليس في الآية ما يدل على أنه يحرم وطى أمها وبناتها، لأن قوله: «وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ» وقوله: «مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ» يتضمن إضافة الملك، إما بالعقد أو بملك اليمين، فلا يدخل فيه من وطأ من لا يملك وطأها، غير أن قوماً من أصحابنا ألحقوا ذلك بالموطوءة بالعقد والملك بالسنة والأخبار المروية في ذلك، وفيه خلاف بين الفقهاء.

وأما الرضاع فلا يحرم عندنا إلا ما كان خمس عشرة رضعه متواليات، لا يفصل بينهن رضاع امرأة أخرى، أو رضاع يوم وليله، أو ما أنبت اللحم وشد العظم.

وفي أصحابنا من حرم بعشر رضعات. ومتى دخل بين الرضاع رضاع امرأة أخرى، بطل حكم ما تقدم. وحرّم الشافعي بخمس رضعات، ولم يعتبر التوالى. وحرّم أبو حنيفة بقليله وكثيره، وهو اختيار البلخي. وفي أصحابنا من ذهب إليه.

واللبن عندنا للفحل، ومعناه إذا أرضعت امرأة بلبن فحل لها صبياناً كثيرين، من أمهات شتى، فإنهم جميعهم يصيرون أولاد الفحل، و يحرمون على جميع أولاده الذين ينتسبون إليه ولادةً ورضاعاً، و يحرمون على أولاد المرضعة الذين ولدتهم، فأما التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦١

من أرضعته بلبن غير هذا الفحل، فإنهم لا يحرمون عليهم، وكذلك إن كان للرجل امرأتان، فأرضعتا صبيين لأجنبيين، حرم التناكح بين الصبيين. وخالف في هذه ابن عليه.

ولا يحرم من الرضاع عندنا إلا ما وصل إلى الجوف من الثدي من المجرى المعتاد الذي هو الفم، فأما ما يوجر به، أو يسعط، أو ينشق، أو يحقن به، أو يحلب في عينه، فلا يحرم بحال. ولبن الميته لا حرمة له في التحريم، وفي جميع ذلك خلاف. ولا يحرم من الرضاع إلا ما كان في مدة الحولين، فأما ما كان بعده فلا يحرم بحال.

فأما الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فحرم بالسنة، ويجوز عندنا نكاح العمّة وخالّة على المرأة، ونكاح المرأة على العمّة وخالّة لا يجوز إلا برضاء العمّة وخالّة، وخالف فيه جميع الفقهاء. والمحرمات بالنسب ومن يحرم بالسبب على وجه التأيد يسمون مبهمات، لأنه يحرم من جميع الجهات، مأخوذ من البهيم الذي لا يخالط معظم لونه لون آخر، يقال: فرس بهيم لا شيء فيه، وبقرة بهيم، والجمع بهم.

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» اخبار أنه كان غفوراً حيث لم يؤخذهم بما فعلوه من نكاح المحرمات، وأنه عفى لهم عما سلف، ولا يدل على أنه ليس بغفور فيما بعد، لأن ذلك معلوم بدلالة أخرى، وفي الناس من قال: كان زائدة، وقد بينا أن هذا ضعيف، لأنها تكون عبثاً ولغواً، وذلك لا يجوز.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٤].... ص: ١٦١

وَالْمُحْصِنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٢

- آية بلا خلاف -

القراءة:..... ص: ١٦٢

قرأ الكسائي: (المحصنات) و (محصنات)، بكسر الصاد حيث وقع، إلا قوله: «وَالْمُحْصِنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ» هاهنا فانه فتح الصاد. وقرأ أهل الكوفة إلا أبو بكر، و أبو جعفر: (و أحل لكم)- بضم الهمزة، و كسر الحاء- الباقون: بفتحها. وقرأ أهل الكوفة إلا حفصا: (أحصن) بفتح الهمزة و الصاد، الباقون بضم الهمزة و كسر الصاد.

المعنى:..... ص: ١٦٢

قيل في معنى قوله: «وَالْمُحْصِنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ثلاثة أقوال: أحدها- و هو الأقوى- ما

قاله على (ع)، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أبو قلابه، و ابن زيد، عن أبيه، و مكحول، و الزهري، و الجبائي: أن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم، من سبي من كان لها زوج.

و قال بعضهم، مستدلان على ذلك بخبر أبي سعيد الخدري، أن الآية نزلت في سبي أوطاس، و من خالفهم ضعف هذا الخبر بأن سبي أوطاس كانوا عبدة الأوثان، دخلوا في الإسلام.

الثاني- قال أبي بن كعب، و جابر بن عبد الله، و أنس بن مالك، و ابن مسعود- في رواية أخرى عنه- و سعيد بن المسيب، و الحسن، و ابراهيم: إن المراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت إيمانكم ممن قد كان لها زوج، لأن بيعها طلاقها.

و قال ابن عباس: طلاق الأمة ست: سببها طلاقها، و بيعها، و عتقها، و هبتها، و ميراثها، و طلاقها.

و حكى عن علي (ع)، و عمر، و عبد الرحمن بن عوف: أن السبي خاصة طلاقها

، قالوا لأن النبي (ص) خير بريرة بعد أن أعتقها عائشة، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٣

و لو بانت بالعتق لما صح. و زعم هؤلاء أن طلاقها كطلاق الحره.

الثالث- قال أبو العالية. و عبيدة، و سعيد بن جبیر، و عطاء، و اختاره الطبري: ان المحصنات العفاف، إلا ما ملكت إيمانكم بالنكاح، أو بالثمن ملكك استمتاع بالمهر و البينة، أو ملكك استخدام بثمان الأمة.

اللغة و الاعراب..... ص: ١٦٣

و أصل الإحصان المنع. و سمي الحصن حصناً لمنعه من أراده من أعدائه، و الدرع الحصينة أي المنيعه، و الحصان الفحل من الأفراس

لمنعه صاحبه من الهلاك، و الحصان العفيفة من النساء، لمنعها فرجها من الفساد. و منه قوله: «الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا» (١) و كذلك

أحصنها الزوج، و بناء حصين ممتنع، و حصنت المرأة تحصن حصانته، و الحاصن: العفيفة، قال العجاج:

و حاصن من حاصنات ملس من الأذى و من قراف الوقس (٢)

و قال أبو علي الفارسي، قال سيويه: حصنت المرأة حصناً و هي حصان، مثل: جنبت جنباً فهي جبان، و قالوا حصناً، كما قالوا: علما

قال الازهرى: يقال للرجل إذا تزوج: أحسن فهو محسن، كقولهم: أفلج فهو ملفج إذا أعدم وافتقر، وأسهب فهو مسهب، إذا أكثر الكلام. و كلام العرب كله على أفعل فهو مفعل، بكسر العين، مثل أسمع فهو مسمع، و أعرب فهو معرب، و أفصح فهو مفصح، إلا ما ذكرناه و الإحصان على أربعة أقسام:

أحدها- يكون بالزوجه، كقوله: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ» .

و الثانى- بالإسلام، كقوله: «فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ» «٣» .

(١) سورة التحريم: آية ١٢.

(٢) ديوانه ٧٨، و اللسان (قنس)، (وقس)، (حصن) و مجاز القرآن ١: ١٢٢ و رواية اللسان (عن) بدل (من) فى العجز فى الموضوعين.

(٣) سورة النساء: آية ٢٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٤

و الثالث- بالعفة كقوله: «وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ» «١» .

الرابع- يكون بالحرية، كقوله: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «٢» و قوله: «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» يحتل نصبه وجهين:

أحدهما- أن يكون مصدرًا جرى على غير فعله و فيه معناه، كأنه قال:

حرم الله ذلك كتاباً من الله، أو كتب كتاباً، كما قال: «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» «٣» فنصبه بقوله: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» «٤» فكان ذلك دلالة على أنه قد صنعها فنصب على أنه مصدر، و قال الشاعر:

و رضى فذلت صعبه أى إذلال «٥»

لأن معنى رضى أذلت، قال الزجاج: و يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، و يكون (عليكم) مفسراً، و المعنى: الزموا كتاب الله.

الثانى- على الإغراء، و العامل محذوف، لأن عليكم لا يعمل فيما قبله:

و أنشد:

يا أيها المائح دلوى دونكما إنى رأيت الناس يحمد و نكا «٦»

و المعنى هذا دلوى دونكما، و هو معنى قول الزجاج.

المعنى:..... ص: ١٦٤

و قوله: «وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ» قيل فى معناه أربعة أقوال:

(١) سورة النور: آية ٤.

(٢) سورة المائدة: آية ٦.

(٣، ٤) سورة النمل: آية ٨٨.

(٥) قائله امرؤ القيس. ديوانه: ١٦١. و صدره:

و صرنا الى الحسنى ورق كلامنا

(٦) البيت لجاهلى من بنى أسيد بن عمر بن تميم. معانى القرآن ١: ٢٦٠، و خزانه الأدب ٣: ١٧. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٥

أحدها- قال عبيدة السلماني، و السدى: أحل لكم ما دون الخمس، أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح.

الثاني - قال عطاء أحل لكم ما وراء ذوات المحارم من أقاربكم.

الثالث - قال قتادة: «ما وراء ذلِّكم» مما ملكت أيمانكم.

الرابع - ما وراء ذوات المحارم إلى الأربع، أن تبتغوا بأموالكم نكاحاً، أو بملكك يمين، وهذا الوجه أولى، لأنه حمل الآية على عمومها في جميع ما ذكر الله، ولا تنافي بين هذه الأقوال.

و من فتح الهمزة حملة على أقرب المذكورين في قوله: «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» و من ضم حملة على (حرمات) و موضع «أن تبتغوا» نصب، و يحتمل نصبه على وجهين:

أحدهما - على البدل من ما.

و الثاني - على حذف اللام من «لأن تبتغوا»، و من قرأ بالضم جاز عنده الرفع و النصب، و قوله: (محصنين) أى عاقدين التزويج، غير مسافحين: عافين للفروج، قال مجاهد: و السدى: معناه غير زانين و أصله: صب الماء، تقول:

سفح الدمع إذا صبه، و سفح الجبل أسفله، لأنه مصب الماء منه، و سافح إذا زنا لصبه الماء باطلا. و قال الزجاج: المسافح و المسافحة الزانيان غير ممتنعين من أحد، فإذا كانت تزنى بواحد فهي ذات خدن، فحرم الله الزنا على كل حال، على السفاح و اتخاذ الصديق. و قوله: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» قال الحسن، و مجاهد، و ابن زيد:

هو النكاح، و قال ابن عباس، و السدى: هو المتعة إلى أجل مسمى، و هو مذهبنا، لأن لفظ الاستمتاع إذا أطلق لا يستفاد به في الشرع إلا العقد المؤجل، ألا ترى أنهم يقولون: فلان يقول بالمتعة، و فلان لا يقول بها، و لا يريدون إلا العقد المخصوص، و لا ينافي ذلك قوله: «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ»^١ «لأننا نقول: إن هذه زوجته، و لا يلزم أن يلحقها

(١) سورة المؤمنون: آية ٥-٦ و سورة المعارج آية ٢٩-٣٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٦

جميع أحكام الزوجات، من الميراث، و الطلاق، و الإيلاء، و الظهار، و اللعان، لأن أحكام الزوجات تختلف، ألا ترى أن المرتدة تبين بغير طلاق، و كذلك المرتدة عندنا، و الكتابية لا تترث، و أما العدة فإنها تلحقها عندنا، و يلحق بها أيضاً الولد، فلا شناعة بذلك، و لو لم تكن زوجة لجاز أن يضم ما ذكر في هذه السورة إلى ما في تلك الآية، لأنه لا تنافي بينهما، و يكون التقدير: إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم أو ما استمتعتم به منهن و قد استقام الكلام. و روى عن ابن مسعود، و ابن عباس، و أبي بن كعب و سعيد بن جبير: أنهم قرأوا (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) و ذلك صريح بما قلناه، على انه لو كان المراد به عقد النكاح الدائم لوجب لها جميع المهر بنفس العقد، لأنه قال: (فما توهنن أزواجهن) يعنى مهورهن، عند أكثر المفسرين، و ذلك غير واجب بلا خلاف، و إنما يجب الأجر بكماله في عقد المتعة. و فى أصحابنا من قال: قوله: (أجورهن) يدل على أنه أراد المتعة، لأن المهر لا يسمى أجراً، بل سماه الله صدقة و نحلة، و هذا ضعيف، لأن الله سمى المهر أجراً فى قوله (فأنكحوهن بإذن أهلهن و آتوهن أزواجهن) «١» و قال: «والمُحصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ» «٢» و من حمل ذلك كله على المتعة كان مرتكباً لما يعلم خلافه، و من حمل لفظ الاستمتاع على الانتفاع فقد أبعده، لأنه لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم من لا ينتفع بها شىء من المهر، و قد علمنا أنه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر، و إن خلا بها خلوة تامة لزمه جميع المهر عند كثير من الفقهاء، و إن لم يلتذ و لم ينتفع.

و أما الخبر الذى يروونه

أن النبى (ص) نهى عن المتعة

، فهو خبر واحد لا يترك له ظاهر القرآن، و مع ذلك يختلف لفظه و روايته فتارة يروون أنه نهى عنها فى عام خبير، و تارة يروون أنه

نهى عنها في عام الفتح، وقد طعن أيضاً في طريقه بما هو معروف، و أدل دليل على ضعفه قول عمر: (متعان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنهما و أعاقب عليهما) فأخبر أن هذه المتعة كانت على

(١) سورة النساء: آية ٢٥.

(٢) سورة المائدة: آية ٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٧

عهد رسول الله (ص)، و أنه الذى نهى عنهما، لضرب من الرأى. فان قالوا. إنما نهى لأن النبى (ص) كان نهى عنهما، قلنا: لو كان كذلك لكان يقول: متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) فهى عنهما، و أنا أنهى عنهما أيضاً، فكان يكون أكد في باب المنع، فلما لم يقل ذلك دل على أن التحريم لم يكن صدر عن النبى (ص)، و صح ما قلناه. و قال الحكم بن عتيبة، قال على (ع) لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقى.

و ذكر البلخى عن وكيع، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس بن أبى حازم، عن عبد الله بن مسعود: قال كنا مع النبى (ص) و نحن شباب، فقلنا يا رسول الله ألا نستخصى، قال: لا، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، إلى أجل.

و قوله: «و لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» قال الحسن، و ابن زيد: أى تراضيتم به من حط بعض الصداق أو تأخيرها، أو هبة جميعه. و قال السدى و قوم من أصحابنا: معناه: لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة التى تراضيتم عليها، فتريدها فى الآخر و تزيدك فى المدة. و فى الآية دلالة على جواز نكاح المرأة على عمته و خالتها، لأن قوله: «و أحل لكم ما وراء ذلكم» عام فى جميعهن، و من ادعى نسخه فعلية للدلالة،

و ما يروى من قوله (ص): (لا تنكح المرأة على عمته و لا خالتها)

خير واحد لا ينسخ به القرآن، و لو كان معلوماً لما جاز أن ينسخ به القرآن عند أكثر الفقهاء، لأن نسخ القرآن لا يجوز عندهم بالسنة، و ادعاهم الإجماع على الخبر غير مسلم، لأننا نخالف فيه. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) معناه عليماً بما يصلح أمر الخلق، حكيماً فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الأموال، و الأنساب. قال البلخى: و الآية دالة على أن نكاح المشركين ليس بزناً، لأن قوله: (و الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) المراد به ذوات الأزواج من أهل الحرب، بدلالة قوله: (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) بسببهن و لا خلاف أنه لا يجوز وطى المسبية إلا بعد استبرائها بحيضة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٨

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٥]..... ص: ١٦٨

إشارة

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَمَانِكُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مِمَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥) - آية بلا خلاف -

القراءة، و اللغة:..... ص: ١٦٨

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (إذا أحسن) - بضم الهمزة و كسر الصاد - الباقون بفتحهما، وقرأ (المحصنات) - بكسر الصاد - الكسائي وحده، قوله: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً» معناه: من لم يجد منكم طولاً، و قيل في معنى الطول قولان: أحدهما - قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة، و السدي، و ابن زيد: هو الغنى، و هو المروى عن أبي جعفر (ع).

و الثاني - قال ربيعة، و جابر، و عطاء، و ابراهيم: أنه الهوى، قال: إذا هوى الأمة فله أن يتزوجها و إن كان ذا يسار. و قال الحسن، و الشعبي: لا يجوز ذلك، و القول الأول هو الصحيح، و عليه أكثر الفقهاء. و الطول الغنى، و هو مأخوذ من الطول خلاف القصر، فشبّه الغنى به، لأنه ينال به معالي الأمور، و قولهم ليس فيه طائل: أى: لا ينال به شىء من الفوائد، و التطول الإفضال التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٦٩

بالمال، و التطاول على الناس الترفع عليهم، و كذلك الاستطاعة، و تقول: طال فلان طولاً، أى كأنه فضل عليه فى القدرة، و قد طالت طولك و طيلك أى طالت مدتك، قال الشاعر:
انا محيوك فاسلم أيها الطلل و إن بليت و إن طالت بك الطيل «١»
و الطول الحبل.

المعنى: ص: ١٦٩

و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية، لأنه قيد جواز العقد على الإمام إذا كن مؤمنات، و هو قول مالك بن أنس، و مجاهد، و سعيد بن عبد العزيز، و أبى بكر بن عبد الله بن أبى مریم، و الحسن، و الطبرى، و قال أبو ميسرة، و أبو حنيفة، و أصحابه: يجوز ذلك، لأن التقييد هو على جهة الندب دون التحريم، و الأول أقوى، لأنه الظاهر، و ما قالوه عدول عنه. و منهم من قال: لأن التأويل: من فتياتكم المؤمنات دون المشركات من عبدة الأوثان، بدلالة الآية التى فى المائدة، و هى قوله تعالى: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «٢» و هذا ليس بشىء، لأن الكتابية لا تسمى مؤمنة. و من أجاز العقد على الكتابية له أن يقول: آية المائدة مخصوصة بالحرائر منهن دون الإمام، و ظاهر الآية يقتضى أن من وجد الطول من مهر الحرة و نفقتها، و لا يخاف العنت، لا يجوز له تزويج الأمة، و إنما يجوز العقد عليها مع عدم الطول، و الخوف من العنت. و هو مذهب الشافعى، غير أن أكثر أصحابنا قالوا: ذلك على وجه الأفضل، لا أنه لو عقد عليها و هو غنى كان العقد باطلاً، و به قال أبو حنيفة، و قوا ذلك بقوله: «وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» «٣» إلا أن من شرط صحة العقد على الأمة عند أكثر الفقهاء، أن لا تكون عنده حرة، و هكذا عندنا، إلا أن ترضى الحرة

(١) قائله القطامى ديوانه: ٣٢ و جمهرة الاشعار: ٣١٣ و الطيل جمع طيلة و هى الدهر.

(٢) سورة المائدة: آية ٦.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٢١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٠

بأن يتزوج عليها أمة، فان أذنت كان العقد صحيحاً عندنا، و متى عقد عليها بغير إذن الحرة كان العقد على الأمة باطلاً. و روى أصحابنا أن الحرة تكون بالخيار بين أن تفسخ عقد الأمة، أو تفسخ عقد نفسها، و الاول أظهر، لأنه إذا كان العقد باطلاً لا يحتاج إلى فسخه، فأما تزويج الحرة على الأمة، فجائز، و به قال الجبائى. و فى الفقهاء من منع منه، غير أن عندنا لا يجوز ذلك إلا بإذن الحرة، فان لم تعلم الحرة بذلك كان لها أن تفسخ نكاحها، أو نكاح الأمة، و فى الناس من قال: فى عقده على الحرة طلاق الأمة. و قوله: «مَنْ

فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» فالقى الشاب، و الفتاة الشابة، و الفتاة الأمة، و إن كانت عجزاً لأنها كالصغيرة في أنها لا توقر توقير الكبيرة، و الفتوة حال الحدائث، و منه الفتيا، تقول: أفتى الفقيه. يفتى لأنه يسأله مسألة في حادثه.

و قوله: «وَاللَّهِ أَغْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» قيل في معناه قولان: أحدهما- كلكم ولد آدم.

و الثاني- كلكم على الايمان. و يجوز أن تكون الأمة أفضل من الحره، و أكثر ثواباً عند الله، و في ذلك تسليء لمن يعقد على الأمة، إذا جوز أن تكون أكثر ثواباً عند الله، مع اشتراكهم بأنهم ولد آدم، و في ذلك صرف عن التغير بالأنساب. و من كره نكاح الأمة قال: لأن الولد عندنا يلحق بالحرية في كلا الطرفين.

و قوله: «فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» أى اعقدوا عليهن بإذن أهلهن، و فيه دلالة واضحة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير اذن وليها الذى هو مالكةا.

و قوله: «وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ» معناه: اعطوا مالكةهن مهورهن، لأن مهر الأمة لسيدها، (بالمعروف) و هو ما وقع عليه العقد و التراضى. و قوله:

«مُحْصِنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ» يعنى بالعقد عليهن، دون السفاح معهن، «وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» و قد بينا الفرق بين الخدن و السفاح فيما مضى، و الخدن هو الصديق يكون للمرأة، يزنى به سراً، كذا كان فى الجاهلية، و السفاح ما ظهر منه، و كان التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧١

فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا، و لا يحرم ما خفى منه، ذكر ذلك ابن عباس، و غيره من المفسرين. و خدن الرجل و خدينه صديقه. و قوله: «فَإِذَا أَحْصَنَ» من قرأ بالضم، قال: معناه تزوجن، ذكر ذلك ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة. و من فتح الهمزة. قال: معناه أسلمن، روى ذلك عن عمر، و ابن مسعود، و الشعبي، و ابراهيم، و السدى. و قال الحسن: يحصنها الزوج، و يحصنها الإسلام، و هو الأولى، لأنه لا خلاف أنه يجب عليها نصف الحد إذا زنت، و إن لم تكن ذات زوج، كما أن عليها ذلك و ان كان لها زوج، لأنه و إن كان لها زوج لا- يجب عليها الرجم، لأنه لا يتبعض، فكان عليها نصف الحد خمسين جلده. على أن قوله: «فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ» يعنى نصف ما على الحرائر، و ليس المراد به ذوات الأزواج، فالاحصان المذكور للأمة التزويج، و المذكور للمحصنات الحرية، و بينا أنه يعتبر به عن الأمرين.

و قال بعضهم: إذا زنت الأمة قبل أن تتزوج، فلا حد عليها، و إنما عليها نصف الحد إذا تزوجت بظاهر الآية.

و قوله: «ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ»، فالعنت معناه هاهنا الزنا فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و عطية العوفى، و الضحاک، و ابن زيد. و قال قوم:

هو الضرر الشديد فى الدين أو الدنيا، مأخوذ من قوله: «وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ»

و الأول أقوى، و قوله: «وَأَنْ تَصِيَّبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ» يعنى: عن نكاح الإماء، فى قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و قتادة، و عطية. و أكمه عنوت صعبة المرتقى. و متى اجتمع عند الرجل حرة و أمة كان للحره يومان و للأمة يوم، و عندنا أن بيع الأمة طلاقها، إلا أن يشاء المشتري إمضاء العقد، و كذلك الهبة، و كل ما ينتقل به الملك من الميراث، و السبى و غيره. فأما عتقها فانه يثبت به لها الخيار، كما يثبت لبريرة، و متى كانت تحت الزوج الحر أو عبد لغيره، لم يكن للمولى التفرقة بينهما، فان كان جميعا له كان التفرقة إلى المولى.

(١) سورة آل عمران: آية ١١٨.

و استدلت الخوارج على بطلان الرجم بهذه الآية، قالوا: لما قال الله تعالى:

«فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ»، و كان الرجم لا يمكن تبعيضه، دل على أنه لا أصل له، و على ما بيناه من أن المراد فعليهن نصف ما على الحرائر، دون ذوات الأزواج، يسقط هذا السؤال. و يدل على أن الإحصان يعبر به عن الحرية زائداً على ما تقدم، قوله في أول الآية: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» و لا شك أنه أراد الحركة أو العفائف، لأن التي لها زوج لا يمكن العقد عليها، وجد طولها أو لم يجد، و قوله:

«وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» يدل عليه أيضاً لأن المراد به المسلمة الحرة، سواء كانت ذات زوج أو لم تكن، بلا خلاف. و الرجم معلوم من دين المسلمين بالتواتر فإنهم لا يختلفون

أنه (ص) رجم ما عز بن مالك الأسلمي، و رجم يهودياً و يهودية

، و عليه جميع الفقهاء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، فخلافاً للخوارج لا يلتفت إليه. و في الناس من قال: إن قوله: «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» المراد به الحرائر دون أن يكون مختصاً بالعفائف، لأنه لو كان مختصاً بالعفائف لما جاز العقد على من ليس كذلك، لأن قوله: «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً» إلى قوله: «وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» «١» منسوخ بالإجماع، و بقوله: «فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ» «٢» و بقوله: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى» «٣» و يمكن أن يخص بالعفائف على الأفضل دون الوجوب، و قوله: (فعليهن) معناه لازم لهن نصف ما يلزم المحصنات، دون أن يكون ذلك واجباً عليهن، و قوله: «وَأَنْ تَصْبِرُوا» في موضع رفع، و التقدير و الصبر عن نكاح الأمة خير لكم. و في الآية تقديم و تأخير، لأن التقدير: «و من لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم» أي فلينكح مما ملكت أيمانكم «من فتياتكم المؤمنات بعضكم من بعض و الله أعلم بايمانكم» ذكره الطبري و هو جيد مليح.

(١) سورة النور: آية ٣.

(٢) سورة النساء: آية ٣.

(٣) سورة النور: آية ٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٣

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٦].... ص: ١٧٣

إشارة

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)
آية بلا خلاف.

الإعراب:..... ص: ١٧٣

اللام في قوله: «لِيُذَيِّبَ لَكُمْ» للنحويين فيه ثلاثة أقوال:

أولها- قال الكسائي، و الفراء، و الكوفيون: إن معناها (أن)، و إنما لا يجوز ذلك في أردت و أمرت لأنه تطلب الاستقبال، لا يجوز أردت أن قمت، و لا- أمرت أن قمت فلما كانت (أن) في سائر الأفعال تطلب الاستقبال، استوثقوا له باللام، و ربما جمعوا بين اللام و كى لتأكيد الاستقبال، قال الشاعر:

أردت لكيما لا ترى لي عثره و من ذا الذي يعطى الكمال فيكمل «١»

وقال الفراء: ربما جاء مع غير الارادة و الأمر، أنشدني بن الجراح:

أحاول إعنا اتى بما قال أم رجا ليضحك منى أو ليضحك صاحبه «٢»

ومعناه: رجا أن يضحك، ومثله: «وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ» «٣» و فى موضع آخر: «أْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» «٤» و ربما جمعوا بين اللام و كى و أن، قال الشاعر:

أردت لكيما أن تطير بقربتي فتركها شناً ببيداء بلقع «٥»

(١) معانى القرآن ١: ٢٦٢ أنشده أبو ثروان. و فى شواهد الهمع ٢: ٥ روايته (ترانى عشيرتى) بدل (ترى لى عشرة).

(٢) معانى القرآن ١: ٢٦٢. قائلة أبو الجراح الانفى من بنى انف الناقفة. و كان فى المخطوطة و المطبوعة هكذا.

أحاول اعدائى بما قال أم رجا فيضحك منى أو ليضحك صاحبه

(٣) سورة الانعام: آية ٧١.

(٤) سورة الانعام: آية ١٤. [.....]

(٥) لم يعرف قائله. معانى القرآن ١: ٢٦٢ و الانصاف: ٢٤٢ و الخزانة ٣: ٥٨٥.

و العيني (هامش الخزانة) ٤: ٤٠٥، و حاشية الصبان ٣: ٢٨٠. قوله (أن تطير) كناية عن الهرب، و الشن: الخلق البالى، و البيداء: المغازة: المهلكة، و البلقع: الأرض القفراء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٤

و لا- يجوز فى الظن أن تقع اللام بمعنى أن، لأن الظن يصلح معه الماضى و المستقبل، نحو: ظننت أن قمت، و ظننت أن تقوم، و لا يجوز: ظننت لتقوم بمعنى: ظننت أن تقوم.

الثانى- قال الزجاج لا يجوز أن تقع اللام بمعنى أن، و استشهد بقول الشاعر:

أردت لكيما يعلم الناس إنها سراويل سعد و الوفود شهود

فلو كانت بمعنى أن لم تدخل على كى، كما لا تدخل أن على كى، قال: الرماني و لقائل أن يقول: إن هذه لام الاضافة مردودة إلى

أصلها، فلا يجب وقوع أن موقعها، و مذهب سيبويه و أصحابه أن اللام دخلت فى هذا على تقدير المصدر، أى: ارادة للبيان لكم، نحو

قوله: «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ» «١» و «وَرَدِّفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» «٢» و معناه: إن كنتم تعبرون الرؤيا، قال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لى بكل سبيل

أى: إرادتى لهذا.

الثالث- ضعف هذين الوجهين بعض النحويين، بأن جعل اللام بمعنى (أن) لم تقم به حجة قاطعة، و حمله على المصدر يقتضى جواز

ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا، و هذا لا يجوز، و لكن يجوز فى التقديم، نحو لزيد ضربت و للرؤيا تعبرون، لأن عمل الفعل فى

التقديم يضعف، كعمل المصدر فى التأخير، و لذلك لم يجز إلا فى المتصرف، فأما «ردف لكم» فعلى تأويل: ردف ما ردف لكم، و

على ذلك يريد ما يريد لكم، و كذلك قوله: «وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ» «٣» أى أمرنا بما أمرنا لنسلم، فهى تجرى بهذا على أصولها، و قياس

بابها. و قال قوم معناه:

يريد الله هذا من أجل أن يبين لكم، كما قال: «وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» «٤» معناه: و أمرت بهذا من أجل ذلك، و إنما لم يجز أن يراد

الماضى لأمرين:

أحدهما- أن الارادة لاستدعاء الفعل، و محال أن يستدعى ما قد فعل، كما

(١) سورة يوسف: آية ٤٣.

(٢) سورة النمل: آية ٧٢.

(٣) سورة الانعام: آية ٧١.

(٤) سورة الشورى: ١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٥

أنه محال أن يؤمر بما قد وقع، لأنه لا يحسن أن يقول: افعَلْ أَمْسْ، أو أريد أَمْسْ.
و الثاني - أن بالارادة يقع الفعل على وجه دون وجه، من حسن أو قبح، أو طاعة أو معصية، و ذلك محال فيما مضى.

المعنى:..... ص: ١٧٥

و قوله: «وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قيل فيه قولان:

أحدهما - «يَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» من أهل الحق، لتكونوا على الاقتداء بهم في اتباعه لما لكم فيه من المصلحة.

الثاني - «سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» من أهل الحق، و غيرهم، لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون أو تجتنبون من طرائقهم، و في الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأن الله تعالى بين أنه يريد أن يتوب على العباد، و هم يزعمون أنه يريد منهم الإصرار على المعاصي. و قال أبو على الجبائي: في الآية دلالة على أن ما ذكر في الآيتين من تحريم النكاح أو تحليله، قد كان على من قبلنا من الأمم، لقوله تعالى: «وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أى في الحلال و الحرام. قال الرماني:

لا يدل ذلك على اتفاق الشريعة، و ان كنا على طريقتهم في الحلال و الحرام، كما لا يدل عليه و إن كنا على طريقتهم في الإسلام، و هذا هو الأقوى.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٧]..... ص: ١٧٥

إشارة

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)
- آية -

المعنى:..... ص: ١٧٥

معنى الآية الاخبار من الله تعالى أنه يريد من المواجهين بها، أن يتوب التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٦

عليهم، بمعنى أن يقبل توبتهم، عما سلف من آثامهم، و يتجاوز عما كان منهم في الجاهلية، من استحلالهم ما هو حرام عليهم من حلائل الآباء و الأبناء، و غير ذلك مما كانوا يستحلونه، و هو حرام عليهم. إن قيل: لم كرر قوله: «وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ»؟ مع ما تقدم من قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ» قلنا عنه جوابان:

أحدهما - أنه لما قال في الأول، و تقديره: يريد الله ليتوب عليكم أتى في الثاني ب (أن) ليزول الإيهام أنه يريد ليتوب، و لا يريد «١» أن يتوب علينا.

و الآخر - أن يبين أن ارادته منا خلاف إرادة أصحاب الأهواء لنا، لنكون على بصيرة من أمرنا، و جاء الثاني على التقابل، بأن الله يريد

شيئاً و يريدون خلافه.

و المعنى: بقوله: «وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ» قيل فيه أربعة أقوال:

الأول- قال ابن زيد: كل مبطل، لأنه يتبع شهوة نفسه في باطله.

الثاني- قال مجاهد: يعنى به: الزنا.

الثالث- قال السدى: هم اليهود والنصارى.

الرابع- اليهود خاصة، لأنهم يحلون نكاح الأخت من الأب، و الأول أقوى، لأنه أعم فائدة، و أوفق لظاهر اللفظ. و قوله: «أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا» معناه أن تعدلوا عن الاستقامة بالاستكثار من المعصية، و ذلك أن الاستقامة هي المؤدية إلى الثواب، و الفوز بالسلامة من العقاب، و أما الميل عن الاستقامة فيؤدى الى الهلاك و استحقاق العقاب. فان قيل: ما معنى إرادتهم الميل بهم؟ قيل قد يكون ذلك لعداوتهم، و قد يكون لتمام الأنس بهم فى المعصية، فبين الله أن إرادته لهم خلاف إرادتهم منهم، و ليس فى الآية ما يدل على أنه لا يجوز اتباع داعى الشهوة فى شيء البتة، لأنه لا خلاف أن اتباع الشهوة فيما أباحه الله تعالى جائز، و إنما المحذور من

(١) فى المخطوطة (و لأنه يريد) بدل (و لا يريد).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٧

ذلك ما يدعو إلى ما حرمه، لكن لا يطلق [على «١» صاحبه بانه متبع للشهوة، لأن إطلاقه يفيد اتباع الشهوة فيما حرم عليه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٨]..... ص: ١٧٧

إشارة

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (٢٨)

- آية بلا خلاف-

المعنى و اللغة:..... ص: ١٧٧

معنى قوله: «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» هاهنا أى فى نكاح الإماء، لأن الإنسان خلق ضعيفاً فى أمر النساء، هذا قول مجاهد، و طاوس، و زيد. و أصل التخفيف خفة الوزن، و التخفيف على النفس باليسير، كخفة الحمل بخفة الوزن، و منه الخفافة النعامة السريعة، لأنها تسرع إسراع الخفيف الحركة، و الخفوف السرعة، و منه الخف الملبوس لأنه يخفف به التصرف، و منه خف البعير. و المراد بالتخفيف هاهنا تسهل التكليف، بخلاف التصعب فيه، فتحليل نكاح الإماء تيسير بدلا من تصعب، و كذلك جميع ما يسره الله لنا إحساناً منه إلينا، و لطفنا بنا.

فان قيل: هل يجوز التثقيل، فى التكليف، مع خلق الإنسان ضعيفاً عن القيام به بدلا من التخفيف؟ قيل: نعم إذا أمكنه القيام به، و إن كان فيه مشقة، كما ثقل التكليف على بنى إسرائيل فى قتل أنفسهم، غير أن الله لطف بنا فكلفنا ما يقع به صلاحنا، بدلا من فسادنا. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: ان الله يكلف عباده ما لا- يطيقون، لأن ذلك مناف لارادة التخفيف عنهم فى التكليف، من حيث أنه غاية التثقيل. و قوله: «وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا» أى يستميله هواه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٢٩]..... ص: ١٧٧

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)

(١) في المخطوطة و المطبوعة (لصاحبه) بدل (على صاحبه).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٨

- آية واحدة بلا خلاف -

القراءة، و الاعراب:..... ص: ١٧٨

قرأ أهل الكوفة: (تجارة) نصباً، الباقون: بالرفع، فمن رفع ذهب الى أن معناه: إلا- أن تقع تجارة، و من نصب فمعناه: إلا أن تكون الأموال تجارة، أو أموال تجارة، و حذف المضاف، و أقام المضاف إليه مقامه، و يكون الاستثناء منقطعاً، و يجوز أن يكون التقدير: إلا أن تكون التجارة تجارة، كما قال الشاعر:

إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعاً «١»

و تقديره: إذا كان اليوم يوماً ذا كواكب، ذكره أبو على النحوى. و قال الرماني التقدير: إلا أن تكون الأموال تجارة، و لم يبين. و القول ما قال أبو على، لأن الأموال ليست تجارة. و من شأن خبر كان أن يكون هو اسمها في المعنى.

وقيل: الرفع أقوى، لأنه أدل في الاستثناء على الانقطاع، فان التحريم لأكل المال بالباطل على الإطلاق. و في الناس من زعم أن نصبه على قول الشاعر:

إذا كان طعنًا بينهم و عناقاً «٢»

أى إذا كان الطعن طعنًا. قال الرماني: و هذا ليس بقوى، لأن الإضممار قبل الذكر ليس يكثر في مثل هذا، و إن كان جائزاً، فالرفع يغنى عن الإضممار فيه.

المعنى:..... ص: ١٧٨

و في معنى قوله: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» قولان:

أحدهما- قال السدى:

بالربا، و القمار، و البخس، و الظلم، و هو المروى عن

(١) لم يعرف قائله معانى القرآن للفراء ١: ١٨٦ و سيبويه ١: ٢٢ و صدره:

و لله قومي أى قوم لحره

(٢) لم يعرف قائله معانى القرآن ١: ١٨٦ و صدره: أعينى هلا تبكيان عفاقا.

و عفاق: اسم رجل.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٧٩

أبى جعفر (ع).

الثاني- قال الحسن: بغير استحقاق من طريق الأعاوض. وكان الرجل يتحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية، إلى أن نسخ ذلك بقوله في سورة النور: «وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ...» إلى قوله: «جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً» (١) و الأول أقوى، لأن ما أكل على وجه مكارم الأخلاق فليس هو أكل بالباطل. وقيل: معناه التخاون، ولذلك قال: (بينكم).

وقوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ» فيه دلالة على بطلان قول من حرم المكاسب، لأنه تعالى حرم أكل الأموال بالباطل، وأحلّه بالتجارة على طريق المكاسب. ومثل قوله: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» (٢) وقيل في معنى التراضي بالتجارة قولان: أحدهما- إمضاء البيع بالتفرق، أو بالتخاير بعد العقد في قول شريح، وابن سيرين، والشعبي، لقوله (ص): البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يكون بيع خيار. وربما قالوا: أو يقول أحدهما للآخر اختر، وهو مذهبنا.

الثاني- إمضاء البيع بالعقد- على قول مالك بن أنس، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد- بعله رده إلى عقد النكاح، ولا خلاف أنه لا خيار فيه بعد الافتراق، وقيل: معناه إذا تعابنوا فيه مع التراضي فانه جائز. وقوله: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال عطاء والسدي، وأبو علي الجبائي، والزجاج: لا- يقتل بعضهم بعضاً من حيث كانوا أهل دين واحد، فهم كالنفس الواحدة، كما يقول القائل: قتلنا ورب الكعبة، ومعناه قتل بعضنا، لأنه صار كالقتل لهم، ومثله قوله: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ» (٣).

الثاني- قال البلخي: فيه نهى عن قتل نفسه في حال غضب، أو زجر،

(١) سورة النور: آية ٦١.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٧٥.

(٣) سورة النور: آية ٦١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٠

و الأول أقوى، لأنه أكثر وأغلب، وأيضاً فانه إذا حرم عليه قتل غيره من أهل دينه، لأنه بمنزلة قتل نفسه، فقد حرم عليه قتل نفسه.

الثالث- قال قوم: معناه: لا- تقتلوا أنفسكم، بأن تهلكوها بارتكاب الآثام، والعدوان في أكل المال بالباطل، وغيره من ارتكاب المعاصي، التي تستحقون بها العقاب.

وروى عن أبي عبد الله (ع): أن معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال، فتقاتلون من لا تطيقونه.

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً» قال ابن عباس: كان صلة، والمعنى إن الله غفور رحيم، ويحتمل أن يكون المراد: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً» حيث كلفكم الامتناع من أكل المال بالباطل الذي يؤدي إلى العقاب، وحرم عليكم قتل نفوسكم التي حرمها عليكم، ويعلم انه رحيم فيما بعد بدليل آخر.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٠]..... ص: ١٨٠

إشارة

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ١٨٠

قيل في تعليق الوعيد و الإشارة بقوله: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا...» الآية، أربعة أقوال:

أولها- وهو أقواها- انه على أكل الأموال بالباطل، و قتل النفس بغير حق، و الوعيد بكل واحدة من الخصلتين، لأن الوعيد ذكر عقيب ذكر النهي عن الأمرين، و هو اختيار الطبرى.

الثانى- قال عطاء: هو على قتل النفس المحرمة خاصة.

الثالث- على فعل كلما نهى الله عنه، من أول السورة.

الرابع- أنه راجع إلى قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا التَّبِيانَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٣، ص: ١٨١
النِّسَاءِ كَرَاهًا»

«١» لأن ما قبله مقرون بالوعيد.

و قوله: «وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» معناه: أنه قادر على إنجاز الوعيد، لا يمكن صاحبه الامتناع منه، و لا الهرب منه، فيتعذر الإيقاع به، فيجب أن تنزلوا الوعيد منزلته، و تكونوا على بصيرة فيه، غير مغترين بأمر يصرف عنه، و إنما قيد قوله: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَ ظُلْمًا» لأن من وقع منه قتل النفس على وجه السهو و الخطأ فى خلاف المراد، لم يتناوله الوعيد، و كذلك إذا أكل من أموال الناس على وجه مباح، لم يتوجه إليه الوعيد. و العدوان تجاوز ما أمر الله به، و الظلم أن يأخذه على غير وجه الاستحقاق، و أصله وضع الشيء فى غير موضعه. و فى المرجئه من قال: إنما قيد بذلك لأن المراد من استحلال أكل المال بالباطل، و استحلال أيضاً قتل النفوس، و ذلك لا- يكون إلا- كافراً، فلذلك هدده بالوعيد المخصوص، فأما إذا فعل ذلك محرماً له، فانه يجوز أن يعفو الله عنه، فلا يتناوله الوعيد قطعاً على كل حال، و لو لم تحمل الآية على المستحلين، لأمكننا أن نخص الآية بمن لا يعفو الله عنه، كما أنهم لا بد لهم ان يخصوها بمن لم يتب من ذلك و لا تكون معصية صغيرة، فليس فى الآية ما يمنع من القول بجواز العفو. و إنما قال: «وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» و إن كان يسيراً عليه الآن و فى مستقبل الأوقات، ليعلم أن الأوقات متساوية فى ذلك على كل حال، و لا يجوز أن يقال قياساً على ذلك و كان الله قديماً، لأن قولنا قديم أغنى عن كان، إذ لم يختص بالحال بل أفاد الوجود فى الأزل، فلا معنى لادخال كان فيه. و اليسير السهل، يقال: يسير الشيء إذا سهل فهو يسير، و عسر فهو عسير، إذا لم يتسهل.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣١]..... ص: ١٨١

إشارة

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)

(١) سورة النساء: آية ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٢

القراءة، و الحجة:..... ص: ١٨٢

قرأ نافع، و أبو بكر، عن عاصم: مدخلا- بفتح الميم- الباقون بضمها، و هو الأقوى، لأنه من ادخلوا و الآخر جائز، لأن فيه معنى:

فيدخلون، و ليس كقول الشاعر:

الحمد لله ممسانا و مصبحنا بالخير صبحنا ربي و مسانا «١»

و يروى بفتح الميم فيهما، أنشده البلخي في البيت، لأنه ليس فيه فعل، و لكن قد حكي بالفتح على التشبيه بالأول، و يحتمل أن يكون من قرأ بفتح الميم أراد: مكاناً كريماً، كما قال: «وَمَقَامٌ كَرِيمٌ» «٢» و قرأ المفضل، عن عاصم (يكفر) (و يدخلكم) بالياء فيهما، الباقون بالنون، و هو الأ-جود، لأنه وعد على وجه الاستئناف، فالأحسن ألا يعلق بالأول من جهة ضمير الغائب، و اختاره الأخفش، و من قرأ بالياء رده إلى ذكر الله في قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» .

المعنى:..... ص: ١٨٢

و المعاصي و إن كانت كلها عندنا كبائر، من حيث كانت معصية لله تعالى، فانا نقول: إن بعضها أكبر من بعض، ففيها إذا كبير بالاضافة إلى ما هو أصغر منه. و قال ابن عباس: كلما نهى الله عنه فهو كبير. و قال سعيد بن جبير: كلما أوعد الله عليه النار فهو كبير، و مثله قال أبو العالئة، و مجاهد، و الضحاك. و عند المعتزلة أن كل معصية توعدها الله تعالى عليها بالعقاب، أو ثبت ذلك عن النبي (ص) أو كان بمنزلة ذلك، أو أكبر منه، فهو كبير، و ما ليس ذلك حكمه فانه يجوز أن يكون صغيراً، و يجوز أن يكون كبيراً، و لا يجوز أن يعين الله الصغائر، لأن في تعيينها الإغراء بفعلها، فمن المعاصي المقطوع على كونها كبائر: قذف المحصنات،

(١) قائله أمية بن أبي الصلت. ديوانه: ٦٢ و معاني القرآن للفراء ١: ٢٦٤، و الخزانة ١: ١٢٠ و اللسان (أمسى). [.....]

(٢) سورة الشعراء: آية ٥٩. و سورة الدخان: آية ٢٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٣

و قتل النفس التي حرم الله، و الزنا، و الربا، و الفرار من الزحف في قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و الضحاك، و مثله عن أبي عبد الله (ع)، و زاد:

و عقوق الوالدين، و الشرك، و إنكار الولاية. و قال ابن مسعود: كلما نهى الله عنه، من أول السورة إلى رأس الثلاثين، فهو كبير. و روى عن النبي (ص) أنه قال: عقوق الوالدين، و شهادة الزور، كبير.

فعلى مذهب المعتزلة: من اجتنب الكبائر، و واقع الصغائر، فان الله يكفر الصغائر عنه، و لا يحسن مع اجتناب الكبائر، عندهم المؤاخذه بالصغائر، و متى أخذها بها كان ظالماً. و عندنا أنه يحسن من الله تعالى ان يؤاخذ العاصي بأى معصية فعلها، و لا يجب عليه إسقاط عقاب معصية لمكان اجتناب ما هو أكبر منها، غير أننا نقول: إنه تعالى وعد تفضلاً منه أن من اجتنب الكبائر فانه يكفر عنه ما سواها، بأن يسقط عقابها عنه تفضلاً، و لو أخذها بها لم يكن ظالماً، و لم يعين الكبائر التي إذا اجتنبها كفر ما عداها، لأنه لو فعل ذلك لكان فيه إغراء بما عداها، و ذلك لا يجوز في حكمته تعالى. و قوله: «إِنَّ تَجْتَنَّبُوا كِبَائِرَ» معناه من تركها جانباً و المدخل الكريم: هو الطيب الحسن المكرم بنفى الآفات و العاهات عنه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٢]..... ص: ١٨٣

إشارة

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)

- آية بلا خلاف -.

القراءة:..... ص: ١٨٣

قرأ ابن كثير، والكسائي (و سلوا) بغير همزة، وكذلك كلما كان أمر للمواجه في جميع القرآن، الباقون بالهمزة، و لم يختلفوا في: «و لِيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا» (١)

(١) سورة الممتحنة: آية ١٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٤

لأنه أمر لغائب. قال أبو علي الفارسي. كلاهما جيد، إن ترك الهمزة وإثباتها.

النزول:..... ص: ١٨٤

وقيل في سبب نزول هذه الآية

أن أم سلمة قالت: (يا رسول الله لا نغزو مع الرجال، ولنا نصف الميراث، يا ليت كنا رجالا، فكنا تقاتل معهم) فنزلت هذه الآية ، في قول مجاهد. و قال الزجاج: قال الرجال: ليتنا كنا فضلنا في الآخرة على النساء، كما فضلنا عليهن في الدنيا، و به قال السدي.

اللغة:..... ص: ١٨٤

و التمني هو قول القائل: ليت كان كذا لما لم يكن، و ليت لم يكن كذا لما كان. و في الناس من قال: هو معنى في القلب. و قال الرماني: هو ما يجب على جهة الاستمتاع به، و من قال: هو معنى في القلب قال: ليس هو من قبيل الشهوة، و لا من قبيل الارادة، لأن الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه، و التمني قد يتعلق بما مضى، و الشهوة أيضاً كالارادة في أنها لا تتعلق بما مضى.

المعنى:..... ص: ١٨٤

و ظاهر الخطاب يقتضى تحريم تمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض و قال الفراء: هو على جهة الندب و الاستحباب، و الاول هو حقيقة التمني، و الذى قلناه هو قول أكثر المفسرين، و وجه تحريم ذلك أنه يدعو الى الحسد، و أيضاً فهو من دنايا الأخلاق، و أيضاً فان تمنى الإنسان لحال غيره قد يؤدي الى تسخط ما قسم الله له، و لا يجوز لأحد أن يقول ليت مال فلان لي، و إنما يحسن أن يقول: ليت مثل لي.

و قال البلخي: لا- يجوز للرجل أن يتمنى أن كان امرأة، و لا للمرأة أن تتمنى لو كانت رجلا، بخلاف ما فعل الله، لأن الله لا يفعل من الأشياء إلا ما هو أصلح، فيكون قد تمنى ما ليس بأصلح، أو ما يكون مفسدة. و يمكن أن يقال: إن ذلك يحسن بشرط أن لا يكون

مفسدة، كما يقول في حسن السؤال سواء. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٥

و قوله: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ» قيل في معناه أقوال:

أحدها- أن لكل واحد حظاً من الثواب على حسب ما كلفه الله من الطاعات بحسن تدبيره، فمتى فعل ذلك استحق به علو المنزلة، فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير، لما فيه من حرمان الحظ الجزيل.

الثاني- أن كل أحد إنما له جزء ما اكتسب، فلا يضيعه بتمنى ما لغيره، مما يؤدي إلى إبطال عمله، فكأنه قيل: لا تضيع ما هو لك،

بتمنى ما لغيرك.

و الثالث- أن لكل فريق من الرجال و النساء نصيباً مما اكتسب من نعيم الدنيا، بالتجارات و الزراعات و غير ذلك من أنواع المكاسب، فينبغي أن يقنع و يرضى بما قسم له. و روى عن ابن عباس أنه قال: ذلك في الميراث، للرجال نصيب منه، و للنساء نصيب منه. و الأجوبة الأولى أقرب، لأن الميراث ليس، مما يكتسبه الرجال و النساء، وإنما هو شيء، يورثهم الله تعالى، و الآية تضمنت أن لهم نصيباً مما اكتسبوا، و ذلك لا يليق إلا بما تقدم.

و قوله: «وَسَيُلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ» معناه: إن احتجتم إلى ما لغيركم، فاسألوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله، بشرط أن لا يكون فيه مفسده لكم و لا لغيركم، لأن المسألة لا تحسن إلا كذلك، و قال سعيد بن جبير: و اسألوا الله العباد، و به قال السدي، و مجاهد. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» معناه: إنه قسم الأرزاق على ما علمه من الصلاح للعباد، بدلا من الفساد، فينبغي أن ترضوا بما قسمه، و تسألوه من فضله، غير منافسين لغيركم في عطيته.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٣]..... ص: ١٨٥

إشارة

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)
التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٦
- آية بلا خلاف -

القراء، و الاعراب، و الحجة:..... ص: ١٨٦

قرأ أهل الكوفة (عقدت) بغير ألف، الباقون بألف، فمن قرأ بإثبات الالف، قال: لأن المعاقدة تدل على عقد الحلف باليمين من الفريقين، و قال بعضهم إنه يعني عن ذلك جميع الأيمان، قال الرماني: هذا خطأ، لأنها قد تجمع لردّها على أحد الفريقين الحالف بها، قال أبو على الفارسي: الذكر الذي يعود من الصلة إلى الموصول ينبغى أن يكون منصوباً، فالتقدير: و الذين عاقدتم أيمانكم، فجعل الأيمان في اللفظ هي المعاقدة، و المعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الأيمان، فالمعنى: و الذين عاقدت حلفهم أيمانكم، فحذف المضاف، و أقام المضاف إليه مقامه، فعاقدت أشبه بهذا المعنى، لأن لكل نفس من المعاقدين يميناً على المحالفة. و من قال: «عَقَدْتُ أَيْمَانُكُمْ» كل المعنى: عقدت حلفهم أيمانكم، فحذف الحلف، و أقام المضاف إليه مقامه، و الأولون حملوا الكلام على المعنى، حيث كان من كل واحد من الفريقين يمين، و من قال: (عقدت) حمل على اللفظ، لفظ الأيمان، لأن الفعل لم يسند إلى أصحاب الأيمان في اللفظ، و إنما أسند إلى الأيمان.

المعنى و اللغة:..... ص: ١٨٦

و معنى الآية: جعلنا الميراث لكل من هو مولى الميت، و الموالى المذكورون في الآية، قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة و ابن زيد: هم العصبه، و قال السدي: هم الورثة، و هو أقواها، و التقدير و لكلكم جعنا ورثه مما ترك الوالدان و الأقربون، ثم استأنف: و الذين. و أصل الموالى من ولى الشيء يليه و لا يه، و هو الاتصال للشيء بالشيء، من غير فاصل، و المولى على وجوه: فالمولى المعق، و المولى المعق، و المولى العصبه، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٧

والمولى ابن العم، و المولى الحليف، و المولى الولي، و المولى الأولى بالشىء و الاحق.

فالمعتق مولى النعمة بالعتق، و المعتق لأنه مولى النعمة، و المولى الورثة، لأنهم أولى بالميراث، و المولى الحليف، لأنه يلي المحالف أمره بعقد اليمين، و المولى ابن العم، لأنه يلي النصرة بتلك القرابة، و المولى الولي، لأنه يلي بالنصرة. و فى التنزيل: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) «١» أى لا ناصر لهم، و هو ناصر المؤمنين، و المولى السيد، لأنه أولى بمن يسوده. قال الأخطل.

فأصبحت مولاها من الناس كلهم و أخرى قريش أن تهاب و تحمدا و المولى الأولى و الأحق،

و منه قوله (ع): (أيا امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل)

أى بغير إذن من هو أولى بها و أحق. و قال الفضل ابن العباس فى المولى بمعنى ابن العم:

مهلا بنى عما مهلا موالينا لا تظهرون لنا ما كان مدفونا «٢»

و المراد بقوله: (وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ) قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال سعيد بن جبیر، و قتادة، و عامر، و الضحاك: إنهم الحلفاء.

الثانى- قال الحسن، و سعيد بن المسيب: هم رجال كانوا يتبنون، على عادة الجاهلية. ليجعل لهم نصيب من الوصية، ثم هلكوا، فذهب نصيبهم بهلاكهم.

الثالث- فى رواية أخرى

عن ابن عباس، و ابن زيد انهم قوم آخى بينهم رسول الله (ص).

و الاول أقوى و أظهر فى أقوال المفسرين.

و قال أبو مسلم: أراد بذلك عقد المصاهرة و المناكحة. و قال أبو على:

الحليف لم يؤمر له بشىء أصلا، لأنه عطف على قوله «تَرَكَ الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ» أى: و ترك الذين عاقدت أيمانكم، فأتوا كلا نصيبه من الميراث. و هذا ضعيف لأنه

(١) سورة محمد: آية ١١.

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة: ١: ١٢٥ و الكامل للمبرد ٢: ٢٧٩ و الحماسة للبحرئى ١: ١٢١ و اللسان (ولى) و قد روى:

لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٨

يفيد التكرار، لأن قوله. «الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ» عام فى كل أحد. و على ما قال المفسرون، يكون قوله: (وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانَ) إذا كانوا مناسبين له، ثم استأنف حكم الحلفاء، فقال: «فَأَتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ». فان قيل: بم يتصل قوله:

«مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانَ» و ما العامل فيه؟ قيل فيه قولان:

أحدهما- يتصل ب (موالى) على جهة الصفة، و العامل الاستقرار، كأنه قال:

موالى مما خلف الوالدان و الأقربون، و الذين عاقدت أيمانكم من الورثة.

الثانى- يتصل بمحذوف، و التقدير: موالى يعطون مما ترك الوالدان و الأقربون، و الذين عاقدت أيمانكم من الميراث. و قال أبو على الجبائى تقديره:

و لكل شىء مما ترك الوالدان و الأقربون وارث من الميراث. قال الرماني: و هذا لا يجوز، لأنه فصل بين الصفة و الموصوف بما عمل

في الموصوف، نحو: لكل رجل - جعلت درهما - فقير.

و النصيب الذي أمر به للحليف قيل فيه قولان:

أحدهما - قال ابن عباس، والحسن وسعيد بن جبير، و قتادة، و عامر، و الضحاك: انه نصيب على ما كانوا يتوارثون بالحلف في الجاهلية، ثم نسخ ذلك بقوله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» .

الثاني - في رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و عطاء، و السدي: انه النصيب من النصره و النصيحة دون الموارثه، فعلى هذا الآية غير منسوخة.

و روى عنه أنه قال: لا - حلف في الإسلام، فأما ما كان في الجاهلية فلم يزد الإسلام إلا شدة. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) أى: شاهداً، و ذلك دال على أنه عالم به، لأنه لا يشهد إلا بما علم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٤]..... ص: ١٨٨

إشارة

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ أَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (٣٤)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٨٩

- آية بلا خلاف -

القراءة و النزول..... ص: ١٨٩

قرأ أبو جعفر المدني: «بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» - بالنصب - و معناه: بالذي حفظ الله، و يحتمل أن يكون معناه: بحفظ الله و هو ضعيف، لأنه يكون حذف الفاعل و هو ضعيف.

و سبب نزول هذه الآية ما

قاله الحسن، و قتادة، و ابن جريح، و السدي: أن رجلا طم امرأته فجاءت إلى النبي (ص) تلتمس القصاص، فنزلت الآية:

«الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» .

المعنى و اللغة..... ص: ١٨٩

و المعنى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) بالتأديب و التدبير لما «فَضَّلَ اللَّهُ» الرجال على النساء في العقل و الرأي. و كان الزهري يقول:

ليس بين الرجل و امرأته قصاص فيما دون النفس. و يقال: رجل قيم، و قوام، و قيام. و معناه:

إنهم يقومون بأمر المرأة بالطاعة لله و لهم. و قوله: (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ) قال قتادة: و سفيان: معنى (قانتات) مطيعات لله و لأزواجهن. و

أصل القنوت دوام الطاعة، و منه القنوت في الوتر لطول القيام. و قوله: «حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» معناه: قال قتادة، و عطاء، و

سفيان: حافظات لما غاب عنه أزواجهن من ماله، و ما يجب من رعايته و حاله، و ما يلزم من صيانتها نفسها له، «بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» قال

عطاء، و الزجاج: أى بما حفظهن الله في مهورهن، و ألزم الزوج النفقة عليهن. و قال بعضهم: معناه، و الله أعلم: بالشىء الذى يحفظ

أمر الله، و دين الله.

و قوله: «و اللَّاتِي تَخَافُونَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- تعلمون، لأن خوف النشز للعلم بموقعه، فلذلك جاز أن توضع التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٠
مكان تعلم، كما قال الشاعر:

و لا تدفنى بالفلاة فأنى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها «١»

و قال آخر:

أتانى كلام عن نصيب يقوله و ما خفت يا سلام انك عائبى «٢»

و قال الفراء: معناه: ما ظننت، و منه

قوله (ص): أمرت بالسواك حتى خفت أن أدرد.

الثانى - الخوف الذى هو خلاف الأمن، كأنه قال: تخافون نشوزهن لعلمكم بالأحوال المؤذنة به، ذكره محمد بن كعب. و معنى النشوز هاهنا: قال ابن عباس، و السدى و عطاء، و ابن زيد: انه معصية الزوج، و أصله الترفع على الزوج بخلافه، مأخوذاً من قولهم: هو على نشز من الأرض، أى ارتفاع، يقال:

نشزت المرأة تنشز و تنشز، قرئ بهما: «و إِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا» «٣» فالنشوز يكون من قبل المرأة خاصة، و الشقاق منهما. و قوله: «فَعِظُوهُنَّ» أى خوفهن بالله، فان رجعن و إلا فاهجروهن فى المضاجع. و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و عكرمة، و الضحاك، و السدى: هجر الكلام.

و قال سعيد بن جبیر: هو هجر الجماع. و قال مجاهد، و الشعبي، و ابراهيم:

هو هجر المضاجعة، و هو قول أبى جعفر (ع).

و قال: يحول ظهره إليها. و قال بعضهم:

«اهْتَجِرُوهُنَّ» اربطوهن بالهजार، من قولهم: هجر الرجل البعير إذا ربطه بالهजार، و قال امرؤ القيس:

رأت هلكاً بنجاف الغيظ فكادت تجد لذاك الهجارا «٤»

(١) انظر ٢: ٢٤٤ تعليقه ٢.

(٢) انظر ٢: ١٨٩، ٢٤٤.

(٣) سورة المجادلة: آية ١١.

(٤) ديوانه: ١١١ و اللسان (هلك). و الهلك: الفراغ. نجاف الغيظ: مدرعة البرذعة.

الهजार: جبل يسوى له عروتان فى طرفيه ثم تشد إحدهما فى رسغ رجل الفرس و تزر و كذلك الاخرى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩١

و هذا تعسف فى التأويل، و يضعفه قوله: «فى المَضَاجِعِ» و لا يكون الرباط فى المضجع. و أما الضرب فانه غير مبرح بلا خلاف

قال أبو جعفر (ع): هو بالسواك.

و المضاجع جمع مضجع، و أصله الاستلقاء، يقال: ضجع ضجوعاً و اضطجع اضطجاعاً إذا استلقى للنوم، و أضجعتة إذا وضعت جنبه بالأرض، فكل شىء أملتة فقد أضجعتة. و قوله: «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ» أى لا تطلبوا، تقول: بغيت الضالة إذا طلبتها، قال الشاعر يصف الموت:

بغاك و ما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعدا «١»

و أصل الهجر الترك عن قلى، تقول: هجرت فلاناً أى تركت كلامه عن قلى، و الهجر القبيح من الكلام، لأنه مهجور، و الهجار جبل

يشد به البعير، لأنه يهجر به التصرف، و الهاجرة نصف النهار، لأنه وقت يهجر فيه العمل. وقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا» أى متعالياً عن أن يكلف إلا بالحق، و مقداره الطاقة، و قد قيل: معناه إنه قادر عليه، قاهر له، و ليس المراد به علو المكان، لأن ذلك يستحيل عليه تعالى. و الكبير السيد، يقال: لسيد القوم كبيرهم، و المعنى: فان استقمن لكم فلا تطلبوا العلل في ضربهن، و سوء معاشرتهن، فان الله تعالى قادر على الانتصاف لهن.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٥]..... ص: ١٩١

إشارة

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) - آية بلا خلاف -.

المعنى و اللغة:..... ص: ١٩١

قوله: (وَإِنْ خِفْتُمْ) فى معناه قولان:

(١) قائله سحيم بن الحسحاس ديوانه: ٤١ و روايته (الا وجدته) بدل (حتى وجدته).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٢

أحدهما- إن علمتم.

الثانى- الخوف الذى هو خلاف الأمن، و هو الأصح، لأنه لو علم الشقاق يقيناً لم يحتج إلى الحكمين، فان أريد به الظن كان قريباً مما قلناه. و الشقاق الخلاف.

و العداوة، و اشتقاقه من الشق، و هو الجزء البائن، و منه اسم المتشاقين، لأن كل واحد منهما فى شق أى فى ناحية، و منه المشقة فى الأمر، لأنه يشق على النفس، فأمر الله متى خيف ذلك بين الزوجين أن يبعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها، و الحكم القيم بما يسند إليه.

و المأمور ببعث الحكمين قيل فيه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير، و الضحاك، و أكثر الفقهاء، و هو الظاهر فى اخبارنا، انه السلطان الذى يترافعان إليه.

و الثانى- قال السدى: انه الرجل و المرأة، و قيل: أيهما كان ناب عن الآخر، و هو اختيار الطبرى. و اختلف الفقهاء فى الحكمين هل هما وكيلان، أو هما حكمان، فعندنا أنهما حكمان، و قال قوم: هما وكيلان، و اختلفوا هل للحكمين أن يفرقا بالطلاق إن رأياه أم لا؟ فعندنا ليس لهما ذلك إلا بعد أن يستأمرهما، أو كان اذن لهما فى الأصل فى ذلك، و به قال الحسن، و قتادة، و ابن زيد، عن أبيه. و من قال: هما وكيلان، قال: لهما ذلك، ذهب اليه سعيد بن جبير، و الشعبى، و السدى، و ابراهيم و شريح، و روه عن على (ع).

وقوله: (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) معناه يوفق الله بينهما، و الضمير فى بينهما عائد على الحكمين، و المعنى: إن أراد إصلاحاً فى أمر الزوجين يوفق الله بينهما. و به قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و السدى. و أصل التوفيق الموافقة، و هى المساواة فى أمر من الأمور. و التوفيق هو اللطف الذى يتفق عنده فعل الطاعة، و التوفيق بين نفسين هو الإصلاح بينهما، و الاتفاق فى الجنس و المذهب المساواة بينهما، و الاتفاق فى الوقوع كرمية من غير رام لمساواتهما نادراً.

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا» يعنى بما يريد الحكمان من الإصلاح التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٣

أو الإفساد. وقيل معناه أنه عالم بما تعبدكم به، و لعلمه بما فيه صلاحكم في دينكم و دنياكم. «شِقَاقَ بَيْنِهِمَا» إنما أضافه إلى البين لأن البين قد يكون اسماً كما قال:
«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» «١» ممن قرأ بالرفع.

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ٣٦]..... ص: ١٩٣

إشارة

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)
- آية -

المعنى:..... ص: ١٩٣

هذا خطاب لجميع المكلفين، أمرهم الله بأن يعبدوه وحده، و لا يشركوا بعبادته شيئاً سواه «وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» نصب على المصدر، و تقديره: و أحسنوا إلى الوالدين إحساناً، و يحتمل أن يكون نصباً على تقدير: و استوصوا بالوالدين إحساناً، لأن قوله: «اعْبُدُوا اللَّهَ» بمنزلة استوصوا بعبادة الله، و أن تحسنوا إلى ذى قرباكم، و إلى اليتامى الذين لا- أب لهم، و المساكين و هم الفقراء، و الجار ذى القربى، يعنى الجار القريب.

اللغة:..... ص: ١٩٣

و أصل الجار العدول، جاوره مجاورةً و جواراً، فهو مجاور له و جار له، لعدوله إلى ناحيته فى مسكنه، و الجور الظلم، لأنه عدول عن الحق، و منه جار السهم إذا عدل عن قصده، و جار عن الطريق إذا عدل عنه، و استجار بالله، لأنه

(١) سورة الانعام: آية ٩٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٤

يسأله العدول به عن النار، و جوار الذمة، لأنه عدول بها إلى ناحية صاحبها.

«وَالْجَارِ الْجُنُبِ» أصل الجنب التنحية، جنبت فلاناً عن كذا فتجنب أى ناحيته، و منه قوله: «وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» «١» و الجانبان الناحيتان، لتتحى كل واحدة عن الأخرى، و منه جنب الإنسان و كل حيوان، و الاجتناب الترك للشىء، و الجار الجنب معناه الغريب الأجنبى، لتنحيه عن القرابة، قال علقمة بن عبدة:

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب «٢»

أى عن غربة. و قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و ابن زيد:

الجار ذى القربى القريب فى النسب، و الجار الجنب: الغريب، أى عن غربة.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: الجيران ثلاثة، جار له ثلاثة حقوق: حق الجوار، و حق القرابة، و حق الإسلام. و جار له حقان: حق الجوار، و حق الإسلام.

و جار له حق الجوار، و المشرك من أهل الكتاب.

المعنى و اللغة:..... ص: ١٩٤

«وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و سعيد بن جبیر، و الحسن، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و الضحاك: هو الرفیق.
الثانى -

قال عبد الله بن مسعود، و على (ع) و ابراهيم، و ابن أبى لیلی: الزوجة.

الثالث- قال ابن زید، و ابن عباس، فى رواية أخرى عنه: إنه المنقطع اليك رجاء رفدك. و قيل إنه فى جميع هؤلاء، و هو أعم فائدة.
و قال الزجاج. الجار ذى القربى الذى يقاربك و يعرفك و تعرفه، و الجار

(١) سورة ابراهيم: آية ٣٥.

(٢) ديوانه: ١٠٧ و المفضليات ٧٨٩ و الكامل للمبرد ٤٣٧، و اللسان (جنب).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٥

الجنب البعيد. و روى أن حد الجوار إلى أربعين داراً. و روى إلى أربعين ذراعاً.

«وَأَبْنِ السَّبِيلِ» معناه صاحب الطريق، و قيل فى المراد به هاهنا قولان:

أحدهما- قال مجاهد، و الربيع: إنه المسافر.

الثانى- قال قتادة، و الضحاك: انه الضيف، و قال أصحابنا: يدخل فيه الفريقان. «وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يعنى المماليك من العبيد و الإماء، أمر الله بالإحسان إلى هؤلاء أجمع. و قوله. «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا» فالمختال الصلف التباه، و الاختيال هو التناول، و إنما ذكره الله هاهنا و ذمه، لأنه أراد بذلك من يختال فيأنف من قراباته و جيرانه إذا كانوا فقراء، لكبره و تطاوله، فأما الاختيال فى الحرب فممدوح، لأن فى ذلك تطاولا على العدو و استخفافاً به.

و أصل المختال من التخييل، و هو التصور، فالمختال لأنه يتخييل بحاله مرح البطر، و منه الخيل، لأنها تختال فى مشيها، أى تتبختر، و الخيال، لأنه يتخييل به صاحبه، و الأخيل الشقراق، لأنه يتخييل فى لونه الخضرة من غير خلوصها، و الخول الحشم، و خلته راكباً خيلاناً أى تخيلته، و الخال المختال، و الخال أخ الأم، (و الفخور) هو الذى يعدد مناقبه كبيراً و تطاولاً، و أما الذى يعددها اعترافاً بالنعم فيها فهو شكور غير فخور. و روى عن المفضل عن عاصم أنه قرأ:

«وَالْجَارِ الْجُنْبِ» - بفتح الجيم - قال أبو الحسن: هو لغة فى الجنب، قال الراجز:

الناس جنب و الأمير جنب يعنى ناحية: قال أبو على الفارسى: يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يريد الناحية، و التقدير: ذى الجنب، فحذف المضاف، لأن المعنى مفهوم، لأن الناحية لا تكون هى الجار.

و الثانى - أن يكون وصفاً، مثل: ضرب و ندب و فسل، فهذا وصف جرى على موصوف.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٧]..... ص: ١٩٥

إشارة

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٦

– آية

القراءة:..... ص: ١٩٦

قرأ حمزة، و الكسائي هاهنا و في الحديد: (بالبخل) بفتح الباء و الخاء. الباقون بضم الباء و تسكين الخاء. فمن نصب قال: لأنه مصدر بخل يبخل بخلا، الباب كله هكذا، و من اختار الضم و تسكين الخاء، فلأنه نقيض الجود فحمل على وزنه، فهما لغتان. و حكى لغةً ثالثةً (بالبخل) – بفتح الباء و سكون الخاء.

الاعراب:..... ص: ١٩٦

و قوله: «الذين» يحتمل أن يكون موضعه نصباً من وجهين، و رفعاً من وجهين، فأحد وجهي النصب أن يكون بدلاً من «من» في قوله: «لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ». و الثاني – على الظم. و أحد وجهي الرفع – على الاستئناف بالضم، و يكون خبره «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ» «١» و الآية الثانية عطفاً عليها. و الوجه الثاني – على البدل من الضمير في «فخور». و البخل أصله مشقة الإعطاء.

المعنى و اللغة:..... ص: ١٩٦

و قالوا في معناه هاهنا قولان:

أحدهما – أنه منع الواجب، لأنه اسم ذم لا يطلق إلا على مرتكب كبيرة. و الثاني – هو منع ما لا ينفع منعه، و لا يضر بذله، و مثله الشح، و ضده الجود، و الأول أليق بالآية، لأنه تعالى نفى محبته عن من كان بهذه الصفة، و ذلك لا – يليق إلا – بمنع الواجب. قال الرماني: معناه منع الإحسان لمشقة الطباع، و نقيضه الجود و هو بذل الإحسان لانتفاء مشقة الطباع، و قال ابن عباس، و مجاهد، و السدي: و ابن زيد: إن الآية نزلت في اليهود، إذ بخلوا بإظهار ما علموه و كتموه من صفة محمد (ص). و قال الجبائي، و البلخي: الآية في كل من كان بهذه الصفة،

(١) سورة النساء: آية ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٧

و إنما ذكروا بالكفر لكتمانهم نعمه الله عليهم. و الأمر بالبخل يتناوله الوعيد، كما أن من فعل البخل يتناوله الوعيد. و قيل: معنى «يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» يجحدون اليسار و الثروة اعتذاراً في البخل، و قوله: «وَأَعْتَدْنَا» قد فسرناه فيما مضى و هو أن معناه أعددناه، و جعلناه ثابتاً لهم و «لِلْكَافِرِينَ» يعنى الجاحدين ما أنهم الله عليهم «عَذَاباً مُهِيناً» أى يهينهم و يذلهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٨]..... ص: ١٩٦

إشارة

و الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) – آية بلا خلاف.

الاعراب:..... ص: ١٩٧

قوله: «و الذين» عطف على «الذين» في الآية الأولى. و اعرابه يحتمل ما قلناه في الآية الأولى سواء. و قال الزجاج وغيره: المعنى بهذه الآية المنافقون.

و قال مجاهد: المعنى بها اليهود، و الأول أقوى و أظهر، لأن الرياء ضرب من النفاق و واو العطف يقوى ذلك، لأنه لو أراد الموصوفين في الآية الأولى لقال:

«الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ»، مع أنه قد ورد عطف الصفات بالواو لموصوف واحد على ما بيناه فيما مضى، غير أن الأجود ما قلناه.

المعنى و اللغة:..... ص: ١٩٧

فذم الله تعالى بهذه الآية من ينفق ماله رياء الناس دون أن ينفقه لوجهه و طلب رضاه، و لا يؤمن بالله أى لا يصدق به، «و لا باليوم الآخر» الذى فيه الثواب و العقاب. ثم قال: «وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا» معناه من قبل من الشيطان، و أطاعه فيما يدعوه إليه فبئس القرين قرينه. و القرين أصله التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٨

الاقتران، و منه قرن الثور لاقتران بعض ببعض، و القرن أهل العصر من الناس، و قرنه الشيء حرفه، و القرن المقاوم فى الحرب، «و ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» «١» أى مطيقين، و القرين صاحب المألوف. قال عدى بن زيد:

عن المرء لا تسأل و أبصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدى «٢»

و يمكن الإنسان الانفكاك من مقارنه الشيطان بالمخالفة له، فلا يعتد بالمقارنة.

و قال أبو على: لا- يمكن ذلك، لأنه يقرن به الشيطان فى النار فلا- يمكنه الانفكاك منه، و قوله: «فَسَاءَ قَرِينًا» نصب على التفسير، كقوله: «سَاءَ مَثَلًا»، و تقديره:

سَاءَ مَثَلًا مثل الذين و تقول: نعم رجلا، و تقديره نعم الرجل رجلا.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٣٩]..... ص: ١٩٨

إشارة

وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩)
- آية واحدة بلا خلاف -.

المعنى و الاعراب:..... ص: ١٩٨

معنى قوله: «وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ...» الآية الاحتجاج على المتخلفين عن الايمان بالله و اليوم الآخر بما عليهم فيه و لهم، و ذلك أنه يجب على الإنسان أن يحاسب نفسه فيما عليه و له، فإذا ظهر له ما عليه فى فعل المعصية من استحقاق العقاب اجتنابها، و ما له فى تركها من استحقاق الثواب عمل فى ذلك من الاختيار له، أو الانصراف عنه. و فى ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة فى أن الكافر لا يقدر على الايمان، لأن الآية نزلت على أنه لا عذر للكفار فى ترك الايمان، و لو كانوا غير قادرين لكان فيه أوضح العذر لهم، و لما جاز أن يقال: «وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ» لأنهم لا يقدرون عليه، كما لا يجوز أن يقال لأهل النار: ما ذا عليهم لو خرجوا منها

(١) سورة الزخرف: آية ١٣. [.....]

(٢) ديوانه في شعراء الجاهلية: ٤٦٦، و قد شاعت روايته على ألسن الناس:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ١٩٩

إلى الجنة، من حيث لا- يقدرن عليه، و لا- يجدون السبيل إليه، و لذلك لا يجوز أن يقال للعاجز: ما ذا عليه لو كان صحيحاً، و لا للفقير: ما ذا عليه لو كان غنياً.

و موضع «ذا» يحتمل من الاعراب وجهين:

أحدهما- أن يكون رفعاً، لأنه في موضع الذى، و تقديره: ما الذى عليهم لو آمنوا.

الثانى- لا موضع له، لأنه مع (ما) بمنزلة اسم واحد، و تقديره: و أى شىء عليهم لو آمنوا بالله، ففى الآية تقريع على ترك الايمان بالله و اليوم الآخر، و توبيخ على الإنفاق مما رزقهم الله فى غير أبواب البر و سبيل الخير على وجه الإخلاص، دون الرياء. و قوله «وَ كَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا» معناه هاهنا ان الله بهم عليم، يجازيهم بما يسرون من قليل أو كثير، فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٠]..... ص: ١٩٩

إشارة

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)
- آية بلا خلاف-

القراءة، و الحجة، و الاعراب:..... ص: ١٩٩

قرأ: (و إن تك حسنة) بالرفع ابن كثير، و نافع. الباقون بالنصب، فمن نصب معناه: و إن تك زنة الذرة حسنة، أو: و إن تك فعلته حسنة، و من رفع ذهب إلى أن كان تامه، و تقديره: و إن تحدث حسنة. و أصل (تك) تكون، فحذفت الضمة للجزم، و الواو لسكونها و سكون النون، لكثرة الاستعمال، و قد ورد القرآن بإثباتها، قال الله تعالى: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا» (١) فاجتمع فى النون أنها ساكنة و أنها تشبه حروف اللين، فحذفت لكثرة الاستعمال، كما قالوا لا أدري، و لم ابل، و الأجود: لم أبال و لا أدري «و يؤت» بغير ياء، سقطت الياء

(١) سورة النساء: ١٣٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٠

للجزم بالعطف على «يضاعفها». و لدن فى موضع خفض. و فيها لغات، يقال:

لُدُّ و لدن و لدا و لدا، و المعنى واحد، و معناه من قبله، و لدن لما يليك، و عند يكون لما يليك و لما بعد منك، تقول: عندى مال و إن كان بينك و بينه بعد، فإذا أضفته إلى نفسك فقلت: من لدنى و من لدنا زدت فيها نوناً أخرى، و أدغموا الأولى منهما ليسلم سكون النون و مثله قالوا فى (من)، إذا أضافوه قالوا: منى و منا. و قرأ ابن كثير، و ابن عامر: (يضعفها) مشدده، الباقون: (يضاعفها) من المضاعفة. و الظلم هو الألم الذى لا نفع فيه يوفى عليه، و لا دفع مضرة أعظم منه عاجلا و لا آجلا، و لا هو مستحق، و لا هو واقع على

وجه المدافعة.

اللغة:..... ص: ٢٠٠

وأصله وضع الشيء في غير موضعه، وقيل: أصله الانتقاص، من قوله: «وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئاً» (١) أى لم ينقص. والظلم انتقاص الحق. والظلمة انتقاص النور بذهابه، والظلم الثلج، لانتقاصه بالجمود، وشبه به ماء الأسنان، وفي المثل (من أشبه أباه فما ظلم)، وسقاء مظلوم إذا شرب منه قبل أن يدرك، والظلم ذكر النعام، لأنه يضع الشيء في غير موضعه من حيث (٢) يحضن غير بيضه. وأصل المثلث الثقيل، فالمثلث مقدار الشيء في الثقل، والثقل ما ثقل من متاع السفر، والمثلث الذى أثقله المرض، والثقل البطيء في عمله (فمثلث ذرة): مقدار ذرة في الزنة. والذرة النملة الحمراء في قول ابن عباس، وابن زيد، وهى أصغر النمل، وهى من ذررت الشيء أذرة ذراً إذا بددته سحوقاً.

المعنى:..... ص: ٢٠٠

وفي الآية دلالة على أن منع الثواب ظلم لأنه لو لم يكن ذلك ظلماً لما كان لهذا الكلام معنى على هذا الترتيب. وفيه أيضاً دلالة على أنه قادر على الظلم، لأنها

(١) سورة الكهف: آية ٣٢.

(٢) (من حيث) ساقطة من المطبوعه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠١

صفة تعظيم وتزيه عن فعل ما يقدر عليه من الظلم، ولو لم يكن قادراً عليه لما كان فيه مدحة، غير أنه وإن كان قادراً عليه فإنه لا يفعل له لعله بقبحه، وبأنه غنى عنه، ولأنه لو فعل لكان ظالماً، لأن الاشتقاق يوجب ذلك وذلك منزعه عنه تعالى.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤١]..... ص: ٢٠١

إشارة

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً (٤١)
- آية -

الاعراب:..... ص: ٢٠١

«كيف» لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها هاهنا التوبيخ، والتقدير فكيف يكون حال هؤلاء يوم القيامة، وحذف لدلالة الكلام عليه. والعامل في «كيف» الابتداء المحذوف، لأن التقدير: كيف حالهم، على ما بيناه. وإنما جاز خروج كيف عن الاستفهام إلى التوبيخ لأنه يقتضى إقرار العبد على نفسه بما كان من قبيح عمله، كما يقتضى الجواب في الاستفهام، ولا يجوز أن يكون العامل في «كيف» «جئنا» لاضافة «إذا» إليه والمضاف إليه لا يعمل فيما قبله كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول، لأنه من تمام الاسم.

المعنى:..... ص: ٢٠١

و الشهادة تقع يوم القيامة من كل نبي بأنه بلغ قومه ما تقوم به عليهم الحجّة، و أنه أدى ما تقوم به الحجّة عليها من مراد الله، هذا قول عبد الله، و ابن جريح، و السدى. و قال الجبائي: يشهد عليهم بأعمالهم. و قال الزجاج، و الطبري: يشهد لهم و عليهم بما عملوه، و وجه حسن الشهادة ما فى ذلك من اقامة الحجّة عليهم، فيستجيون عند تصور تلك الحال من خزي ذلك المقام، و فى ذلك أكبر الاعتاظ.

و روى عن ابن مسعود أنه قرأ على النبي (ص) سورة النساء فلما بلغ «فَكَيْفَ التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٣، ص: ٢٠٢
إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا»
فاضت عيناه و قوله:

«وَ جِئْنَا بِكَ» يعنى محمداً (ص) «عَلَى هَؤُلَاءِ» يعنى على أمته. و قال السدى:
إن أمة نبينا تشهد لأنبياء بالأداء و التبليغ، و يشهد النبي لأمته بتصديقهم فى تلك الشهادة، كما قال: «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» «١» .

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٢]..... ص: ٢٠٢**إشارة**

يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)
- آية بلا خلاف -.

القراءة، و الحجّة:..... ص: ٢٠٢

قرأ حمزة، و الكسائي: «تسوى» مفتوحة التاء خفيفة السين. و قرأ نافع و ابن عامر - بفتح التاء و تشديد السين - الباقون بضم التاء و تخفيف السين. و قال الطبري: الاختيار فتح التاء، لموافقته لقوله: اَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا»
«٢» و لم يقل: كونت. و قال الرماني. هذا ليس بشيء، لأن التمنى فيه معنى الفعل، و بضم التاء أبين و ليس كذلك الآخر، لأنه بمنزلة التمنى لأن يكون معدوماً لم يوجد قط.

قال أبو على: من قرأ بضم التاء أراد: لو جعل هو و الأرض سواء، و من فتح التاء أراد: تتسوى، و إنما أدغم التاء فى السين، قال: و فى هذا تجوز، لأن الفعل مسند إلى الأرض و ليس ذلك المراد، لأنه لا فائدة لهم أن تصير الأرض مثلهم. و إنما ودوا أن يتسواهم بما لا يتسوى بهم، و من فتح التاء و خفض السين أراد هذا، غير أنه حذف إحدى التائين و هى الأصلية دون التى للمضارعة.

المعنى:..... ص: ٢٠٢

و معنى الآية الاخبار من الله تعالى أن الكفار يوم القيامة يودون - لعلمهم

(١) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٢) سورة النبا: آية ٤٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٣

بما يصيرون إليه من العذاب والخلود في النار- أنهم لن يبعثوا أو أنهم كانوا والأرض سواء. و روى في التفسير أن البهائم يوم القيامة تصير ترابا، فيتمنى عند ذلك الكفار أنهم صاروا كذلك ترابا، وهذا لا يجيزه إلا من قال: إن العوض منقطع، فأما من قال: هو دائم لم يصح هذا الخبر. وقوله: «وَعَصُوا الرَّسُولَ» ضموا الواو لأنها واو الجمع، و حركت لالتقاء الساكنين. وقوله: «لو استطعنا» كسرت على أصل الحركة، لالتقاء الساكنين. وإنما وجب لو او الجمع الضم لأنها لما منعت ما لها من ضم ما قبلها، جعلت الضمة عند الحاجة إلى حركتها فيها. والعامل في «يومئذ» «يود الذين» وإنما عمل في (يومئذ) ما بعد (إذ) ولم يجز مثل ذلك في «إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» لأنه لما أضيف (يوم) إلى (إذ) بطلت إضافته إلى الجملة، وجاء التنوين ليدل على تمام الاسم. يبين ذلك قوله: «مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ» (١).

وقوله: «وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» لا ينافي قوله: «وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» (٢) لأنه قيل في معنى الآية سبعة أقوال: أحدها- قال الحسن إن الآخرة مواطن، فمواطن «فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا» (٣) أى صوتاً خفياً، و مواطن يكذبون فيقولون: «مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» (٤) «وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» و مواطن يعترفون بالخطيئة بأن يسألوا الله أن يرددهم إلى دار الدنيا. الثاني- قال ابن عباس: إن قوله: «وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» داخل في التمني بعد ما نطقت جوارحهم بفضيحتهم، فكأنهم لما رأوا المؤمنين دخلوا الجنة كتموا فقالوا: «وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» فختم الله أفواههم، و أنطق جوارحهم بما فعلوه، فحينئذ تمنوا أن يكونوا «تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» فتمنوا الأمرين و قال الفراء: تقديره: يومئذ يود الذين كفروا

(١) سورة المعارج: آية ١٢.

(٢) سورة الانعام: آية ٢٣.

(٣) سورة طه: آية ١٠٨.

(٤) سورة النمل: آية ٢٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٤

و عصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض و يودون لا يكتمون الله حديثاً.

الثالث- قال أبو علي: انه لا يعتد بكتمانهم، لأنه ظاهر عند الله لا يخفى عليه شيء منه.

الرابع- لم يقصدوا الكتمان، لأنهم إنما أخبروا على ما توهموا، و لا يخرجهم من أن يكونوا كذبا.

والخامس- قال بعضهم: إن قوله: «أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» (١) انما معناه: أوجبوا العذاب بمثل حال الكاذب في الإقرار، كما يقال: كذب عليك الحج، قال الشاعر:

كذب العتيق و ماء شن بارد إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي

و قال الرماني: هذا التأويل ضعيف، لأنه يجري مجرى اللغز.

والسادس: قال الحسين بن علي المغربي: تمنوا أن يكونوا عدماً، و تم الكلام ثم استأنف فقال: «وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» أى لا تكتمه جوارحهم و إن كتموه هم.

السابع- قال البلخي: «وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» على ظاهره لا يكتمون الله شيئاً، لأنهم ملجأون إلى ترك القبائح والكذب. وقوله: «مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» أى عند أنفسنا، لأنه كانوا يظنون في الدنيا أن ذلك ليس بشرك من حيث يقربهم إلى الله تعالى.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٣]..... ص: ٢٠٤

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)

(١) سورة الانعام: ٢٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٥

- آية بلا خلاف -

القراءة والمعنى:..... ص: ٢٠٥

قرأ حمزة، و الكسائي: (أو لمستم النساء) بغير ألف، الباقون (لامستم) بألف، فمن قرأ (لامستم) بالف قال:

معناه الجماع: و هو قول على (ع)

، و ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و أبو على الجبائي، و اختاره أبو حنيفة. و من قرأ بلا الف أراد اللمس باليد و غيرها بما دون الجماع، ذهب إليه ابن مسعود، و عبيدة، و ابن عمر، و الشعبي، و ابراهيم، و عطاء، و اختاره الشافعي. و الصحيح عندنا هو الأول، و هو اختيار الجبائي، و البلخي، و الطبري، و غيرهم. و الملامسة و اللمس معناهما واحد، لأنه لا يلمسها إلا و هي تلمسه، و قيل: ان الملامسة بمعنى اللمس، كما قيل: عافاه الله، و عاقبت اللص.

النزول:..... ص: ٢٠٥

و قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابراهيم: إنها نزلت في قوم من الصحابة أصابهم جراح.

و الثاني- قالت عائشة نزلت في قوم من الصحابة أعوزهم الماء.

المعنى واللغة:..... ص: ٢٠٥

و ظاهر الخطاب متوجه إلى المؤمنين كلهم بأن لا يقربوا الصلاة و هم سكارى يعني في حال سكرهم، يقال: قرب يقرب متعد، و قرب يقرب لازم، و قرب الماء يقربه إذا ورد. و قيل في معنى السكر المذكور في الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و ابراهيم: إنه السكر من الشراب، و قال مجاهد، و الحسن، و قتادة نسخها تحريم الخمر.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٦

الثاني- قال الضحاك. هو سكر النوم خاصة. و أصل السكر من السكر، و هو سد مجرى الماء، يقال سكره يسكره، و اسم الموضع السكر و السكر، لانسداد طريق المعرفة به. سكر يسكر سكرًا و أسكره إسكارًا، و سكرة الموت غشيته.

فان قيل: كيف يجوز نهى السكران في حال سكره مع زوال عقله، و كونه بمنزلة الصبي و المجنون؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- إنه قد يكون سكران من غير أن يخرج من نقص العقل إلى ما لا يحتمل الامر و النهي.

الثاني- إنما نهوا عن التعرض للسكر مع أن عليهم صلاة يجب أن يؤديها في حال الصحو. وقال أبو علي: فيه جواب ثالث و هو أن النهي إنما دل على أن عليهم أن يعيدوها إن صلوا في حال السكر.

فان قيل: كيف يسوغ تأويل من ذهب إلى أن السكران مكلف أن ينتهي عن الصلاة في حال سكره؟ مع أن عمل المسلمين على خلافه، لأن من كان مكلفاً تلزمه الصلاة، قلنا عنه جوابان: أحدهما- أنه منسوخ.

و الآخر- إنه نهى عن الصلاة مع الرسول (ص) في جماعة. وقوله: «وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ» يقال: رجل جنب إذا جنب، و رجل جنب أي غريب، و لا- يثنى و لا يجمع، و يجمع أجنباً أي غرباء، و إنما نصب لأنه عطف على قوله: «وَأَنْتُمْ سُكَارَى وَ هِيَ جَمَلَةٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. وَ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ. أَحَدُهُمَا-

قال علي (ع)، و ابن عباس، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و الحكم، و ابن كثير. و ابن زيد: إلا مسافرين فلکم أن تتيتموا.

الثاني- قال ابن عباس في روايته أخرى، و جابر، و الحسن، و سعيد بن جبير، و ابراهيم، و الزهري، و عطاء و الجبائي:

ان معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد إلا مجتازين، و هو قول أبي جعفر (ع)

، و حذف لدلالة الكلام عليه، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٧

و هو الأقوى، لأنه تعالى بين حكم الجنب في آخر هذه الآية إذا عدم الماء، فلو حملناه على ذلك لكان تكراراً، و إنما أراد أن يبين حكم الجنب في دخول المساجد في أول الآية، و حكمه إذا أراد الصلاة مع عدم الماء في آخرها.

وقوله: «وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ» فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح، و الكسير، و صاحب القروح، إذا خاف من مس الماء في قول ابن مسعود، و الضحاك، و السدي، و ابراهيم، و مجاهد، و قتادة. و قال الحسن، و ابن جبير: هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء، و لا يكون هناك من يناوله. و كان الحسن لا يرخص للجريح التيمم، و المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) جواز التيمم عند جميع ذلك.

وقوله: «أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» يعني الحدث المخصوص، و أصله المظمئن من الأرض، يقال:

غائط و غيطان، و التغوط كناية عن الحدث في الغائط، و الغوطه موضع كثير الماء و الشجر بدمشق، و قوله: «أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ» قد فسرناه، و عندنا المراد به الجماع. و قوله: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا» فالتيمم التعمد، و مثله التأمم قال الأعشى:

تيممت قيساً و كم دونه من الأرض من مهمه ذى شرن (١)

يعنى تعمدت، و قال سفيان: معنى تيمموا تعمدوا و تحروا، و الصعيد وجه الأرض من غير نبات و لا شجر، في قول ابن زيد قال ذو الرمة.

كأنه بالضحي ترمى الصعيد به دبابة في عظام الراس خرطوم (٢)

و منه قوله: «فَتَضَيَّبِحْ صَعِيداً زَلَقاً» (٣) فبين أن الصعيد قد يكون زلقاً. و الصعيدات الطرقات، قال الزجاج: لا أعلم خلافاً بين أهل اللغة بأن الصعيد وجه الأرض، سواء كان عليه تراب أو لم يكن، و هذا يدل عليه ما نقله من أن التيمم يجوز بالحجارة سواء كان عليها تراب أو لم يكن (و طيباً) أي طاهراً،

(١) ديوانه: ١٩ القصيدة: ٢.

(٢) ديوانه: ٥٧١.

(٣) سورة الكهف: آية ٤. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٨

وقال سفيان: يعني حلالاً- وأصل الصعيد من الصعود، وهو ما تصعد على وجه الأرض من ترابها، والإصعاد في الماء بخلاف الانحدار، والصعود عقبه يشق صعودها، ومنه قوله: «سَأْرُهُفُهُ صَعُودًا» (١) وقيل: انه جبل في النار يؤخذ بصعوده، والصعدة هي القناة التي نبتت مستوية، لأنها تصعد في نباتها على استقامة، والصعداء تنفس بتوجع.

وقوله: «فَامْسُحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ» قيل في صفة التيمم ثلاثة أقوال:

أحدها- ضربة للوجه و ضربة لليدين إلى المرفقين، ذهب إليه ابن عمر، والحسن، والشعبي، والجبائي، وأكثر الفقهاء، وبه قال قوم من أصحابنا.

الثاني- ضربة للوجه و ضربة لليدين إلى الزندين، ذهب إليه عمار بن ياسر، ومكحول، واختاره الطبري، وهو مذهبنا، إذا كان التيمم بدلا من الجنابة، و ان كان بدلا من الوضوء فيكفيه ضربة واحدة يمسح بها الوجه إلى طرف أنفه و اليدين إلى الزندين.

الثالث- قال أبو اليقظان، و الزهري: انه إلى الإبطين، و قال قوم انه جائز أن يضرب بيديه على الرمل فيمسح بهما وجهه، و إن لم يعلق بهما شيء، و به نقول:

و يجوز للجنب أن يتيمم عندنا، و عند أكثر الفقهاء و أهل العلم. و به قال عمار بن ياسر و رواه عن النبي (ص).

و روى عن عمر، و ابن مسعود، و ابراهيم: أنه لا- يجوز للجنب أن يتيمم، لقوله: «وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ» و قد بينا نحن أن المراد بذلك النهي عن دخول المساجد، فكأنه قال: و لا تقربوا المساجد للصلاة و أنتم سكارى «وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ» لأن من لم يكن له طريق غير المسجد، أو أصابه الاحتلام في المسجد جاز له أن يجتاز فيه، و لا يلبث فيه.

و السكران الذي زال عقله لا تصح صلاته، و يجب عليه قضاؤها، و لا يصح منه شيء من العقود و لا رفعها، كالنكاح، و الطلاق، و العتق، و البيع، و الشراء، و غير ذلك. و قضاء الصلاة يلزمه إجماعا، و أما ما يلزم به الحدود و القصاص فعندنا أن

(١) سورة المدثر: آية ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٠٩

جميع ذلك يلزمه، إن سرق قطع، و إن قذف جلد، و إن زنا حد، و غير ذلك، لإجماع الفرقة المحققة على ذلك، و لعموم الآية المتناولة لذلك، و لا يلزم على ذلك تكليف من قطع رجل نفسه الصلاة قائماً، لأن ذلك تكليف ما لا يطاق، و إيجاب قضاء الصلاة على السكران ليس كذلك، و كذلك إقامة الحدود، لأن ذلك، تابع للشرع، و فيه خلاف.

و يجوز أن يصلى صلوات الليل و النهار عندنا يتيمم واحد، و هو كالوضوء في هذا الباب، ما لم يحدث، أو يتمكن من استعمال الماء، و به قال الحسن، و عطاء، و أبو حنيفة و أصحابه، و قال ابن عمر، و الشعبي، و قتادة، و ابراهيم، و الشافعي

يجب التيمم لكل صلاة، و رووا ذلك عن علي (ع)

، و ذلك عندنا محمول على الاستحباب.

و لا- يجوز التيمم عندنا إلا- عند تضيق الوقت، و الخوف، من فوته، و اختار ذلك البلخي. و قال الشافعي: لا يجوز إلا بعد دخول الوقت، و قال أبو حنيفة:

يتيمم أى وقت شاء، و إن كان قبل الوقت فهو كالوضوء. و مسائل التيمم استوفيناها في المبسوط، و النهاية، و لا نطول بذكرها هاهنا.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوفًا غَفُورًا» أى يقبل منكم العفو، و يغفر لكم، لأن قبوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل علينا. و قيل: يعفو بمعنى يصفح عنكم الذنوب، و يغفرها أى يسترها عليكم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٤٤ الى ٤٥]..... ص: ٢٠٩

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَهَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥)

- آيتان - التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٠

القراءة و النزول:..... ص: ٢١٠

في الكوفي جعلوا (السبيل) آخر الأولى. و آية واحدة في غير الكوفي.

ذكر ابن عباس، و قتادة، و عكرمة: أن الآية نزلت في قوم من اليهود، و كانوا يستبدلون الضلالة بالهدى، لتكذيبهم بالنبي (ص) بدلا من التصديق به، مع قيام الحجة عليهم بما ثبت من صفته عندهم، فكأنهم اشتروا الضلالة بالهدى. و قال أبو علي الجبائي، و غيره: كانت اليهود تعطى أحبارها كثيراً من أموالهم على ما كانوا يصفونه لهم، فجعل ذلك اشتراء منهم. و قال الزجاج: كانوا يأخذون الرشا.

المعنى:..... ص: ٢١٠

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التأكيد للأحكام التي يجب العمل بها، بالتحذير ممن يدعو إلى خلافها، و يكذب بها. و قوله: «أَلَمْ تَرَ» قال الزجاج، معناه: أَلَمْ تَخْبِرْ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ؟ و قال غيره: أَلَمْ تَعْلَمْ؟ و قال الرمانى، معناه: رُؤْيَةُ الْبَصْرِ، و المرئى هو الدين، و إنما دخلت (إلى)، لأن الكلام يتضمن معنى التعجب، كقولك: أَلَمْ تَرَ إِلَى زَيْدٍ مَا أَكْرَمَهُ؟ تقديره: أَلَمْ تَرَ عَجَبًا بَانْتِهَاءِ رُؤْيَتِكَ إِلَى زَيْدٍ؟

ثم بين ذلك بقوله: ما أكرمته، و مثله قوله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» (١).

كأنه قال: أَلَمْ تَرَ عَجَبًا بَانْتِهَاءِ رُؤْيَتِكَ إِلَى تَدْبِيرِ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ؟ قال:

و من فسره على: أَلَمْ تَخْبِرْ، أَلَمْ تَعْلَمْ، فإنما ذهب إلى ما يؤول المعنى إليه، لأن الخبر و العلم لا يصلح فيهما (إلى) كما يصلح مع الرؤية. و قوله: «وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ» معناه: يريد هؤلاء اليهود أن تضلوا: معشر المؤمنين، أى تزلوا عن قصد الطريق، و محجة الحق فتكذبوا بمحمد فتكونون ضلالا، و فى ذلك تحذير للمؤمنين أن يستنصحو أحداً من أعداء الإسلام فى شىء من أمورهم لدينهم و دنياهم، ثم

(١) سورة الفرقان: آية ٤٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١١

بين تعالى أنه أعلم منكم بعداوة اليهود لكم أيها المؤمنون، فانتهاوا إلى طاعتي، و امثال أوامرى فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم فى دينكم، فانى أعلم بباطنهم منكم، و ما هم عليه من الغش، و الحسد، و العداوة. و قيل: معناه: و الله يجازيهم على عداوتهم، كقولك: إنى أعلم ما تفعل أى اجازيك عليه.

و قوله: «وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا» معناه: إن ولاية الله لكم، و نصرته إياكم، تغنيكم عن غيره من هؤلاء اليهود و من جرى مجراهم، ممن تطمعون فى نصرته. و دخلت الباء فى قوله: «بالله» لأحد أمرين:

أحدهما- للتأكيد، لأن الاسم في «كَفَى اللَّهُ» كان يتصل اتصال الفاعل، فلما دخلت الباء صار يتصل اتصال المضاف و اتصال الفاعل، ليعلم أن الكفاية منه ليست كالكفاية من غيره في المرتبة، و عظم المنزلة، فضوعف لفظها لمضاعفة معناها. الثاني- لأنه دخله معنى: اكتفوا بالله، ذكره الزجاج، و موضعه رفع بلا خلاف.

اللغة:..... ص: ٢١١

و العداوة و الابعاد من حال النصره، و ضدها الولايه، و هى التقرب من حال النصره، و أما البغض فهو إرادة الاستخفاف و الالهانه، و ضده المحبه و هى إرادة الإعظام و الكرامه. و الكفاية بلوغ الغايه فى مقدار الحاجه، كفى يكفى كفايه فهو كاف، و الاكتفاء الاجتراء بشىء دون شىء، و مثله الاستغناء، و النصره الزيادة فى القوه للغلبه، و مثلها المعونه، و ضدها الخذلان، و لا يكون ذلك إلا عقوبه، لأن منع المعونه مع الحاجه عقوبه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٦]..... ص: ٢١١

إشارة

مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَ لَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٢

- آية بلا خلاف -

المعنى و الاعراب:..... ص: ٢١٢

قيل فى معنى قوله: «مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ» قولان:

أحدهما- قال الفراء، و الزجاج، و الرماني: ان يكون تبيننا للذين «أوتوا نصيباً من الكتاب» و يكون العامل فيه «أوتوا» و هو فى صلة الذين، و يجوز ألا يكون فى الصلة، كما تقول: انظر إلى نفر من قومك ما صنعوا.

الثانى - أن يكون على الاستئناف، و التقدير: «من الذين هادوا» فريق «يحرفون الكلم» كما قال ذو الرمة:

فضلوا و منهم دمه سابق له و آخر يثنى دمه العين بالمهل «١»

و أنشد سيويه:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أ موت و أخرى أبتغى العيش أكدح

و قال آخر:

لو قلت ما فى قومها لم تيشم يفضلها فى حسب و ميسم «٢»

أى أحد يفضلها و قال النابغة:

كأنك من جمال بنى أقيش يقعق خلف رجله بشن «٣»

يريد كأنك جمل من جمال بنى أقيش.

(١) ديوانه: ٤٨٥، و روايته (عبرة) بدل (دمعة). (بالهمل) بدل (بالمهل).

(٢) قائله حكيم بن معية انظر الخزانة ٢: ٣١١.

(٣) ديوانه: ٥٨، و سيبويه ١: ٣٧٥، و مجاز القرآن ١: ١٠١. الشن: القرية البالية.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٣

قال الفراء: المحذوف (من) و التقدير: من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون: منا يقول ذاك و منا لا يقوله، قال: و العرب تضم (من) في مبتدأ الكلام بمن، لأن من بعض لما هي منه، كما قال: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» (١) و قال: «وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» (٢) و أنشد بيت ذى الرمة الذى قدمناه، قال: و لا يجوز إضمار (من) فى شىء من الصفات على هذا المعنى إلا فى من لما قلناه، و ضعف البيت الذى أنشدناه: (لو قلت ما فى قومها لم تيشم) و هى لغة هوازن، و تأثم رواية أخرى. و قال انما جاز (فى) لأنك تجد (فى) تضارع معنى (من) لأنه بعض ما أضيف، لأنك تقول: فىنا الصالحون و فىنادون ذلك، كأنك قلت: منا، و لا يجوز: فى الدار يقول ذلك، و تريد: من يقول ذاك، لأنه إنما يجوز إذا أضفت (فى) إلى جنس المتروك. و قال أبو العباس، و الزجاج ما قاله الفراء لا يجوز، لأن (من) تحتاج إلى صلة أو صفة تقوم مقام الصلة، فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة، كما لا يحسن حذف بعض الكلمة، و إنما قال:

«مِنَ الَّذِينَ هَادُوا» لأنه ليس جميع اليهود حرفوا، و إنما حرف أحبارهم و علماءهم.

و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ» يعنى يغيرونها عن تأويلها، و الكلم جمع كلمة. و قال مجاهد: يعنى بالكلم التوراة.

و قوله: «سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا» يعنى اليهود يقولون: سمعناه قولك يا محمد، و يقولون سراً عصينا.

و قوله: «وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ» اخبار من الله تعالى عن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة فى عصره، لأنهم كانوا يسبون رسول الله (ص) و يؤذونه بالقبيح من القول، و يقولون له: اسمع منا غير مسمع، كما يقول القائل لغيره إذا سبه بالقبيح:

اسمع لا أسمعك الله، ذكره ابن عباس، و ابن زيد. و قال مجاهد، و الحسن: ان تأويل ذلك اسمع غير مقبول منك، أى غير مجاب.

(١) سورة الصافات: آية ١٦٤.

(٢) سورة مريم: آية ٧١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٤

و قوله: «وَرَاعِنَا لِيَّا بِالْسِتِّهِمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- أن هذه اللفظة كانت سباً فى لغتهم، فأعلم الله نبيه ذلك و نهاهم عنها. الثانى- انها كانت تجرى منهم على وجه الاستهزاء و السخرية.

الثالث- انها كانت تجرى منهم على حد الكبير، كما يقول القائل: انصت لكلامنا، و تفهم عنا. و انما راعنا من المراعاة التى هى المراقبة. و قوله: «لِيَّا بِالْسِتِّهِمْ» يعنى تحريكا منهم ألسنتهم بتحريف منهم لمعناه إلى المكروه.

اللغة:..... ص: ٢١٤

و أصل اللى القتل، تقول: لويت العود ألو به لياً، و لويت الغريم إذا مطلته، و اللوى من الرمل - مقصور - مسترقه، و لواء الجيش ممدود، و اللوية ما تتحف به المرأة ضيفها لتولى بقبله إليها، و ألوى بهم الدهر إذا أفناهم، و لوى البقل إذا اصفر و لم يستحكم يسه.

و اللسان آلة الكلام، و اللسان اللغة، و منه قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ» (١) و لسن فلان فلاناً بلسانه إذا أخذه بلسانه، و رجل لسن:

بين اللسن. و لسان الميزان، و لسان القوم: متكلمهم، و شىء ملسن إذا كان طرفه كطرف اللسان. و قوله: «وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ» فالأصل الطعن بالرمح و نحوه.

و الطعن باللسان كالطعن بالرمح. و منه تطاعنوا فى الحرب. و أطعنوا مطاعنةً و طعننا، و طعن يطعن و يطعن طعنًا. و قوله: «وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا» يعنى هؤلاء اليهود «سَمِعْنَا» يا محمد قولك «وَأَطَعْنَا» أمرك، و قبلنا ما جئنا به «وَأَسْمَعُ» منا «وَأَنْظُرْنَا» بمعنى انتظرنا نفسهم عنك ما تقول لنا «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَقْوَمَ» يعنى أعدل و أصوب فى القول، مأخوذًا من الاستقامة، و منه قوله: «وَ أَقْوَمٌ قِيلًا» «٢» بمعنى و أصوب. و قوله: «وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» يعنى أبعدهم الله من ثوابه. ثم أخبر تعالى، فقال: «فَلَا يُؤْمِنُونَ» فى المستقبل «إِلَّا قَلِيلًا» منهم فإنهم آمنوا.

(١) سورة ابراهيم: آية ٤.

(٢) سورة المزمل: آية ٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٥

و قال البلخى: معناه لا يؤمنون إلا ايماناً قليلاً كما قال الشاعر:

فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر الله إلا قليلاً «١»

يريد إلا- ذكراً قليلاً- و سقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين. و قال أبو روق: إلا قليلاً ايمانهم قولهم: الله خالقنا و رازقنا، و ليس لعن الله لهم بمانع لهم من الايمان، و قدرتهم عليه، لأنه إنما لعنهم الله لما كفروا فاستحقوا ذلك، و لو تركوا الكفر و آمنوا، لزال عنهم استحقاق اللعن

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ٤٧].... ص: ٢١٥

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)
- آية -

المعنى:.... ص: ٢١٥

هذه الآية خطاب لأهل الكتاب: اليهود، و النصارى أمرهم الله بأن يؤمنوا بالنبي (ص) و ما أنزل عليه من القرآن. و غيره من الأحكام مصدقاً لما معهم من التوراة و الإنجيل اللذين تضمنتا صفة النبي (ص) و صحته ما جاء به. و قوله:

(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا) قيل فى معناه أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس و عطية العوفى و قتادة: معناه نمحو آثارها حتى تصير كالقفا. و نجعل عيونها فى قفاها، فتمشى القهقرى.

الثانى- قال الحسن، و مجاهد، و الضحاك، و ابن أبى نجیح، و السدى،

و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع): أن معناه نطمسها عن الهدى، فتردها على أدبارها فى ضلالتها ذمًا لها «٢» بأنها لا تصلح أبداً، و هم و إن كانوا فى

(١) انظر ٢، ٧٦ تعليقه ٢، ٣.

(٢) في المخطوطة (و ما بها).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٦

الضلالة في الحال فتوعدهم بأنهم متى لم يؤمنوا بالنبى (ص) ازدادوا بذلك ضلالاً إلى ضلالتهم و إياساً لهم أن يؤمنوا فيما بعد.

الثالث- قال الفراء، و اختاره البلخي، و الحسين بن على المغربي: إن معناه نجعل فى وجوههم الشعر كوجه القروء.

الرابع- قال قوم: معناه أن يردهم إلى الشام من الحجاز الذى هو مسكنهم، و هو أضعف الوجوه، لأنه ترك للظاهر، و خلاف أقوال المفسرين: و الأدبار:

جمع دبر. فان قيل: كيف يجوز تأويل من قال نجعلها كالإفقاء و هذا لم يجوز على ما توعد به؟ قيل عنه جوابان:

أحدهما- لأنه آمن من جماعة من أولئك الكفار كعبد الله بن سلام و ثعلبة بن شعبه و أسد بن ربيعة، و أسد بن عبيد، و مخبرق «١»، و غيرهم. و أسلم كعب فى أيام عمر حين سمع هذه الآية، فأما من لم يؤمن منهم فانه يفعل به ذلك فى الآخرة على أنه تعالى قال: أو نلعنهم، و المعنى أنه يفعل أحدهما، و لقد لعنهم الله بذلك. و قوله: «كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ» يعنى المسخ الذى جرى عليهم، ذكره البلخي.

و الجواب الثانى- أن الوعيد يقع بهم فى الآخرة، لأن الله تعالى لم يذكر أنه يفعل بهم ذلك فى الدنيا تعجيلاً للعقوبة ذكره البلخي أيضاً، و الجبائى.

اللغة:..... ص: ٢١٦

و الطمس هو الدثر، و هو عفو الأثر، و الطامس، و الدائر، و الدارس، بمعنى واحد. و طمست أعلام الطريق تطمس طموساً: إذا دثرت، قال كعب بن زهير:

من كل نضاحة الذفرى إذا غرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول «٢»

(١) فى المطبوعة: (و ثعلبة بن سعنة)، (و أسد بن سعنة)، (و أسد بن عبيد)، (و مخبرق).

(٢) ديوانه: ٩: نضح الرجل العرق سال منه. الذفرى: الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن، و الاعلام: أعلام الطريق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٧

و العين التى هى الجارية عبارة عن الشق بين الجفنين. و الأدبار جمع دبر، و أصله من الدبر يقولون دبره يدبره و دبراً فهو دابر: إذا صار خلفه. و الدبر:

خلاف القبل. و الدابر: التابع. و منه قوله: «و اللَّيْلُ إِذْ أَدْبَرَ» «١» أى تبع النهار. فأما أدبر فمعناه ولى. و الدبور: الريح، لأنها تدبر الكعبة إلى جهة المشرق. و الدبار الهلاك. و دابرة الطائر: الإصبع التى من خلف. و الدبر: النحل.

و الدبر: المال الكثير، و التدبير، لأنه احكام ادبار الأمور، و هى عواقبها.

المعنى:..... ص: ٢١٧

و قوله: «أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ» قال السدى، و قتادة، و الحسن: معناه نمسخهم قرده و إنما كنى عنهم بقوله: «أَوْ نَلْعَنُهُمْ»

بعد أن خاطبهم بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ» لأمرين:

أحدهما- التصرف في الخطاب، و الانتقال من مواجهة إلى كناية كما قال:

«حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ» فخطب ثم قال: «وَجَزَيْنَ بِهِمْ» (٢) فكنى.

و الثاني- أن يعود الضمير على أصحاب الوجوه، لأنه بمنزلة المذكور.

و قوله: «وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» قيل في معناه قولان:

أحدهما- ان كل أمر من أمور الله من وعد أو وعيد أو مخبر خبر فانه يكون على ما أخبر به، ذكره الجبائي.

و الثاني- ان معناه «وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» أى الذى يأمر به بقوله:

«كن» و ذلك يدل على أن كلامه محدث. و قال البلخي: معناه أنه إذا أراد شيئاً من طريق الإجبار. و الاضطراب كان واقعاً لا محالة. لا

يدفعه دافع، كقبض الأرواح، و قلب الأرض و إرسال الحجارة، و المسخ و غير ذلك، فأما ما يأمر به على وجه الاختيار، فقد يقع، و قد

لا يقع. و لا يكون في ذلك مغالبة له لأنه تعالى لو أراد إلقاءه إلى ما أمره به لقدر عليه.

(١) سورة المدثر: آية ٣٣. [.....]

(٢) سورة يونس: آية ٢٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٨

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٨]..... ص: ٢١٨

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)

- آية واحدة بلا خلاف-

قال الفراء قوله: «أَنْ يُشْرَكَ» في موضع النصب، و تقديره «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ» الشرك قال: و يحتمل أن يكون موضعه الجر و تقديره و لا

يغفر الذنب مع الشرك. و قال قوم: الفرق بين قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»، و بين قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ» الشرك به من وجهين:

أحدهما- أن (أن) تدل على الاستقبال.

و الآخر- ذكره الرماني أنها تدل على وجه الفعل في الإرادة، و نحوها. إذ كان قد يريد الإنسان الكفر مع ظنه أنه ايمان، كما يريد

النصارى عبادة المسيح.

و لا يجوز ارادته أن يكفر مع التوهم انه ايمان و كذلك لا يريد الضر مع التوهم أنه نفع، و لا يجوز ارادته أن يضر مع التوهم أنه نفع،

و كذلك أمره بالخطأ مع التوهم أنه صواب، و لا يجوز أمره أن يخطئ مع التوهم أنه صواب، و هذا عندي ليس بصحيح، لأن الشرك

مذموم على كل حال سواء علمه فاعله كذلك، أو لم يعلم. ألا ترى أن النصارى يستحقون اللعنة و البراءة على ما يعتقدونه من التثليث

و إن اعتقدوا هم صحته، فالفرق الاول هو الجيد و ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى لا يغفر الشرك أصلاً، لكن أجمعت الأمة على

أنه لا يغفره مع عدم التوبة، فأما إذا تاب منه فانه يغفره، و إن كان عندنا غفران الشرك مع التوبة تفضلاً، و عند المعتزلة هو واجب، و

هذه الآية من أكد ما دل على أن الله تعالى يعفو عن المذنبين من غير توبة و وجه الدلالة منها أنها نفى أن يغفر الشرك إلا مع التوبة

و أثبت أنه يغفر ما دونه، فيجب أن يكون مع عدم التوبة، لأنه إن كان ما دونه، لا يغفره إلا مع التوبة، فقد صار ما دون الشرك مثل

الشرك، فلا معنى التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢١٩

للنفي، و الإثبات. و كان ينبغي أن يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ) المعاصي إلا- بالتوبة ألا- ترى أنه لا يحسن أن يقول الحكيم أنا لا أعطى

الكثير من مالى تفضلاً، و اعطى القليل إذا استحق على، لأنه كان يجب أن يقول: أنا لا أعطى شيئاً من مالى إلا إذا استحق على كيف و

في الآية ذكر العظيم الذى هو الشرك، و ذكر ما هو دونه؟

و الفرق بينهما بالنفى و الإثبات، فلا- يجوز ألا يكون بينهما فرق من جهة المعنى. فان قيل: نحن نقول: إنه يغفر ما دون الشرك من الصغائر من غير توبة. قلنا: هذا فاسد من وجهين.

أحدهما- انه تخصيص، لأن ما دون الشرك يقع على الكبير و الصغير. و الله تعالى أطلق أنه يغفر ما دونه، فلا يجوز تخصيصه من غير دليل.

الثاني- ان الصغائر تقع محبطة فلا يجوز المؤاخذه بها عند الخصم و ما هذا حكمه لا يجوز تعليقه بالمشيئة و قد علق الله تعالى غفران ما دون الشرك بالمشيئة، لأنه قال: «لِمَنْ يَشَاءُ» فان قيل: تعليقه بالمشيئة يدل على أنه لا يغفر ما دون الشرك قطعاً. قلنا: المشيئة دخلت في المغفور له لا فيما يغفر، بل الظاهر يقتضى انه يغفر ما دون الشرك قطعاً، لكن لمن يشاء من عباده، و بذلك تسقط شبهة من قال القطع على غفران ما دون الشرك من غير توبة، إغراء بالقيح الذى هو دون الشرك، لأنه إنما يكون إغراء لو قطع على أنه يغفر ذلك لكل أحد. فأما إذا علق غفرانه لمن يشاء، فلا إغراء لأنه لا أحد إلا و هو يجوز أن يغفر له، كما يجوز أن يؤاخذ به فالزجر حاصل على كل حال، و متى عارضوا هذه الآية بآيات الوعيد كقوله:

«وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا» (١) و قوله: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا» (٢) و قوله: «إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» (٣) كان لنا أن نقول: العموم لا صيغته له، فمن أين لكم أن المراد به جميع العصاة ثم نقول نحن نخص آياتكم بهذه الآية و نحملها على الكفار. فمتى قالوا لنا: بل نحن نحمل

(١) سورة الفرقان: آية ١٩.

(٢) سورة النساء: آية ١٣.

(٣) سورة الانفطار: آية ١٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٠

آياتكم على أصحاب الصغائر. فقد تعارضت الآيات و وقفنا و جوزنا العفو بمجرد العقل، و هو غرضنا و قد استوفينا ما فى ذلك فى الأصول فى باب الوعيد من أراه و وقف عليه من هناك. و قوله: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) معناه من يشرك بالله، فقد كذب، لأنه يقول: إن عبادته يستحقها غير الله. و ذلك افتراء، و كذب. و قوله: «إِثْمًا عَظِيمًا» نصب على المصدر فكأنه قال: افترى، و أثم «إثماً عظيماً» لأن افترى بمعنى أثم، فلذلك نصب المصدر به. و قال ابن عمر:

لما نزل قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُعَفِّرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» ظن أنه تعالى يغفر الشرك أيضاً، فانزل الله هذه الآية. و قال ابن عمر: ما كنا نشك معشر أصحاب رسول الله (ص) فى قاتل المؤمن، و آكل مال اليتيم و شاهد الزور، و قاطع الرحم، حتى نزلت هذه الآية فأمسكنا عن هذه الشهادة. و هذا يدل على أن الصحابة كانت تقول بما نذهب إليه من جواز العفو عن فساق أهل الملّة من غير توبة، بخلاف ما يذهب إليه أصحاب الوعيد من المعتزلة، و الخوارج، و غيرهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٤٩].... ص: ٢٢٠

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩)
- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ٢٢٠

قد فسرنا معنى «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ» فيما مضى، و أن معناه أ لم تعلم فى قول أكثر أهل العلم، و اللغه و قال بعضهم: معناه أ لم تخبر و فيه سؤال على وجه الاعلام.

و تأويله اعلم قصتهم أ لم ينته علمك إلى هؤلاء الذين يزكون أنفسهم؟ و قيل فى معناه قولان: أحدهما- قال الحسن، و الضحاك، و قتادة، و ابن زيد،

و هو المروى عن أبى جعفر (ع): انهم اليهود، و النصارى فى قوله: «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» (١)

(١) سورة المائدة: آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢١

«وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ» (١)

قال الزجاج: اليهود جاءوا إلى النبى (ص) بأولادهم الأطفال، فقالوا يا محمد أعلی هؤلاء ذنوب؟ فقال (ص): لا، فقالوا: كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار، و ما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: (بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ) و قال:

مجاهد، و أبو مالك: كانوا يقدمونهم فى الصلاة و يقولون: هؤلاء لا ذنب لهم.

و قال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفون لنا عند الله.

الثانى- روى عن عبد الله بن مسعود انه تركية الناس بعضهم بعضاً لينالوا بذلك مالا من مال الدنيا، فأخبر الله تعالى أنه الذى يزكى من يشاء. و تركيتهم أنفسهم هو أن يقولوا: نحن أذكيا.

اللغة و الاعراب و النظم:..... ص: ٢٢١

و الزكا النمو يقال زكا الزرع يزكو و زكا الشىء: إذا نما فى الصلاح و قوله:

«وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتِيلًا» قال الزجاج: لا يظلمون مقدار فتيل. فىكون نصبه على أنه مفعول ثان: كقولك: ظلمته حقه أى انتقصته حقه. قال

الرمانى: و يحتمل أن يكون نصباً على التمييز كقولك: تصببت عرقاً. و قيل فى معنى الفتيل هاهنا قولان:

أحدها- هو قول ابن عباس فى روايه و قول عطاء ابن أبى رباح، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك، و عطية: إنه الذى فى شق النواة. و قال

الحسن: الفتيل ما فى بطن النواة، و النقيير: ما فى ظهرها، و القطمير قشرها.

الثانى- ما فتلت بين إصبعيك من الوسخ. فى روايه أخرى عن ابن عباس، و أبى مالك، و السدى: و الفتل: لى الشىء يقال. فتلت

الحبل أفتله فتلا، و انفتل فلان فى صلاته. و الفتيلة معروفه. و ناقة فتلاء. إذا كان فى ذراعيها فتل عن الجنب.

و الفتيل فى معنى المقتول.

(١) سورة البقرة: آية ١١١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٢

و وجه اتصال قوله: «وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتِيلًا» بما قبله أنه لما قال: «بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ» نفى عن نفسه الظلم لئلا يظن أن الامر بخلافه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٠]..... ص: ٢٢٢

إشارة

اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠)
- آية بلا خلاف -.

اللغة:..... ص: ٢٢٢

النظر هو الإقبال على الشيء بالبصر و من ذلك النظر بالقلب، لأنه إقبال على الشيء بالقلب، فكذلك النظر بالرحمة، و نظر الدهر إلى الشيء: إذا أهلكه، و النظر إلى الشيء تلمسه و النظر إليه بالتأميل له. و الانتظار: الإقبال على الشيء بالتوقع له. و الانتظار التأخير إلى وقت. و الاستنظار سؤال الانتظار. و المناظرة: اقبال كل واحد على الآخر بالمحاجة. و النظير مثل الشيء لا قبالة على نظيره بالمماثلة. و الفرق بين النظر بالعين، و بين الرؤية أن الرؤية هي إدراك المرئي، و النظر إنما هو الإقبال بالبصر نحو المرئي، و لذلك قد ننظر و لا نراه، كما يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أره، و لذلك يجوز أن يقال في الله أنه رائي. و لا يجوز أن يقال ناظر. و قوله: «كَيْفَ يَفْتَرُونَ» فالافتراء و الاختلاق متقاربان، و الفرق بينهما أن الافتراء هو القطع على كذب أخبر به، و اختلق قدر كذباً أخبر به، لأن الفرى القطع، و الخلق التقدير.

المعنى:..... ص: ٢٢٢

و افتراؤهم الكذب على الله هاهنا المراد به تزكيتهم لأنفسهم بانا «أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاءُ» و أنه «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هَيُودًا أَوْ نَصَارَى ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَ قَوْلُهُ: «وَ كَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا» معناه تعظيم إثمه و إنما يقال كفى به في العظم على جهة المدح أو الذم، كقولك: كفى بحال المؤمن نبلا و كفى بحال الكافر إثماً التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٣
كأنه قيل: ليس يحتاج إلى حال أعظم منه في المدح أو الذم. كما يقال ليس يحتاج إلى أكثر مما به. و يحتمل أن يكون معناه كفى هذا إثماً أى ليس يقصر عن منزلة الإثم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥١]..... ص: ٢٢٣

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ٢٢٣

قيل في المعنى بهذه الآية قولان:
أحدهما- قال ابن عباس، و قتادة: هم جماعة من اليهود منهم: حى بن أخطب و كعب بن الأشرف، و سلام بن أبى الحقيق، و الربيع بن الربيع «١». قالوا لقريش:
أنتم أهدى سبيلاً ممن آمن بمحمد.

الثاني- قال عكرمة إن المعنى به كعب بن الأشرف، لأنه قال هذا القول، و سجد لصنمين كانا لقريش. و قيل في معنى الجبت، و الطاغوت خمسة أقوال:

أحدها- قال عكرمة: إنهما صنمان. و قال أبو علي: هؤلاء جماعة من اليهود آمنوا بالأصنام التي كانت تعبدها قريش، و العرب مقاربه لهم ليعينوهم على محمد (ص).

الثاني- قال ابن عباس: الجبت الأصنام. و الطاغوت: تراجمه الأصنام الذين يتكلمون بالتكذب عنها.

الثالث- إن الجبت الساحر. و الطاغوت الشيطان، قاله ابن زيد. و قال مجاهد: الجبت: السحر.

(١) في المخطوطة (الربيع) بإسقاط (ابن الربيع) و في مجمع البيان (أبو رافع).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٤

الرابع- قال سعيد بن جبیر، و أبو العالیة: الجبت: الساحر. و الطاغوت: الكاهن.

و الخامس- في رواية عن ابن عباس و الضحاک: ان الجبت حی بن أخطب، و الطاغوت كعب بن الأشرف، لأنهما جاء إلى مكة، فقال لهما أهل مكة: أنتم أهل الكتاب و أهل العلم القديم، فأخبرونا عنا و عن محمد (ص)، فقالا: ما أنتم و ما محمد؟ قالوا: نحن ننحر الكوماء و نسقى اللبن على الماء، و نفك العناء، و نصل الأرحام، و نسقى الحجيج. و محمد منبوز قطع أرحامنا، و اتبعه سراق الحجيج بنو غفار فقالا: أنتم خير منه، و أهدى سيلا فانزل الله هذه الآية. و قال الزجاج، و الفراء، و البلخي: هما كل معبود من دون الله تعالى.

اللغة:..... ص: ٢٢٤

و وزن طاغوت فعلوت على وزن رهبوت. قال الخليل: هو من طغا و قلبت اللام إلى موضع العين كما قيل: لاث في لاith. و شاك في شايك. و هذا تغيير لا يقاس عليه، لكنه يحمل على النظر. و الجبت لا تصريف له في اللغة العربية.

و قيل: هو الساحر بلغه حبش عن سعيد بن جبیر: و السبيل المذكور في الآية هو الدين. و إنما سمي سيلا، لأنه كالسبيل الذي هو الطريق في الاستمرار عليه ليؤدي إلى الغرض المطلوب. و نصبه على التمييز كقولك هو أحسن منك وجهاً و أجود منك ثوباً لأنك في قولك: هذا أجود منك قد أبهمت الشيء الذي فضلت به إلا- أن تريد ان جملته أجود من جملتك فتقول هذا أجود منك و تمسك.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٢]..... ص: ٢٢٤

إشارة

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)

- آية بلا خلاف-. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٥

النزول:..... ص: ٢٢٥

قوله: (أولئك) إشارة إلى الذين ذكرهم في الآية الأولى. و قال قتادة:

لما قال كعب بن الأشرف، وحي بن أخطب «هُؤْلَاءِ أَهْرِدِي مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» و هما يعلمان أنهما كاذبان. أنزل الله هذه الآية «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» فالوعيد فيها على ما تقدم من القول على جهة العناد، لأنها إشارة إلى ما تقدم من صفتهم الدالة على عنادهم.

اللغة و المعنى:..... ص: ٢٢٥

(أولئك) لفظ جمع، و واحده ذا في المعنى كما قالوا: نسوة في جماعة النساء. و للواحدة امرأة. و غلب على أولاء (ها) التي للتنبية. و ليس ذلك في أولئك، لأن في حرف الخطاب تنبيهاً للمخاطب إذ كان الكاف انما هو حرف لحق، لتنبية المخاطب، فصار معاقباً للهاء التي للتنبية في أكثر الاستعمال. و اللعنة: الابعاد من رحمة الله عقابا على معصيته، فلذلك لا يجوز لعن البهائم، و لا من ليس بعاقل من المجانين، و الأطفال، لأنه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها. فمن لعن حية أو عقرباً أو نحو ذلك مما لا معصية له فقد اخطأ، لأنه سأل الله عز و جل ما لا يجوز في حكمته. فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة، كان ذلك جائزاً. فان قيل: كيف قال: «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» مع تناصر أهل الباطل على باطلهم؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» ينصره من عقاب الله الذي يحله به مما قد أعده له، لأنه الذي يحصل عليه و ما سواه يضمحل عنه. الثاني- «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا»، لأنه لا يعتد بنصرة ناصر له مع خذلان الله إياه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٣..... ص: ٢٢٥]

إشارة

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣)

آيه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٦

النظم و الاعراب:..... ص: ٢٢٦

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال الصفة بالبخل، و الصفة بالحسد و الجهل، لأن قوله: «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا» يدل على أنهم حسدوا المؤمنون و أنهم يعملون أعمال الجاهلين، إلا أن الكلام خرج مخرج الاستفهام، للتوبيخ، و التفرغ بتلك الحال. و جاءت أم هاهنا غير معادلة للالف لتدل على اتصال الثاني بالأول. و المعنى بل أ لهم نصيب من الملك؟ و تسمى أم هذه المنقطعة عن الالف لأنها بخلاف المتصلة بها على المعادلة. و مثله «الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» «١» و قال بعضهم: إن الالف محذوفة، لأن أم لا تجيء مبتدأة على تقدير أنهم أولى بالنبوة «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» فيلزم الناس طاعتهم. و هذا ضعيف، لأن حذف الالف إنما يجوز في ضرورة الشعر بالإجماع و لا ضرورة في القرآن. «و إذا» لم تعمل في يؤتون لأنها إذا وقعت بين الفاء، و الفعل، جاز أن تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى (أرى) «٢» إذا توسطت أو تأخرت، لأن النية به التأخير. و التقدير أم لهم نصيب من الملك فلا يؤتون الناس نقيراً إذاً، و كذلك إذا كان معها واو، نحو «و إذاً لا يَلْبُثُونَ خِلاَفَكَ إِلَّا قَلِيلًا» «٣» و يجوز أن تقدر مستأنفة، فتعمل مع حرف العطف. و (اذن) لا تعمل إلا بشروط أربعة: أن تكون جواباً لكلام، و أن تكون مبتدأة في اللفظ، و لا يكون ما بعدها متعلقاً بما قبلها، و يكون

الفعل بعدها مستقبلاً.

و متى نقص واحد من هذه الشروط لم تعمل.

المعنى و اللغة:..... ص: ٢٢٦

و قوله: «لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا» اخبار من الله تعالى عن لومهم، و بخلهم

(١) سورة ألم السجدة: آية ١، ٢، ٣.

(٢) أى (أرى) القلبية.

(٣) سورة الإسراء: آية ٧٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٧

أى لا يؤتونهم نقيراً. و قيل فى معنى النقيير هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و قتاده، و السدى، و عطاء، و الضحاك، و ابن زيد: إنه النقطة التى فى ظهر النواة. و قال مجاهد: هو الحبة التى فى بطن النواة. و فى رواية أخرى عن ابن عباس أن النقيير ما نقر الرجل بإصبعه، كما ينقر الدرهم. و النقر: النكت و منه المنقار، لأنه ينقر به. و الناقر: الصور، لأن الملك ينقر فيه بالنفخ المصوت. و النقرة: حفرة فى الأرض أو غيرها، و النقيير: خشبة تنقر و ينبذ فيها. و المناقرة: مراجعة الكلام. و انتقر: اختص كما يختص بالنقر واحداً واحداً. و المنقر: المقلع عن الشيء، لأنه كما يقلع فى النقر، ثم يعود إليه.

و معنى «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» ما يدعيه اليهود أن الملك يعود إليه.

و قوله: «فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ» يعنى العرب. و ذكر الزجاج فى معناه وجهين:

أحدهما- بل لهم نصيب، لأنهم كانوا أصحاب بساتين و أموال، و كانوا فى غاية البخل.

و الثانى- أنهم لو أعطوا الملك، ما أعطوا الناس نقيراً من بخلهم اختاره البلخى و به قال السدى، و ابن جريح.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٤]..... ص: ٢٢٧

إشارة

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)
- آية -

المعنى:..... ص: ٢٢٧

المعنى بقوله: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد، و الضحاك، و السدى، و عكرمة:

إنه النبى (ص)، و هو قول أبى جعفر (ع)، و زاد فيه و آله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٨

الثاني - قال قتادة: هم العرب «١»: محمد (ص) وأصحابه، لأنه قد جرى ذكرهم في قوله: «يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَوْلًا هُوَ أَيْدِي مَنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» ذكره الجبائي.
و الفضل المذكور في الآية قيل فيه قولان:
أحدهما - قال الحسن، و قتادة، و ابن جريج: النبوة. و هو قول أبي جعفر (ع) قال و في آله الامامة.
الثاني - قال ابن عباس: و الضحاك و السدي ما أباحه الله للنبي من نكاح تسعة.

اللغة:..... ص: ٢٢٨

و الحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيته لها، و الغبطة: تمنى مثل النعمة، لأجل السرور بها لصاحبها، و لهذا كان الحسد مذمومًا و الغبطة غير مذمومة. و قيل: إن الحسد من افراط البخل، لأن البخل مع النعمة، للمشقة بذاتها. و الحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها لها بالعمل فيها على المشقة بنيل النعمة. ثم قال «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» فما حسدوهم على ذلك فكيف حسدوا محمداً و آله ما أعطاهم الله إياه.

المعنى:..... ص: ٢٢٨

و الملك المذكور في الآية هاهنا قيل فيه ثلاثة أقوال:
أحدها - قال ابن عباس: هو ملك سليمان، و به قال عطية العوفي.
الثاني - قال السدي: هو ما أحل لداود من النساء تسع و تسعون امرأة، و لسليمان مائة لأن اليهود عابت النبي (ص) بكثرة النساء فبين الله ان ذلك و أكثر منه كان في آل ابراهيم.
الثالث - قال مجاهد، و الحسن: إنه النبوة.
و قال أبو جعفر (ع): انه الخلافة، من أطاعهم، أطاع الله و من عصاهم عصى الله.

(١) في المخطوطة (الذين هم محمد...).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٢٩

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٥]..... ص: ٢٢٩

إشارة

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ٢٢٩

الضمير في قوله: «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» يحتمل أن يكون عائداً إلى أحد أمرين:

أحدهما- قال مجاهد، و الزجاج، و الجبائي: إن من أهل الكتاب من آمن بمحمد (ص) لتقدم الذكر في «يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» (١).

الثاني- فمن أمه ابراهيم من آمن بإبراهيم، و منهم من صد عنه. كما أنكم في أمر محمد (ص) كذلك. و ليس في ذلك توهين لأمره كما ليس فيه توهين لأمر ابراهيم. و اتصال الكلام على هذا الوجه ظاهر و على الوجه الأول تقديره وقع «٢» هذا كله «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ» و قال قوم:

«فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» بداود و سليمان «وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ» و ليس في الآية دلالة على أن ما تقدم من الوعيد إنما صرف عنهم لإيمان هذا الفريق، لأنه قال في الآخرة «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» (٣) و قال بعضهم: فيه دلالة على ذلك، و لذلك قال: «وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا» أى ان كان صرف بعض العقاب، فكفى بجهنم استغرافا بالعذاب.

اللغة:..... ص: ٢٢٩

و سعير بمعنى مسعورة و ترك- لأجل الصرف- التأنيث للمبالغة في الصفة كما قالوا: كف خضيب و لحيه دهن. و تركت علامة التأنيث، لأنها لما كان دخولها فيما

(١) سورة النساء: آية ٤٦.

(٢) في المخطوطة (ومع) بدل (وقع).

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٦. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٠

ليست له، للمبالغة نحو رجل علامة كان سقوطها فيما بقى له للمبالغة فحسن هذا التقابل في الدلالة. و السعر: إيقاد النار و منه قوله: «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» (١) و استعرت النار و الحرب و الشر استعاراً. و استعرتها اسعاراً. و سعرتها تسعيراً. و السعر: سعر المتاع و سعروه تسعيراً و ذلك لاستعار السوق بحماها في البيع. و الساعور كالتنور في الأرض. و المسعور: الذى قد ضربته السموم، و العطش. و زيدت الباء في قوله: «وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ» لتأكيد الاختصاص، لأنه يتعلق به من وجهين: وجه الفعل في كفى جهنم كقولك: كفى الله، و وجه الاضافة في الكفاية بجهنم. و على ذلك قيل: كفى بالله للدلالة على أن الكفاية تضاف إليه من أوكد الوجوه، و هو وجه الفعل، و وجه المصدر.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٦]..... ص: ٢٣٠

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَصَبَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) - آية بلا خلاف-.

المعنى و اللغة:..... ص: ٢٣٠

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن من جحد معرفته و كذب أنبياءه، و دفع الآيات التي تدل على توحيدده، و صدق نبيه أنه سوف يصلية ناراً لتدل على أن ذلك يفعله بهم في المستقبل، و لم يكن دخولها للشك، لأنه تعالى عالم بالأشياء لا يخفى عليه أمر من الأمور. و معنى نصليته ناراً: نلزمه إياها تقول: أصليته النار: إذا ألقيته فيها، و صليته صلياً: إذا شويته: و شاء مصلياً أى مشوية. و الصلا الشواء. و صلى فلان بشر فلان. و صلى برجل سوء.

و قوله: «كَلِمًا نَصَبَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلًا لَهَا جُلُودًا غَيْرَهَا» قيل فيه ثلاثة أقوال:

(١) سورة التكوير: آية ١٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣١

أحدها- قال الرماني: إن الله يجدد لهم جلوداً غير الجلود التي احترقت و تعدم المحترقة على ظاهر القرآن من أنها غيرها، لأنها ليست بعض الإنسان. قال قوم هذا لا يجوز، لأنه يكون عذب من لا يستحق العذاب. قال الرماني: لا يؤدي إلى ذلك، لأن ما يزداد لا يألم، و لا هو بعض لما يألم، و إنما هو شيء يصل به الألم إلى المستحق له. و قال الجبائي: لا يجوز أن يكون المراد ان يزداد جلدًا على جلده، كلما نضجت لأنه لو كان كذلك لوجب أن يملأ جسد كل واحد من الكفار جهنم إذا أدام الله العقاب، لأنه كلما نضجت تلك الجلود زاد الله جلداً آخر، فلا بد أن ينتهي إلى ذلك.

و الجواب الثاني- اختاره البلخي و الجبائي، و الزجاج: ان الله تعالى يجددها بان يردها إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة، كما يقال جتنتى بغير ذلك الوجه و كذلك، إذا جعل قميصه قباء جاز أن يقال جاء بغير ذلك اللباس أو غير خاتمه فصاغه خاتماً آخر جاز أن يقال هذا غير ذلك الخاتم، و هذا هو المعتمد عليه.

و الثالث- قال قوم: إن التبديل إنما هو للسراويل التي ذكرها الله في قوله:

«سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ» (١) فأما الجلود فلو عذبت ثم أوجدت، لكان فيه تفتير عنهم، و هذا بعيد، لأنه ترك للظاهر و عدول بالجلود إلى السراويل، و لا نقول إن الله تعالى يعدم الجلود بل على ما قلناه يجددها و يطريها بما يفعل فيها من المعاني التي تعود إلى حالتها، فأما من قال: إن الإنسان غير هذه الجملة، و أنه هو المعذب، فقد تخلص من هذا السؤال. و يقوى ما قلناه ان أهل اللغة يقولون: أبدلت الشيء بالشيء إذا أزلت عيناً بعين، كما قال الراجز:

عزل الأمير بالأمير المبدل

و بدلت- بالتشديد- إذا غيرت هيئة، و العين واحدة. يقولون: بدلت جتنتى قميصاً: إذا جعلتها قميصاً ذكره المغربي، و قال البلخي: و يحتمل وجهاً آخر و هو أن يخلق الله لهم جلدًا آخر فوق جلودهم، فإذا احترق التحتاني أعاده الله.

(١) سورة ابراهيم: آية ٥٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٢

و هكذا يتعقب الواحد الآخر قال: و يحتمل أن يخلق الله لهم جلدًا لا يألم يعذبهم فيه، كما يعذبهم في سراويل القطران. فان قيل: كيف قال: «لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ» مع أنه دائم لازم؟ قيل: لأن احساسهم في كل حال كاحساس الذائق في تجدد الوجدان من غير نقصان، لأن من استمر على الأكل، لا يجد الطعام، كما يجد الطعام من يذوقه. و قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا» معناه أنه قادر قاهر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به أو وعد، و حكيم في فعله لا يخلف وعيده، و لا يفعل إلا قدر المستحق به فينبغي للعاقل أن يتدبره، و يكون حذره منه على حسب علمه به و لا يغتر بطول الامهال، و السلامة من تعجيل العقوبة.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٧]..... ص: ٢٣٢

إشارة

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا (٥٧)
- آية بلا خلاف -.

المعنى: ص: ٢٣٢

لما ذكر الله تعالى في الآية الأولى ما توعد به الكفار والجاحدين لآياته تعالى، وعد في هذه الآية المصدقين به تعالى، والعاملين الأعمال الصالحات، و هي الحسنات التي هي طاعات الله، و صالح يجرى على وجهين:
أحدهما- على من يعمل الطاعة.

الثاني - على نفس العمل و يقال: رجل صالح، و معناه ذو عمل صالح، و يقال:

عمل صالح، فيجرى عليه الوصف بأنه صالح. وعدهم بأن سيدخلهم جنات و هي جمع جنة و هي البستان التي يجنحها الشجر «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» و فيه محذوف، لأن التقدير تجرى من تحتها مياه الأنهار، لأن الماء هو الجاري دون الأنهار التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٣

غير أنه بعرف الاستعمال سقط عنه اسم مجاز، كما سقط في قولهم: هذا شعر امرئ القيس و ان كان المراد انه حكاية عنه، فأما قوله: «وَسَيَلُّ الْقُرَيْيَةَ» مجاز لا- محالة، لأنه لا- بد فيه من تقدير أهلها، و قوله: «خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ» يعنى من النفاس و الحيض و من جميع الأقدار، و الأدناس.

اللغة: ص: ٢٣٣

و الطهارة نقيض النجاسة. و النجاسة في الأصل هي ما كان نتناً نحو الجيف، و غيرها، و شبه بذلك نجاسة الحكم تبعاً للشريعة كما يقال في الخمر: إنها نجسة.

و قوله: «وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا» فالظل أصله الستر من الشمس قال رؤبة: كل موضع يكون فيه الشمس، فتزول عنه، فهو ظل و فيء. و ما سوى ذلك فظل، لا يقال فيه فيء. و الظل: الليل، لأنه كالستر من الشمس. و الظللة: السترة، و ظل يفعل كذا: إذا فعله نهراً، لأنه في الوقت الذي يكون للشمس ظل. و الاظلال الدنو، لأن الشيء بدنوه، كأنه قد ألقى عليك ظله. و الأظل: باطن منسم البعير، لأن المنسم يستره. و الظليل: هو الكنين، لأنه لا شمس فيه و لا سموم. قال الحسن:

ربما كان ظل ليس بظليل، لأنه يدخله الحر و السموم، فلذلك وصف ظل الجنة بأنه ظليل. و منه قوله: «وَوَظِلٌّ مَمْدُودٌ» (١) لأنه ليس كل ظل ممدوداً. و

روى أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها و هي شجرة الخلد.

وقيل: إنما قال «ظِلًّا ظَلِيلًا» فرقا بينه و بين «ظِلٌّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلَ وَلَا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ» (٢) و قيل يدخلهم ظلا ظليلا في الموقف حيث لا ظل إلا ظل عرشه.

إشارة

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا (٥٨)

(١) سورة الواقعة: آية ٣١.

(٢) سورة المرسلات آية ٣١-٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٤

- آية بلا خلاف -

المعنى:..... ص: ٢٣٤

قيل في المعنى بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أولها- ما قال ابن عباس، وأبي بن كعب، والحسن، وقتادة،

وهو المروى عن أبي جعفر (ع)، وأبي عبد الله (ع): إن كل مؤتمن على شيء يلزمه رده.

الثاني- قال زيد بن أسلم، ومكحول، وشهر بن حوشب:

إن المراد به ولاء الأمر وهو اختيار الجبائي، وروى ذلك عن أبي جعفر أيضاً وأبي عبد الله (ع) وقالوا: أمر الله الأئمة كل واحد

منهم أن يسلم الأمر إلى من بعده

، وعلى الوجه الأول يدخل هذا فيه، لأن ذلك من جملة ما ائتمنه الله عليه. ولذلك

قال أبو جعفر (ع): إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة، ويكون الأمر لآمر بأداء الأمانة من الغنائم والصدقات، وغير

ذلك مما يتعلق به حق الرعية.

الثالث- قال ابن جريج: نزلت في عثمان بن طلحة. أمر الله تعالى نبيه أن يرد إليه مفاتيح الكعبة، والمعتمد هو الأول، وإن كان الأخير

روى أنه سبب نزول الآية، غير أنه لا يقصر عليه.

اللغة والمعنى:..... ص: ٢٣٤

تقول: أدت الشيء أؤديه تأديه، وهو المصدر الحقيقي، ولو قلت: أدت أداء كان جائزاً يقام الاسم مقام المصدر. ويقال: أدوت للصيد آدو له ادواً:

إذا ختلته، لتصيده. وأدى اللبب يأدى: إذا حمض. وقوله: «وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» أمر الله تعالى الحكام بين الناس أن يحكموا بالعدل لا- بالجور «إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ» معناه نعم الشيء شيئاً يعظكم الله به من أداء الأمانة وكتبت (ما) في

(نعما) موصولة، لأنها بمنزلة الكافة في (إنما)، و (ربما)، غير انها في نعما التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٥

اسم يعود إليه الضمير في (به) فتقديره نعم شيئاً يعظكم به أو نعم وعظاً يعظكم به، ولا يجوز إسكان العين مع الميم في نعما لأنه جمع بين ساكنين، ولكن يجوز اختلاس الحركة من غير إشباع الكسرة، كالاختلاص في (يأمركم وبارئكم) وعلى هذا تحمل قراءة أبي

عمر. وقال الزجاج: اجتماع الساكنين فيه ينكره جميع البصريين.

والسميع: هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات إذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لأجلها أن يبصر

المبصرات إذا وجدت. و السامع هو المدرك للمسموعات. و المبصر هو المدرك للمبصرات. و لذلك يوصف تعالى فيما لم يزل بأنه سميع بصير، و لا يوصف بأنه سامع مبصر إلا بعد وجود المبصرات و المسموعات. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) اخبار بأنه كان سميعاً بصيراً فيما مضى. و ذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به فإذا كان لا يجوز خروجه عن كونه حياً، فلا يجوز خروجه عن كونه سميعاً بصيراً.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٥٩]..... ص: ٢٣٥

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ٢٣٥

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يأمرهم أن يطيعوه و يطيعوا رسوله و يطيعوا أولى الأمر منهم، فالطاعة هي امتثال الأمر. فطاعة الله هي امتثال أوامره و الانتهاء عن نواهيه. و طاعة الرسول كذلك امتثال أوامره و طاعة الرسول أيضاً هي طاعة الله، لأنه تعالى أمر بطاعة رسوله، فمن أطاع الرسول، فقد أطاع التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٦
الله كما قال «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» (١) فأما المعرفة بأنه رسول، فمعرفة بالرسالة و لا يتم ذلك إلا بعد المعرفة بالله، و ليست إحداها هي الأخرى، و طاعة الرسول واجبة في حياته و بعد وفاته، لأن بعد وفاته يلزم اتباع سنته، لأنه دعا إليها جميع المكلفين إلى يوم القيامة، كما أنه رسول إليهم أجمعين. فأما أولو الأمر، فللمفسرين فيه تأويلان.

أحدهما- قال أبو هريرة، و في رواية عن ابن عباس، و ميمون بن مهران، و السدي و الجبائي، و البلخي، و الطبري: إنهم الامراء.

الثاني- قال جابر بن عبد الله، و في رواية أخرى عن ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و عطاء، و أبي العالية: انهم العلماء.

و روى أصحابنا عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) أنهم الأئمة من آل محمد (ص)

فلذلك أوجب الله تعالى طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعة رسوله و طاعة نفسه كذلك. و لا يجوز إيجاب طاعة أحد مطلقاً إلا من كان معصوماً مأموناً منه السهو و الغلط، و ليس ذلك بحاصل في الامراء، و لا العلماء، و إنما هو واجب في الأئمة الذين دلت الأدلة على عصمتهم و طهارتهم، فأما من قال المراد به العلماء، فقول به بعيد، لأن قوله «وَأُولَى الْأَمْرِ» معناه أطيعوا من له الأمر، و ليس ذلك للعلماء، فان قالوا: يجب علينا طاعتهم إذا كانوا محقين، فإذا عدلوا عن الحق فلا طاعة لهم علينا. قلنا: هذا تخصيص لعموم إيجاب الطاعة لم يدل عليه دليل. و حمل الآية على العموم، فيمن يصح ذلك فيه أولى من تخصيص الطاعة بشيء دون شيء كما لا يجوز تخصيص وجوب طاعة الرسول و طاعة الله في شيء دون شيء. و قوله: «فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ» فمعنى الرد إلى الله هو إلى كتابه و الرد إلى رسوله هو الرد إلى سنته. و قول مجاهد، و قتادة، و ميمون بن مهران، و السدي: و الرد إلى الأئمة يجري مجرى الرد إلى الله و الرسول، و لذلك قال في آية أخرى «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» (٢) و لأنه إذا كان

(٢) سورة النساء: آية ٨٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٧

قولهم حجة من حيث كانوا معصومين حافظين للشرع جروا مجرى الرسول في هذا الباب. وقوله: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» أى تصدقون بهما. «ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ذلك اشارة إلى الرد إلى الله وإلى الرسول «وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» قال قتادة، والسدى، وابن زيد: أحمد عاقبة. وقال مجاهد: معناه أحسن جزاء.

وهو من آل يؤول إذا رجع والمآل المرجع والعاقبة مآل، لأنها بمنزلة ما تفرقت عنه الأشياء ثم رجعت إليه. وتقول: إلى هذا يؤول الأمر أى يرجع. وقال الزجاج:

أحسن من تأويلكم أتم إياه من غير رد إلى أصل من كتاب الله وسنة نبيه، وهذا هو الأقوى، لأن الرد إلى الله والرسول والأئمة المعصومين أحسن من تأويل بغير حجة.

واستدل جماعة بهذه الآية على أن الإجماع حجة بأن قالوا: إنما أوجب الله الرد إلى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع، فدل على أنه إذا لم يوجد التنازع، لا يجب الرد، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، وهذا إن استدل به مع فرض أن فى الأمة معصوماً حافظاً للشرع كان صحيحاً، وإن فرضوا مع عدم المعصوم كان باطلاً، لأن ذلك استدلال بدليل خطاب، لأن تعليق الحكم بشرط أو صفة لا يدل على أن ما عده بخلافه عند أكثر المحصلين، فكيف يعتمد عليه هاهنا، على أنهم لا يجمعون على شىء إلا عن كتاب أو سنة، فكيف يقال: إذا أجمعوا لا يجب عليهم الرد إلى الكتاب والسنة، وهم قد ردوا إليهما على أن ذلك يلزم فى كل جماعة، وإن لم يكونوا جميع الأمة إذا اتفقوا على شىء إلا يجب عليهم الرد إلى الكتاب والسنة، لأن قوله: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ» يتناول جماعة ولا يستغرق جميع الأمة، فعلم بذلك فساد الاستدلال بما قالوه. وقد بينا الكلام على ذلك مستوفى فى العدة فى أصول الفقه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٠]..... ص: ٢٣٧

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٨

- آية بلا خلاف -

المعنى واللغة:..... ص: ٢٣٨

عجب الله تعالى نبيه (ص) فى هذه الآية ممن يزعم أنه آمن بما أنزل على محمد (ص)، وما أنزل من قبله بأن قال ألم ينته علمك إلى هؤلاء الذين ذكرنا وصفهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمرهم الله أن يكفروا به. وقال الحسن، والجائى: نزلت الآية فى قوم منافقين احتكموا إلى الأوثان بضرب القداح. وقد بينا معنى الطاغوت فيما تقدم. وقيل فى معناه هاهنا قولان:

أحدهما- أنه كاهن تحاكم إليه رجل من المنافقين، ورجل من اليهود هذا قول الشعبي، و قتادة. وقال السدى اسمه أبو بردة.

الثانى- قال ابن عباس، ومجاهد، والربيع، والضحاك: إنه كعب بن الأشرف رجل من اليهود، فاختر المنافق التحاكم إلى الطاغوت، وهو رجل يهودى.

وقيل: كعب بن الأشرف، لأنه يقبل الرشوة، واختار اليهودى التحاكم إلى محمد نبينا (ص) لأنه لا يقبل الرشوة. ومعنى الطاغوت، ذو

الطغيان- على جهة المبالغة في الصفة- فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت، وقد تسمى به الأوثان كما تسمى بأنها رجس من عمل الشيطان، و يوصف به كل من طغى، بأن حكم بخلاف حكم الله تعالى غير راض بحكمه تعالى. و روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) أن الآية في كل من يتحاكم إلى من يحكم بخلاف الحق، و (زعم)، يحتاج إلى اسم، و خبر، «و انهم» في الآية نائب عن الاسم، و الخبر، لأنها على معنى الجملة، و مخرج المفرد، و ليس بمنزلة ظننت ذلك، لأنه على معنى المفرد و مخرج المفرد، لأن قولك: زعمت أنه قائم يفيد ما يفيد هو قائم، و كذلك ظننت ذاك، لأنه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٣٩

يدل دلالة الاشارة إلى ما تقدر علمه عند المخاطب.

و قوله: «و يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» يدل على بطلان قول المجبرة: إن الله تعالى يفعل المعاصي و يريد لها، لأن الله تعالى نسب إضلالهم إلى أنه بارادة الشيطان على وجه الذم لهم، فلو أراد تعالى أن يضلهم بخلق الضلال فيهم، لكان ذلك أوكد وجوه الذم في إضلالهم.

و أصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدى إلى البغية، لأنه ضد الهدى الذى هو الدلالة على الطريق المؤدى إلى البغية، و له تصرف كثير يرجع إلى هذه النكتة ذكرناه فيما مضى. و أضله الله معناه: سماه الله ضالاً أو حكم عليه به، كما يقال اكفره بمعنى سماه بالكفر، و لا يجوز أن يقال أكفره الله بمعنى أنه دعاه إلى الكفر، لأنه منزه عن ذلك، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦١]..... ص: ٢٣٩

وَ إِذِ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)

- آية- قال ابن جريج: الداعى إلى حكم الرسول هو المسلم الذى يدعو المنافق إلى حكم الرسول (ص) و قال قتادة: هو يهودى دعا المنافق إلى حكم الرسول، لعلمه أنه لا- يجوز فى الحكم «و تعالوا» أصله من العلو و هو تفاعلوا، منه كقولك: توافقوا، فإذا قلت لغيرك:

تعالى، فمعناه ارتفع على- و ان كان فى انخفاض من الأرض- لأنه جعله كالرفيع بكونه فيه، و يجوز أن يكون أصله للمكان العالى حتى صار لكل مكان. و قوله:

«يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا» قيل فى سبب صد المنافقين عن النبى (ص) قولان:

أحدهما- لعلمهم بأنه لا يأخذ الرشا على الحكم و أنه يحكم بمر الحق.

و الثانى- لعداوتهم للدين.

و صدت الأصل فيه ألا يتعدى، لأنك تقول: صدت عن فلان أصل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٠

بمعنى أعرضت عنه، و يجوز صدت فلاناً عن فلان- بالتعدى- لأنه دخله معنى منعه عنه. و مثله رجعت أنا و رجعت غيرى، لأنه دخله معنى رددته، فلذلك جاز رجعتة، «و صدوداً» نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل، كقوله:

«و كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» «١» و معنى ذلك أنه ليس ذلك على بيان كالكلام بل كلمة فى الحقيقة. و قيل فى معنى «تكلماً» أنه كلمة تكلماً شريفاً عظيماً و يمكن مثله فى الآية. و يكون تقديره رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً عظيماً.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٢]..... ص: ٢٤٠

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢)
- آية -

الاعراب:..... ص: ٢٤٠

قيل في موضع كيف من الاعراب قولان:
أحدهما- انه رفع بتقدير: فكيف صنعهم إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم، كأنه قال الاساءة صنعهم بالجرأة في كذبهم أم الإحسان بالتوبة من جرمهم.
والثاني- انه نصب و تقديره: كيف يكونون أم مصرين أم تائبين يكونون؟
و يجوز الرفع على معنى كيف بك. كأنه قال أ صلاح أم فساد؟

المعنى:..... ص: ٢٤٠

وقيل في معنى المصيبة في الآية قولان:
أحدهما- ذكره الزجاج: ان بعض المنافقين أظهر أنه لا- يرضى بحكم رسول الله (ص)، فقتله عمر، ثم جاء إخوانه من المنافقين يطالبون بدمه «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا» كذباً و زوراً.

(١) سورة الانفطار: آية ١٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤١

الثاني- ان أصابتهم نعمة من الله لم ينيبوا تائبين من المعصية بل يزدادون جرأة بحلفهم كاذبين بالله عز و جل. و قال الحسين بن علي المغربي: الآية نزلت في عبد الله بن أبي و ما أصابه من الذل عند مرجعهم من غزوة بني المصطلق و هي غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين، فاضطر إلى الخشوع و الاعتذار، و ذلك مذكور في تفسير سورة المنافقين أو مصيبة الموت لما تضرع إلى رسول الله (ص) في الاقالة و الاستغفار و استوهبه ثوبه، ليتقى به النار يقولون: ما أردنا إلا إحساناً و توفيقاً أي بكلامه بين الفريقين المتنازعين في غزوة بني المصطلق. و قوله: «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ» يأساً منهم (و عظمه) ايجاباً للحجة عليهم «وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» فيه دلالة على فضل البلاغة و حث على اعتمادها. و قوله: «إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا» معناه قيل فيه قولان:
أحدهما- أي ما أردنا بالمطالبة بدم صاحبنا إلا احساناً إلينا، و ما وافق الحق في أمرنا.
الثاني- ما أردنا بالعدول عنك في المحاكمة إلا توفيقاً بين الخصوم، و إحسانا بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق. كل ذلك كذب منهم و افك.

ان قيل كيف يقتضى الانتقام منهم الاعتذار لما سلف من جرمهم؟ قلنا:

عنه جوابان:

أحدهما- للتقرير بتعجيل العقاب على ما ارتكبوا من الاثام.

الثاني- ان الانتقام قد يكون إقصاء النبي (ص) و إذلاله إياهم، و تخويله بالنفى أو القتل ان لم ينتهوا عن قبائحهم- هذا قول الجبائي-
و الحلف: القسم.

و منه الحلف، لتحالفهم فيه على الامر. و حليف الجود و نحوه، لأنه كالحلف في اللزوم، أو حلف الغلام، إذا قارب البلوغ.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٣]..... ص: ٢٤١

إشارة

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)

- آية- التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٢

المعنى:..... ص: ٢٤٢

(أولئك) إشارة إلى المنافقين الذين تقدم وصفهم، وإنما قال: يعلم ما في قلوبهم وإن كان معلوماً ذلك بدلالة العقل لأمرين: أحدهما- تأكيداً لما علمناه.

والثاني- أنه يفيد أنه لا يغنى عنهم كتمان ما يضمرونه شيئاً من العقاب، لأن الله يعلم ما في قلوبهم من النفاق. وكذلك كل ما ذكره الله مما هو معلوم عند المخاطب. إنما الفائدة في مقارنته بما ليس بمعلوم على جهة الاحتجاج به، أو غيره من الوجوه. وقوله: «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ» جمع بين معنى الاعراض والإقبال.

وقيل في معناه ثلاثة أوجه.

أحدها- فاعرض عنهم بعداوتك لهم، وعظهم.

الثاني- فاعرض عن عقابهم وعظهم.

الثالث- قال الجبائي: أعرض عن قبول الاعتذار منهم. وقوله: «وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» قال الحسن: القول البليغ الذي أمر به في الآية أن يقول: إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتمكم، فهذا يبلغ من نفوسهم كل مبلغ. وقال الجبائي: خوفهم بمكاره تنزل بهم في أنفسهم إن عادوا لمثل ما فعلوه. ويجوز أن يكون المراد ازجرهم عما هم عليه بأبلغ الزجر.

اللغة:..... ص: ٢٤٢

و أصل البلاغة البلوغ، تقول: بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة، فهو بليغ:

إذا كان عبارته يبلغ كثير ما في قبله. ويقال: أحقق بليغ، وبلغ ومعناه. أنه أحقق يبلغ حيث يريد. وقيل: معناه قد بلغ في الحماقه. و في الآية دلالة على فضل البلاغة، و أنها أحد أقسام الحكمة، لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيه مع حسن الترتيب.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٣

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٤]..... ص: ٢٤٣

إشارة

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤)

- آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ٢٤٣

«ما» في قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا» نافيةً فلذلك قال: «من رسول»، لأن (من) لا تزداد في الإيجاب، وزيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولك: ما جاءني من أحد.

والتقدير في الآية: و ما أرسلنا رسولا إلا ليطاع، فيمثل ما نأمره به. و الذي اقتضى ذكر طاعة الرسول إعراض هؤلاء المنافقين - الذين تحاكموا إلى الطاغوت - عن طاعته، و هم يزعمون أنهم يؤمنون به حتى كأنه قد قيل لهم: من الإيمان أن لا تطيعوه في كل ما يدعو إليه، فبين الله تعالى أنه كغيره من الرسل الذي ما أرسل إلا ليطاع. و قوله: «يَا ذُنِ اللّٰهِ» معناه بأمر الله الذي دل على وجوب طاعتهم، و الاذن على وجوه: يكون بمعنى اللطف، كقوله: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ» (١) و منها الأمر مثل هذه الآية. و منها التخليئة نحو «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ» (٢) و قوله: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ» معناه إذ بخسوها حقها بإدخال الضرر عليها بالفعل المعصية من استحقاق العقاب، و تفويت الثواب بفعل الطاعة.

الاعراب و المعنى:..... ص: ٢٤٣

و موضع «أنهم» رفع. و المعنى لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم «لَوْ جَدُّوا اللّٰهُ تَوَّابًا رَّحِيمًا» و (لو) موضوعة للفعل، لما فيها من معنى الجزاء تقول: لو كان كذا، لكان كذا. و لا يقع بعدها إلا (أن). و إنما أجزى في (أن)

(١) سورة يونس: آية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: آية ١٠٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٤

خاصة أن تقع بعدها، لأنها كالفعل في إفادة معنى الجملة. و فتحت (ان) لأنها مبنية على (لو) بترتيبها على نحو ترتيبها بعد العامل فيها. و في الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة:

من أن الله تعالى يريد أن يعصى الأنبياء قوم و يطيعهم آخرون، لأنه تعالى بين أنه ما أرسلهم إلا ليطاعوا، و اللام لام الغرض و معناه إلا و أراد من المبعوث إليهم أن يطيعوا.

و ذلك خلاف مذهبهم. و فيها أيضاً دلالة على أن من كان مرتكباً لكبيرة يجب أن يستغفر الله فإن الله سيتوب عليه و يقبل توبته، و لا ينبغي لأحد أن يستغفر مع كونه مصراً على المعصية بل ينبغي أن يتوب و يندم على ما فعل و يعزم على أن لا يعود إلى مثله ثم يستغفر باللسان ليتوب الله عليه. و قوله: «لَوْ جَدُّوا اللّٰهُ» يحتمل أمرين: أحدهما - لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم و رحمته إياهم.

و الثاني - لعلموا الله تواباً رحيمًا. و الوجدان قد يكون بمعنى الإدراك، فلا يجوز عليه تعالى أنه تعالى غير مدرك في نفسه.

و ذكر الحسن في هذه الآية: أن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق و اتتمروا به فيما بينهم، فأخبره الله بذلك، و قد دخلوا على رسول الله، فقال رسول الله: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق، و اتتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئك فليستغفروا ربهم، و ليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم. فلم يقم أحد. فقال رسول الله (ص): ألا تقومون؟ - مراراً. ثم قال: قم يا فلان و أنت يا فلان، فقالوا يا رسول الله نحن نستغفر الله و نتوب إليه، فاشفع لنا. قال الآن أنا كنت في أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، و كان الله تعالى أسرع إلى الاجابة أخرجوا عنى، فأخرجوا عنه حتى لم يرههم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٥]..... ص: ٢٤٤

إشارة

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)

- آية- التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٥

قيل في معنى دخول (لا) في أول الكلام قولان:

أحدهما- أنها رد لكلام. كأنه قيل لا الامر كما يزعمون من الايمان و هم على تلك الحال من الخلاف، ثم استؤنف قوله: «وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ...» .

الثاني- انها توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد، لأنه إذا ذكر في أول الكلام و آخره كان أوكد و أحسن، لأن النفي له صدر الكلام. و قد اقتضى القسم أن يذكر في الجواب.

النزول:..... ص: ٢٤٥

و قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما-

أنها نزلت في الزبير و رجل من الأنصار تخاصما إلى النبي (ص) في سراح من الحركة كانا يسقيان منه نخلا لهما، فقال النبي (ص) اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك، فغضب الانصاري، و قال: يا رسول الله ان كان ابن عمك؟! فتلون وجه رسول الله حتى عرف ان قد ساءه، ثم قال يا زبير احبس الماء إلى الجدد «١» أو إلى الكعبين، ثم خل سبيل الماء فنزلت الآية.

و قال أبو جعفر (ع) كانت الخصومة بين الزبير، و حاطب بن أبي بلتعة

روى ذلك عن الزبير و أم سلمة. و ذهب إليه عمر بن شبة، و الواقدي. و قال قوم و هو اختيار الطبري: إنها نزلت في المنافق و اليهودي الذين احتكما إلى الطاغوت. قال: لأن سياق الكلام بهذا أشبه.

اللغة و المعنى:..... ص: ٢٤٥

و قوله: (فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) معناه فيما وقع بينهم من الاختلاف. تقول شجر يشجر شجراً و شجوراً و شاجره في الأمر: إذا نازعه فيه مشجرة، و شجاراً و تشاجروا فيه: تشاحوا. و كل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه. و في الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة، لأنه إذا وجب الرضى بفعل النبي (ص) فالرضا بفعل الله تعالى أولى، و لو كان خلق الكفر و المعاصي لوجب على الخلق الرضا به. و ذلك خلاف الإجماع. و قيل في معنى الحرج قولان:

(١) أراد ما رفع من أعضاد المزرعة لتمسك الماء كالجدار.

و في رواية، قال له: «احبس الماء حتى يبلغ الجدى - بضم الميم و تشديد الدال -»

و هي المنسأة - عن لسان العرب: (جدد) -.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٦

أحدهما- قال مجاهد هو الشك. و قال الضحاك: الإثم. و أصل الحرج الضيق فكأنه قال ضيق شك أو اثم و كلاهما يضيق الصدر. و معنى الآية أن هؤلاء المنافقين لا يؤمنون حتى يحكموا النبي (ص) فيما وقع بينهم من الاختلاف، ثم لا يجدوا حرجاً مما قضى به أى

لا تضيق صدورهم به، و يسلموا لما يحكم به لا يعارضونه بشيء فحينئذ يكونون مؤمنين. و «تسليماً» مصدر مؤكد و المصادر المؤكدة بمنزلة ذكر كرك للفعل ثانياً كأنك قلت: سلمت تسليماً و من حق التوكيد أن يكون محققاً لما تذكره في صدر كلامك، فإذا قلت: ضربت ضرباً، فمعناه أحدثت ضرباً أحقه حقاً و لا أشك فيه. و مثله في الآية أنهم يسلمون من غير شك يدخلهم فيه. و قال أبو جعفر (ع): لما حكم النبي (ص) للزبير على خصمه، لوى شدقه و قال لمن سأله عن حكم له، فقال: لمن يقضى؟ لابن عمته. فتعجب اليهودى و قال: إنا آمنة بموسى فأذنبنا ذنباً فأمرنا الله تعالى بأن نقتل أنفسنا، فقتلناها فأجلت عن سبعين ألف قتيل. و هؤلاء يقرون بمحمد (ص) و يطئون عقبه و لا يرضون بقضيته، فقال ثابت بن الشماس لو أمرني الله أن أقتل نفسي لقتلتها فأنزل الله «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...» إلى قوله: «إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» يعنى ابن الشماس ذكره السدى.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٦٦].... ص: ٢٤٦

إشارة

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا (٦٦)
- آية بلا خلاف -

القراءة، و الحجة:.... ص: ٢٤٦

قرأ ابن عامر وحده (إلا- قليلاً) بالنصب، و كذلك هو في مصاحف أهل الشام. الباكون بالرفع. و قيل: إن النصب قراءة أبي، فمن رفع فعلى البدل من التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٧
المضمر كأنه قال: ما فعله إلا قليل منهم. و هذا يجوز في النفي دون الإثبات، لأنه لا يجوز أن يقول فعله إلا قليل منهم، لأن الفعل ليس للقليل في الإثبات كما هو لهم في النفي. و قال الكسائي: ارتفع بالتكرار. و المعنى ما فعلوه ما فعله إلا قليل.
و من نصب فانه قال: الاستثناء بعد تمام الكلام، لأنه قوله: «ما فَعَلُوهُ» كلام تام كما أن قولك فعل القوم كلام تام. فاستثنى بعده، و لم يجعل، ما بعد إلا عليه الاعتماد. و الوجه الرفع، لأن الفعل لهم. فهو أدل على المعنى. و قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و الكسائي (ان اقتلوا) بضم النون و بضم الواو في قوله: «أَوْ اخْرُجُوا» و قرأ عاصم و حمزة بكسرهما و كسر النون. و ضم الواو أبو عمرو. فمن ضمها فلان الثالث مضموم أنبع الضمة. و من كسرهما فعلى أصل الحركة لالتقاء الساكنين.
و أبو عمرو ضم الواو تشبيهاً بواو «اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ» «١». «وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» «٢».

المعنى:.... ص: ٢٤٧

و معنى قوله: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ) أى لو أننا ألزمناهم و أوجبنا عليهم «أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ» أى لو كتبنا عليهم ذلك- كما أوجبنا على قوم موسى و قتلوا أنفسهم و أخرجهم إلى التيه- ما فعله هؤلاء للمشقة التي فيه مع أنه كان ينبغي أن يفعلوه، لما لهم فيه من الحظ، لأننا لم نكن لنأمرهم به إلا لما تقتضيه الحكمة، و ما فيه من المصلحة مع تسهيلنا تكليفهم و تيسيرنا عليهم، فما يقعدهم عنه مع تكامل أسباب الخير فيه و سهولة طريقه؟ و لو فعلوا ما يوعظون به أى ما يؤمرون به، لكان خيراً لهم و أشد تنبيئاً. و قيل في معناه قولان:

أحدهما- ان البصيرة أثبت من اعتقاد الجهالة لما يعترى فيها من الحيرة و اضطراب النفس الذي يتميز من حال المعرفة بسكون النفس إليه.

الثاني - ان اتباع الحق أثبت منفعة لأن الانتفاع بالباطل يضمحل بما يعقب

(١) (سورة البقرة: آية ١٦، ١٧٥).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٣٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٨

من المضرة و عظيم الحسرة. فالأول لأجل البصرة. و الثاني لأجل دوام المنفعة.

و قال البلخي معنى الآية أنه لو فرض الله عليهم قتل أنفسهم كما فرض على قوم موسى عند ما التمسوا أن يتوب عليهم أو الخروج من ديارهم ما فعلوه. فإذا لم يفرض عليهم ذلك، فليفعلوا ما أمروا به مما هو أسهل عليهم منه، فان ذلك خير لهم و أشد تبييناً لهم على الايمان. و في الدعاء اللهم ثبتنا على ملء رسولك. و معناه اللهم الطف لنا ما تثبت معه على التمسك بطاعة رسولك و المقام على ملته.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٦٧ الى ٦٨]..... ص: ٢٤٨

وَ إِذْ لَأْتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨)
- آيتان بلا خلاف -

قيل: ان (إذاً) دخلت هاهنا لتدل على معنى الجزاء، كأنه قال و لو أنهم فعلوا ما يوعظون به لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً جزاء على فعلهم [و معنى (إذاً) جواب و جزاء و هى تقع متقدمة و متأخرة و متوسطة و إنما تعمل متقدمة خاصة إلا أن يكون الفعل بعدها للحال نحو إذا أظنك خارجاً. و تلغى إذاً عن العمل من بين أخواتها لأنها تشبه أظن فى الاستدراك بها تقول: زيد فى الدار أظن فتستدرك بها بعد ما مضى صدر الكلام على اليقين. و كذلك يقول القائل: أنا أجيئك فتقول:

و أنا أكرمك اذن. أردت أن تقول: و أنا أكرمك ثم استدركته بإذن. و لدن مبنية و لم تبين عند، لأنها أشد إبهاماً إذا كانت تقع فى الجواب نحو أين زيد، فتقول: عند عمرو، فلا يقع لدن هذا الموقع، فجرت لشدة الإبهام مجرى الحروف.

و معنى (لدنا) هاهنا من عندنا. و إنما ذكر «من لدنا» تأكيداً للاختصاص، بأنه ما لا يقدر عليه إلا الله، لأنه قد يؤتى بما يجريه على يد غيره. و قد يؤتى بما يختص بفعله. و ذلك أشرف له و أعظم فى النعمة و لأنه متحف بما لا يقدر عليه غيره.

و قوله: «وَ لَهَدَيْنَاهُمْ» معناه و لفعلنا من اللطف بهم ما يثبتون معه على الطاعة، و لزوم الاستقامة و إنما لم يفعل بهم هذا اللطف مع

الحال التى هم عليها، لأنه يخرجهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤٩

من معنى اللطف حتى يصيروا بمنزلة من لا لطف له على وجه. و مثله «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أى ثبتنا بلطفك على الصراط المستقيم. و قال أبو على: معناه الأخذ بهم على طريق الجنة فى الآخرة. قال: و لا يجوز أن يكون المراد بالهداية هاهنا الإرشاد إلى الذين لأنه تعالى وعد بهذا من يكون مؤمناً مطيعاً. و لا يكون كذلك إلا و قد اهتدى، فان قيل: لم جاز أن يمنعو اللطف لسوء فعلهم.

و لم يجز أن يمنعو لسوء فعل غيرهم إذ قد صاروا بمنزلة من لا لطف لهم؟ قلنا: لأنهم يؤتون فى معاصيهم من قبل أنفسهم و لا يجوز أن يؤتوا فيها من قبل غيرهم و لو جاز ذلك لجاز أن يقطعوا عن التوبة بالقتل فيكونوا قد أوتوا فى معاصيهم من قبل المتقطع لهم و تكون التخليفة فيه بمنزلة الامانة. و الواجب فى هذا ان يمنع غير هذا المكلف من سوء الفعل الذى فيه ارتفاع اللطف. فان كان لطف هذا المكلف متعلقاً بفعل غيره، و قد علم انه لا يفعله، لم يحسن تكليف هذا المكلف لأنه ان منع هذا من الايمان، فسد، و ان ترك و

سوء الفعل فسد. و اللام فى قوله: «وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» لام الجواب التى تقع فى جواب (لو) كما تقع فى جواب القسم. كما قال امرؤ القيس:

حلفت لها بالله حلفه فاجر لناوما فما ان من حديث و لا صال «١»

و الفرق بين لام الجواب و لام الابتداء ان لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ إلا فى باب (ان) خاصة فإنها تدخل على الفعل لمضارعه الاسم. يبين ذلك قولك:

قد علمت ان زيدا ليقوم. و قد علمت ان زيدا ليقوم فتكسر (ان) الأولى و تفتح الثانية.

و قوله: (صراطاً) نصب على أنه مفعول ثان، لأنه فى معنى مفعول كسوته ثوباً، أى فاكسى ثوباً. فكذلك و لهديناهم فاهدوا صراطاً.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٦٩ الى ٧٠]..... ص: ٢٤٩

إشارة

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)
ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)

(١) ديوانه: ١٦١ حلفه فاجر: قسم فاسق. صال: مستدفع بالنار. فى المطبوعة (حوث) بدل (حديث).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥٠

- آيتان -

المعنى و اللغة و النزول..... ص: ٢٥٠

لما جرى ذكر الطاعة فيما تقدم و الحض عليها اقتضى ذكر طاعة الله، و طاعة الرسول، و الوعد عليها. و قيل: إنه وعد بأمر مخصوص على الطاعة من مرافقة النبيين و من ذكر معهم و هو أعم فائدة. و معنى قوله: (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ) انه يستمتع برؤية النبيين و زيارتهم، و الحضور معهم. فلا ينبغي أن يتوهم من أجل أنهم فى أعلى عليين انه لا يراهم.

و قال الحسن، و سعيد بن جبير، و مسروق، و قتادة، و الربيع، و السدى، و عامر: إن سبب نزول هذه الآية ان بعض الناس توهم ذلك، فحزن له، و سأل النبي (ص) عن ذلك، فانزل الله الآية.

و قيل فى معنى الصديق قولان:

أحدهما- المداوم على ما يوجهه التصديق بالحق.

الثانى- ان الصديق هو المتصدق بما يخلص له من عمل البر. و الاول أظهر.

و الشهداء جمع شهيد. و هو المقتول فى سبيل الله. و فى تسميته شهيداً قولان:

أحدهما- لأنه قام بشهادة الحق حتى قتل فى سبيل الله.

و الآخر- انه من شهداء الآخرة بما ختم له من القتل فى سبيل الله. و ليست الشهادة هى القتل، لأنها معصية، و لكنها حال المقتول فى اخلاص القيام بالحق لله مقرباً به، و داعياً إليه. و قيل: الشهادة هى الصبر على ما أمره الله به من قتال عدوه و الانقياد له. فأما الصبر على الألم بترك الأئنين فليس بممنوع، بل هو مباح إذا لم يقل ما يكرهه الله. و قال الجبائى: الشهداء جمع شهيد. و هم الذين جعلهم الله

شهداء فى الآخرة. فهم عدول الآخرة. و هذا على مذهبه بعيد لأن أهل الجنة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥١

كلهم عدول عنده، لأن من ليس بعدل لا يدخل الجنة. والله تعالى وعد من يطيعه ويطيع رسوله بأنه يحشره مع هؤلاء. فينبغي أن يكونوا غير الموعود لهم.

و إلا يصير تقديره إنهم مع نفوسهم.

و الصالح: من استقامت نفسه بحسن عمله. و المصلح المقوم لعمل يحسنه.

و يقال: الله يصلح في تدبير عباده. بمعنى أنه يحسن تدبير عباده. و لا يوصف بانه صالح.

الاعراب:..... ص: ٢٥١

و قوله: «وَ حَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا» نصب على التمييز. و لذلك لا يجمع. و هو في موضع رفقاء. و قيل إنه لم يجمع، لأن المعنى، حسن كل واحد منهم رفيقاً كما قال: «يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» (١) و قال الشاعر:

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء و هن صديق «٢»

و من قال: «رفيقاً» نصب على التمييز، قال: لأنه قد سمع حسن أولئك من رفقاء، و كرم زيد من رجل. و قال قوم: هو نصب على الحال، فانه قد تدخل (من) في مثله. فإذا سقطت (من) فالحال هو الاختيار، لأنه من أسماء الصفات كأسماء الأجناس. و يكون التوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد منهم مرافقاً.

و نظيره: لله درهم فارساً، أى حال الفروسيه.

اللغة:..... ص: ٢٥١

و الرفيق: مشتق من الرفق في العمل. و هو الارتفاق فيه. و منه الترفق في

(١) سورة الحج: آية ٥، و سورة المؤمن: آية ٦٨. [...]

(٢) قائله جرير. ديوانه ٢: ٢٠ الطبعة الاولى. المطبعة العلمية بمصر و روايته (دعون) بدل (نصبن) و في المطبوعة (بأعين) بدل (بأسهم) و أثبتناها كما في جميع المصادر.

طبقات فحول الشعراء: ٣٥١، و اللسان (صدق) و العقد الفريد ٧: ٤٨ و رواية (بعثن) بدل (نصبن) و ما بعده.

و ما ذقت طعم العيش منذ نأيتم و ما ساغ لى بين الجوانح ريق

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥٢

السيرة، و نحوه. و منه المرافقة. و المرفق من اليد- بكسر الميم- لأنه يرتفق به.

و يقال أيضاً في العمل نحو قوله: «وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا» (١) أى رفقاً يصلح به أمركم. و المرفق:- بفتح الميم- من مرافق الدار. و الرفقة: الجماعة في السفر، لارتفاق بعضهم ببعض. و قوله: «ذلك الفضل» اشارة إلى الثواب بالكون مع النبيين، و الصديقين. و التقدير ذلك هو الفضل من الله. و هو و إن كان مستحقاً، فلم يخرج من أن يكون تفضلاً، لأن سببه الذى هو التكليف، تفضل. و الفضل:

هو الزائد على المقدار إلا أنه قد كثر على ما زاد من الانتفاع. و كل ما يفعله تعالى فهو فضل، و تفضل، و إفضال، لأنه زائد على مقدار الاستحقاق الذى يجرى على طريق المساواة. و قوله: «وَ كَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا» انما ذكر، ليعلم انه لا يضيع عنده شىء من جزاء الاعمال. من حيث كان تعالى: عالماً به، و بما يستحق عليه.

و تقديره، و كفى بالله عليماً بكنه الجزاء على حقه، و توفير الحظ فيه. و دخلت الباء في اسم الله زائدة للتوكيد. و المعنى كفى الله. و وجه التأكيد أن اتصال الاسم بالفعل من جهة بنائه عليه وجه من وجوه الاتصال و اتصاله بالباء وجه آخر من وجوه الاتصال، فإذا اجتمعا كان أوكد. و وجه آخر هو أن معناه اكتفى العباد بالله. و وجه ثالث هو أنه توطئة لباب سير يزيد و أكرم يزيد من جهة أن موضعه رفع، و فيه حرف من حروف الجر. و الكفاية مقدار مقاوم للحاجة. و لا يخلو المقدار من أن يكون فاضلاً أو مقصراً أو كافياً، فهذه الأقسام الثلاثة متقابلة.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧١]..... ص: ٢٥٢

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً (٧١)
- آية -

المعنى و اللغة:..... ص: ٢٥٢

هذا خطاب للمؤمنين الذين صدقوا بالله، و برسوله. و معناه أيقنوا بالله،

(١) سورة الكهف: آية ١٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥٣

و رسوله. أمرهم الله أن يأخذوا حذرهم. و قيل في معناه: قولان:

أحدهما-

قال أبو جعفر (ع) و غيره: خذوا سلاحكم

، فسمى السلاح حذراً لأن به يقى الحذر.

الثاني- احذروا عدوكم بأخذ السلاح. كما يقال للإنسان خذ حذرك. بمعنى احذر. و الحذر و الحذر لغتان. مثل الاذن و الاذن. و

المثل المثل. ثم أمرهم بان ينفروا. و النفور: الفرع نفر ينفر نفوراً: إذا فرغ. و نفر إليه: إذا فرغ من أمر إليه. و المعنى انفروا إلى قتال

عدوكم. و منه نفر: جماعة تفرغ إلى مثلها.

و النفير إلى قتال العدو. و نفر الحاج يوم الثاني و الثالث من التشريق، لأنهم يفرعون إلى الاجتماع للرجوع إلى الأوطان. و المنافرة:

المحاكمة للفرع إليها فيما يختلف فيه و قيل: إنما كانت، لأنهم يسألون الحاكم أينما أعز نفراً. و نفره تنفيراً. و نافرته منافرة. و تنافروا

تنافراً. و استنفره استنفاراً. و قوله: (ثبات) قال ابن عباس، و مجاهد، و الضحاك، و قتادة، و السدي: إن معناه انفروا فرقة بعد فرقة، أو

فرقة في جهة و فرقة في جهة. أو انفروا جميعاً. من غير تفرق بالأوقات، و الجهات.

و الثبات جمع ثبة و هي جماعات في تفرقة أى يأتون متفرقين. و قال أبو جعفر: الثبات:

السرايا و الجميع العسكر. قال أبو ذؤيب:

فلما اجتلاها بالأيام تحيرت ثبات عليها ذلها و اكتتابها «١»

يصف العاسل، و تدخينه على النحل. و الأيام- بكسر الهمزة على وزن لجام- الدخان و يجمع ثبة على تيين، أيضاً. قال زهير:

وقد اغدوا على ثبة كرام نشاوى واجدين لما نشاء «٢»

و انما جاز أن يجع ثبئة ثبوت- و ان كان هذا الجمع يختص ما يعقل- للعوض من النقص الذى لحقه، لأن أصله ثبوء. و مثله عضين و سنتين و عرين. فان صغرت

(١)- اللسان (جلا). البيت لأبى ذؤيب يصف النحل و العاسل. و فى روايه (اجتلاها) بدل جلاها. يعنى جلا العاسل النحل عن مواضعها بالأيام و هو الدخان.

(٢)- ديوانه: ٧٢. مجاز القرآن لابي عبيدة: ١٣٢ و اللسان: (ثبا)، (نشو).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٥٤

قلت ثبيات «١» و سنيت، لأن النقص قد زال. و قيل: ان الثبئة عصبه منفردة من (عصب). و تقول ثبيت على الرجل اثنى تشبئة: ٧ ذا أثبت عليه. و ذكرت محاسنه فى حال حياته. و تصغير ثبئة ثبئة. فأما ثبئة الحوض، فهى وسطه. الذى يثوب إليه الماء. و هى من تاب يثوب، لأن تصغيرها ثوبية. [و قوله: «أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعاً» و قد مضى معناه «٢» .

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٢]..... ص: ٢٥٤

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْتَئِنُ فِإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً (٧٢)

قال الحسن، و مجاهد، و قتادة، و ابن جريج، و ابن زيد: نزلت هذه الآية فى المنافقين الذين كانوا يثبوتون الناس عن الجهاد. فإذا أصابتهم مصيبة فيه، من قتل أو هزيمة، قالوا قول الشامت بهم فى تلك الحال: قد أنعم الله علينا إذ لم نكن معهم شهداء أى حضوراً. و قال أبو جعفر (ع): من يتمنى التأخر عن جماعة المسلمين، لا يكون إلا كافراً. فقولته: «وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْتَئِنُ» خطاب للمؤمنين.

و انما أضاف المنافقين إليهم لأمرين:

أحدهما- ان من عدادكم و دخلائكم.

الثانى- أى منكم فى الحال الظاهرة، أو حكم الشريعة من حقن الدم، و نحو ذلك من الموارثة، و المناكحة. و اللام الاولى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم، و الثانية لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد. و تقديره إن منكم لمن حلف بالله ليبتئن. و انما جاز صلة (من) بالقسم، و لم يجز بالأمر و النهى لأن القسم خبر يوضح الموصول، كما يوضح الموصوف فى قولك: مررت برجل لتكرمه، لأنه خصصه بوقوع الإكرام به فى المستقبل من كل رجل غيره. و ليس كذلك

(١)- فى المخطوطة زيادة: (على الأصل أثنى ثبئة)- فى هذا الموضع.

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة و هو موجود فى المخطوطة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٥٥

الامر فى قولك: مررت برجل أضربه، لأنه لا يتخصص بالضرب فى الامر كما، تخصص فى الخبر. قال: الفراء تدخل اللام فى النكرات و فى من و ما و الذى. فإذا جئت بالمعرفة الموقته، لم يجز إدخال اللام فيها. لا تقول إن عبد الله ليقوم و ان زيدا ليذهب، لأن زيدا، و عبد الله، لا يحتاجان إلى صلة. و الإبطاء: اطالة مدة العمل لقله الانبعاث. و ضده الاسراع. و هو قصر مدة العمل، للتدبير فيه.

و الاناء: اطالة الأحكام الذى لا سبيل إليه إلا بالتثبت فيه. و ضدها العجلة و هى قصر المدة من غير إحكام الصنعة تقول: بطؤ فى مشيه يبطؤ بطاء: إذا ثقل و تباطأ تباطياً و بطأه تبطياً و استبطأ و استبطأ و أبطأ إبطاء: إذا تأخر.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٣]..... ص: ٢٥٥

إشارة

وَ لَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً (٧٣)
- آية بلا خلاف -.

المعنى بهذه الآية المنافقون الذين وصفهم الله بأنهم يفرحون بتأخرهم عن المؤمنين إذا أصيبوا، و انهزموا. فأخبر عنهم انه إذا أصاب المؤمنين فضل من الله بان يظفروا أو يقهروا العدو، بأنهم يتمنون الكون معهم، فيفوزوا فوزاً عظيماً.
و انما ذمهم الله بهذا التمني لأحد أمرين:

أحدهما- لأنهم قالوه على وجه إثارة الغنيمه لا على حال المثوبه من جهه الله لشكهم فى الجزاء من الله.
الثانى- قال قتاده و ابن جريح انهم قالوا: ذلك على جهه الحسد للمؤمنين.

و الاصابة: ملامسه المرمى لما وقعت به الرمي. فإذا قيل: أصاب- مطلقاً- فمعناه أصاب الغرض. و يجوز أن ينفي فيقال: لم يصب. يعنى الغرض، و ان أصاب غيره.

و قوله: «كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» قيل فيه ثلاثه أقوال: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥٦
أحدها- انه اعتراض بين القول، و التمني، و لا يكون له موضع من الاعراب.

و تقديره ليقولن: يا ليتنى كنت معهم، فأفوز فوزاً عظيماً. كأنه لم يكن بينكم و بينه موده.

الثانى- أن يكون اعتراضياً و موضعه التقديم. و تقديره فان أصابتكم مصيبه، قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً كأنه لم يكن بينكم، و بينه موده. و اختار هذا الوجه أبو على النحوى.

الثالث- أن يكون فى موضعه على موضع الحال. كما تقول: مررت بزيد كأن لم يكن بينك و بينه معرفه فضلاً عن موده. و الزجاج أجاز الوجوه الثلاثه.

المعنى:..... ص: ٢٥٦

و فى معنى الآية قولان:

أحدهما- قال الجبائى: المعنى ليقولن لهؤلاء الذين أقعدهم عن الجهاد، كأن لم يكن بينكم و بينه أى و بين محمد (ص) موده، فيخرجكم لتأخذوا من الغنيمه، لبيغضوا إليهم رسول الله (ص).

الثانى- انه يقول قول الممنوع بالعداوه. و انما أنى من جهله بتلك الحال.

و هو الأظهر. و المعنى كأنه لم يعاقدكم على الايمان و لم يظهر لكم موده على حال يخاطبون بذلك من أقعدوه من الخروج، ثم يقول من قبل نفسه: يا ليتنى كنت معهم. و قال الحسين بن على المغربى: المعنى ليس يتمنون الكون معهم فى الخير، و الشر، كأهل المودات، و انما يتمنون ذلك عند الغنيمه كالبعداء يذمهم بسوء العهد مع سوء الدين.

و انما نصب جواب التمني بالفاء، لأنه مصروف عن العطف محمول على تأويل المصدر. و تقديره يا ليتنى كان لى حضور، معهم ففوز. و لو كان على العطف، لكان يا ليتنى كنت معهم ففزت. و قرأ أبو جعفر المدنى، و حفص، و رويس، و البرجمى:

«كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ» - بالتاء- لأن لفظه الموده مؤنثه. و من قرأ بالياء، فلان التأنيث التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥٧

ليس بحقيقى، و مع ذلك قد وقع فصل بين الفعل، و الفاعل.

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)
- آية- لما أخبر الله تعالى في الآية الأولى ان قوماً من المنافقين يثبطون المؤمنين عن جهاد العدو و القتال في سبيل الله، حث في هذه الآية على الجهاد، بأن قال:

لا- تلتفتوا إلى تشييط المنافقين، و قاتلوا في سبيل الله بائعين للدنيا بالآخرة، إذ لكم بذلك أعظم الأجر و أكبر الحظ. و قال الزجاج: فليكن من الذين يقاتلون في سبيل الله أو عمن كان بينه و بينكم عقد مودة. و معنى (يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة. و بيعهم إياها بالآخرة هو استبدالهم إياها بالآخرة ببذلهم أنفسهم، و أموالهم في سبيل الله، و بتوطين أنفسهم على الجهاد في طاعة الله.

يقال: شريت بمعنى بعت. و اشتريت: ابتعت. و يشرون: يبيعون- في قول الحسن، و السدى، و ابن زيد، و جميع أهل اللغة-. قال يزيد بن مفرغ:

و شريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامة

و برد اسم غلامه. و شريته بمعنى بعته. و في الآية حذف. و التقدير يشرون الحياة الدنيا بالحياة الآخرة. كأنه قال: يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية.

و يجوز يبيعون الحياة الدنيا بنعيم الآخرة، ثم قال: «وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ» .

فالوعد على القتال، لا على القتل، و الغلبة. و قوله: «فيقتل» عطف على يقاتل. و لذلك جزمه و الجواب قوله: «فسوف تؤتيه» و إنما قال: أو يغلب، لأن الوعد على القتال حتى ينتهي إلى تلك الحال، لأنه أعظم الجهاد. و عليه أعظم الأجر. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥٨

و الأجر العظيم هو أعلى أثمان العمل. و ذلك أن ثمن العمل على ثلاثة أوجه. ثمن أعلى، و ثمن أدنى، و ثمن أوسط بينهما فالله تعالى يثامن عليه بالثمن الأعظم الأعلى، فلذلك حسن وصف الأجر بالعظم من غير تقييد له، إذ كان لا ثمن أعظم مما يثامن الله عليه في ذلك العمل.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٥]..... ص: ٢٥٨

إشارة

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)
- آية-

المعنى و الاعراب:..... ص: ٢٥٨

معنى قوله: «و ما لكم» أى شىء لكم. و «لا- تُقَاتِلُونَ» فى موضع الحال كأنه قال: أى شىء لكم تاركين، أى فى حال ترك القتال مع هذه الأمور التى تقتضى الحرص على الجهاد، أى لا عذر لكم ألا تقاتلوا فى سبيل الله، و مثله قوله: «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ» (١) و قوله: «وَالْمُسْتَضْعَفِينَ» خفض بالعطف على ما عملت فيه (فى) و تقديره فى المستضعفين. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و عن المستضعفين، فوقع (فى) موقع (عن) فإذا ذكرت (عن) فلصرف الأذى عنهم إذ كانت لما عدا الشىء و إذا ذكرت

(في) فلأن القتال مضمن بهم، لخلاصهم، إذا كانت في للوعاء.

الثاني- ان يكون على محذوف، و تقديره و في إعزاز المستضعفين، و قد قال المبرد: هو عطف على اسم الله بتقدير، و سبيل المستضعفين «مِنَ الرَّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ» .

(١) سورة المدثر: آية ٥٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٥٩

اللغة و المعنى:..... ص: ٢٥٩

و الولدان جمع ولد على مثال خرب و خربان، و برق و برقان، و وِرل و وِرلان، مثل ولد و ولدان، و هو من ابنيه الكثير، و الأغلب على بابه فعال نحو جبال و جمال.

و قوله: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا» قال ابن عباس و الحسن و ابن أبي نجیح، و السدى و مجاهد و ابن زيد: إنها مكة، لأن أهل مكة كانوا قد اجتهدوا أن يفتنوا قوماً من المؤمنين عن دينهم، و الأذى لهم و كانوا مستضعفين في أيديهم. و قال تعالى «ما لكم» لا تسعون في خلاصهم. و هم يسمون كل مدينة قريه، و إنما جاز أن يجرى صفة ظالم على الأول و هو في المعنى للثاني، لأنها قوية في العمل لقربها من الفعل متمكنة من الوصف بأنها تصرف تصرفه في التأنيث و التذكير و التشيئة، و الجمع، خلاف باب أفعل منك، فلذلك جاز مررت برجل ظالم أبوه، و لم يجر مررت برجل خير منه أبوه. و الولي القيم بالأمر حتى يستنقذهم من أمر أعدائهم، لأنه يتولى الأمر بنفسه، و لا يكله إلى غيره.

و حكى أبو على ان منهم سلمة بن هشام، و الوليد بن الوليد، و عياش بن أبي ربيعة و أبو جندل بن سهيل، و انما قال: «يَقُولُونَ... الظَّالِمِ أَهْلُهَا» و ان كان فيهم الولدان لا ينطقون تغليباً للاكثر، كقولك قال أهل البصرة، و إن كان قولاً لبعضهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٦]..... ص: ٢٥٩

إشارة

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً (٧٦) - آية بلا خلاف-.

المعنى:..... ص: ٢٥٩

أخبر الله تعالى في هذه الآية أن الذين صدقوا بالله، و رسوله يقاتلون في سبيل الله، و في معنى سبيل الله قولان: التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٠

أحدهما- طاعة الله، لأنها تؤدي إلى ثواب الله في جنته التي أعدها لأوليائه.

الثاني- قال أبو على: إنه دين الله الذي شرعه الذي يؤدي إلى ثوابه و رحمته.

و تقديره في نصره دين الله، ثم قال: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى الذين جحدوا آيات الله الدالة على توحيده، و نبوة نبيه. و قوله: «يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» قد فسرناه فيما مضى. فقال قوم: هو الشيطان. و قال آخرون: هو ما عبد من دون الله. و الاول قول الحسن و

الشعبي. و الثاني حكاة الزجاج.

وقال أبو العالية: هو الكاهن. و هو يؤنث و يذكر قال الله تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ» (١) فذكره و قال: «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا» (٢) فانث قال أبو عبيدة هو هاهنا في موضع جماعة، كما قال: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمُيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ» (٣) و كان المراد به الجنس. و قوله: «فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ» يقوى قول من قال:

المراد بالطاغوت الشيطان. و قوله: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا» إنما دخلت (كان) هاهنا مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الأوقات فيما مضى، و الحال، و المستقبل. و ليس هو عارضا في حال دون حال.

و الكيد السعى في فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاده يكيده كيداً، فهو كائد له. و إذا عمل في إيقاع الضرر به على وجه الحيلة عليه. و انما وصف تعالى كيد الشيطان. بالضعف لامرين:

أحدهما- لضعف نصرته، لأوليائه بالاضافة إلى نصره الله المؤمنين- ذكره الجبائي- و قال الحسن: أخبرهم أنهم سيظهرون عليهم، فلذلك كان ضعيفاً.

الثاني- لضعف دواعي أوليائه إلى القتال بأنها من جهة الباطل إذ لا نصير لهم. و انما يقاتلون بما تدعو إليه الشبهة. و المؤمنون يقاتلون بما تدعو إليه الحجة.

(١) سورة النساء: آية ٥٩.

(٢) سورة الزمر: آية ١٧.

(٣) سورة المائدة: آية ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٤١

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٧]..... ص: ٢٤١

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا (٧٧)

- آية بلا خلاف-

القراءة، و الحجة:..... ص: ٢٤١

قرأ ابن كثير، و حمزة، و الكسائي، و خلف، و الحلواني عن هشام و لا- يظلمون بالياء. الباقون بالتاء. فمن قرأ بالياء حمل الكلام على لفظ الغيبة و من قرأ بالتاء فعلى المواجهة.

النزول:..... ص: ٢٤١

و قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن، و عكرمة، و قتادة، و السدي: انها نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي (ص) قال ابن عباس: منهم عبد الرحمن ابن عوف. و هم بمكة في قتال المشركين. فلم يأذن لهم: فلما كتب عليهم القتال. و هم بالمدينة قال فريق منهم ما حكاه الله في الآية. فان قيل: كيف يجوز ذلك، و الله تعالى يقول: «كُفُوا أَيْدِيَكُمْ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» فأمرهم باقامة الصلاة و إيتاء الزكاة، و لم تكن الزكاة فرضت بمكة؟ قيل: قد قال البلخي في ذلك: إنه يجوز أن يكون قوم من المنافقين عرضوا على رسول الله (ص) ذلك و الأقوى عندي أن يكون الله قال ذلك على وجه الندب، و الاستحباب دون الزكاة المقدره على وجه مخصوص. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٢ الثاني- قال مجاهد: نزلت في اليهود. نهى الله هذه الأمة أن يصنعوا مثل صنيعهم.

المعنى:..... ص: ٢٦٢

قوله: «ألم تر» معناه ألم ينته علمك إلى هؤلاء تعجباً من ذلك. و لو قال: ألم تر هؤلاء أو ألم تعلم هؤلاء لم يظهر فيه معنى التعجب منهم كما يظهر ب (إلى)، لأنها تؤذن بحال بعيدة قد لا- ينتهي إليها، لبعدها، لما فيها من العجب الذي يقع بها. و قوله: «الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» يعنى حين طلبوا القتال و قيل لهم: اقتصروا على اقامة الصلاة و إيتاء الزكاة «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ» يعنى الجهاد «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ» يعنى جماعة «يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ» قال الحسن: هو من صفة المؤمنين لما طلبوا عليه من البشيرة و الخوف، لا على وجه كراهة المخالفة. و قال أبو على: هو من صفة المنافقين، لأنهم كانوا كذلك حرصاً منهم على الدنيا و البقاء فيها و الاستكثار منها و قال يخشون القتل من قبل المشركين كما يخشون الموت من قبل الله. و قوله: «أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً» ليس معنى (أو) هاهنا الشك، لأن ذلك لا يجوز عليه تعالى. و قيل في معناها قولان:

أحدهما- أنها دخلت للإبهام على المخاطب. و المعنى أنهم على احدى الصفتين. و هذا أصل (أو) و هو معنى واحد على الإبهام.

الثاني- على طريق الاباحة نحو قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين.

و معناه إن قلت يخشون الناس كخشية الله فأنت مصيب، و ان قلت يخشونهم أشد من ذلك فأنت مصيب لأنه قد حصل لهم مثل تلك الخشية و زيادة. و قولهم:

«لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ» معناه ألزمتنا و أوجبت علينا.

و قوله: «لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا» معناه هلا- أخرتنا «إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ» و هو إلى أن نموت بأجلنا فأعلمهم الله تعالى أن متاع الدنيا قليل، و أن الآخرة خير لأهل التقى و أعلمهم أن آجالهم لا تخطنهم «وَلَا تُظَلَّمُونَ فِتْنًا» أى لا يبخسون هذا التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص:

٢٦٣

القدر، و كيف ما زاد عليه. و الفتيل: ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه في قول ابن عباس. و قيل: هو ما في شق النواة، لأنه كالخيط المفتول في شق النواة.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٨]..... ص: ٢٦٣

إشارة

أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَ إِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ

عِنْدَكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)

- آية بلا خلاف -.

اللغة و المعنى:..... ص: ٢٦٣

أعلمهم الله تعالى في هذه الآية أن الآجال لا- تخطئهم، و لا تنفعهم الخشية من القتل و لو كانوا في بروج مشيدة، و أينما كانوا من المواضع أدر كههم الموت بمعنى أصابهم. (و أينما) كتبت موصولة. و في قوله: «إِنَّ مَا تُوعَدُونَ» مفصولة، لأن الأولى زائدة. و الثاني- بمعنى الذى ففصلت هذه كما تفصل الأسماء، و وصلت تلك كما توصل الحروف. و قيل فى معنى البروج ثلاثة أقوال: أحدها- قال مجاهد، و ابن جريج: هى القصور.

الثانى- قال السدى، و الربيع: هى قصور فى السماء بأعيانها. و قال الجبائى: هى البيوت التى تكون فوق الحصون. و أصل البروج الظهور. يقال تبرجت المرأة: إذا أظهرت محاسنها. و البرج- فى العين- اتساعها لظهورها بالاتساع. و المشيدة: المزينة بالجص. و هو الشيد. قال الجبائى: معناه المجصصة. و قال الزجاج، و غيره: معناه المطولة فى ارتفاع. و قال قوم: المشدد، و المخفف سواء إلا من جهة تكثير الفعل. و قال آخرون: المشيدة بالتشديد- المطولة. و المشيدة بالتخفيف- المطلية بالجص و النورة. و الشيد رفع البناء. تقول شاد بناءه يشيده شيداً: إذا رفعه. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٤

و الشيد: الجص، لأنه مما يرفع به البناء. و يجوز أشاد الرجل بناءه. فأما بالذكر فتقول أشاد بذكره لا غير: إذا رفع منه. و قوله: «وَإِنْ تَصَّ بِهُمْ حَسِيئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تَصَّ بِهِمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ» حكاية عن المنافقين، و صفة لهم. فى قول الحسن، و أبى على و أبى القاسم. و قال الزجاج: قيل: هو فى صفة اليهود. و به قال الفراء. و ذلك أن اليهود، لما قدم النبى (ص) المدينة، فكانوا إذا زكت ثمارهم، و اخصبوا، قالوا هذا من عند الله. فإذا أجدبوا، و خاست ثمارهم، قالوا هذا لشؤم محمد (ص). و فى معنى الحسنه، و السيئه هاهنا قولان:

قال ابن عباس، و قتادة، و أبو العالبي: هو السراء و الضراء و البؤس.

و الرخاء، و النعمة و المصيبة، و الخصب، و الجذب. و قال الحسن، و ابن زيد:

هو النصر، و الهزيمة. و قوله: «من عندك» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن زيد: معناه بسوء تدبيرك.

و الثانى- قال الجبائى، و البلخى، و الزجاج. أى بشؤمك الذى لحقنا كما حكى عن قوم موسى «وَإِنْ تَصَّ بِهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ» فأمر الله تعالى نبيه أن يقول: إن جميع ذلك من عند الله، ثم قال: «فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» قال الفراء: (مال) كثرت فى الكلام حتى توهموا أن اللام متصله بما، و انها حرف واحد، ففصلوا اللام بما خفضت فى بعض المواضع، و وصلوها فى بعض المواضع. و الاتصال الوجه. و الوقف على اللام، لا يجوز، لأنها لام الخفض.

و المعنى أى شىء لهؤلاء القوم، لا- يفقهون حديثاً، أى لا- يفهمون معناه. تقول: فقه الرجل يفقه فقهاً و الاسم الفقيه: و صار يعرف الاستعمال علماً على علم الفقهاء من علوم الدين. و فقه الرجل يفقه فقهاً: إذا صار فقيهاً. و أفقته: أفهمته و التفقه:

تعلم الفقه و تفاقه: إذا تعاطى ليرى انه فقيه. و ليس هو كذلك. و مثله تعاليم و قيل:

معنى الحديث هاهنا القرآن. و قوله: «لا يكادون» معناه لا يقاربون فيه معنى الحديث الذى هو القرآن، لأنهم بعيدون منه باعراضهم

عنه، و كفرهم به و لا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٥

يفهمون ان ما ذكرناه من السراء، و الضراء، و الشدة و الرخاء على ما وصفناه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٧٩].... ص: ٢٦٥

إشارة

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)
- آية بلا خلاف-

المعنى:..... ص: ٢٦٥

قال الزجاج: هذا خطاب للنبي صلى الله عليه و آله. و المراد به الامه. كما قال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» (١) فان المراد به الامه. و قال قوم: المخاطب به الإنسان، كأنه قال: ما أصابك أيها الإنسان- في قول قتاده، و الجبائي-. و قيل في معنى الحسنه و السيئه هاهنا قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و الحسن: الحسنه ما أصابه يوم بدر من الظفر، و الغنيمه. و السيئه ما أصابه يوم أحد من كسر رباعيته (ص)، و الهزيمة. و قال الجبائي: معناهما النعمه، و المصيبة. و يدخل في النعمه نعمه الدنيا، و الدين. و في المصيبة مصائب الدنيا، و الدين إلا أن أحدهما من عمل العبد للطاعة، و ما جر إليه ذلك العمل.

و الآخر- من عمل العبد للمعصيه و ما جر إليه عمله لها. و هذا يوافق الاول الذي حكيناه عن تقدم.

و الثاني- ان الحسنه، و السيئه: الطاعة، و المعصيه- ذكره أبو العاليه، و أبو القاسم- و يكون المعنى ان الحسنه التي هي الطاعة باقدار الله، و ترغيبه فيها، و لطفه لها. و السيئه بخذلانه على وجه العقوبه له على المعاصي المقدمه. و سماه سيئه كما قال: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» (٢) و التقدير ما أصابك من ثواب حسنه

(١)- سورة الطلاق: آية ١.

(٢) سورة الشورى: آية ٤٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٦

فمن الله، لأنه الذي عرضك للثواب، و أعانك عليها. و ما أصابك من عقاب سيئه فمن نفسك، لأنه تعالى نهاك عنها، و زجرك عن فعلها. فلما ارتكبتها كنت الجاني على نفسك. و انما احتاج إلى التقدير، لأن ما أصابك ليس هو ما أصبته. و يجوز أن يكون المراد بالسيئه ما يصيبهم في دار الدنيا من المصائب، لأنه لا يجوز أن يكون ذلك عقابا أو بعض ما يستحقونه. و قوله: «فمن نفسك» معناه فبذنبك في قول الحسن، و قتاده، و السدي، و ابن جريج، و الضحاك. قال البلخي: مصيبه هي كفارة ذنب صغير، أو عقوبه ذنب كبير. و يحتمل أن يكون المراد أو تأديب وقع لأجل تفريط. فان قيل: كيف عاب قول المنافقين في الآية الاولى، لما قالوا إذا أصابتهم حسنه انها من عند الله، و إذا أصابتهم سيئه، قالوا هذه من عندك.

و قد اثبت مثله في هذه الآية؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- ان ذلك على وجه الحكايه. و التقدير يقولون: ما أصابك من حسنه، فمن الله، و ما أصابك من سيئه فمن نفسك. و يكون (يقولون) محذوفاً، لدلاله سياق الكلام عليه.

الثاني- ان معناهما مختلف. فالأول عند أكثر أهل العلم ان المراد به النعمه، و المصيبة من الله تعالى. و في الآية الثانية المراد به الطاعة،

و المعصية. فلما اختلف معناهما، لم يتناقضا. و يكون وجه ذكر هذه الآية عقيب الاولى ألا يظن ظان ان الطاعات و المعاصى من فعل الله، لما قال فى الآية الاولى: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة، لأنه تعالى قال: «فَمِنْ نَفْسِكَ» فأضاف المعصية إلى العبد و نفاها عن نفسه تعالى. و لو كانت من خلقه، لكانت منه على أو كد الوجوه. و لا ينافى ذلك قوله فى الآية الاولى «كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» لأننا بينا وجه التأويل فيه. و قال الرماني: و فى الآية دلالة على أنه تعالى، لا يفعل الألم إلا على وجه اللطف، أو العقاب دون العوض فقط، لأن المصائب إذا كانت كلها من قبل ذنب العبد، فهى اما عقوبة، و اما من قبل تأديب المصلحة. و قوله: «وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا» معناه من الحسنه ارسالك يا محمد (صلى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٧) الله عليه و آله) و من السيئه خلافك يا محمد (ص) و كفى بالله شهيداً لك و عليك. و المعنى و كفى الله. و قوله: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ» معنى «من» هنا للتبيين و لو قال: إن أصابك من حسنة كانت زائدة لا معنى لها.

الاعراب و الحجة:..... ص: ٢٦٧

(و رسولا) نصب بارسلناك، و انما ذكره تأكيداً لأن أرسلناك دل على أنه رسول، «و شهيداً» نصب على التمييز، لأنك إذا قلت كفى الله و لم تبين فى أى شىء الكفاية كنت مبهماً. و قوله: «وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» دخلت الفاء فى الجواب لأن معنى (ما) من و ادخل من على السيئه، لأن ما نفى و (من) يحسن ان تزداد فى النفى مثل ما جاءنى من أحد.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٠]..... ص: ٢٦٧

إشارة

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)
- آية- بين الله تعالى بهذه الآية أن طاعة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم طاعة الله. و انما كان كذلك، لأن طاعة الرسول بأمر الله، فهى طاعة الله على الحقيقة، و بإرادته و ان كانت أيضاً طاعة للنبي من حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل. فأما الامر الواحد، فلا يكون من أمرين كما لا يكون فعل واحد من فاعلين.

و قوله: «وَ مَنْ تَوَلَّىٰ» أى اعرض و لم يطع «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» و قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال ابن زيد: حافظاً لهم من التولى حتى يسلموا.

و الثانى- حافظاً لأعمالهم التى يقع الجزاء عليها، لأن الله تعالى هو المجارى عليها.

الثالث- قال أبو على: حافظاً لهم من المعاصى حتى لا تقع. قال ابن زيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٨

هذا أول ما بعث، كما قيل له: «إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» «١» ثم أمر فيما بعد بالجهد و وجه جواب الجزاء فى قوله: «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» من المعاصى حتى لا- تقع- فى قول أبى على- و على القول الآخر لأنك لم ترسل عليهم حفيظاً لأعمالهم التى يقع الجزاء عليها، فتخاف أن لا- تقوم بها. و فى الآية دلالة على ان الرسول لا يأمر بالخطأ، لأن الله تعالى جعل طاعته طاعة نفسه. و الله لا يأمر بالخطأ بلا خلاف.

النظم:..... ص: ٢٦٨

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما ذكر الحسنه التى هى نعمه من الله، بين أن منها إرسال نبي الله ثم بين أن منها طاعة الرسول

التي هي طاعة الله. فهو في ذكر نعم الله مجملته، و مفصلة. وفيها تسليمه للنبي (ص) في تولى الناس عنه و عن الحق الذي جاء به، و مع تضمنها تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة الله.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨١].... ص: ٢٦٨

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١)
- آية بلا خلاف -.

قرأ أبو عمر يدغام التاء في الطاء. و به قرأ حمزة: و الباقون بالإظهار و الفتح.
و فرق الكسائي بين بيت طائفة فأظهر في الفعل و ادغم في الاسم إذا قال بيت طائفة. قال المبرد، و الزجاج: لا وجه لذلك، بل هما سواء. و انما حسن ادغام التاء في الطاء، لقرب مخرجهما. و لم يجز إدغام الطاء في التاء، لما فيها من الاطباق.
و كذلك يجوز إدغام الباء في الميم في «يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ» و لا يجوز ادغام الميم في الباء نحو «لَا أُفْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» لأنه يخل باذهاب الغنة في ذلك، و لا يخل

(١) سورة الشورى: آية ٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٦٩

بها في الاول. و يحتمل رفع طاعة وجهين:

أحدهما- أمرنا طاعة.

و الثاني- منا طاعة. قال الزجاج: الاول أحسن، لأنه أجمع. و يجوز طاعة «نصباً» على معنى نطيع طاعة. و لم يقرأ به. و من القائلون لهذا القول؟ قيل فيه قولان:

[أحدهما]- قال الحسن، و السدي، و الضحاك: هم المنافقون.

الثاني- انهم الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية و قوله: «فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ» يعني خرجوا من عندك بيت طائفة منهم يعني دبر جماعة منهم ليلا. قال المبرد: التبييت كل شيء دبر ليلا. و قال الجبائي معناه دبروه في بيوتهم و هذا بعيد لا وجه له في اللغة. قال الرماني: و فيه معنى الإخفاء في النفس، و كذلك لا يوصف تعالى به. قال عبيدة بن همام: «١»

أتونى فلم أرض ما بيتوا و كانوا أتونى بشيء نكر

لأنكح أيهم منذراً و هل يُنكح العبد حر الحر؟! «٢»

و معنى: «بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ» [أى غير ما تقول بأن أضمرنا الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه- هذا قول ابن عباس، و قتادة:

و السدي. و قال الحسن: قدرت طائفة منهم «٣» غير الذي تقول على جهة التكذيب.

و قوله: «وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ» فيه قولان:

الاول- نكتبه في اللوح المحفوظ ليجازوا به.

الثاني- قال الزجاج: يكتب بان ينزله اليك في الكتاب. ثم أمر الله نبيه

(١) قيل هو أخو بني العدوية من بني مالك بن حنظلة من بني تميم و قيل: عبيد بن همام التغلبي و قيل غير ذلك. [...]

(٢) مجاز القرآن ١: ١٣٣، الحيوان ٤: ٣٧٦ الكامل للمبرد ٢: ٣٥، ١٠٦، الازمنة و الامكنة للمرزوقي ١: ٢٦٣، ديوان الأسود بن يعفر النهشلي: أعشى بنى نهشل فى ديوان الاعشيين: ٢٩٨، و اللسان (نكر).

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعه. و هو فى المخطوطه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٠

بالاعراض عنهم، و ألا تسميهم بأعيانهم إبقاء عليهم، و بستر أمورهم إلى أن يستقر أمر الإسلام. و أمره بان يتوكل عليه «و كفى بالله وَكِيلًا» يعنى حفيظًا، لما يجب تفويضه إليه من التدبير. و أصل الوكيل القائم بما فوض إليه من التدبير. و معنى بيت أضمر. و أصله إحكام الامر ليلا من البيات.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٢].... ص: ٢٧٠

إشارة

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)
- آية -

المعنى:.... ص: ٢٧٠

هذه الآية تدل على أربعة أشياء:

أحدها- على بطلان التقليد، و صحة الاستدلال فى اصول الدين، لأنه حث و دعا إلى التدبر. و ذلك لا يكون إلا بالفكر و النظر. و الثانى- يدل على فساد مذهب من زعم ان القرآن، لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول له من الحشوية، و المجبرة، لأنه تعالى حث على تدبره، ليعلموا به.

الثالث- يدل على أنه لو كان من عند غير الله، لكان على قياس كلام العباد من وجود الاختلاف فيه.

الرابع- تدل على أن المتناقض من الكلام ليس من فعل الله، لأنه لو كان من فعله، لكان من عنده، لا من عند غيره.

اللغة:.... ص: ٢٧٠

و التدبر: هو النظر فى عواقب الأمور. و أصله الدبر. و التدابر: التقاطع، لأن كل واحد يولى الآخر دبره، بعداوته له. و دبر القوم يدبرون دباراً: إذا هلكوا، لأنهم يذهبون فى جهة الأدبار عن الغرض. و أدبر القوم: إذا ولى أمرهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧١
عن الرشد. و الدبر: النحل. و الدبر: المال الكثير. و التدبير: إصلاح الامر لعاقبه.

و

فى الحديث «لا تدابروا»

أى لا- تكونوا أعداء. و الفرق بين التدبر و التفكير ان التدبر تصرف القلب بالنظر فى العواقب، و التفكير تصرف للقلب بالنظر فى الدلائل.

و الاختلاف: هو امتناع أحد الشئيين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد الذى لا يسد مسد البياض، و كذلك الذهاب فى الجهات المختلفة جهة الخلف، و القدام و اليمين، و الشمال. و قيل فى معنى الاختلاف هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها- قال أبو علي من جهة بليغ، و مردول. و قال الزجاج: الاختلاف في الاخبار بما يسرون.

الثالث- قال قتادة، و ابن زيد: اختلاف تناقض من جهة حق، و باطل.

و الاختلاف على ثلاثة اضرب: اختلاف تناقض، و اختلاف تفاوت، و اختلاف تلاوة. و ليس في القرآن اختلاف تناقض، و لا اختلاف تفاوت، لأن اختلاف التفاوت هو في الحسن و القبح، و الخطأ و الصواب، و نحو ذلك مما تدعوا إليه الحكمة أو يصرف عنه. و أما اختلاف التلاوة، فهو ما تلاه في الحسن، فكله صواب، و كله حق. و هو اختلاف وجوه القراءات و اختلاف مقادير الآيات و السور و اختلاف الأحكام في الناسخ و المنسوخ. و من اختلاف التناقض ما يدعو فيه أحد الشئيين إلى فساد الآخر. و كلاهما باطل. نحو مقدارين وصف أحدهما بأنه أكبر من الآخر و وصف الآخر بأنه أصغر منه، فكلاهما باطل إذ هو مساو له. و في الناس من قال: انتفاء التناقض عن القرآن إنما يعلم انه دلالة على أنه من فعل الله، لما أخبرنا الله تعالى بذلك. و لو لا أنه تعالى أخبر بذلك كان لقائل أن يقول: «١»: إنه يمكن أن يتحفظ متحفظ في كلامه و يهذهبه تهذيباً، لا يوجد فيه شيء من التناقض و على هذا لا يمكن أن يجعل ذلك جهة اعجاز القرآن قبل أن يعلم صحة السمع، و صدق النبي (ص).

(١) في المطبوعة (يكون) بدل (يقول).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٢

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٣]..... ص: ٢٧٢

إشارة

وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)

- آية- أخبر الله تعالى عن المنافقين، الذين تقدم وصفهم بأنهم إذا جاءهم «أمر من الأمن أو الخوف» و هو ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة: اما من قبل عدو يقصدهم أو يظهر المؤمنين على عدوهم، أو هلاك بعض أعدائهم و هو الامن. و الاول: الخوف أذاعوا به، و تحدثوا به من غير أن يعلموا صحته، فكره تعالى ذلك، لأن من فعل هذا لا يخلو كلامه من الكذب. و لما يدخل على المؤمنين به من الخوف و معنى أذاعوا به: أعلنوه، و أفشوه في قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و ابن جريج و أصله اشاعة الخبر في الجماعة.

اللغة:..... ص: ٢٧٢

يقال: اذاعه اذاعة و أذاعوا به قال الشاعر:

أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أو قدت بثقوب «١»

و أصله الاذاعة التفريق. قال تبع: لما ورد المدينة:

و لقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحياة تذيب «٢»

أى تفرق. و براجم: ماء بالمدينة كان يشرب منه، فنشبت «٣» بحلقه

(١) قائله أبو الأسود الدؤلي. اللسان (ذيع) و مجاز القرآن ١: ١٣٣ و الاغانى ١٢: ٣٠٥.

(٢) لم نجده في مصادرنا.

(٣) في المطبوعة (فشيت) و في مجمع البيان (فتشبت). و قد أثبتنا ما في المخطوطة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٣

علقه. و ذاع الخبر ذيعاً. و رجل مذياع: لا يستطيع كتمان خبر. و أذاع الناس بما في الحوض: إذا شربوه. و كذلك أذاعوا بالمتاع: إذا ذهبوا به. و اذاعة السر:

إظهاره. و الاذاعة، و الاشاعة، و الإفشاء، و الإعلان، و الاظهار، نظائر و ضده الكتمان، و الاسرار، و الإخفاء.

المعنى:..... ص: ٢٧٣

ثم قال: «وَلَوْ رُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ» بمعنى لو رده إلى سنته «وَأِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ».

قال أبو جعفر (ع): هم الأئمة المعصومون.

و قال ابن زيد، و السدي، و أبو علي: هم أمراء السرايا، و الولاة و كانوا يسمعون باخبار السرايا و لا يتحققونه فيشيعونه و لا يسألون أولى الامر. و قال الحسن، و قتادة، و ابن جريج، و ابن أبي نجیح، و الزجاج: هم أهل العلم، و الفقه الملازمين للنبي (ص)، لأنهم لو سألوهم عن حقيقة ما أرجفوا به، لعلموا به. قال الجبائي: هذا لا يجوز، لأن أولى الامر من لهم الامر على الناس بولاية و الاول أقوى، فإنه تعالى بين أنهم متى رده إلى أولى العلم علموه. و الرد إلى من ليس بمعصوم، لا يوجب العلم لجواز الخطأ عليه بلا خلاف سواء كانوا أمراء السرايا، أو العلماء. و قوله: «يَسْتَنْبِطُونَهُ» قال ابن عباس، و أبو العالیه: معناه يتحسسونه. و قال الزجاج: يستخرجونه.

اللغة و الاعراب و المعنى:..... ص: ٢٧٣

و الاستنباط، و الاستخراج، و الاستدلال، و الاستعلام، و نظائر، و أصل الاستنباط الاستخراج. يقال لكل ما استخراج حتى تقع عليه رؤية العين، أو معرفة القلب: قد استنبط. و النبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما يحفر. و انبط فلان أى استنبط الماء من طين حر. و منه اشتقاق النبط، لاستنباطهم العيون.

و الضمير في قوله: «منهم» يحتمل أن يعود إلى أحد أمرين:

أحدهما- و هو الأظهر انه عائد إلى أولى الامر. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٤

و الآخر- إلى الفرقة المذكورة من المنافقين، أو الضعفة.

و قوله: «وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ» معناه لو لا- اتصال مواد اللطاف من جهة الله، «لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» و قيل فيما وقع الاستثناء منه: أربعة أقوال:

أحدها- «لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» منكم، فانه لم يكن يتبع الشيطان.

و يكون الفضل هاهنا بالنبي (ص)، و القرآن- في قول الضحاك-، و هو اختيار الجبائي.

الثاني- لاتبعتم الشيطان إلا قليلا من الاتباع. و يكون الفضل على جملة اللطف، لأن ذلك لم يكن يزكوا به أحد منهم.

الثالث- قال الحسن، و قتادة. و ذكره الفراء، لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا.

الرابع- قال ابن عباس، و ابن زيد: أذاعوا به إلا- قليلا و هو اختيار الكسائي و الفراء و المبرد و البلخي و الطبري. و تقديره يستنبطونه منهم إلا قليلا.

قال المبرد: لأن العلم بالاستنباط في الناس أقل. و ليس كذلك الاذاعة. و غلط الزجاج النحويين في ذلك. و قال: كل هذه الأقوال

جائزة. و قال قوم حكاه الطبرى:

ان مخرجه الاستثناء. و هو دليل الجمع، و الاحاطة. و المعنى انه لو لا فضل الله لم ينج أحد من الضلالة. فجعل قوله: «إلا قليلاً» دليل على الاحاطة كما قال الطرمح يمدح يزيد بن المهلب:

قليل المثالب و القادحة (١)

و المعنى انه لا مثالب.

(١) ديوانه: ١٣٩ و صدره:

أشم كثير يدى النوال يدى - بضم الياء و كسر الدال و تشديد الياء - أو - بفتح الياء و كسر الدال و تشديد الياء - جمع (يد).
التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٥

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٤]..... ص: ٢٧٥

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)
- آية بلا خلاف -

هذا خطاب للنبي (ص) خاصة أمره الله أن يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه.

و قوله: «لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ» و معناه لا- تكلف إلا- فعل نفسك، لأنه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك، و ليس المراد لا يأمر أحداً بالجهاد. و انما أراد ما قلناه ألا ترى أنه قال «وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ» على القتال يعنى حثهم على الجهاد. و فى ذلك دلالة على أنه لا يجوز أن يؤخذ الله الأطفال بكفر آبائهم و يؤيده قوله: «وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» لأن مفهوم هذا الكلام أنه لا يجوز أن تؤخذ بذنب غيرك. و الفاء فى قوله: «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- أن يكون جواباً لقوله: (و من يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) «١» هكذا ذكره الزجاج، لأنه محمول على المعنى من حيث دل على معنى إن أردت الفوز، فقاتل.

الثانى- أن يكون متصلاً بقوله: «وَ مَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» «٢» فقال فى سبيل الله. كذا ذكره الزجاج و وجهه لاحظ لك فى ترك القتال فتركه، ثم وضع فقاتل موضع فتركه. و قوله: «وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ» معناه حثهم «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ» قال الحسن، و البلخي، و الزجاج: إن (عسى) من الله واجب و وجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز و انما الاطماع تقوية أحد الامرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ فى الجواز. و خرج (عسى) فى هذا من معنى الشك

(١) سورة النساء آية: ٧٤.

(٢) سورة النساء آية: ٧٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٦

كخروجها فى قول القائل: أطع ربك فى كل ما أمرك به، و نهاك عنه عسى «١» ان تفلح بطاعتك. و معنى «أَنْ يَكْفِيَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا» ان يمنع شدة الكفار، ثم قال: «وَ اللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا» فالبأس: الشدة «٢» فى كل شىء و معنى التنكيل قال الحسن، و قتادة: هو العقوبة. و قال أبو على الجبائى: هو الشدة بالأمور الفاضحة «٣» و نكل به، و شوه به، و ندد به نظائر. و أصله النكول: و هو الامتناع للخوف. نكل عن اليمين، و غيرها ينكل نكولا. و النكال: ما يمتنع به من الفساد خوفاً من مثله من العذاب. و النكل القيد.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٥]..... ص: ٢٧٦

إشارة

مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (٨٥)
- آية -.

المعنى واللغة: ص: ٢٧٦

قيل في معنى الشفاعة هاهنا قولان:

أحدهما- قال أبو علي: الشفاعة الحسنه: الدعاء للمؤمنين. و الشفاعة السيئه:

الدعاء عليهم، لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله تعالى عليه. و قال الحسن، و مجاهد، و ابن زيد: الشفاعة هي مسألة الإنسان في صاحبه أن يناله خير بمسألته.

و قال الازهرى معنى «مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً» من يزد عملاً إلى عمل. و الشفع:

الزيادة. سئل تغلب عن اشتقاق الشفاعة، فقال: الزيادة و هو أن يشفعك في ما تطلبه حتى تضمنه إلى ما عندك، فتشفعه أى تزيده بها إن كان واحداً، فضممت إليه ما زاد صار شفعاً.

(١) (عسى) ساقط من المطبوعه.

(٢) في المطبوعه (الشهرة) بدل (الشده) و هو تحريف.

(٣) في المخطوطه (بالأمر القاصم).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٧

و عندنا ان حقيقة الشفاعة هي المسألة في إسقاط الضرر. و انما تستعمل في مسألة المنافع مجازاً، لأن أحداً لا يقول: إنا نشفع في النبي (ص) إذا سألنا الله أن نزيد في كراماته، و لو كان الامر على ما قاله الحسن، و مجاهد، لكننا شافعين فيه. و وجه اتصال هذا الكلام بما تقدم، انه لما قيل «لا تَكْلُفُ إِلَّا نَفْسَكَ» عقب ذلك بان لك مع هذا في دعاء المؤمنين إلى الحق ما للإنسان في شفاعة صاحبه بخير يصل إليه، لثلاثيهم ان العبد من أجل انه لا يؤخذ بعمل غيره، لا يتريد فعله بعمل غيره.

الثاني - ان الشفاعة تصير الإنسان شفعاً لصاحبه في جهاد عدوه من الكفار.

و الكفل: قال الحسن، و قتادة:

هو الوزر، و هو قول أبي جعفر (ع).

و قال السدى، و الربيع، و ابن زيد: هو النصيب. و منه قوله: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» و أصل الكفل «١»: المركب الذي يهيا كالسرج للبعير من كساء، أو خرق أو نحوه حول السنام. و انما قيل كفل، و اكتفل البعير، لأنه لم يستعمل الظهر كله. و انما استعمل نصيب منه. و قال الازهرى: الكفل الذي لا يحسن ركوب الفرس. و أصله الكفل: و هو ردف العجز. و منه الكفالة بالنفس، و بالمال. و الكفل المثل. و المقيت: قيل في معناه خمسة أقوال.

قال السدى، و ابن زيد، و الكسائي: هو المقتدر.

و الثاني - قال ابن عباس، و اختاره الزجاج: إنه الحفيظ.

و الثالث - قال مجاهد: هو الشهيد.

و الرابع- المقيت: الحسيب عنه.

و الخامس- قال الجبائي: هو المجازي كأنه قال: و كان الله على كل شيء من الحسنات، و السيئات مجازياً. و أصل المقيت: القوت، قاته يقوته قوتاً: إذا أعطاه ما يمسك رمقه. و المقيت: المقتدر لاقتداره على ما يمسك رمقه. يقال منها قات الرجل يقيت اقاته حكاة الكسائي و ينشد للزبير بن عبد المطلب عم النبي (ص):

(١) في المطبوعة (و أهله) بدل (و أصل).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٨

و ذى ضغن كفت النفس عنه و كنت على مساءته مقيتاً (١)

فهذه لغة قريش. و قال كثير:

و ما ذاك عنها عن نوال اناله و لا اننى منها مقيت على ود

أى مقتدر فأما قول اليهودى:

ألى الفضل أم على إذا حو سبت انى على الحساب مقيت (٢)

قيل: و معناه موقوف. أى كما ان من يحتاج إلى القوت موقوف على سد خلته. و يحتمل معنى مقيت أى مقتدر على الحساب بتوجيهه إلى انه لى أو على بحسب عملى. و قال ابن كثير: المقيت الواصب و هو القائم على كل شيء بالتدبير. و أقوى الوجوه معنى المقتدر بدلالة البيت الذى للزبير بن عبد المطلب.

قوله تعالى:

[سورة النساء (٤): آية ٨٦]..... ص: ٢٧٨

وَ إِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ فَاَحْسِنُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦)

- آية بلا خلاف-

هذا خطاب من الله تعالى لجميع المكلفين، يأمرهم إذا دعى لهم انسان بطول الحياة، و البقاء و السلامة، ان يحيوهم بأحسن من ذلك أو يردوا عليهم مثله. قال النحويون. أحسن هاهنا صفة لا- ينصرف، لأنه على وزن افعل و هو صفة لا تنصرف و المعنى حيوا بتحية أحسن منها. و التحية: مفعلة من حيت. و معناها هاهنا السلام قال السدى: و ابن جريج و عطاء، و ابراهيم: إنه إذا سلم عليك واحد من المسلمين، فسلم عليه بأحسن، مما سلم عليك. أو رد عليه مثل ما قال. و ذلك إذا قال السلام عليك، فقل أنت و عليك السلام و رحمة الله أو تقول كما قال لك. و قال قتادة، و ابن عباس، و وهب: فحيوا بأحسن منها أهل الإسلام، أو ردوها على أهل الكفر

(١) البيت مختلف فى نسبته فقليل انه لابی قيس بن رفاعه. و قيل لاحيحه بن الجلاح الانصارى. اللسان (قوت و طبقات فحول الشعراء:

٣٤٣-٢٤٣ و الدر المنثور ٢: ١٨٨. [...])

(٢) ديوانه: ١٤ و الاصمعيات: ٨٥ و مجاز القرآن ١: ١٣٥ و طبقات فحول الشعراء:

٢٣٧. و اللسان (قوت).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٧٩

و الاول أقوى، لأنه

روى عن النبي (ص)، انه قال: إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا و عليكم.

وقال الحسن، وجماعة من متقدمي المفسرين: إن السلام تطوع.

و الرد فرض، لقوله: «وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها» وذلك أمر يقتضى الإيجاب.

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا» قيل فى معنى الحسيب قولان:

أحدهما- قال مجاهد: وابن أبى نجیح: معنى حسيب حفيظ وقال قوم:

معناه هاهنا من قولهم: احسبني الشيء يحسبني احساباً بمعنى كفانى. ومنه قولهم:

حسبى كذا وكذا أى كفانى. وقال بعضهم: الحسيب فى هذا الموضوع فعيل من الحساب الذى هو بمعنى الإحصاء يقال منه: حاسبت

فلاناً على كذا وكذا وهو حسيبه وذلك إذا كان صاحب حسابه. قال الزجاج: معناه يعطى كل شىء من العلم والحفظ والجزاء

مقدار ما يحسبه أى يكفيه. ومنه قوله: «عطاء حساباً» (١) أى كافياً. وسمى الحساب حساباً، لأنه يعلم به ما فيه الكفاية

و ذكر الحسن:

انه دخل على النبي (ص) رجل، فقال: السلام عليكم، فقال النبي (ص): و عليك السلام و رحمه الله، ثم دخل آخر فقال: السلام

عليكم و رحمه الله، فقال النبي (ص):

و عليك السلام و رحمه الله، و بركاته، ثم دخل آخر فقال: السلام عليكم و رحمه الله، و بركاته، فقال النبي (ص): و عليك السلام و

رحمة الله و بركاته. قال بعضهم يا رسول الله كيف هذا فقال النبي (ص) الأولان بقيا من التحية بقية فرددتها.

و هذا لم يبق منها شيئاً فرددت عليه ما قال

«٢» .

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ٨٧]..... ص: ٢٧٩

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)

- آية بلا خلاف-

(١) سورة النبأ: آية ٣٦.

(٢) فى المطبوعة سقط فظيع فى هذا الحديث و قد أثبتنا ما فى المخطوطة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٠

قد بينا فيما تقدم معنى الله. و هو الذى تحق له العبادة. و انه من كان قادراً على خلق اصول النعم التى يستحق بها العبادة. و ليس هو

عبارة عن يستحق العبادة، لأنه لو كان كذلك، لما كان تعالى إلهاً فيما لم يزل. و إذا ثبت انه موصوف به فيما لم يزل، دل على ان

المراد ما قلناه. و إذا ثبت ذلك، فقد بين تعالى بهذه الآية انه لا يستحق العبادة سواه. و قوله: «لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» اللام فى

ليجمعنكم لام القسم كقولك: و الله ليجمعنكم. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ليعتدكم من بعد مماتكم، و يحشركم جميعاً إلى موقف الحساب الذى يجازى فيه كلا بعمله، و يقضى فيه بين أهل طاعته.

و معصيته.

الثانى- قال الزجاج: معناه ليجمعنكم فى الموت و فى قبوركم. و قوله:

«لَا رَيْبَ فِيهِ» معناه لا شك فيما أخبركم به. من قوله: انى جامعكم يوم القيامة.

و قيل فى تسمية ذلك اليوم بالقيامة قولان:

أحدهما- لأن الناس يقومون من قبورهم.

الثانى - انهم يقومون للحساب. قال الله تعالى «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (١) و قوله: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» تقرير فى صورة الاستفهام ومعناه لا أحد أصدق من الله فى الخبر الذى يخبر به من حيث لا يجوز عليه الكذب فى شىء من الأشياء، لأنه لا يكذب إلا محتاج يجتلب به نفعاً، أو يدفع به ضرراً.

وهما يستحيلان عليه تعالى. فإذا استحيل عليه الكذب. وانما يجوز ذلك على من سواه. فلذلك كان تعالى أصدق القائلين. و نصب حديثاً على التمييز كما تقول: من أحسن من زيد فهما أو خلقاً؟

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٨٨]..... ص: ٢٨٠

إشارة

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَمْ تُلِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨)

(١) سورة المطففين: آية ٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨١

- آية بلا خلاف -

المعنى والنزول:..... ص: ٢٨١

خاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين، فقال: ما شأنكم أيها المؤمنون فى أهل النفاق فرقتين مختلفتين «وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا» يعنى بذلك و الله ردهم إلى أحكام أهل الشرك فى اباحة دمائهم، و سبى ذراريهم «بِمَا كَسَبُوا» يعنى بما كذبوا الله و رسوله، و كفروا بعد إسلامهم. و الإركاس و الرد. و منه قوله أمية بن أبى الصلت:

فاركسوا فى حميم النار انهم كانوا عصاة و قالوا الافك و الزور «١»

قال الفراء: يقال منه أركسهم، و ركسهم و قد ذكر أنا فى قراءة عبد الله و أبى «وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ» بغير الف. و فىمن نزلت هذه الآية قيل فيه خمسة أقوال:

أحدها - قال قوم نزلت فى اختلاف أصحاب رسول الله (ص) فى الذين تخلفوا عن رسول الله يوم أحد، و انصرفوا إلى المدينة. و قالوا لرسول الله و أصحابه لو نعلم قتالا لاتبعناكم. ذكر ذلك زيد بن ثابت.

و الثانى -

قال مجاهد، و أبو جعفر (ع)، و الفراء: إنها نزلت فى اختلاف كان بين أصحاب رسول الله (ص) فى قوم كانوا قدموا المدينة من مكة، و أظهروا للمسلمين أنهم مسلمون، ثم رجعوا إلى مكة، لأنهم استوخموا المدينة، و أظهروا لهم الشرك، ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة. فأراد المسلمون أن يأخذوهم و ما معهم فاختلفوا. و قال قوم: لا نفعل ذلك «٢» لأنهم مؤمنون. و قال آخرون: هم مرتدون. فأنزل الله فيهم الآية.

الثالث - قال ابن عباس، و قتادة، و الضحاك: بل كان اختلافهم فى قوم

(١) ديوانه: ٣٦، و هو هكذا:

اركسوا فى جهنم أنهم كانوا عتاة تقول إفكا و زورا

و هو في الدر المنثور ٢: ١٩١ هكذا:

اركسوا في جهنم انهم كانوا عتاة يقولوا ميناً و كذبا و زورا
(٢) في المطبوعة (ذلك) ساقطة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٢

من أهل الشرك كانوا أظهروا الإسلام بمكة، و كانوا يعينون المشركين على المسلمين، فقال قوم: دماؤهم، و أموالهم حلال و قال آخرون: لا بل هو حرام.

الرابع- قال السدي نزلت في قوم كانوا بالمدينة أرادوا الخروج عنهم نفاقا.

و قالوا للمؤمنين أصابنا جذب و خصاصة نخرج إلى الظهر حتى نتمايل، و نرجع، فقال قوم: هم منافقون. و قال آخرون: هم مؤمنون. و الخامس- قال ابن زيد: بل نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله في قصة أهل الافك عبد الله بن أبي، و أصحابه، لما تكلموا في عائشة.

الاعراب:..... ص: ٢٨٢

و قوله: (فتين) يحتمل نصبه أمرين:

أحدهما- قال بعض البصريين هو نصب على الحال كقولك: مالك قائماً.

و معناه مالك في حال القيام. و قال الفراء: هو نصب على فعل ما لكم و لا ينافي «١» كان المنصوب في مالك: معرفة، أو نكرة. و يجوز أن تقول مالك السائر معنا، لأنه كالفعل الذي ينصب بكان، و أظن، و ما أشبههما قال: و كل موضع صلحت فيه فعل و يفعل من المنصوب، جاز نصب المعرفة، و النكرة. كما تنصب كان و أظن، لأنهما نواقص في المعنى. و ان ظننت انهن تامات. و اختلفوا في معنى اركسهم، فقال ابن عباس: معناه ردهم. و في رواية أخرى عنه: أوقعهم. و قال قتادة:

اهلكهم [و قال السدي: معناه أضلهم بما كسبوا. و معناه أيضاً اهلكهم «٢» و قوله: (أ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) معناه أ تريدون أيها المؤمنون أن تهتدوا إلى الإسلام من أضله الله. و يحتمل معنيين: أحدهما- أن من وجده الله ضالاً، و سماه بأنه ضال، و حكم به من حيث ضل بسوء اختياره.

(١) في المطبوعة (تبالى) بدل (ينافى).

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٣

و الثاني- أضله الله بمعنى خذله. و لم يوفقه كما وفق المؤمنين، لأنهم لما عصوا و خالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم، فيريدون الدفاع عن قتالهم مع ما حكم الله بضلالهم و خذلانهم. و قال الجبائي: المعنى و من يعاقبه الله على معاصيه، فلا تجد له طريقاً إلى الجنة. و طعن على الأول من قول البغداديين ان المراد به التسمية، و الحكم بأن قال: لو أراد ذلك، لقال: و من ضلل الله و هذا ليس بشيء، لأنهم يقولون: أكفرتهم و كفرته، و أكرمتهم و كرمته: إذا سميته بالكفر أو الكرم قال الكمي:

فطائفه قد أ كفروني بحبكم و طائفه قالوا مسيء و مذنب «١»

و يحتمل أن يكون المراد وجدهم ضلالاً، كما قال الشاعر:

هبوني امرأ منكم أضل بعيره

أى وجده ضالاً، ثم قال لهم أ ليس الله قال «و يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» «٢» أ ترى أراد ان الشيطان يخلق فيهم الضلالة؟

بل انما أراد يدعوهم إليها و لا خلاف أن الله تعالى لا يدعو إلى الضلالة، و يقوى قول من قال: المراد به التسمية. قوله: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» و انما أراد ان تسموهم مهتدين لأنهم كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فحينئذ رد الله عليهم، فقال: لا تختلفوا في هؤلاء، و قولوا بأجمعكم: إنهم منافقون. و لم يكونوا يدعونهم إلى الايمان، فخالفهم أصحابهم، فعلم ان الصحيح ما قلناه، ثم أخبر الله تعالى فقال: «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ» يعنى من خذله «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» يا محمد و لا طريقاً. و من قال من المجبرة: إن قوله: «أَزَكَيْتَهُمْ بِمَا كَسَبُوا» يدل على أنه أوقعهم فى النفاق. فقولهم باطل، لأنه قال: بما كسبوا، فبين انه فعل بهم ذلك على وجه الاستحقاق. و ذلك لا يليق إلا بما قدمناه، لأنه لو أوقعهم فى النفاق «٣» لمعصية تقدمت، لكان يجب أن

(١) خزائن الأدب ٤: ٢٣٦.

(٢) سورة النساء: آية ٥٩.

(٣) فى النفاق) ساقط من المطبوعه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٤

يكون أوقعهم فيها لمعصية أخرى. و ذلك يؤدى إلى ما لا يتناهى أو ينتهى إلى معصية ابتدأهم بها و ذلك ينافى قوله: «بِمَا كَسَبُوا» و الفئة الفرقة من الناس.

مأخوذ من فأيت رأسه إذا شققته و الفأو: الشعب من شعاب الجبل. و الركس:

الرد إلى الحالة الاولى. و منه قيل للعدرة، و الروث: ركس.

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ٨٩]..... ص: ٢٨٤

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)

- آية- أخبر الله تعالى فى هذه الآية عن هؤلاء المنافقين أنهم يودون و يتمنون أن تكفروا أى تجحدوا و حدانية الله تعالى و تصديق نبيكم كما جحدوا، هم «فَتَكُونُونَ سَوَاءً» يعنى مثلهم كفاراً تستون أنتم، و هم فى الكفر بالله، ثم نهاهم أن يتخذوا منهم أولياء، و يستنصحوهم، بل ينبغى أن يتهموهم، و لا- ينتصحوهم، و لا- يستنصروهم، و لا- يتخذوا منهم ولياً ناصرًا، و لا- خليلاً مضافاً «حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و معناه حتى يخرجوا من دار الشرك. و يفارقوا أهلها المشركين «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى فى ابتغاء دين الله. و هو سبيله، فيصيروا عند ذلك مثلكم، لهم مالكم، و عليهم ما عليكم- و هو قول ابن عباس- ثم قال: «فَإِنْ تَوَلَّوْا» يعنى هؤلاء المنافقين عن الإقرار بالله، و رسوله، و عن الهجرة من دار الشرك، و مفارقة أهله «فَخُذُوهُمْ» أيها المؤمنون «وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» أى أصبتموهم من أرض الله.

«وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» يعنى و لا- تتخذوا منهم خليلاً- و لا و لا ناصراً ينصركم على أعدائكم- و هو قول ابن عباس و السدى-

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٥

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ٩٠]..... ص: ٢٨٥

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفُوا بِكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)

- آية بلا خلاف -.

لما أمر الله تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك حيث وجدوهم، و ألا يتخذوا منهم ولياً و لا نصيراً استثنى من جملتهم من وصل منهم إلى قوم بينكم و بينهم مودعة، و عهد و ميثاق، فدخلوا فيهم و صاروا منهم. و رضوا بحكمهم فان لمن وصل إليهم و دخل فيهم راضياً بحكمهم حكمهم في حقن دمائهم بدخوله فيهم. و المعنى بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ» بنو مدلج، و كان سراقه بن مالك بن جعشم «١» المدلجي جاء إلى النبي (ص) بعد أحد، فقال له: أنشدك الله و النعمة.

و أخذ منه ألا يغزو قومه، فان أسلمت قريش أسلموا، لأنهم كانوا في عقد قريش، فحكم الله فيهم ما حكم في قريش، و حرم منهم ما حرم منهم، ففيهم نزلت هذه الآية - على ما ذكره بن شبة -.

و قال أبو جعفر (ع) قوله تعالى: «إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» قال: هو هلال بن عويمر السلمى. و اثنى عن قومه ألا تخفيف يا محمد من أتاك و لا نخيف من أتنا.

و بمثل هذا التأويل قال السدى، و ابن زيد، و عكرمة و قال أبو عبيدة «يصلون» بمعنى ينتسبون إليهم. و العرب تقول قد اتصل الرجل: إذا انتمى إلى قوم و قال الأعشى يذكر امرأة انتسبت إلى قومها:

إذا اتصلت قالت: أ بكر بن وائل و بكر سبتها و الأنوف رواغم «٢»

و قد ضعف هذا الجواب، لأن تعيين الانتساب لو أوجب أن يكون حكم

(١) في المخطوطة (ابن جعشم) و في مجمع البيان (ابن خثعم) و قد أثبتنا ما في المطبوعة و الطبرى و اكثر التفاسير، و كتب الرجال.

(٢) ديوانه: ٨١ رقم القصيدة ٩. و مجاز القرآن ١: ١٣٦، و اللسان (وصل).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٦

المنتسب حكم من انتسب إليه ممن بينهم و بينهم ميثاق، لوجب ألا يقاتل النبي (ص) قريشاً، لما بينهم و بين المؤمنين من الانتساب. و حرمة الايمان أعظم من حرمة المودعة. فان قيل: هذه الآية منسوخة قيل: لعمري إنها منسوخة لكن لا خلاف أنها نسخت بقوله في سورة براءة «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و براءة نزلت بعد فتح مكة، فكان يجب ألا يقاتل قريشاً على دخول مكة و قد علمنا خلافه و قوله: «أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ»

قال عمر بن شبة يعنى به أشجع فإنهم قدموا المدينة في سبعمائه يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج إليهم النبي (ص) أحمال التمر ضيافة. و قال: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة. و قال لهم: ما جاءكم قالوا:

قربت دارنا منك، و كرهنا حربك، و حرب قومنا، يعنون بنى ضمرة الذين بينهم و بينهم عهد لقلتنا فيهم، فنزلت الآية.

و قوله: «جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» معناه قد حصرت، لأنه في موضع الحال و الماضى إذا كان المراد به الحال قدر معه قد، كما يقولون: جاء فلان، و ذهب عقله. و المعنى قد ذهب عقله. و سمع الكسائى من العرب من يقول: أصبحت نظرت إلى ذات التنانير بمعنى قد نظرت.

و انما جاز ذلك، لأن قد تدنى الفعل من الحال. و قرأ الحسن، و يعقوب «حصرة صدورهم» منصوباً على الحال. و أجاز يعقوب الوقف بالهاء. و هو صحيح فى المعنى و قراءة القراء بخلافه. و معنى «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» ضاقت عن أن يقاتلوا قومهم و كل من ضاقت نفسه عن شىء من فعل أو كلام يقال: قد حصر. و منه الحصر فى القراءة و ما قلناه معنى قول السدى و غيره.

و قوله: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ» مثل قوله: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ» «١» و معناه الاخبار عن قدرته على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك، بل يلقي فى قلوبهم الرعب حتى يفزعوا، و يطلبوا المودعة، و يدخل بعضهم فى حلف من بينكم و بينهم ميثاق و فى ذمتهم، ثم قال: «فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ» يعنى هؤلاء الذين أمرنا بالكف عن قتالهم من المنافقين بدخولهم فى أهل عهدكم أو بمصيرهم

إليكم

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٠. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٧

«حَصْرَتْ صِدُورُهُمْ»، فلم يقا تلوكم «وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يعنى صالحوكم، واستسلموا، كما يقول القائل: أعطيتك قيادى و ألقيت إليك خطامى إذا استسلم له و انقاد لأمره، فكذلك قوله: «وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يريد به الصلح و قال أكثر المفسرين: البلخى و الطبرى و الجبائى، و غيرهم: إن المراد به الإسلام. قال الطرماح:

و ذاك ان تميما غادرت سلما للأسد كل حصان و عثه اللبد «١»

يعنى استسلاماً. و قال: «فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا» يعنى إذا استسلموا لكم فلا طريق لكم على نفوسهم، و أموالهم. قال الربيع: السلم ها هنا الصلح، ثم نسخ ذلك بقوله: «فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «٢» الآية. و به قال عكرمه و الحسن قالـاـ نسخت هذه الآية إلى قوله: «سُلْطَانًا مُّبِينًا» و قوله: فى الممتحنة: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم» إلى قوله: «الظالمون» «٣» نسخت هذه الأربع آيات بقوله: فى براءة الآية التى تلونها، و به قال قتادة و ابن زيد:

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩١]..... ص: ٢٨٧

إشارة

سَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُواكُمْ وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُزُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُواكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فخذوهم و اقتلوهم حيث تقفتموهم و أولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً (٩١) - آية بلا خلاف-

النزول:..... ص: ٢٨٧

قيل فى الذين نزلت فيهم هذه الآية ثلاثة أقوال:

(١) ديوانه: ١٤٥ من قصيدته التى هجا بها الفرزدق الحصان: المرأة العفيفة. و عثه:

كثيرة اللحم لبدة- بكسر فسكون- كساء يفرش للجلوس عليه.

(٢) سورة التوبة: آية ٦.

(٣): آية ٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٨٨

أحدها- قال ابن عباس، و مجاهد: نزلت فى ناس كانوا يأتون النبى (ص) فيسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش، و يرتكسون فى الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ها هنا و ها هنا، فأمر الله بقتالهم إن لم يعتزلوا، و يصلحوا.

الثانى- قال قتادة: نزلت فى حى كانوا بتهامة قالوا: يا نبى الله لا نقاتلك، و لا نقاتل قومنا. و أرادوا أن يأمنوا قومهم و يأمنوا نبى الله فأبى الله عليهم ذلك.

فقال: «كُلَّمَا رُزُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ» يعنى إلى الكفر «أُرْكَسُوا فِيهَا» يعنى وقعوا فيها.

الثالث- قال السدي: نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي، و كان يأمن في المسلمين بنقل الحديث بين النبي (ص)، و المشركين، فنزلت هذه الآية، و قال مقاتل: نزلت في أسد و غطفان.

المعنى:..... ص: ٢٨٨

و قال أبو العالیه معنی قوله: «كُلَّمَا رُذُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا» یعنی كلما ابتلوا بها عموا فيها. و قال قتادة: كلما عرض لهم بلاء هلکوا فيه. و الفتنة فی اللغة هي الاختبار. و الإركاس: الرجوع. فمعنى الكلام كلما ردوا إلى الاختبار، ليرجعوا إلى الكفر و الشرك رجعوا إليه. و قوله: «فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَ يَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَ يَكْفُفُوا أَيْدِيَهُمْ» معناه و ان لم يعتزلوكم أيها المؤمنون هؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم و هم كلما دعوا إلى الشرك أجابوا إليه.

«وَ يَلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ» یعنی و لم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة و يصلحوكم و يكفوا أيديهم عن قتالكم «فَخَذُوهُمْ وَ أَقْتَلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ» یعنی حيث أصبتموهم. ثم قال: «وَ أَوْلِيكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا» یعنی حجة ظاهرة. و قال السدي، و عكرمة: السلطان الحجة.

و قال أبو علي: نزلت في قوم كانوا يظهرون الإسلام، فإذا اجتمعوا مع قريش أظهروا لهم الكفر. و هو قوله: «كُلَّمَا رُذُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ» یعنی الكفر (أُرْكَسُوا فِيهَا) بمعنى وقعوا فيها، فما داموا مظهرين للإسلام و كافين عن قتال المسلمين، فلا التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص:

٢٨٩

يتعرض لهم. و متى لم يظهروا الإسلام، و جب قتالهم على ما ذكره الله، ثم قال قوم:
الآية منسوخة و ان من لم يحارب مع المؤمنين، و جب قتاله. و اختار هو أنها غير منسوخة. قال: لأنه لا دليل على ذلك.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩٢]..... ص: ٢٨٩

إشارة

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)
- آية بلا خلاف -.

المعنى و الاعراب:..... ص: ٢٨٩

قوله: «وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً» معناه لم يأذن الله، و لا أباح لمؤمن أن يقتل مؤمناً فيما عهده إليه، لأنه لو أباحه و أذن فيه ما كان خطأ.

و التقدير إلا أن يقتله خطأ، فان حكمه هكذا على ما ذكر. فذهب إلى هذا قتادة و غيره.

و قوله: «إلا خطأ» استثناء منقطع- في قول أكثر المفسرين- و تقديره إلا أن المؤمن قد يقتل المؤمن من خطأ، و ليس ذلك مما جعل الله له، و مثله قول الشاعر:

من البيض لم تظعن بعيداً و لم تطأ على الأرض إلا ريط برد مرجل «١»

و المعنى لم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد، و ليس ذيل البرد من الأرض.

(١) قائله جرير ديوانه: ٤٥٨، و النقائض: ٧٠٦، و مجاز القرآن ١: ١٣٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٠

و قد ذكرنا لذلك نظائر فيما مضى، و لا نطول بإعادتها. و تقدير الآية: إلا أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ و ليس ذلك مما جعل الله له. و قال قوم: الاستثناء متصل و المعنى: لم يكن للمؤمن أن يقتل متعمداً مؤمناً. و متى قتله متعمداً لم يكن مؤمناً فان ذلك يخرج من الايمان، ثم قال: «إلا خطأ» و معناه إن قتله له خطأ لا يخرج من الايمان. ثم أخبر تعالى بحكم من قتل من المؤمنين مؤمناً خطأ، فقال: «وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ». و معناه فعليه تحرير رقبته مؤمنة. يعنى مظهره للايمان و ظاهر ذلك يقتضى أن تكون بالغة ليحكم لها بالايمان و ذلك في ماله خاصة.

«وَدِيَةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ» تؤديها عنه عاقلته إلى أولياء المقتول إلا أن يصدق أولياء المقتول حينئذ تسقط عنهم. و موضع (أن) من قوله: «إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا» نصب، لأن المعنى فعليه ذلك إلا أن يصدقوا

النزول:..... ص: ٢٩٠

و قيل: إن الآية نزلت في عياش ابن أبي ربيعة المخزومي: أخى أبى جهل، لأنه كان أسلم، و كان قد قتل رجلاً مسلماً بعد إسلامه، و هو لا يعلم بإسلامه. و هذا قول مجاهد، و ابن جريج، و عكرمة، و السدى. و قالوا: المقتول هو الحارث بن يزيد بن أبى نبيشة العامري. و لم يعلم أنه اسلم، و كان أحد من رده عن الهجرة، و كان يعذب عياشاً مع أبى جهل، قتله بالحرّة بعد الهجرة. و قيل: قتله بعد الفتح و قد خرج من مكة و هو لا يعلم بإسلامه. و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع).

و قال ابن زيد: نزلت في رجل قتله أبو الدرداء، كان في سرية فعدل أبو الدرداء إلى شعب يريد حاجه، فوجد رجلاً من القوم في غنم له، فحمل عليه بالسيف فقال:

لا إله إلا الله! فبدر فضربه ثم جاء بغنمه إلى القوم ثم وجد في نفسه شيئاً فأتى رسول الله (ص) فذكر ذلك له، فقال له النبي (ص): ألا شققت عن قلبه فقال:

ما عسيت أن أجد! هل هو إلا دم أو ماء؟ فقال النبي (ص) فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بى يا رسول الله؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله؟ قال فكيف بى التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩١

يا رسول الله؟ قال: و كيف بلا إله إلا الله؟! حتى تمنيت أن يكون ذلك اليوم مبتداً إيماني، ثم نزلت هذه الآية و الذى ينبغى أن يعول عليه ان ما تضمنته الآية حكم من قتل خطأ و يجوز في سبب نزول الآية كل واحد مما قيل.

المعنى:..... ص: ٢٩١

و قال ابن عباس، و الشعبي، و ابراهيم، و الحسن، و قتادة: الرقبة المؤمنة لا تكون إلا بالغة قد آمنت و صامت وصلت. فأما الطفل فانه لا يجزى و لا الكافر.

و قال عطاء: كل رقبة ولدت في الإسلام فهي تجزى. و الاول أقوى، لأن المؤمن على الحقيقة لان يطلق إلا على بالغ عاقل مظهر للايمان ملتزم لوجوب الصوم و الصلاة، إلا أنه لا خلاف أن المولود بين مؤمنين يحكم له بالايمان، فبهذا الإجماع ينبغى أن يجزى في كفارة قتل الخطأ.

و أما الكافرة و المولود بين كافرين فانه لا يجزى بحال.

و الدية المسلمة الى أهل القتل هي المدفوعة إليهم موفرة غير منتقصة حقوق أهلها منها «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» معناه يتصدقوا فأدغمت التاء في الصاد لقرب مخرجها و في قراءة أبي «إِلَّا أَنْ يَتَصَدَّقُوا» .

وقوله: «فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» يعنى إن كان هذا القتل الذى قتله المؤمن من خطأ من قوم هم أعداء لكم مشركون و هو مؤمن، فعلى قاتله تحرير رقبته مؤمنة. و اختلفوا فى معناه، فقال قوم: إذا كان القتل فى عداد قوم أعداء و هو مؤمن بين أظهرهم لم يهاجر، فمن قتله فلا دية له.

و عليه تحرير رقبته مؤمنة، لأن الدية ميراث، و أهله كفار لا يرثونه. هذا قول ابراهيم، و ابن عباس، و السدى، و قتادة، و ابن زيد، و ابن عياض. و قال آخرون:

بل عنى به أهل الحرب من يقدم دار الإسلام فيسلم ثم يرجع إلى دار الحرب إذا مر بهم جيش من أهل الإسلام فهرب قومه و أقام ذلك المسلم فيهم فقتله المسلمون، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٢
و هم يحسبونه كافراً. ذكر ذلك عن ابن عباس فى رواية أخرى.

وقوله: «وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» و معناه إن كان القتل الذى قتله المؤمن خطأ من قوم بينكم و بينهم أيها المؤمنون ميثاق أى عهد و ذمة و ليسوا أهل حرب لكم «فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ» تلزم عاقله قاتله. و تحرير رقبته على القاتل كفارة لقتله. و اختلفوا فى صفة هذا القتل الذى هو من قوم بيننا و بينهم ميثاق أ هو مؤمن أم كافر؟ فقال قوم: هو كافر إلا أنه يلزم قاتله دية، لأن له و لقومه عهداً. ذهب إليه ابن عباس، و الزهرى، و الشعبى، و ابراهيم النخعى، و قتادة، و ابن زيد. و قال آخرون:

بل هو مؤمن، فعلى قاتله دية يؤديها إلى قومه من المشركين، لأنهم أهل ذمة.

روى ذلك أيضاً عن ابراهيم و الحسن. و هو المروى فى أخبارنا.

إلا- أنهم قالوا: يعطى ديته و رثته المسلمون دون الكفار. و الميثاق هو العهد. و قد بيناه فيما مضى. و المراد هاهنا الذمة، و غيرها من العهود و به قال السدى و الزهرى، و ابن عباس و الخطأ هو ان تريد شيئاً فتصيب غيره. و هو قول ابراهيم، و أكثر الفقهاء. و الدية الواجبة فى قتل الخطأ مائة من الإبل ان كانت العاقلة من الإبل - بلا خلاف- و ان اختلفوا فى أسنانها فقاتل يقول. هى أربع: خمس و عشرون حقة، و خمس و عشرون جذعة، و خمس و عشرون ابنة مخاض، و خمس و عشرون بنت لبون. روى ذلك عن على (ع).

و قال آخرون: هى أخماس: عشرون حقة، و عشرون جذعة، و عشرون بنت لبون، و عشرون بنو لبون، و عشرون بنت مخاض.

و ينسب ذلك إلى ابن مسعود. و روى الأمرين معا أصحابنا. و قال قوم: هى أربع غير أنها ثلاثون حقة، و ثلاثون بنت لبون، و عشرون بنت مخاض، و عشرون بنو لبون. روى ذلك عن عثمان و زيد بن ثابت. قال الطبرى: هذه الروايات متكئة. و الاولى التخيير. و لا يحمل على العاقلة صلح، و لا اقرار، و لا ما كان دون الموضحة. و أما الدية من الذهب فألف دينار، و من الورق عشرة آلاف درهم.

و قال بعضهم: اثنتى عشر ألفاً و الاول عندنا هو الأصح. و دية عمد الخطأ مائة من التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٣

الإبل مغلظة اثلاثاً- و روى أربعاً- ثلث بنت لبون، و ثلث حقة، و ثلث جذعة.

و تستأدى فى سنين. و دية الخطأ فى ثلاث سنين. و دية العمد إذا تراضوا بها فى سنة. و أما دية أهل الذمة فقال قوم: هى دية المسلم سواء. ذهب إليه أبو بكر، و عثمان، و ابن مسعود، و ابراهيم، و مجاهد، و الزهرى، و عامر الشعبى، و اختاره الطبرى، و أبو حنيفة و أصحابه. و قال قوم: على النصف من دية المسلم. ذهب إليه عمرو بن شعيب رواه عن عمر بن الخطاب و به قال عمر بن عبد العزيز. و قال قوم:

هي على الثلث من دية المسلم ذهب إليه سعيد بن المسيب، و الشافعي غير أنها أربعة آلاف و اختلاف الفقهاء قد ذكرناه في الخلاف. و أما دية المجوسى فلا خلاف أنها ثمانمائة و كذلك عندنا دية اليهودى و النصرانى. «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَةَ يَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» يعنى فمن لم يجد الرقبة المؤمنة كفارة عن قتله المؤمن لاعتباره فعليه صيام شهرين متتابعين. و اختلفوا فى معناه: فقال قوم:

مثل ما قلناه ذهب إليه مجاهد. و قال آخرون: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» الدية فعليه. صوم الشهرين عن الدية و الرقبة. و تأويل الآية فمن لم يجد رقبة مؤمنة و لا دية يسلمها إلى أهلها فعليه صوم شهرين متتابعين، ذهب إليه مسروق و الاول هو الصحيح، لأن دية قتل الخطأ على العاقلة، و الكفارة على القاتل بإجماع الأمة على ذلك. و صفة التتابع فى الصوم أن يتابع الشهرين لا يفصل بينهما بإفطار يوم. و قال أصحابنا: إذا صام شهراً و زيادة ثم أخطأ و جاز له البناء.

و قوله: «تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» نصب على القطع. و معناه رجعة من الله لكم إلى التيسير عليكم بتخفيفه عنكم ما خفف عنكم من فرض تحرير الرقبة المؤمنة بإيجاب صوم الشهرين المتتابعين توبه «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» معناه لم يزل الله عليماً بما يصلح عبادة فيما يكلفهم من فرائضه حكيماً بما يقضى فيهم. و يدبره. و قال الجبائى انما قال: «تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» تعالى بهذه الكفارة التى يلتزمها بدرء عقاب القاتل. و ذمه لأنه يجوز أن يكون عاصياً فى السبب، و إن لم يكن عاصياً فى القتل من حيث أنه رمى فى موضع هو منهى عنه بأن يكون رجمة، و إن لم يقصد القتل و هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٤
ليس بشيء لأن الآية عامة فى كل قاتل خطأ، و ما ذكره ربما اتفق فى الآحاد.
و الزام دية قتل الخطأ العاقلة ليس هو مؤاخذه البرىء بالسقيم، لأن ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعى تابع للمصلحة. و لو خلىنا و العقل ما أوجبناه. و قيل: إن ذلك على وجه المواساة و المعاونة.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩٣]..... ص: ٢٩٤

إشارة

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)
- آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ٢٩٤

أخبر الله تعالى فى هذه الآية ان من يقتل مؤمناً متعمداً يعنى قاصداً إلى قتله ان جزاؤه جهنم خالداً فيها أى مؤبداً فى جهنم و غضب الله عليه. و قد بينا ان غضب الله هو ارادة عقابه، و الاستخفاف به. «و لعنه» معناه أبعد من ثوابه و رحمته «وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» يعنى لا- يعلمون قدر مبلغه لكثرتة و اختلفوا فى صفة قتل العمد، فعندنا أن من قصد قتل غيره بما يقتل مثله فى غالب العادة سواء كان بحديدة حادة كالسلاح أو مثقلة من حديد أو خنق أو سم أو إحراق أو تفريق أو موالات ضرب بالعصا حتى يموت أو بحجارة ثقيلة فان جميع ذلك عمد يوجب القود، و به قال ابراهيم، و عبيد بن عمير، و الشافعي، و أصحابه، و اختاره الطبرى. و قال قوم: لا يكون قتل العمد إلا ما كان بحديد. ذهب إليه سعيد ابن المسيب، و ابراهيم، و الشافعي فى رواية أخرى، و طاوس و أبو حنيفة و أصحابه غير أن عندنا أنه إذا قتله بغير حديدة فلا يستفاد منه إلا بحديدة. و قال الشافعي يستفاد منه بمثل ما قتل به. فأما القتل شبيه العمد فهو ان يضربه بعصا أو غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده، فإذا مات منه، كان شبيه العمد، و فيه الدية مغلظة فى مال القاتل خاصة لا يلزم العاقلة. و قد بينا اختلاف الفقهاء فى مسائل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٥

الخلافة في هذه المسألة. واستدل المعترضة بهذه الآية على أن مرتكب الكبيرة مخلد في نار جهنم، وأنه إذا قتل مؤمناً، فإنه يستحق الخلود، ولا يعفى عنه بظاهر اللفظ. ولما أن نقول: ما أنكرتم أن يكون المراد بالآية للكفار ومن لا- ثواب له أصلاً. فأما من هو مستحق للثواب، فلا يجوز أن يكون مراداً بالخلود أصلاً، لما بيناه فيما مضى من نظائره. وقد روى أصحابنا أن الآية متوجهة إلى من يقتل المؤمن لإيمانه، وذلك لا يكون إلا كافراً. وقال عكرمة، وابن جريج: إن الآية نزلت في انسان بعينه ارتد ثم قتل مسلماً، فانزل الله تعالى فيه الآية، لأنه كان مستحلاً لقتله. على أنه قد قيل: إن قوله: «خَالِدًا فِيهَا» لا يفهم من الخلود في اللغة إلا طول اللبث، فأما البقاء ببقاء الله، فلا يعرف في اللغة، ثم لا- خلافاً أن الآية مخصوصة بمن لا- يتوب، لأنه إن تاب فلا بد من العفو عنه إجماعاً، وبه قال مجاهد. وقال ابن عباس: لا توبة له ولا إذا قتله في حال الشرك ثم أسلم و تاب.

وبه قال ابن مسعود، وزيد بن ثابت والضحاك. ولا يعترض على ما قلناه قول من يقول ان قاتل العمد لا يوفق للتوبة، لأن هذا القول إن صح فإنما يدل على أنه لا يختار التوبة. ولا ينافي ذلك القول بأنها لو حصلت، لا زالت العقاب. وإذا كان لا بد من تخصيص الآية وإخراج التائبين عنها، جاز لنا أن نخرج منها من يتفضل الله عليه بالعفو على أن ظاهر الآية يتضمن أن جزاء جهنم فمن أين أن ذلك لا بد من حصوله، وان العفو لا يجوز حصوله؟ وهذا قول أبي مجلز وأبي صالح.

ولا يدفع ذلك قوله: «وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» لأن ذلك اخبار عن انه مستحق لذلك، فمن أين حصوله لا محالة؟ وقال الجبائي: الجزاء عبارة عما يفعل، وما لا يفعل لا يسمى جزاء. ألا ترى أن الأجير إذا استحق الاجرة على من استأجره، لا يقال في الدراهم التي مع المستأجر انها جزاء عمله؟

وانما يسمى بذلك إذا أعطاه إياها. وهذا ليس بشيء لأن الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل، أو لم يفعل الا ترى أنا نقول: جزاء من فعل الجميل أن يقابل عليه بمثله، وان كان ما فعل بعد؟ وانما يراد أنه ينبغي أن يقابل بذلك. ونقول: التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٦

من استحق عليه القود، أو حد من الحدود إن جزاء هذا أن يقتل، أو يقام عليه الحد. ولو كان الامر على ما قالوه، لوجب ألا يكون الخلود في النار جزاء للكفار، لأنه لم يقع بعد، ولا يصح أن يقع، لأن ما يوجد منه لا يكون إلا متناهياً وانما لم يقل في الدراهم، إنها جزاء لعمله، لأن ما يستحقه الأجير في الذمة لا يتعين في دراهم معينة. وللمستأجر أن يعطيه منها، ومن غيرها. فلذلك لم توصف هذه المعينة بأنها جزاء للعمل، ثم لنا أن نعارض بآيات الغفران، كقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (١) و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» (٢) وقوله: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ» (٣).

وإذا تعارضوا، وقفا وبقينا على جواز العفو عقلاً. وقال الجبائي والبلخي: الآية نزلت في أهل الصلاة. لأنه تعالى بين في الآية الأولى حكم قتل الخطأ من الديه، والكفارة. وذلك يختص أهل الصلاة، ثم عقب ذلك بذكر قتل العمد منهم. وهذا ليس بصحيح، لأن لزوم الديه في الخطأ يتناول المسلم، والمعاهد. وأما الكفارات فان عندنا تلزمهم أيضاً لأنهم متعبدون بالشرائع. ولو سلمنا ان الآية الاولى تختص المسلمين، لم يلزم ان تختص الثانية بهم، بل لا- يمتنع ان يراد بها الكفار على وجه الخصوص أو الكفار، والمسلمين على وجه العموم. غير اننا قد علمنا انه لا- يجوز ان يراد بها من هو مستحق الثواب، لأن الثواب دائم. ولا يجوز مع ذلك أن يستحق العقاب الدائم مع ثبوت بطلان الإحباط، لإجماع الآية على خلافه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ٩٤]..... ص: ٢٩٦

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبْنَا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ

مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّبْنَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)

(١) - سورة النساء: آية ٤٧ - ١١٥.

(٢) - سورة الزمر: آية ٥٣.

(٣) - سورة الرعد: آية ٧ و سورة حم السجدة: آية ٤٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٧

- آية -

القراءة، و الحجة:..... ص: ٢٩٧

قرأ أهل المدينة، و ابن عباس، و خلف (السلم) بغير الف. الباقون بالف.

و قرأ أهل الكوفة إلا عاصما فتثبتوا (بالثاء) من الثبوت في الموضعين هاهنا و في الحجرات الباقون (فتبينوا) من التبين. و قرئ من طريق النهرواني ليست. مؤمنا- بفتح الميم الثانية- الباقون بكسرهما و به قرأ أبو جعفر محمد بن علي (ع) علي ما حكاه البلخي. فمن قرأ بالثاء من الثبوت. فإنما أراد الثبوت الذي هو خلاف العجلة.

و من قرأ بالياء و النون، أراد من التبين الذي هو النظر، و الكشف عنه حتى يصح.

و المعنيان متقاربان، لأن المثلث متبين، و المتبين مثبت. و من قرأ (السلم) بلا الف أراد الاستسلام. و منه قوله: «وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ» «١» أي استسلموا.

و قوله: «وَرَجُلًا سَلَمًا» أي مستسلمًا. و روى أبان عن عاصم بكسر السين. و المعنى خلاف الحرب. و من قرأ بالف ذهب إلى التحية. و يحتمل أن يكون المراد لا- تقولوا لمن اعتزلكم و كف عن قتالكم: لست مؤمناً. قال أبو الحسن: يقولون: انما فلان سلام إذا كان لا يخالط أحداً.

المعنى:..... ص: ٢٩٧

خاطب الله تعالى بهذه الآية المؤمنين الذين إذا ضربوا في الأرض بمعنى ساروا فيها للجهاد و أن يتأثروا في قتال من لا يعلمون كفره، و لا- إيمانه، و عن قتل من يظهر الايمان و ان ظن به الكفر باطناً. و لا يعجلوا حتى يبين لهم أمرهم فإنهم ان بادروا ربما أقدموا على قتل مؤمن. و لا يقتلوا من استسلم لهم، و كف عن قتالهم، و اظهر انه اسلم. و ألا يقولوا لمن هذه صورته: لست مؤمناً، فيقتلوه طلب عرض

(١) سورة النحل: آية ٨٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٨

«الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعنى متاع الحياة الدنيا الذي لا بقاء له. فان عند الله مغانم كثيرة و فواضل جسيمة فهو خير لكم ان أعطتم الله فيما أمركم به، و انتهيتم عما نهاكم عنه.

النزول:..... ص: ٢٩٨

و اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال عمر بن شبة: نزلت في مرداس رجل من غطفان، غشيتهم خيل المسلمين، فاستعصم قومه في

الجل، و أسهل هو مسلماً مستسلماً، فأظهر لهم إسلامه، فقتلوه، و أخذوا ما معه.

و قال أبو عمر و الواقدي، و ابن إسحاق. نزلت في عامر بن الأصبط الاشجعي لقيته سرية لأبي قتادة فسلم عليه فشد محلم بن جثامة فقتله لإحنة كانت بينهم، ثم جاء النبي (ص) و سأل ان يستغفر له فقال النبي (ص) لا غفر الله لك. و انصرف باكياً فما مضت عليه سبعة أيام حتى هلك فدفن، ثم لفظته الأرض فجاءوا إلى النبي (ص) و أخبروه فقال (ع): إن الأرض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم، لكن الله أراد أن يعظم من حرمتكم، ثم طرحوه بين صد في جبل، و القوا عليه الحجارة، فنزلت الآية.

و قال ابن عباس: لحق ناس رجلا في غنيمته له، فقال السلام عليكم، فقتلوه و أخذوا غنمه. فنزلت الآية. قال ابن عباس: فكان الرجل يسلم في قومه، فإذا غزاهم أصحاب النبي (ص)، و هرب أصحابه وقف، و أظهر تحية الإسلام (السلام عليكم) فيكفون عنه، فلما خالف بعضهم، و قتل من أظهر ذلك نزلت فيه الآية و به قال السدي: و قال الرجل السلام عليكم، أشهد ان لا إله إلا الله، و ان محمداً رسول الله. فشد عليه أسامة بن زيد و كان أمير القوم، فقتله، فنزلت الآية. و قال قوم: كان صاحب السرية المقداد. و قال آخرون: ابن مسعود. و كل واحد من هذه الأسباب يجوز أن يكون صحيحاً، و لا يقطع بواحد منها بعينه. و الذي يستفاد من ذلك أن من أظهر الشهادتين لا يجوز لمؤمن أن يقدم على قتله، و لا إذا أظهر ما يقوم مقامها من تحية الإسلام

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٢٩٩

المعنى:..... ص: ٢٩٩

و قوله: «كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ» اختلفوا في معناه، فقال قوم: كما كان هذا الذي قتلتموه بعد ما القى إليكم السلام مستخفياً من قومه بدينه خوفاً على نفسه منهم، كنتم أنتم مستخفين باديانكم من قومكم حذراً على أنفسكم فمن الله عليكم، ذهب إليه سعيد بن جبير و قال ابن زيد معناه كما كان هذا المقتول كافراً فهداه الله، كذلك كنتم كفاراً، فهداكم الله. و به قال الجبائي. و قال المغربي: معناه كذلك كنتم أذلاء آحاداً إذا صار الرجل منكم وحده، خاف أن يختطف.

و قوله: «فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَكُمْ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال سعيد بن جبير: فمن الله عليكم بإظهار دينه، و إعزاز أهله حتى أظهرتم الإسلام بعد ما كنتم تكتُمونه من اهل الشرك. و قال السدي: معناه تاب الله عليكم «فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» معناه انه كان عليماً بما تعملونه قبل أن تعملوه. قال البلخي في الآية دلالة على أن المجتهد لا يضل، لأن النبي (ص) لم يضلل مقداداً و لا تبرأ منه. و من قرأ (لست مؤمناً) بفتح الميم الثانية، قال: معناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسننا تؤمنك. و هو وجه حسن.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٩٥ الى ٩٦]..... ص: ٢٩٩

إشارة

لَا يَشِي تَوَى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِ وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦)

- آيتان- التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٠

القرءاءة، و الحجة:..... ص: ٣٠٠

قرأ أهل المدينة وابن كثير غير أولى الضرر - نصباً - الباقون بالرفع. فمن رفع جعله نعتاً للقاعدين. ومن نصبه فعلى الاستثناء. وهو اختيار أبي الحسن الأخفش.

المعنى: ص: ٣٠٠

بين الله بهذه الآية انه «لا- يستوى» ومعناه لا- يعتدل «القاعدون» يعنى المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من أهل الايمان بالله و برسوله. المؤثرون الدعة و الرفاهية على مقاساة الحر و المشقة بلقاء العدو، و الجهاد فى سبيله إلا أهل الضرر منهم بذهاب أبصارهم، و غير ذلك من العلل التى لا سبيل لأهلها إلى الجهاد للضرر الذى بهم «وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و منهاج دينه لتكون كلمة الله هى العليا و المستفرون وسعهم فى قتال أعداء الله، و أعداء دينهم «بأموالهم» انفاقاً لها فيما يوهن كيد أعداء أهل الايمان. و قال قوم: إن قوله: «غَيْرُ أَوْلَى الضَّرَرِ» نزل بعد قوله: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فجاء عمر بن أم مكتوم، و كان أعمى فقال: يا رسول الله كيف و أنا أعمى، فما برح حتى نزل قوله: «غَيْرُ أَوْلَى الضَّرَرِ». و ذكر ذلك البراء بن عازب، و زيد بن أرقم و زيد بن ثابت. و هو يقوى قراءة من قرأ بالنصب.

الاعراب و المعنى: ص: ٣٠٠

«و القاعدون» رفع بيستوى و يستوى هاهنا يقتضى فاعلين، فصاعداً و قوله: «و المجاهدون» معطوف عليه. و التقدير لا يستوى القاعدون إلا- أولى الضرر و المجاهدون. و قال الفراء: الرفع أجود لاتصال «غير» بقوله: «القاعدون» و الاستثناء كان يجب أن يكون بعد تمام الكلام بقوله: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أَوْلَى الضَّرَرِ» قال و يجوز خفضه نعتاً للمؤمنين و ما قرئ به. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠١

و الأول أقوى. و يحتمل النصب على الحال كقولك: جاء زيد غير مريب. فان قيل:

أ يجوز أن يساوى أهل الضرر المجاهدين على وجه، فان قلت: لا، فقد صاروا مثل من ليس من أولى الضرر؟ قلنا: يجوز أن يساؤوهم بأن يفعلوا طاعات أخر تقوم مقام الجهاد، فيكون ثوابهم عليهم مثل ثواب الجهاد. و ليس كذلك من ليس بأولى الضرر، لأنه قعد عن الجهاد، بلا عذر. و ظاهر الآية يمنع من مساواته على وجه.

و قال ابن عباس لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر، و الخارجين الى بدر ثم قال: (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً) قال ابن جريج و غيره معناه فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم و القاعدين أولى الضرر. و المراد بالحسنى هاهنا الجنة فى قول قتادة و غيره من المفسرين. و به قال السدى. و قوله: «وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» معناه فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين من غير أولى الضرر أجراً عظيماً. و قوله: «دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» قال قتادة هو كما يقال: الإسلام درجة، و الفقه درجة، و الهجرة درجة، و الجهاد فى الهجرة درجة، و القتل فى الجهاد درجة. و قال عبد الله بن زيد: معنى الدرجات هى التسع درجات التى درجها فى سورة براءة. و هى قوله: «مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا» إلى قوله: «لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «١» قال: هذه التسع درجات. و قال قوم: المراد بالدرجات هاهنا الجنة. و اختاره الطبرى. (وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) معناه لم يزل الله غفاراً للذنوب صافحاً لعبيده عن العقوبة. رحيماً بهم متفضلاً عليهم. فان

(١): آية ١٢٠، ١٢١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٢

قيل: كيف قال في أول الآية «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً» ثم قال في آخرها «وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ» وهذا ظاهر التناقض؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أن في أول الآية فضل الله المجاهدين على القاعدتين أولى الضرر درجةً وفي آخرها فضلهم على القاعدتين غير أولى الضرر درجات ولا- تناقض في ذلك، لأن قوله: «وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَاعِدِينَ لَمْ يَكُونُوا عَاصِينَ مُسْتَخْفِينَ، وَإِنْ كَانُوا تَارِكِينَ لِلْفَضْلِ.

و الثاني- قال أبو علي الجبائي: أراد بالدرجة الأولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال: فلان أعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك أنه أعظم منزلة. وبالثانية أراد الدرجات في الجنة التي تتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم، ولا- تنافي بينهما. وقال الحسين بن علي المغربي إنما كرر لفظ التفضيل، لأن الأول أراد تفضيلهم في الدنيا على القاعدتين والثاني أراد تفضيلهم في الآخرة بدرجات النعيم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ٩٧ إلى ٩٩].... ص: ٣٠٢

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَشْتَطِعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا (٩٩)

- ثلاث آيات-

هذه الآية نزلت في قوم أظهروا للنبي (ص) الإسلام بمكة، فلما هاجر التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٣

النبي (ص) وهاجر أصحابه فتوهم آباؤهم عن دينهم فافتتنوا وخرجوا مع المشركين يوم بدر فقتلوا كلهم. وقيل: انهم كانوا خمسة نفر. وقال عكرمة: هم قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن أسد، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن ميثم بن الحجاج، وعلي بن أمية بن خلف.

و ذكر أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) مثله، فانزل الله فيهم الآيات. و قال (ع):

ان الذين توفاهم الملائكة يعني قبض أرواحهم

«ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ» نصب على الحال يعني في حال هم فيها ظالمو نفوسهم بمعنى بخسوها حقها من الثواب و أدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر. وقالت لهم الملائكة «فِيمَ كُنْتُمْ» أي في أي شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم و التوبيخ لفعلهم «قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ» يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا و بلادنا بكثرة عددهم و قوتهم، و يمنعوننا من الايمان بالله و اتباع رسوله على جهة الاعتذار فقالت لهم الملائكة «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا» يعني فخرجوا من أرضكم و داركم و تفارقوا من يمنعكم من الايمان بالله و برسوله إلى أرض يمنعكم أهلها من أهل الشرك، فتوحدوه و تعبدوه و تتبعوا نبيه ثم قال تعالى «فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ» يعني مسكنهم جهنم «و ساءت» يعني جهنم لأهلها الذين صاروا إليها «مصيرًا» و سكنًا ثم استثنى من ذلك المستضعفين الذين استضعفهم المشركون «مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ» و هم الذين يعجزون عن الهجرة لإعسارهم و قلة حيلتهم «وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» يعني في الخلاص من مكة. و قيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق من أرضهم إلى أرض الإسلام استثنوا من جملة من أخبر أن مأواهم جهنم للعذر الذي هم فيه.

و نصب المستضعفين بالاستثناء من الهاء و الميم في قوله: «مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ» فقال تعالى «فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ» يعنى لعل الله أن يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر و يتفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة من حيث لم يتركوا اختياراً «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» و معناه لم يزل الله ذا صفح بفضلته عن ذنوب عباده بترك عقوبتهم على معاصيهم «غفوراً» ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٤

لهم عنها. قال ابن عباس كنت أنا و أمي من المستضعفين. قال عكرمة و كان العباس منهم و كان النبي (ص) يدعو في دبر صلاة الظهر اللهم خلص الوليد و سلمة بن هشام و عياش بن ربيعة و ضعفه المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلاً. و بالجملة التي ذكرناها قال ابن عباس، و عكرمة، و مجاهد، و السدي، و قتادة، و الضحاك، و ابن وهب، و ابن جبير. و قوله: «توفاهم» يحتمل أن يكون فعلاً ماضياً و يكون موضعه الفتح لأن الماضي مبنى على الفتح. و الثاني ان يكون رفعاً و المعنى تتوفاهم و قد حذف أحد التائين و قد بينا فيما مضى أن (عسى) من الله معناه الوجوب قال المغربي: ذكر (عسى) هاهنا تضعيف لأمر غيرهم كما يقول القائل ليت من أطاع الله سلم، فكيف من عصاه. و مثله قول الشاعر:

و لم تر كافر نعمي نجا من سوء ليت نجا الشاكر
و التوفى هو الإحصاء قال الشاعر:

إن بنى أدرد ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس و ليسوا من أسد

و لا- توفاهم قريش في العدد بمعنى أحصاهم. و الملائكة تتوفى. و ملك الموت يتوفى. و الله يتوفى. و ما يفعله ملك الموت و الملائكة يجوز أن يضاف إلى الله إذا فعلوه بأمره و ما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملك الموت، إذا فعلوه بأمره.

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ١٠٠]..... ص: ٣٠٤

إشارة

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)

- آية- التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٥

أخبر الله تعالى في هذه الآية ان من يفارق وطنه، و يخرج من أرض الشرك و أهله هرباً بدينه إلى أرض الإسلام و أهلها و المهاجر في سبيل الله يعنى منهاج دين الله و طريقه الذي شرعه لخلقه يجد في الأرض مراغماً كثيراً (يجد) مجزوم، لأنه جواب الشرط.

اللغة:..... ص: ٣٠٥

و المراغم المضطرب في البلاد و المذهب يقال منه. راغم فلان قومه مراغماً و مراغمة قال الفراء: هما مصدران و منه قول النابغة الجعدي:

كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم و المهرب «١»

و قال الشاعر:

إلى بلد غير داني المحل بعيد المراغم و المضطرب

و المراغم مأخوذ من الرغام و هو التراب و معنى راغمت فلاناً هجرته. و لم أبال رغم أنفه أى و ان لصق بالتراب أنفه.

المعنى:..... ص: ٣٠٥

و اختلف أهل التأويل في معناه، فقال ابن عباس: المرغم التحول من أرض إلى أرض و به قال الضحاك، و الربيع، و الحسن، و قتادة، و مجاهد. و قال السدى يعنى معيشة. و قال ابن زيد يعنى مهاجراً. و قال ابن عباس يعنى سعة فى الرزق. و به قال الربيع بن أنس و الضحاك. و قال قتادة: سعة من الضلالة إلى الهدى. و قال يزيد بن أبى حبيب: ان أهل المدينة يقولون من خرج فاصلا من أهله يريد الغزو و جب سهمه لقوله: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» و قوله: «و سعة» يحتمل أمرين: أحدهما- السعة فى الرزق. الثانى- السعة مما كان فيه من تضييق المشركين عليهم فى أمر دينهم بمكة، ثم أخبر تعالى أن من خرج مهاجراً

(١) ديوانه: ٢٢ و مجاز القرآن ١: ١٣٨ و اللسان (رغم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٦

من أرض الشرك فاراً بدينه إلى الله و رسوله و أدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة و أرض الإسلام «فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» يعنى ثواب عمله و جزاء هجرته عليه تعالى «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا» يعنى سائراً على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم «رحيماً» بهم رفيقاً.

النزول:..... ص: ٣٠٦

و قيل فى سبب نزول الآية ان الله لما أنزل ان الذين «تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ» كتب المسلمون بالآيات و بعثوها إلى إخوانهم من أهل مكة فخرج حينئذ منها جماعة، فقالوا: لم يبق لنا عذر فهاجروا. و قال سعيد بن جبير و عكرمة و الضحاك و السدى و ابن زيد و ابن عباس

و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (ع) أنها نزلت فى ضمرة بن العيص بن ضمرة بن زباع أو العيص بن ضمرة و كان مريضاً فأمر أهله أن يفرشوا له على سريره و يحملوه إلى رسول الله (ص) قال ففعلوا فأتاه الموت بالتغيم، فنزلت فيه الآية.

و به قال قتادة و قال: قال ضمرة و أنا أعرف الطريق و لى سعة فى المال أخرجونى فأخرج، فمات. و قال عمر بن شبة: هو أبو أمية ضمرة بن جندب الخزاعى. و قال الزبير بن بكار: هو خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام خرج مهاجراً فمات فى الطريق. قال عكرمة و خرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون و فتنوهم عن دينهم فافتنوا، فأنزل الله فيهم «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» (١) و كتب بها المسلمون من المدينة إليهم ثم نزل فيهم «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» .

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠١]..... ص: ٣٠٦

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١)

(١) سورة العنكبوت: آية ١٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٧

- آية بلا خلاف -.

معنى قوله: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» إذا سرتتم فيها فليس عليكم جناح يعني حرج ولا ثم ان تقصروا من الصلاة يعني من عددها فتصلوا الرباعيات ركعتين.

و ظاهر الآية يقتضى أن التقصير لا- يجوز إلا- إذا خاف المسافر، لأنه قال «إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ» ولا خلاف اليوم أن الخوف ليس بشرط، لأن السفر المخصوص بانفراده سبب للتقصير. و الظاهر يقتضى ان التقصير جائز لا اثم فيه. و يقتضى ذلك انه يجوز الإتمام، و عندنا و عند كثير من الفقهاء أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم، و ليس ذلك قصراً، لإجماع أصحابنا على ذلك. و لما روى عن النبي (ص) انه قال: فرض المسافر ركعتان غير قصر.

و أما الخوف بانفراده فعندنا يوجب القصر.

و فيه خلاف

و قد روى عن ابن عباس أن صلاة الخائف قصر من صلاة المسافر. و انها ركعة ركعة.

و قال قوم: معنى قوله: «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصِرُوا» يعني من حدود الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا. و هو الذى رواه أصحابنا فى صلاة شدة الخوف. و أنه يصلى إيماء و السجود اخفض من الركوع. فان لم يقدر فان التسيح المخصوص يكفى عن كل ركعة. ثم أخبر تعالى أن الكافرين يعنى الجاحدين لتوحيد الله و نبوة نبيه فقد أبانوا عداوتهم لكم بما صبتهم لكم الحرب على عبادتكم الله تعالى، و ترككم عبادة الأوثان.

و فى قصر الصلاة ثلاث لغات تقول: قصرت الصلاة أقصرها و هى لغة القرآن. و قصرتها تقصيراً، و اقصرتها إقصاراً.

و اختلف أهل التأويل فى قصر الصلاة فقال قوم: هى قصر من صلاة الحاضر ما كان يصلى أربع ركعات أذن له فى قصرها، فيصلبها ركعتين. ذهب إليه يعلى ابن أمية، و عمر بن الخطاب.

و إن يعلى قال لعمر كيف نقصر الصلاة و قد أمنا فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت النبي (ص) عن ذلك فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته.

و به قال ابن جريج و قتادة. و فى قراءة أبى (و إذا ضربتم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٨

فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا) و لا- يقرأ «إن خفتم» و معنى هذه القراءة الا يفتنكم الذين كفروا و حذف (لا) كما حذف فى قوله: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» (١) و معناه ألا تضلوا. و قال قوم: القصر لا يجوز إلا مع الخوف روى ذلك عن عائشة، و سعد بن أبى وقاص.

و قال قوم: عنى بهذه الآية قصر صلاة الخوف فى غير حال المسافئة، و فيها نزلت.

ذهب إليه مجاهد و غيره. و قال آخرون: عنى بها قصر الصلاة صلاة الخوف فى حال غير شدة الخوف. و عنى به قصر الصلاة من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة، لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر، كما قلناه- ذهب إليه السدى، و ابن عمر، و سعيد بن جبيرة، و جابر بن عبد الله، و كعب- و كان من أصحاب النبي (ص) قطعت يده يوم اليمامة و حذيفة بن اليمان، و زيد بن ثابت، و ابن عباس، و ثعلبة ابن زهدم اليربوعى و كان من الصحابة- و أبو هريرة. و روى عن ابن عباس فى رواية اخرى إن القصر المراد به صلاة شدة الخوف تقصر من حدودها و تصلبها إيماء و هو مذهبننا. و أما حد السفر الذى يجب فيه التقصير فعندنا انه ثمانية فراسخ.

و قال أبو حنيفة، و أصحابه: مسيرة ثلاثة أيام. و قال الشافعى ستة عشر فرسخاً ثمانية و أربعين ميلاً. و قال قوم: يجب فى قليل السفر و كثيره. بينا الخلاف فيه فى كتاب الخلاف.

و انما قال فى الاخبار عن الكافرين انهم عدو، و لم يقل أعداء لأن لفظه فعول و فعيل تقع على الواحدة و الجماعة، و فتنت الرجل أفتنته فهو مفتون لغة أهل الحجاز و تميم و ربيعة. و أهل نجد كلهم و أسد يقولون: أفتنت الرجل فهو فاتن.

و قد فتنت فتوناً: إذا دخل فى الفتنة.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٢]..... ص: ٣٠٨

وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنْ اللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢)

(١) سورة النساء: آية ١٧٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٠٩

- آية واحدة بلا خلاف-

قوله «إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ» معناه في الضاربين في الأرض من أصحابك يا محمد الخائفين عدوهم أن يفتنوهم، فأقمت لهم الصلاة يعني أتممت لهم الصلاة بحدودها و ركوعها و سجودها، و لم تقصرها القصر الذي يجب في الصلاة شدة الخوف من الاقتصار على الإيماء. فلتقم طائفة من أصحابك الذين كنت فيهم معك في صلاتك و ليكن سائرهم في وجه العدو. و لم يذكر ما ينبغي أن تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه «و لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ» قال قوم: الفرقة المأمورة بأخذ السلاح هي المصلية مع رسول الله (ص) و السلاح مثل السيف يتقلد به و الخنجر يشده إلى درعه و كذلك السكين و نحو ذلك من سلاحه و هو الصحيح. و قال ابن عباس الطائفة المأمورة بأخذ السلاح هي التي يزاء العدو و دون المصلية، فإذا سجدوا يعني الطائفة التي قامت معك مصلية بصلاتك، و فرغت من سجودها فليكونوا من ورائكم يعني فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو. و عندنا انهم يحتاجون أن يتموا صلاتهم ركعتين، و الامام قائم في الثانية ثم ينصرفون إلى موضع أصحابهم و يجيء الآخرون فيستفتحون الصلاة فيصلون بهم الامام الركعة الثانية، و يطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقیة صلاتهم ثم يسلم بهم الامام. و من قال:

إن صلاة الخائف ركعة، قال: الأولون إذا صلوا ركعة فقد فرغوا. و كذلك الفرقة الثانية. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٠

و روى ذلك أبو الجارود عن أبي جعفر (ع). و رواه مسلمة عن أبي عبد الله (ع)

و هذا عندنا انما يجوز في صلاة شدة الخوف.

و في الناس من قال: ان النبي (ص) يسلم بهم ثم يقومون فيصلون تمام صلاتهم.

و قد بينا اختلاف الفقهاء في مسائل الخلاف في صلاة الخوف. و قوله: «و لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ» يعني الطائفة الثانية يأخذون السلاح و الحذر في حال الصلاة. و ذلك بين ان المأمورة بأخذ السلاح في الأول هم المصلون دون غيرهم. و قوله: «و الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ» معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم و أمتعتكم و تشتغلون عن أخذها تأهباً للقتال و عن أمتعتكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها «فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً» معناه يحملون عليكم، و أنتم متشاغلون بصلاتكم عن أسلحتكم، و أمتعتكم حملة واحدة فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم، و يستبيحون عسكركم، و ما معكم. و المعنى لا تشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عند مواقف العدو، فتمكنوا عدوكم من أنفسكم، و أسلحتكم، و لكن أقيموا على ما بينت. و خذوا حذرکم بأخذ السلاح. و من عادة العرب أن يقولوا: ملنا عليهم بمعنى حملنا عليهم.

قال العباس بن عباد بن نضلة الانصارى لرسول الله (ص) ليلة العقبة الثانية: و الذي بعثك بالحق إن شئت لنمیلن غدًا على أهل منى بأسیافنا فقال رسول الله (ص) لم تؤمر بذلك يعني في ذلك الوقت

و قوله: «و لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ» معناه لا جرم عليكم و لا

اثم إن كان بكم أذى من مطر يعني إن نالكم من مطر، و أنتم موافقوا عدوكم، أو كنتم مرضى يعني أعلا، أو جرحى ان تضعوا أسلحتكم إذا ضعفتكم عن حملها، لكن إذا وضعتموها، فخذوا حذركم.

يعنى احترسوا منهم أن يميلوا عليكم و أنتم غافلون غارون، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» يعنى عذابا مذلا يبقون فيه أبداً. وقيل «أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى نزلت في عبد الرحمن بن عوف و كان جريحاً. ذكره ابن عباس.

و اللام فى قوله: «فلتقم» لام الأمر و هى تجزم الفعل. و من حقها أن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١١ تكون مكسورة إذا ابتدئ بها. و بنو سليم يفتحونها. يقولون: ليقم زيد. كما تنصب تميم لام كى يقولون جئت لآخذ حقى. فإذا اتصلت بما قبلها من الواو و الفاء جاز تسكينها و كسرهما. ذكره الفراء.

و قال: «طَائِفَةٌ أُخْرَى و لم يقل: آخرون، ثم قال: «لَمْ يُصَيِّرُوا فَلَاصِبًا لَمَّا مَعَكَ» و لم يقل: فلتصل معك حملا للكلام تارة على اللفظ و أخرى على المعنى كما قال: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا» (١) و لو قال: اقتلنا لكان جائزا و مثله «فَرِيقًا هَدَى وَ فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ» (٢) و فى قراءة أبى: حق عليه الضلالة و مثله «نَحْنُ جَمِيعٌ مُتْتَصِرُونَ» (٣) و لم يقل منتصرون و مثله كثير. و فى الآية دلالة على نبوة النبى (ص). و ذلك ان الآية نزلت و النبى (ص) بعسفان و المشركين بضجنان، فتوافقوا فصلى النبى (ص) بأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع، و السجود فهم بهم المشركون أن يغيروا عليهم، فقال بعضهم: لهم صلاة أخرى أحب إليهم من هذه يعنون العصر، فأنزل الله عليه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف، و يقال: إنه كان ذلك سبب اسلام خالد بن الوليد، لأنه كان هم بذلك فعلم أنه ما أطلع النبى (ص) على ما هموا به غير الله تعالى فأسلم و فى الناس من قال: من حكم صلاة الخوف اختص به النبى (ص) و قال آخرون - و هو الصحيح - انه يجوز لغيره.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٣]..... ص: ٣١١

إشارة

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)

- آية -

المعنى:..... ص: ٣١١

معنى الآية انكم أيها المؤمنون إذا فرغتم من صلاتكم - و أنتم موافقوا

(١) سورة الحجرات: آية ٩.

(٢) سورة الاعراف: آية ٢٩. [...]

(٣) سورة القمر: آية ٤٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٢

عدوكم - التى بينها لكم «فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا» أى فى حال قيامكم و فى حال قعودكم، و مضطجعين على جنوبكم. و الجنب: الجانب تقول نزلت جنبه أى جانبه بالتعظيم له و الدعاء لأنفسكم بالظفر على عدوكم لعل الله أن يظفركم بهم.

و ينصركم عليهم. و ذلك مثل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (١). و هو قول

ابن عباس و أكثر المفسرين. و قوله: «فَإِذَا أَطَمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» اختلفوا في تأويله، فقال قوم معناه إذا استقررتم في أوطانكم و أقمتم في أمصاركم «فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» يعنى أتموا التي أذن لكم في قصرها في حال خوفكم في سفركم و ضربكم في الأرض. ذهب إليه مجاهد، و قتادة و قال آخرون معناه إذا استقررتم بزوال الخوف من عدوكم، و حدوث الامن لكم، فأقيموا الصلاة أى فأتتموا حدودها بركوعها، و سجودها. ذهب إليه السدى، و ابن زيد، و مجاهد في رواية أخرى. و هو اختيار الجبائي، و البلخي و الطبرى. و أقوى التأويلين قول من قال: إذا زال خوفكم من عدوكم، و أمنتتم فأتتموا الصلاة بحدودها غير قاصرين لها عن شىء من حدودها، لأنه تعالى عرف عبادة الواجب عليهم من فرض صلاتهم بهاتين الآيتين في حالين:

إحدهما- حال شدة الخوف أذن لهم فيها بقصر الصلاة على ما بيناه من قصر حدودها، و الاقتصار على الإيماء.

و الثانية- حال غير شدة الخوف أمرهم فيها باقامة حدودها و إتمامها على ما مضى من معاقبة بعضهم بعضاً في الصلاة خلف أئمتها، لأنه قال: «وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ» فلما قال: «فَإِذَا أَطَمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» كان معلوماً انه يريد إذا اطمأنتم من الحال التي لم تكونوا فيها مقيمين صلاتكم فأقيموا الصلاة بجميع حدودها غير قاصرين لها. و قال ابن مسعود نزلت الآية في صلاة المرضى. و الظاهر بغيره أشبه. و قوله: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا» اختلفوا في تأويله، فقال قوم:

(١) سورة الانفال: آية ٤٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٣

معناه ان الصلاة كانت على المؤمنين فريضة مفروضة، ذهب إليه عطية العوفى، و ابن عباس، و ابن زيد، و السدى، و مجاهد، و هو المروى عن أبى جعفر (ع) و أبى عبد الله (ع). و قال آخرون: كانت على المؤمنين فرضاً واجباً. ذهب إليه الحسن، و مجاهد، في روايته، و ابن عباس في روايته و أبو جعفر في روايته أخرى عنه، و المعنيان متقاربان بل هما واحد. و قال آخرون: معناه كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً يعنى منجماً يؤدونها في أنجمها ذهب إليه ابن مسعود و زيد بن أسلم و قتادة. و هذه الأقوال، متقاربة، لأن ما كان مفروضاً فهو واجب و ما كان واجباً أداؤه في وقت بعد وقت فمفروض منجم. و اختار الجبائي و الطبرى القول الأخير قال: لأن موقوتاً مشتق من الوقت فكأنه قال: هى عليهم فرض في وقت و جوب أدائها.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٤]..... ص: ٣١٣

إشارة

وَ لَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) - آية بلا خلاف -.

المعنى:..... ص: ٣١٣

معنى قوله: «وَ لَا تَهِنُوا» لا تضعفوا يقال و هو فلان في الأمر يهن وهناً و هوناً. و قوله. في ابتغاء القوم يعنى في طلب القوم. و القوم هم أعداء الله و أعداء المؤمنين من أهل الشرك «إِنْ تَكُونُوا» أيها المؤمنون «تَأْلَمُونَ» مما ينالكم من الجراح منهم في الدنيا «فَأِنَّهُمْ» يعنى المشركين «يَأْلَمُونَ» أيضاً مما ينالهم منكم من الجراح و الأذى مثل ما تألمون أنتم من جراحهم و اذاهم «وَ تَرْجُونَ» أنتم أيها المؤمنون

«مِنَ اللَّهِ» الظفر عاجلا- و الثواب آجلا- على ما ينالكم منهم «ما لا- يَزُجُونَ» هم على ما ينالهم منكم يقول: فأنتم إن كنتم مؤمنين من ثواب الله لكم التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٤

على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به فأولى و أخرى أن تصبروا على حربهم و قتالهم منهم على قتالكم و حربكم. و هو قول قتادة، و السدي، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و ابن عباس، و ابن جريج.

النزول:..... ص: ٣١٤

و قال ابن عباس، و عكرمة: الآية نزلت في أهل أحد لما أصاب المسلمين ما أصابهم و صعد النبي (ص) الجبل و جاء أبو سفيان و قال يا محمد (ص) يوم لنا و يوم لكم، فقال رسول الله (ص) أجيوبه، فقال المسلمون لا سواء لا سواء قتالنا في الجنة و قتالكم في النار، فقال أبو سفيان عزى لنا و لا عزى لكم، فقال النبي (ص) قولوا: الله مولانا و لا مولى لكم. قال أبو سفيان اعل هبل، فقال النبي (ص) قولوا له: الله أعلى و أجل، فقال أبو سفيان موعدا و موعداكم بدر الصغرى ، و نام المسلمون و بهم الكلوم و فيهم نزلت «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ...» الآية. و فيهم نزلت «إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ» لأن الله تعالى أمرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم و أراد بذلك إرهاب المشركين فخرجوا إلى بعض الطريق و بلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة.

المعنى و اللغة:..... ص: ٣١٤

و قال بعضهم معنى «و تَزُجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا- يَزُجُونَ» أى تخافون من جهته ما لا- يخافون كما قال: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَزُجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» (١) بمعنى لا- يخافون. و قال قوم لا يعرف في كلام العرب الرجاء بمعنى الخوف إلا إذا كان في الكلام جحد سابق كما قال: «ما لكم لا تَزُجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً» (٢) بمعنى لا تخافون لله عظيمة. و قال الشاعر:

(١) سورة الجاثية: آية ١٣.

(٢) سورة نوح: آية ١٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٥

لا ترتجى حين تلاقى الزائدا أ سبعة لاقت معاً أو واحد (١)

و قال أبو ذؤيب الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و حالفها في بيت نوب عوامل (٢)

قال: الفراء: نوب و نوب، و هو النحل. و لا- يجوز أن تقول رجوتك بمعنى خفتك. و انما استعمل الرجاء بمعنى الخوف لأن الرجاء أمل قد يخاف ألا يتم. و هى لغة حجازية. قال الكسائي: لم أسمعها إلا بتهامة و يذهبون معناها إلى قولهم. ما أبالي و ما أحفل قال الشاعر:

لعمرك ما أرجوا إذا كنت مسلما على أى جنب كان لله مصرعى

أى ما أبالي. و قوله: «كَانَ اللَّهُ عَلِيماً» يعنى بمصالح خلقه حكيماً فى تدبيره إياهم و تقديره أحوالهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦]..... ص: ٣١٥

إشارة

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (١٠٦)

- آيتان -.

المعنى:..... ص: ٣١٥

خاطب الله بهذه الآية نبيه (ص)، فقال: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» يا محمد (ص) «الْكِتَابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» يعنى بما أعلمك الله فى كتابه «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً» نهاه أن يكون لمن خان مسلماً أو معاهداً فى نفسه أو ماله خصيماً يخاصم عنه، و يدفع من طالبه عنه بحقه الذى خانه فيه. ثم أمره بأن يستغفر الله فى مخاصمته عن الخائن مال غيره «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً»

(١) معانى القرآن ١: ٢٨٦ و اللسان (رجا).

(٢) ديوانه ١٤٣، و معانى القرآن ١: ٢٨٦، و الصحاح للجوهري (رجا) و يروى (عوامل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٦

يصفح عن ذنوب عباده و يسترها عليهم، و يترك مؤاخذتهم بها. و عندنا أن الخطاب و إن توجه إلى النبى (ص) من حيث خاصم من رآه على ظاهر الايمان و العدالة، و كان فى الباطن بخلافه فلم يكن ذلك معصية، لأنه (ع) منزه عن القبائح فإنما ذكر ذلك على وجه التأديب له فى أن لا يبادر فيخاصم و يدفع عن خصم إلا بعد أن يبين الحق منه. و المراد بذلك أمته عليه السلام. على أنا لا نعلم أن ما روى فى هذا الباب وقع من النبى (ص)، لأن طريقه الأحاد، و ليس توجه النهى إليه بدال على أنه وقع منه ذلك المنهى قال «لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» (١) و لا يدل ذلك على وقوع الشرك منه. و قال قوم من المفسرين: انه لم يخاصم عن الخصم و إنما هم به فعاتبه الله على ذلك.

القصة و النزول:..... ص: ٣١٦

و الآية نزلت فى بنى أبيرق كانوا ثلاثة أخوة بشر و بشير و مبشر و كان بشر يكنى أبا طعمة فنقبوا على عم قتادة بن النعمان و أخذوا له طعاماً و سيفاً، و درعاً فشكى ذلك إلى ابن أخيه قتادة و كان قتادة بدرىا فجاء إلى رسول الله (ص) فذكر له القصة، و كان معهم فى الدار رجل يقال له لييد بن سهل و كان فقيراً شجاعاً مؤمناً، فقال بنو أبيرق لقتادة هذا عمل لييد بن سهل، فبلغ لييداً ذلك، فأخذ سيفه و خرج إليهم. و قال يا بنى أبيرق أ ترمونى بالسرقة و أنتم أولى به منى، و أنتم المنافقون تهجون رسول الله و تنسبون إلى قريش لتبين ذلك أو لأضعن سيفى فيكم فداروه. و قالوا: ارجع رحمك الله فأنت برىء من ذلك. و بلغهم ان قتادة مضى إلى رسول الله (ص) فمشوا إلى رجل من رهطهم يقال له أسير بن عروة، و كان منطيقاً لسنأ فأخبروه، فمشى أسير إلى رسول الله (ص) فى جماعته، فقال: يا رسول الله (ص) إن قتادة بن النعمان رمى جماعته من أهل الحسب منا بالسرقة و اتهمهم بما ليس فيهم و جاء قتادة إلى النبى (ص) فأقبل

(١) سورة الزمر: آية ٦٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٧

عليه النبي (ص)، وقال عمدت إلى أهل بيت حسب و نسب رميتهم بالسرقة و عاتبه فاغتم قتادة و رجع إلى عمه، فقال: ليتنى مت و لم أكن كلمت رسول الله (ص) فقد قال لي ما كرهت، فقال عمه الله المستعان، فنزلت هذه الآية «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا»

«١» يعنى لبيد بن سهل حين رماه بنوا بريق بالسرقة «فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا»

إلى قوله: «وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا»

«٢» فبلغ ذلك بنى أبيرق فخرجوا من المدينة، و لحقوا بمكة و ارتدوا فلم يزالوا بمكة مع قريش فلما فتح مكة هربوا إلى الشام فانزل الله فيهم «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ (٣) إِلَىٰ آخِرِ الْآيَاتِ. و لما مضى إلى مكة نزل على سلامة بنت سعد ابن شهيد امرأه من الأنصار كانت ناحكاً فى بنى عبد الدار بمكة فهجاها حسان، فقال:

و قد أنزلته بنت سعد و أصبحت ينازعها جلد استها و تنازعه

ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتم و فينا نبى عنده الوحى واضعه «٤»

فحملت رحله على رأسها و ألقته بالأبطح و قالت. ما كنت تأتيني بخير أهديت إلى شعر حسان. و نزل فيه قوله: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ» «٥» هذا قول مجاهد، و قتادة بن النعمان، و ابن زيد، و عكرمة، إلا أن قتادة، و ابن زيد، و عكرمة قالوا: إن بنى أبيرق طرحوا ذلك على يهودى يقال له زيد بن السمين، فجاء اليهودى إلى رسول الله (ص) و بمثله قال ابن عباس. و قال ابن جريج: هذه الآيات كلها نزلت فى أبى طعمه بن أبى أبيرق إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) «٦» و قال: رمى بالدرع فى دار أبى مليك ابن عبد الله الخزرجى فلما نزل القرآن لحق بقريش، و قال الضحاك: نزلت فى

(١، ٢) سورة النساء: آية ١١١.

(٣) سورة النساء: آية ١١٤.

(٤) ديوانه: ٢٧١.

(٥) سورة النساء: آية ١١٤.

(٦) سورة النساء: آية ٤٧، ١١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٨

رجل من الأنصار استودع درعاً فجحد صاحبها فخونه رجال من أصحاب النبي (ص) فغضب له قوم فأتوا نبى الله، فقالوا: أ خونوا صاحباً، و هو أمين مسلم؟ فعذره النبي (ص) و كذب عنه. و هو يرى أنه برىء مكذوب عليه فأنزل الله فيه الآيات. و اختار الطبرى هذا الوجه و قال: لأن الخيانة إنما تكون فى الوديعه فأما السارق فلا يسمى خائناً فحمله عليه أولى و كل ذلك جائز.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٧]..... ص: ٣١٨

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا (١٠٧)

- آية- نهى الله تعالى نبىه (ص) أن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم بمعنى يخونون أنفسهم فيجعلونها خونه بخيانتهم ما خانوا من الأموال. و هم الذين تقدم ذكرهم من بنى أبيرق فقال: لا تخاصم عنهم فيما خانوا فيه ثم أخبر «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا» يعنى من كان صنعه خيانة الناس فى أموالهم (أثيماً) يعنى مأثوماً و بمثله قال من تقدم من المفسرين قال قتادة: و فيهم نزلت الآيات إلى قوله:

«وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ» .

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٨]..... ص: ٣١٨

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) - آية -

معنى يستخفون يكتُمون فأخبر الله تعالى ان هؤلاء الخائنين يكتُمون خيانتهم من الناس الذين لا يقدرّون لهم على شيء إلا الذكر لهم بقبيح ما أتوه من فعلهم و تشنيع ما ركبوه إذا اطلعوا منهم على ذلك حياء منهم و حذراً من قبح التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٩

الا- حدوثة و لا- يستخفون من الله الذي هو معهم بمعنى أنه مطلع عليهم لا- يخفى عليه شيء من أمرهم و بيده العقاب. و النكال و تعجيل العذاب فهو أحق بأن يستحيا منه و أولى بأن يعظم من أن يراهم حيث يكره إذ يبيتون ما لا يرضى من القول معناه حين يسرون ليلاً ما لا يرضى من القول فيغيرونه عن وجهه. و يكونون فيه.

و التبيت هو كل كلام أو أمر أصلح ليلاً و أصله من فكرهم فيه ليلاً. و قال الشاعر:

أتونى فلم أرض ما بيتوا و كانوا أتونى بشيء نكر (١)

و حكى عن بعض طيء ان التبيت فى لغتهم التبدل. و أنشد الأسود بن عامر بن جوين الطائي فى معاتبه رجل:

و بيت قولى عبد المليك قاتلك الله عبداً كئوداً (٢)

يعنى بدلت قولى. و روى عن الأعمش عن أبى رزين: ان معنى «يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضَى

يؤلفون ما لا- يرضى يعنى فى رمى البرىء بجرم السقيم. و المعنى متقارب، لأن التأليف و التشويه و التغيير عما هو عليه و تحويله عن معناه إلى غيره واحد و المعنى بالآية الرهط الذين مشوا إلى رسول الله (ص) فى مسألة المدافعة عن بنى أبيرق، و الجدل عنه «و كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا»

يعنى يعلم ما يعلمه هؤلاء المستخفون من الناس و تبيتهم ما لا يرضى من القول و غيره من أفعالهم «محيطاً» بمعنى عالماً محصياً لا يخفى عليه شيء منه حافظاً لجميعه ليجازيهم عليه ما يستخفونه قال الزجاج: الذى بيتوه قولهم إن اليهودى سارق الدرع و عزمهم على أن يحلفوا انهم ما سرقوا و ان يمينهم تقبل دون يمين اليهودى، لأنه مخالف الإسلام.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٠٩]..... ص: ٣١٩

ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (١٠٩)

(١) مر تخريجه فى ٣: ٢٩.

(٢) لم نجده فى مصادرنا. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٠

- آية بلا خلاف -.

ها أنتم (ها) للتنبية و أعيدت مع (أولاء) و المعنى ها أنتم الذين جادلتهم، لأن (هؤلاء، و هذا) يكون فى الاشارة للمخاطبين التى أنفسهم بمنزلة الذين.

و قد يكون لغير المخاطبين بمنزلة الذين، قال يزيد بن مفرغ:

نجوت و هذا تحمليين طليق «١»

أى و الذى تحمليين طليق. قال الزجاج هؤلاء بمعنى الذين، لأن المخاطب المواجه لا يحتاج إلى الإشارة إلى نفسه. و قال المغربي: هؤلاء كناية عن اللصوص الذين يجادل عنهم. و هو غير أنتم و لذلك حسن التكرير. و معنى الآية ها أنتم الذين جادلتهم. و الجدل أشد الخصومة مأخوذ من جدلت الجبل إذا أحكمت فتله. و رجل مجدول شديد. و الأجدل الصقر، لأنه أشد الطيور. و المعنى يا معاشر من جادل عن بنى أبيرق فى الحياة الدنيا. و الهاء و الميم فى عنهم كناية عن الخائنين، فمن يجادل الله عنهم. و معناه من ذا يخاصم الله عنهم يوم تقوم الساعة يوم يقوم الناس من قبورهم إلى محشرهم فيدافع عنهم ما الله فاعل بهم. و المعنى إنكم إن دافعتم فى عاجل الدنيا فإنهم سيصيرون فى الآخرة إلى من لا يدافع عنده عنهم أحد فيما يفعل بهم من العذاب و أليم النكال. و قوله: (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا)

معناه و من ذا الذى يكون وكيلا على هؤلاء الخائنين يوم القيامة يتوكل عنهم فى خصومة الله عنهم يوم القيامة. و قد بينا أن الوكالة هى القيام بأمر من يوكل له.

(١) قائله يزيد بن مفرغ الحميرى. حاشية الصبان ١: ١٦٠ قطر الندى ١٠٦، و أكثر كتب النحو و صدره:

عدس ما لعباد عليك اماره و هو من قصيدة هجا بها عباد بن زياد بن أبى سفيان فسجنه و أطال سجنه فكلم فيه معاوية فوجه بريداً يقال له حمحام فأخرجه و قدمت له فرس (و قيل بغلة) فنفرت فقال: عدس... الخ و عدس صوت يزجر به البغل. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢١

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٠]..... ص: ٣٢١

إشارة

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠)
- آية -

المعنى:..... ص: ٣٢١

المعنى من يعمل ذنباً، و هو السوء، أو يظلم نفسه باكتساب المعاصى التى يستحق بها العقوبة «ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ» يعنى يتوب اليه مما عمل من المعاصى، و يراجع «يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا» و معناه يعلمه سائراً عليه ذنبه بصفحة له عن عقوبة جرمه «رحيماً» به.

و اختلفوا فيمن عنى بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها الخائنين الذين وصفهم فى الآية الاولى.

و قال آخرون: عنى الذين كانوا يجادلون عن الخائنين. قال لهم: «ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»

. و الاولى حمل الآية على عمومها فى كل من عمل سوء أو ظلم نفسه، و ان كان سبب نزولها فيمن تقدم ذكره من الخائنين أو المجادلين.

و به قال أكثر المفسرين: الطبرى، و البلخى، و الجبائى، و ابن عباس، و عبد الله ابن معقل، و ابو وائل، و غيرهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١١]..... ص: ٣٢١

إشارة

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١)

المعنى:..... ص: ٣٢١

المعنى من يأت ذنباً على عمد منه و معرفه فإنما يجترح و بال ذلك الذنب، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٢
و ضره و خزيه و عاره على نفسه دون غيره من سائر خلق الله.

و المعنى و لا تجادلوا أيها الناس الذين يجادلون عن هؤلاء الخونة- فإنكم و إن كنتم لهم عشيرة و قرابة- فيما أتوه من الذنب، و من التبعة التي يتبعون بها، فإنكم متى دافعتم عنهم أو خاصمتهم بسببهم كنتم مثلهم، فلا- تدافعوا عنهم و لا تخاصموا «و كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» يعنى عالماً بما تفعلون أيها المجادلون عن الخائنين أنفسهم، و غير ذلك من أفعالهم و أفعال غيرهم «حكيماً» فى أفعاله من سياستكم و تدبيركم، و تدبير جميع خلقه.

و قيل: إنها نزلت فى بنى أبريق. و فى الآية دلالة على أنه لا يؤخذ أحد بجرم غيره، و لا يعاقب الأولاد بذنوب الآباء على ما يذهب اليه قوم من أهل الحشو.

و مثله قوله: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» ١ .

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٢]..... ص: ٣٢٢

إشارة

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرِيئًا فَبِهِ بَرِيئًا فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢)
- آية بلا خلاف -.

اللغة، و المعنى:..... ص: ٣٢٢

الخطيئة، و الخطيء: الإثم العمد، تقول: خطيء يخطأ: إذا تعمد الذنب، و أخطأ يخطأ: إذا لم يتعمد. قال الزجاج: لما سمي الله تعالى المعاصى بأنها خطيئة و وصفها دفعه أخرى بأنها إثم، فصل بينهما هاهنا حتى يدخل الجنسان فيه. و قال غيره: المعنى من يعمل خطيئة، و هى الذنب، أو إثم، و هو ما لا يحل من المعصية، و فرق بين الخطيئة و الإثم، لأن الخطيئة قد تكون عمداً و غير عمد، و الإثم لا يكون إلا عمداً. فبين تعالى أن من يفعل خطيئة على غير عمد منه لها مما يلزمه

(١) سورة الانفال، آية ١٦٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٣

فيه الغرامة، و ان لم يكن إثم فيه، أو آثماً فيه على عمد منه، و هو ما يستحق به العقاب «ثُمَّ يَرِيئًا فَبِهِ بَرِيئًا»

يعنى أضافه إلى من هو برىء منه «فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهْتَانًا»

يعنى فقد تحمل بفعله ذلك فريئه و كذباً «وَأِثْمًا مُّبِينًا»

يعنى و جرماً عظيماً.

و البهتان: الكذب الذي تتحير فيه من عظمه و بيانه. يقال: بهت فلان:

إذا كذب. و بهت يبهت: إذا تحير، قال الله تعالى: «فَبِهَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا» (١) و إنما قال (به) و قد ذكر الخطيئة و الإثم قال الفراء: لأنه يجوز أن يكنى عن الفعلين أحدهما مؤنث و الآخر مذكر بلفظ التذكير و التوحيد و لو كثر لجازوت الكناية بالتوحيد، لأن (الأفاعيل) تقع على فعل واحد، فكذلك جاز، فان شئت جعلتها لواحد، و إن شئت جعلت الهاء للاثم خاصة كما قال: «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا» (٢) فجعله للتجارة. و في قراءة عبد الله (و إذا رأوا لهواء أو تجارة) فجعله للتجارة في تقديمها و تأخيرها. و لو ذكر على نية الله لجاز و قد جاء مثني، قال تعالى: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» (٣) و في قراءة أبي (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهم). و في قراءة عبد الله بن مسعود مثله، لأنه في مذهب الجمع كما يقول: أصبح الناس صائماً و مفطراً، فأدى اثنان عن الجمع. و قال الزجاج:

المعنى ثم يرمى بذلك بريئاً. قال رؤبه:

فيه خطوط من سواد و بلى كأنه في الجلد توليع البهق (٤)

أى كأن ذلك. و اختلفوا فيمن عنى به بقوله: (بريئاً) بعد إجماعهم على أن الرامى ابن أبيرق، فقال قوم: البرىء رجل مسلم يقال له: لبيد بن سهل. و قال آخرون: بل هو رجل يهودى يقال له زيد بن السمين. و قد ذكرناه فيما مضى. و بالأخير قال ابن سيرين، و رواه ابو الجارود عن أبى جعفر (ع).

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

(٢) سورة الجمعة، آية ١١.

(٣) سورة النساء، آية ١٣٤.

(٤) انظر: ٢٩٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٤

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٣]..... ص: ٣٢٤

وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)

- آية- معنى الآية أنه لو لا أنه تعالى تفضل عليك يا محمد فعصمك بتوفيقه و بيانه لك أمر هذا الخائن حتى كفت عن الجدل عنه «لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ»

و معناه لقد همت فرقة منهم، بتقدير (قد) ذكره الفراء. و يعنى بالفرقة التى همت من الخائنين أنفسهم «أَنْ يُضِلُّوكَ»

بمعنى يزلوك عن الحق، و يخطئوك. و قيل: يهلكوك بتلبيسهم أمر الخائن عليك و شهادتهم عندك بانه برىء مما ادعى عليه، ثم قال تعالى: «وَ مَا يُضِلُّونَ»

هؤلاء الذين هموا باضلالك عن الواجب فى أمر هذا الخائن «إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»

. و اضلالهم أنفسهم كان بأن الله لما كان قد بين لهم ما ينبغى أن يعملوا عليه من المعاونة على البر و التقوى، و ألا يتعاونوا على الإثم، و العدوان:

فلما عدلوا عن ذلك و تعاونوا على الإثم و العدوان، فكانوا بذلك مضلين أنفسهم عن طريق الحق.

وقوله: «وَمَا يَضُرُّوْنَكَ مِنْ شَيْءٍ»

يعنى هؤلاء الذين هموا بإضلالك، لا يضررونك، لان الله قد يثبتك و يسددك فى أمورك، و يبين لك أمر المحق و المبطل.

«وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»

معناه و من فضل الله عليك يا محمد، ما تفضل به عليك، انزاله عليك الكتاب الذى هو القرآن، و فيه تبيان كل شىء و هدى و موعظة و انزل عليك الحكمة مضافة الى الكتاب، و هى بيان ما ذكره فى الكتاب مجملا من أحكام الكتاب: من الحلال و الحرام، و

الامر و النهى «وَعَلَّمَكَ التَّبْيَانَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٣، ص: ٣٢٥

مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ»

من خبر الأولين و الآخرين و ما كان و ما هو كائن. و كل ذلك من فضل الله.

وقوله: «وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا»

يعنى لم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيماً، فاشكره على ما أولاك من نعمه و إحسانه. قال الجبائى: و فى الآية دلالة على أن التسمية بالضلال لا تسمى اضلالاً، لأنه لو كان ذلك صحيحاً، لكانوا قد أضلوا النبى (ص) حيث نسبوه الى الضلال و قد نفى الله عنه ذلك. و هذا ليس بصحيح لامرين:

أحدهما- انهم ما سموه بهذا الفعل ضالاً، و انما قصدوا التمويه، و التلبيس عليه، فلما كشف الله تعالى ذلك بطل غرضهم.

و الثانى- ان من قال: إن الضلال يكون بمعنى التسمية لم يقل: إنه لا- يكون إلا كذلك، لان الإضلال على وجوه مختلفة: بمعنى التسمية، و غير ذلك مما بيناه فيما تقدم. و الإضلال يكون بمعنى الدفن قال النابغة:

و آب مصلوه بغير جليء و غودر بالجولان جرم و نائل «١»

يعنى دافنوه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٤]..... ص: ٣٢٥

إشارة

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَتِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)

- آية بلا خلاف.-

(القرءة و الحجة):..... ص: ٣٢٥

قرأ (فسوف يؤتية)- بالياء- ابو عمر، و حمزة، و قتيبة، و خلف.

(١) انظر ا: ١٩٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٦

الباقون بالنون من قرأ بالياء حملة على قوله: «وَمَنْ يَفْعَلْ». و من قرأ بالنون حملة على المعنى.

أخبر الله تعالى: أنه لا- خير فى كثير من نجوى الناس جميعاً. و النجوى هو ما ينفرد به الاثنان أو الجماعة سراً كان أو جهراً. و يقال: نجوت الشىء: إذا خلصته و ألقيته. يقال: نجوت الجلد: إذا ألقيته عن البعير، و غيره قال الشاعر:

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنه سيرضيكما منها سنام و غاربه «١»

و نجوت فلاناً: إذا استنكته قال الشاعر:

نجوت مجالداً فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد «٢»

و نجوت الوتر و استنجيته إذا خلصته كما قال الشاعر:

فتبازت فتبازخت لها جلسة الا عسر يستنجى الوتر «٣»

و أصله كله من النجوة، و هو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصف سيلاً:

فمن بنجوته كمن بعقوبته و المستكن كمن يمشى بقرواح «٤»

و يقول: ما أنجى فلا شيئاً و ما نجا شيئاً منذ أيام إذا لم يتغوط. و التقدير في الآية «لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ» مما يديرونه بينهم من الكلام (إلا) كلام «مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» .

الاعراب:..... ص: ٣٢٦

قال الزجاج يحتمل موضع من نصباً و أن يكون خفضاً، فالخفض على إلا في نجوى من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح. و النصب على أن يكون استثناء منقطعاً بمعنى لكن كأنه قال: لكن من أمر بصدقه أو معروف ففي نجواه خير. و طعن بعضهم على الوجه الأول بأن قال لا يجوز أن يعطف بالاً على الهاء و الميم في مثل هذا الموضع من أجل أنه لم ينله الجحد. و قال الفراء: يحتمل الخفض على

(١) لسان العرب: (نجا)

(٢) انظر: ٢١٨، اللسان (نجا)

(٣) اللسان (نجا) و يروى. جلسة الجازر. قائله عبد الرحمن بن حسان.

(٤) قائله عبيد بن الأبرص. مر في ا: ٢١٨. اللسان نجا.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٧

تقدير لا خير في كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقه فيكون النجوى على هذا هم الرجال المتناجون كما قال: (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) «١» و كما قال: «وَإِذْ هُمْ نَجْوَى «٢» و النصب على أن يجعل النجوى فعلاً فيكون نصباً.

لأنه حينئذ يكون استثناء منقطعاً، لأن (من) خلاف النجوى و مثله قول الشاعر:

وقفت فيها اصيلاً أسائلها أعت جواباً و ما بالدار من أحد «٣»

إلا الأوارى لا ياما أئينها و النوى كالحوض بالمظلومة الجلد

و يحتمل وجهاً ثالثاً أن يكون رفعاً كما قال الشاعر:

و بلدة ليس بها أنيس إلا العافير و الا العيس «٤»

و أقوى الوجوه أن تجعل (من) في موضع خفض بالرد على النجوى، و يكون بمعنى المتناجين، خرج مخرج السكرى و الجرحى، و يكون التقدير لا- خير في كثير من نجواهم يعني من المتناجين يا محمد إلا فيمن أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس، فان أولئك فيهم الخير.

و قوله: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» اشارة الى ما تقدم من الامر بالصدقه و المعروف و الإصلاح بين الناس ابتغاء مرضاة الله يعني طلب مرضاة الله و نصب ابتغاء على أنه مفعول له و تقديره لا ابتغاء مرضاة الله، و هو في معنى المصدر، لأن التقدير و من يتبع ذلك ابتغاء مرضاة

اللَّهِ. و قوله: «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» يعنى ثواباً جزيلاً فى المستقبل.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٥]..... ص: ٣٢٧

إشارة

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)

(١) سورة المجادلة، آية ٧.

(٢) سورة الإسراء، آية ٤٧.

(٣) أنظر ا: ٤٤ (و أصيلاً) فيها روايتان أخريان: أصيلاً و أصيلاً كى. و البيتان للنابعة من معلقته المشهورة. [.....]

(٤) أنظر ا: ١٥١ و معانى الفراء ا: ٢٨٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٨

آية بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ٣٢٨

معنى يشاقق الرسول يباين الرسول معادياً له، فيفارقه على العداوة، لأن المشاققة هى المباينة على وجه العداوة «مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ» معناه من بعد ما تبين له و ظهر أنه رسول الله، و أن ما جاء به من عند الله حق، و هدى موصل الى الصراط المستقيم بما معه من الآيات و المعجزات مثل القرآن و غيره. و قوله:

«وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» معناه و يتبع غير سبيل من صدقه و سلك منهاجا غير منهاجهم «نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ» معناه نجعل ناصره ما استنصره و استعان به من الأوثان و الأصنام و هى لا تغنيه و لا تدفع عنه من عذاب الله شيئاً (و نصله جهنم) أى و نجعله صلى نار جهنم معناه نحرقه بها و قد بينا معنى الصلى فيما تقدم «و سَاءَتْ مَصِيرًا» يعنى موضعاً يصير اليه من صار اليه.

القراءة:..... ص: ٣٢٨

و قرأ ابو عمرو و حمزة و ابو بكر البرجمى، و الداجوى عن هشام، و ابو جعفر من طريق النهروانى قوله (و نصله، و نوده) (و لا يؤده) حيث وقع بسكون الهاء فيهن، قال الزجاج يقول فى ذلك كسر الهاء، و اثبات الياء و ضم الهاء و اشباعها بالواو و بكسر الهاء بلا ياء. و لا يجوز اسكان الهاء بلا كسر، لان الهاء من حقاها أن تكون معها ياء فحذف الياء. و اثبات الياء و ضم الهاء ضعيف، و لا يجوز حذف الياء إلا إذا كان هناك كسرة يدل عليها النزول و المعنى.

و نزلت هذه الآية فى الخائنين الذين ذكرهم الله فى قوله:

«وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» لما أبى التوبة أبو طعمه بن الايبرق و لحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدا مفارقا رسول الله (ص) و هو قول مجاهد و قتادة، و اكثر المفسرين. و هو المروى عن أبى جعفر عليه السلام.

و قد استدل خلق من المتكلمين، و الفقهاء بهذه الآية على أن الإجماع حجة، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٢٩

بأن قالوا: توعد الله على اتباع غير سبيل المؤمنين كما توعد على مشاققة الرسول (ص) فلو لا أن اتباعهم واجب لم يجز ذلك، و هذا

ليس بصحيح من وجوه:

أحدها- أن الآية نزلت في من تقدم ذكره و كان قد ارتد و لحق بالمشركين فيجب أن يتناول و يتناول كل من يجرى مجراه من المرتدين و مخالفى الإسلام.

و الثانى- أن من أصحابنا من قال: لا نسلم أنه أراد ب (من) فى هذه الآية استغراق، و لا بلفظة (سبيل) جمع السبل، و لا ب (المؤمنين) جميع المؤمنين، فمن أين لهم وجوب الاستغراق. و إذا احتمل التخصيص، جاز لنا أن نحمل على سبيل الايمان الذى من خالفه كان كافراً، أو المؤمنين أراد به الائمة المعصومين، و لو جاز حملها على العموم، لوجب حملها على أهل جميع الأعصار على وجه الجمع دون أهل كل عصر، لأن العموم يقتضى ذلك، فإذا خصوا بأهل كل عصر، خصصنا ببعض أهل العصر على أنه إنما حرم اتباع غير سبيل المؤمنين، فمن أين وجوب اتباع سبيلهم، و لم لا يجوز أن يكون اتباع غير سبيلهم محصوراً. و اتباع سبيلهم موقوفاً على الدليل، و يجوز أن يكون أيضاً محظوراً مثله أو مباحاً أو مندوباً، فمن أين الوجوب مع احتمال جميع ذلك على أنه لو سلم جميع ذلك، لكان يجب علينا اتباع إذا كانوا مؤمنين، لأنه هكذا أوجب، فمن أين انهم لا- يخرجون عن كونهم مؤمنين. و وجوب الاتباع تابع لكونهم مؤمنين، فيحتاجون الى دليل آخر فى أنهم لا يخرجون عن كونهم مؤمنين غير الآية على أن ظاهر الآية يتضمن أن من شاق الرسول و اتبع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد، فمن أين أنه إذا انفرد أحدهما عن الآخر يتناوله الوعيد. و نحن إنما نعلم تناول الوعيد على مشاقه الرسول (ص) بانفرادها بدليل غير الآية، فعلى من خالف أن يقول: إن اتباع غير سبيل المؤمنين يتناوله الوعيد بدليل غير الآية. و قد استوفينا ما فى هذه الآية فى أصول الفقه، و غيره من كتبنا مشروحا لا نطول بذكره ها هنا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٠

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٦]..... ص: ٣٣٠

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)

آية بلا خلاف اخبر الله تعالى فى هذه الآية أنه لا يغفر الشرك، و أنه يغفر ما دونه، و قد بينا الاستدلال بذلك على ما نذهب اليه من جواز العفو عن مرتكبي الكبائر من أهل الصلاة، و إن لم يتوبوا فيما مضى، فلا وجه لإعادته و قيل أنه عنى بهذه الآية أبا طعمة الخائن حين أشرك و مات على شركه بالله، غير أن الآية و إن نزلت بسببه، فعندنا و عند جميع الأمة أن الله لا يغفر لمن أشرك به بلا توبة: لتناول العموم لهم، فان قيل: فعلى هذا من لم يشرك بالله بان لا يعبد معه سواه، و إن كان كافراً بالنبي (ص) من اليهود النصارى ينبغى أن يكون داخلا تحت المشيئة لأنه مما دون الشرك! قلنا: ليس الامر على ذلك لأن كل كافر مشرك، لأنه إذا جحد نبوة النبي اعتقد أن ما ظهر على يده من المعجزات ليست من فعل الله، و نسبها الى غيره، و ان الذى صدقه بها ليس هو الله، و يكون ذلك اشراكا معه على أن الله تعالى أخبر عنهم بأنهم قالوا:

- يعنى النصارى- «المسيح ابن الله، و قالت اليهود عَزَّيْبُ ابْنُ اللَّهِ» (١) و ذلك هو الشرك بالله تعالى على أنه لو لم يكونوا داخلين فى الشرك لخصصناهم من جملة من تناولتهم المشيئة لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يغفر الكفر على وجه الا توبة.

و قوله: «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» يعنى من يجعل فى عبادته مع الله شريكا، فقد ذهب عن طريق الحق و زوال عن قصد السبيل ذهاباً بعيداً، لأنه باشراكه مع الله فى عبادته فقد أطاع الشيطان، و سلك طريقه و ترك طاعته ربه.

(١) سورة التوبة، آية ٣١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣١

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٧]..... ص: ٣٣١

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧)

- آية- اختلفوا في تأويل هذه الآية على خمسة أقوال:

فقال أبو ملك، و السدى و ابن زيد، و الزجاج: ان المراد بذلك آلهتهم، و اللات، و العزى، و منات، و ساف، و نائله سماهن إناثاً بتسمية المشركين إياها بأسماء الإناث.

الثانى- قال ابن عباس، و قتادة، و الحسن: معناه إن يدعون من دونه الا اناثاً يقول ميتاً ليس فيه روح، قال الحسن: الإناث كل شىء ميت ليس فيه روح، مثل خشبة يابس أو حجر يابس. و قال الزجاج: لان الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث كما يعبر عن المؤنث تقول: الأحجار تعجبني و لا تقول يعجبونى.

الثالث- قال الحسن فى رواية أخرى: إن أهل الأوثان كانوا يسمعون أوثانهم أناثاً، و كان لكل حى صنم يسمونها أنثى.

الرابع- قال مجاهد: الإناث هى الأوثان. و روى عن عروة عن أبيه أن فى مصحف عائشة الا- أوثاناً و روى عن ابن عباس أنه كان يقرأها إلا وثناً مع وثن كأنه جمع وثناً، وثناً، ثم قلب الواو همزة مضمومة مثل وجوه و أوجه وقتت و اقتت. و قرأ بعضهم أنثاً جمع أناث مثل ثمار و ثمر و القراءة و المشهورة أناثاً، و عليه القراء من أهل الأمصار.

الخامس- قال الحسين بن على المغربى: إلا اناثاً معناه ضعافاً عاجزين لا قدرة لهم يقولون: سيف أنيث و مينائى بالهاء و ميناث أى غير قاطع. قال صخر الغى:

فتخبره بأن العقل عندى جراز لا أفل و لا أنيث

و أنث فى أمره: إذا لان، و ضعف و الاينث المخنث، و قال الكميت:

و شذبت عنهم شوكة كل قتادة بفارس يخشاها الاينث المغمز

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٢

قال الازهرى: و الإناث الموات. و قوله: «وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا» المعنى إن هؤلاء الذين يعبدون غير الله ليس يعبدون الا الجمادات، و الا الشيطان المريد و هو المتمرد على الله فى خلافه فيما أمر به و نهى عنه و هو إبليس، و به قال قتادة و اكثر المفسرين «و يدعون» معناه يعبدون، لأنهم، إذا دعوا الله مخلصين، فقد عبدوه، و مثله قوله: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» «١» اى اعبدونى بدلالة قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي» «٢» قال الزجاج: المريد هو الخارج عن الطاعة يقال حائط ممرّد اى مملس و شجرة مرداء إذا تناثر ورقها و منه سمي أمرد و من لا لحيه له أى أملس موضع اللحية، و يقال مرد الرجل يمرد مروداً و مرادة: إذا عتا و خرج عن الطاعة.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١١٨]..... ص: ٣٣٢

لَعْنَةُ اللَّهِ وَ قَالَ لَاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨)

- آية- معنى لعنه الله أبعد الله من ثوابه، و أخزاه و أقصاه و الهاء فى (لعنه) الله كناية عن الشيطان و التقدير، و ان يدعون إلا شيطاناً مريداً قد لعنه الله و أبعده من كل خير.

و قوله: «وَ قَالَ لَاتَّخِذَنَّ» يعنى بذلك ان الشيطان المريد قال لربه (عز و جل) إذ لعنه: لاتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً يعنى قسماً معلوماً و به قال الضحاك. و اتخاذا الشيطان النصيب من عباد الله يكون باغوائه إياهم عن قصد السبيل، و دعائه إياهم الى طاعته، و تزيينه لهم الضلال و الكفر، فمن أجاب دعاءه و اتبعه، فهو من نصيبه المعلوم، و حظه المقسوم، و انما اخبر بذلك ليعلم الذين شاقوا الرسول من بعد ما تبين له الهدى انهم من نصيب الشيطان الذى لعنه الله. و المفروض: الموقت. و المعنى ها هنا

(١، ٢) سورة المؤمن، آية ٦٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٣

ما افترضه عليهم من طاعتي و الفرض: القطع و الفريضة الثلثة تكون في النهر و الفريضة:

كل ما أمر الله به و الزمه و قوله: «وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً» (١) أي قطعه من المال و فرضت للرجل: إذا جعلت له قطعه من مال الفيء و الفرض التمر قال الشاعر:

إذا أكلت سمكا و فرضاً ذهب طولاً و ذهب عرضاً (٢)

و إنما سمي التمر فرضاً لأنه يؤخذ في فرائض الصدقة يقال: سقاها بالفراض و الفرض و الفرض الحز يكون في المسواك يشد فيه الخيط، و الفرض في القوس: الحز يشد فيه الوتر.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١١٩ الى ١٢١]..... ص: ٣٣٣

إشارة

وَأَضَ لَنَّهُمْ وَ لَأَمَّتِيَّهُمْ وَ لَأَمَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَ لَأَمَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يِعْدُهُمْ وَ يَمْنِيهِمْ وَ مَا يِعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) ثلاث آيات.

المعنى:..... ص: ٣٣٣

قوله: «وَأَضَ لَنَّهُمْ» إخبار عن الشيطان المرید الذي وصف صفته في الآية الاولى انه قال لربه: «لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. وَ لَأَضَ لَنَّهُمْ» و معناه و لاصدن النصيب المفروض الذي اتخذه من عبادك عن محجة الهدى إلى الضلال و من الإسلام إلى الكفر «وَأَمَّتِيَّهُمْ» و معناه أوهمهم انهم ينالون في الآخرة حظاً لأزيغهم بما أجعل في أنفسهم من الاماني عن طاعتك و توحيدك الى طاعتي و الشرك بي «وَأَمَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ» يعني لا أمرن النصيب المفروض من

(١) سورة البقرة، آية ٢٧٧.

(٢) لسان العرب (فرض).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٤

عبادك بعبادة غير من الأنداد و الأوثان ينسكوا له و يحرموا يحللوا و يشرعوا غير الذي شرعه الله لهم فيتبعوني و يخالفوك.

اللغة:..... ص: ٣٣٤

و التبتيك: القطع تقول بتكت الشيء ابتكه تبتيكاً: إذا قطعتة. و بتكه و بتك مثل قطعه و قطع و سيف باتك. قاطع و المراد في هذا الموضوع قطع اذن البحيرة، ليعلم انها بحيرة. و أراد الشيطان بذلك دعاءهم إلى البحيرة فيستجيبون له، و يعلمون بها طاعة له. قال قتادة: البتك قطع اذان البحيرة و السائبة لطواغيتهم و قال السدي:

كانوا يشقونها. و به قال عكرمة و قوله: «وَلَا مُرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ» اختلفوا في معناه فقال ابن عباس، و الربيع بن انس عن انس: انه الإخصاء و كرهوا الإخصاء في البهائم و به قال سفيان، و شهر بن حوشب، و عكرمة و ابو صالح و في رواية أخرى عن ابن عباس فليغيرن دين الله و به قال إبراهيم و مجاهد و روى ذلك عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهم السلام قال مجاهد: كذب العبد يعنى عكرمة في قوله: إنه الإخصاء و إنما هو تغيير دين الله الذى فطر الناس عليه في قوله: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» (١) و هو قول قتادة، و الحسن و السدى، و الضحاك، و ابن زيد. و قال قوم: هو الوشم. روى ذلك عن الحسن و الضحاك و ابراهيم ايضاً و عبد الله. و قال عبد الله: لعن الله الواشمات و الموتشمت و المتفلجات المغيرات خلق الله و قال الزجاج: خلق الله تعالى الانعام ليأكلوها، فحرموها على أنفسهم و خلق الشمس و القمر و الحجاره مسخرة للناس ينتفعون بها، فعبدها (٢) المشركون و أقوى الأقوال من قال: فليغيرن خلق الله بمعنى دين الله بدلالة قوله: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» و يدخل في ذلك جميع ما قاله المفسرون، لأنه إذا كان ذلك خلاف الدين فالآية تناوله، ثم اخبر تعالى عن حال نصيب الشيطان المفروض الذين شاقوا

(١) سورة الروم: آية ٣.

(٢) فى الأصل (فعبدوها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٥

الله و رسوله من بعد ما تبين له الهدى (١) فقال و من يتبع الشيطان فيطيعه فى معصية الله و خلاف أمره «فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا» معناه هلك هلاكاً ظاهراً، و يخس نفسه حظها خسراً مبيناً عن عطبه و هلاكه، لأن الشيطان لا يملك له نصيراً من الله إذا أراد عقابه، ثم اخبر تعالى الشيطان أنه يعد من يتبعه و يمنيهم فيعدهم النصر ممن أرادهم، و يمنيهم الظفر على من أرادهم بمكره، ثم قال تعالى: «وَمَا يَعْدهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» يعنى باطلا و سماه غروراً، لأنهم كانوا يظنون أن ذلك حق، فلما بان لهم أنه باطل، كان غروراً و قوله: «أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ» إشارة الى هؤلاء الذين اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله مأواهم يعنى مصيرهم الذين يصيرهم اليه جهنم و لا يجدون عنها محيصاً يعنى لا يجدون عنها معدلاً إذا حصولها فيها.

اللغة:..... ص: ٣٣٥

بقول حاص فلان عن هذا الامر يحيص حيصاً و حوصاً: إذا عدل عنه و منه حديث ابن عمر (بعثنا رسول الله (ص) سرية، كنت فيهم فلقينا المشركين فحصنا حيصة) و قال بعضهم: فجاضوا جيضه و هما بمعنى واحد، غير انه لا يقرأ إلا بالصاد و الحاج و حصت احوص حوصاً و حياصاً إذا خطت يقال حص عين صقر، أى خط عينه و الحوص فى العين مؤخرها. و الخوص غورها.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٢]..... ص: ٣٣٥

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدِئاً وَعِيداً وَاللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَضِدُّقٌ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢)

(١) سورة النساء آية ١١٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٦

آية- لما ذكر الله تعالى حكم من يشاقق الرسول، و يتبع غير سبيل المؤمنين، و ذكر ان من يشرك به لا يغفر له و بين حكم من يتبع

الشیطان و يكون من نصيبه، ذكر فی هذه الآیة حکم من یؤمن به و یوحده، و یقر بنبيه و یصدقه و یضيف الى ذلك عمل الصالحات، و انه سيد خلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً على أعمالهم، و جزاء إيمانهم، و یخلدهم فيها «خَالِدِينَ» نصب على الحال و المعنى ان هذه الحال ستدوم لهم، و تتأبد، و ان ذلك وعد حق من الله لهم و قوله: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» صورته صورة الاستفهام و المراد به التقرير و الإنكار و المعنى لا- أحد اصدق من الله قليلاً أى قولاً و وعداً، لأنه لا يجوز عليه خلف الميعاد و لا الإخلال بما يجب عليه من الثواب. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٣]..... ص: ٣٣٦

إشارة

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)
- آية -

المعنى:..... ص: ٣٣٦

فى (ليس) ضمير و التقدير ليس الثواب بأمانيتكم، و لا- أمانى أهل الكتاب و الامانى يخفف و يثقل فيقال بامانى و امانى على وزن أفاعيل و فعالل كقراير و قراقر.

و اختلفوا فى من عنى بهذه الآیة فقال مسروق تفاخر المسلمون، و أهل الكتاب، فقال المسلمون نحن اهدى منكم. و قال أهل الكتاب: نحن اهدى منكم. فانزل الله تعالى: «لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ» فقال أهل الكتاب نحن و أنتم سواء فانزل الله تعالى «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (١) ففلح المسلمون. ذهب الى ذلك قتادة و السدى، و الضحاك و ابو

(١) فى المطبوعة (ففتح).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٧

صالح. و قال مجاهد معناه ليس بأمانيتكم يعنى أهل الشرك من قريش، لأنهم قالوا:

لا نبعث و لا نعدب، و لا امانى أهل الكتاب انهم خير من المسلمين، و لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ذهب اليه ابن زيد و هذا الوجه أقوى لأنه لم يجر لامانى المسلمين ذكر و قد جرى ذكر امانى الكفار فى قوله: «وَأَلْمَنِيَّهِمْ» يعنى الذى يتخذهم الشيطان «نَصِيْبًا مَفْرُوضًا» و يقوى ذلك أن الله تعالى قد وعد المؤمنين بقوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» بإدخال الجنة و الخلود فيها.

و تلك غاية أمانى المسلمين، فكيف ينفى بعد ذلك أمانيتهم؟.

و قوله: «مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ» اختلفوا فى تأويله فقال قوم: إنه يريد بذلك جميع المعاصى صغائرها و كبائرها و إن من ارتكب شيئاً منها، فان الله يجازيه عليها. اما فى الدنيا أو فى الآخرة ذهب اليه قتادة و عائشة، و مجاهد. و قال آخرون: من يعمل سوءاً من أهل الكتاب نجزيه ذهب اليه، الحسن. قال:

كقوله: «وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ» (١) و به قال ابن زيد و الضحاك و هو الذى يليق بمذهبنا، لأننا نقطع على ان الكفار لا يغفر لهم على حال و المسلمون يجوز أن يغفر لهم ما يستحقونه من العقاب، فلا يمكننا القطع على أنه لا بد أن يجازى بكل سوء. و قال قوم: معنى السوء ها هنا الشرك فمعنى الآیة من يعمل الشرك يجزيه (٢) ذهب اليه ابن عباس و سعيد بن جبیر.

و روى أبو هريرة انه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين، فشكوا إلى رسول الله (ص) فقال (ص): فادفعوا و تشددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبهها او الشوكة يشاكها.
 و قيل لبعض الصحابة: أليس بمرض، ا ليست تصيب اللأواء؟ قال: بلى فهو ما تجزون به.
 و قوله: «وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» معناه و لا يجد الذي يعمل سوءاً من معاصي الله، و خلاف أمره ولياً يلي أمره و ينصره و يحامى عنه، و يدفع عنه ما ينزل به من عقوبة الله، «وَلَا نَصِيرًا» يعنى ناصراً ينصره مما يحل به من عقاب الله، و اليم عذابه. و استدلت المعتزلة على المنع من غفران معاصي أهل

(١) سورة سبأ، آية ١٧.

(٢) في المطبوعة (ينجز به).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٨

الصلاة بهذه الآية. قالوا: لأنه تعالى بين أنه يجازى على كل سيئه، و ذلك يمنع من جواز العفو قلنا: قد تكلمنا على نظير ذلك فيما مضى بما يمكن اعتماده ها هنا منها انا لا نسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء، بل فى أهل التأويل من قال: المراد به الشرك. و هو ابن عباس و قد قدمناه، ثم لا- خلاف أن الآية مخصوصة، لأن التائب و من كانت معصيته صغيرة، لا يتناوله العموم، فإذا جاز لهم تخصيص الفريقين، جاز لنا أن نخص من يتفضل الله عليه بالعفو. و هذا واضح و قد بينا الجواب عما يزداد على ذلك من الاسئلة بما فيه كفاية فيما مضى و فى كتاب شرح الجمل، لا نطول بذكره ها هنا.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٤]..... ص: ٣٣٨

إشارة

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)
 - آية -

القراءة:..... ص: ٣٣٨

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و ابو بكر، ال-الكسائي و ابو جعفر و روم (يَدْخُلُونَ) بضم الياء و فتح الخاء ها هنا و فى مريم و المؤمن. و وافقهم رويس الا فى هذه السورة.

المعنى:..... ص: ٣٣٨

وعد الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الذكور و الإناث إذا عملوا الاعمال الصالحات، و هم مؤمنون مقرون بتوحيد الله و عدله، مصدقون بنبيه (ص)، عاملون لما اتى به بأنه يدخلهم الجنة و ينبيهم فيها، و لا يبخسهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب، و ان كان مقدار نقير فى الصغر، و هى النقطة التى فى ظهر النواة، و قيل منها تنبت النخلة. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٣٩
 و من ضم الياء و فتح الخاء، فلانه قال: «وَلَا يُظَلَّمُونَ» فضم الياء، ليزدوج الكلام، و لأنهم لا يدخلونها حتى يدخلوها. و من فتح الياء، فلأنهم إذا ادخلوا الجنة، فقد دخلوها. فان قيل ظاهر الآية يقتضى انه لا يثيب الا من آمن و عمل الصالحات فمن انفرذ بالايمان، لا

يستحق الثواب، وكذلك من فعل بعض الصالحات قلنا: ظاهر العموم مخصوص بلا خلاف لأنه لو آمن بالله واليوم الآخر و اخترم عقبيه، لا خلاف انه يدخل الجنة، فكذلك إذا اخل ببعض الصالحات أو ارتكب معصية، فانا نعلم دخوله الجنة بدليل آخر على أن (من) في قوله: (من الصالحات) يقتضى أنه لو فعل بعض الصالحات لأدخل الجنة، لأنها للتبعض. و انما تقتضى الاستغراق إذا حملت على ان معناها بيان الصفة، فإذا احتمل الظاهر ما قلناه، سقطت المعارضة فاما من قال: ان (من) زائدة فلا يعول على قوله، لأنه إذا أمكن حمل الكلام على فائدة، لم يجز أن يحمل على الزيادة. و بما قلناه في معنى النكير، قال مجاهد و عطية و السدى و غيرهم.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٥].... ص: ٣٣٩

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)

- آية- قضى الله تعالى في هذه الآية للإسلام بالفضل على سائر الملل بقوله: و من أحسن ديناً أيها الناس و هو في صورة الاستفهام. و المراد به التقرير. و المعنى من احسن ديناً و أصوب طريقاً، و اهدى سبيلاً ممن اسلم وجهه لله يعنى استسلم وجهه لله. و الوجه يراد به ها هنا نفسه و ذاته كما قال: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» (١) فانقاد له بالطاعة و لنيه (ص) بالتصديق «وَهُوَ مُحْسِنٌ» بمعنى و هو فاعل للفعل الحسن مما أمره الله به «وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» يعنى و اتبع الذى كان عليه (ابراهيم)،

(١) سورة القصص، آية ٨٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٠

و امر به نبيه من بعده، و أوصاهم به من الإقرار بتوحيده، و عدله و تنزيهه عما لا يليق به (حنيفاً) يعنى مستقيماً على منهاجه و سبيله. و قد بينا فيما مضى معنى الحنيف، فلا فائدة في إعادته، و بمثل ذلك قال الضحاك، و غيره من المفسرين.

و قوله: «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» و معنى الخليل يحتمل أمرين:

أحدهما- المحبة، مشتقاً من الخلّة بضم الخاء و المعنى اتخذ الله ابراهيم محباً و تكون خلّة ابراهيم: موالاته لأولياء الله و معاداته لاعدائه. و خلّة الله له نصرته على من اراده بسوء مثل ما أراد نمرود من إحراقه بالنار، فأنقذه الله منها، و أعلى حجته عليه. و كما فعل بملك مصر حين راوده عن اهله، و جعله اماماً لمن بعده من عباده، و قدوة لهم.

و الثانى- ان يكون ذلك مشتقاً من الخلّة التى هى الفقر بفتح الخاء- كما قال زهير يمدح هرم بن سنان:

و ان أتاها خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى و لا حرم

و يروى يوم مسغبة و هو الأظهر و انما انشد البلخي يوم مسألة، و هو بخلاف الروايات. و قال آخر:

وانى و ان لم تسعفانى بحاجة إلى آل ليلى مرة الخليلي (٢)

أى المحتاج. و قيل: انه أصاب أهل ناحية ابراهيم (ع) جدب، فارتحل الى خليل له من أهل مصر يلتمس طعاماً لأهله من قبله، فلم يصب عنده حاجته، فلما قرب من أهله مر بمفازة ذات رمل لينة فملاً غرائره (٣) من ذلك الرمل لثلاً يغم أهله برجوعه بغير ميرة (٤)، فيظنون ان معه طعاماً فحول الله تعالى غرائره دقيقاً، فلما وصل إلى اهله قام أهله، ففتحو الغرائز فوجدوا دقيقاً، فعجنوا منه، فخبزوا فاستيقظ

(١) اللسان: (حرم) و (اخلل). رفع (يقول) مع انه جواب الجزاء، على التقديم كأنه قال: ان أتاها خليل. أجاز ذلك سيويه.

(٢) لم أجد البيت في مصادرنا. [...]

(٣) الغرائز جمع غرارة- بكسر الغين- و هى الجوارق التى يوضع فيها الدخن و القبح.

(٤) الميرة الطعام أو جلبيه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤١

ابراهيم فسألهم من اين خبزوا؟ فقالوا من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك «١» المصرى فقال: لا بل من عند خليلي الله (عز و جل) فسماء الله خليلا. فهذا ما روى و هو من آيات الأنبياء (ص) فاما الاشتقاق فالخلة بضم الخاء: الصداقة. و الخلة بفتح الخاء: الحاجة، و استعمل فى الحاجة، للاختلال الذى يلحق الفقير فيما يحتاج اليه. و الخلة بمعنى الصداقة، فلان كل واحد منهما يسد خلل صاحبه فى المودة، و الحاجة. و قيل: لأنه يطلعه على اسراره فكأنه فى خلل قلبه و الخلل: كل فرجه تقع فى شىء و الخلال: هو ما يتخلل به لأنه يتبع به الخلل بين الأسنان.

قال الشاعر:

و نظرن من خلل الستور بأعين مرضى مخالطها السقام صحاح

يعنى نظرن من الفرج التى فى الستور و قولهم: لك خلة من خلال. تأويله إنى أخلى لك من رأى، او مما عندى عن خله من خلال و معنى أخلى أخلل. فأبدل من إحدى اللامين ياء و يجوز أن يكون أخلى من الخلو، و الخلو، و الخلل يرجعان الى معنى واحد. و الخلل: الطريق فى الرمل إذا انفرجت منه فرجة فصارت طريقاً.

و الخل ما يؤكل معروف. و اختار الفراء و البلخى. أن يكون من الخلة التى هى الفقر قال: و يخالف المحبة، لان المحبة من الله لعبده هى الثناء عليه و مدحه له، و لأنه يحب الإنسان ما ليس من جنسه، و لا يخاف إلا ما هو من جنسه. و على ما بيناه، لا يمنع ذلك و إن كان فيه بعض التجوز. و قال الازهرى: الخليل الذى خص بالمحبة يقال: دعا فلان فخلل أى خص. و اختاره الجبائى هذا الوجه و قال: كل نبي فهو خليل الله، لأنه خصه بما لم يخص به غيره. و الخلة: الخصلة، و جمعها خلال. و انما خص الله تعالى ابراهيم بأنه خليله من الفقر، و ان كان الخلق كلهم فقراء إلى رحمته تشريفاً له بالنسبة اليه، و اختصاصه به من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته سواه.

و خص ابراهيم من بين سائر الأنبياء بانه خليل الله على المعنيين، كما خص موسى بانه كليم الله و محمد (ص) بانه حبيب الله، و عيسى بانه روح الله و لا يلزم على ذلك

(١) فى المطبوعة (خليك).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٢

تسمية عيسى بانه ابن الله، لان هذه اللفظة لا تستعمل حقيقتها إلا فى من خلق من مائه أو ولد على فراشه، و مجازها فى من يجوز ذلك فيه. و لذلك لا يجوز أن يتخذ الشاب شيخاً ابناً، و ان جاز ان يتبنى بصبى، و لا يجوز أن يتخذ البهيمه ابناً، لما لم يجز أن تكون مخلوقة من مائه على وجه.

و الحنيفة التى أمر الله نبيه بأن يتبع ابراهيم فيها عشرة أشياء: خمسة فى الرأس و خمسة فى الجسد. فالتى فى الرأس: المضمضة. و الاستنشاق، و السواك، و قص الشارب، و الفرق لمن يكون طويل الشعر، و التى فى الجسد: فالاستنجاء، و الختان، و حلق العانة، و نتف الإبط و قص الاظفار و جميع ذلك مستحب الا-الختان و الاستنجاء، فإنهما واجبان. و فيه خلاف ذكرناه فى الخلاف. و قال الجبائى كلما كان تعبد الله به ابراهيم، فانه تعبد به النبى (ص) و أمته و زاده أشياء لم يتعبد بها ابراهيم (ع) و عموم الآية يقتضى ما قاله، و إن كان ذلك شرعاً لنبينا من حيث اعلمه الله ذلك، و تعبد به بوحي من جهته.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٦]..... ص: ٣٤٢

وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً (١٢٦)

- آية- لما ذكر الله تعالى انه اتخذ ابراهيم خليلاً لطاعته ربه و إخلاصه له العبادة، و مسارعة الى رضاه، بين ذلك بفضل لا من حاجة الى خلته فقال: و كيف يحتاج الى خلته من له ما في السماوات و الأرض من قليل و كثير ملكا، و مع ذلك مستغن عن جميع خلقه. و جميع الخلق يحتاجون اليه فكيف يحتاج الى خلته ابراهيم، لكنه اتخذ خليلاً لمسارعة الى رضاه و امثاله ما يأمره به. «وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا» يعنى لم يزل الله عالماً بجميع ما فعل عباده ان كان محسناً أثابه، و ان كان مسيئاً عاقبه ان شاء. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٣

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٧]..... ص: ٣٤٣

إشارة

وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) آية بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ٣٤٣

يسألك يا محمد، أصحابك ان تفتيهم في أمر النساء، و الواجب لهن و عليهن. و اكتفى بذكر النساء من ذكر شأنهن لدلالة الكلام على المراد «قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» يعنى قل يا محمد، انه يفتيكم فيهن يعنى في النساء و ما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن.

الاعراب:..... ص: ٣٤٣

و اختلفوا في اعراب (ما يتلى). قال الزجاج و الفراء معاً: يحتمل ان يكون موضع (ما) رفعاً و التقدير في قول الزجاج، و الذى يتلى عليكم في الكتاب أيضاً يفتيكم فيه. و قال الفراء تقديره الله يوصيكم فيهن و ما يتلى عليكم. و قالا جميعاً يجوز ان يكون موضع (ما) خفضاً بالعطف على فيهن إلا ان الزجاج ضعف هذا و قال:

هذا بعيد لان عطف المظهر على المضمّر لا يجوز. و قال الفراء: يجوز على تقدير فيهن و ما يتلى عليكم. و اختلفوا في تأويل «وَ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ» فقال قوم: الذى يتلى عليكم هو آيات الفرائض التى في أول السورة. روى ذلك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

كان اهل الجاهلية التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٤

لا يورثون المولود حتى يكبر، و لا يورثون المرأة، فانزل الله آية الميراث أول السورة، و هو معنى «اللّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ». و به قال مجاهد: و روى ذلك عن أبى جعفر (ع).

و قال قوم: كان الرجل تكون في حجره اليتيمة بها ذمامة، و لها مال، فكان يرغب عنها ان يتزوجها و يحبسها لما لها طمعاً أن تموت فيرثها، فنزلت الآية. ذهب اليه عائشة، و قتادة و السدى و ابو مالك و ابراهيم

قال السدى: كان جابر بن عبد الله الانصارى ثم السلمى له بنت عم عمياء ذميمة قد ورثت عن أبيها ما لا، فكان جابر يرغب عن نكاحها، و لا ينكحها، مخافة أن يذهب الروح بما لها فسأل النبي (ص) عن ذلك و قال: أ ترث إذا كانت عمياء؟ فقال (ص): نعم

فانزل الله فيه هذه الآية.

وقال قوم: معناه يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم في آخر السورة من قوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ» في الكلالة ذهب اليه ابن جبير وقالت عائشة: كان الرجل تكون في حجرة اليتيم تشاركه في ماله فيعجبه ماله وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها، فنهى الله عن ذلك في قوله: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا» من غيرهن «مَا طَابَ لَكُمْ» قالت: وقوله: «وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» هو ما ذكره في أول السورة من قوله: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا». فعلى هذه الأقوال (ما) في موضع خفض بالعطف على الهاء والنون في قوله: (فيهن) والتقدير قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم، وعلى ما قال الفراء: قل الله يفتيكم فيهن ما يتلى عليكم في الكتاب وقال آخرون: نزلت الآية في قوم من أصحابه (ص) سألوه عن أشياء من أمر النساء، وتركوا المسألة عن أشياء أخر كانوا يفعلونها، فأفاهم الله فيما سألوه عنه، وفيما تركوا المسألة عنه ذهب اليه محمد بن أبي موسى. ويكون معنى قوله: وما يتلى عليكم في الآية التي بعدها وقيل: هم اليتامى الصغار من الذكور والإناث. وما بعدها قوله: «وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا» والذي سألوها عنه، فأجيبوا ما كتب الله لهن من الميراث في آية الميراث. واختار الطبري أن يكون المراد به آيات الفرائض قال: لأن الصداق ليس مما كتب الله للنساء الا بالنكاح، فما لم تنكح فلا صداق التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٥ لها عند احد.

وقوله: «وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ» في موضع جر وتقديره وفي المستضعفين من الولدان. وقيل هم اليتامى الصغار من من الذكور والإناث، لأنهم كانوا لا يورثون الصغار من الذكور حتى يبلغ. «وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى وَالْمَعْنَى وَفِي أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ عَلَى مَا قَالَهُ فِي قَوْلِهِ: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى»: فأمرهم أن يؤتوا المستضعفين من الولدان حقوقهم من الميراث، و يعدلوا فيهم، ويعطونهم ما فرضه الله لهم في كتابه. و به قال السدي، وابن زيد، ومجاهد، وابن عباس.

وقوله: «وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» معناه ترغبون عن أن تنكحوهن.

وقال الحسن في قوله: «وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ» قال: يعني في يتامى النساء اللاتي لا تتونهن أي الا يأكلوا أموالهم إلا بالقسط، يعني بالعدل. وقال عبيدة السلماني فيما رواه ابن سيرين عنه ان معنى (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ترغبون فيهن. وفي روايه ابن عون عن ابن سيرين يرغبون عنهن. وقال الحسن: يرغبون عنهن وكان عينية بن حصن يقول: يا محمد أ تعطي الوالدان المال؟ وانما يأخذ المال من يقاتل ويجوز الغنيمه، فنزل قوله: «وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ».

وقوله: «وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا» المعنى مهما فعلتم، أيها المؤمنون من عدل في أمر اليتامى التي أمركم الله أن تقوموا فيهن بالقسط، وانتهيتم فيه إلى أمره وإلى طاعته، فان الله كان به عالماً لم يزل وقيل معنا إن الله سيجازيكم عليه كما يقول القائل أنا أعرف لك ما تفعله بمعنى اجازيك عليه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٨]..... ص: ٣٤٥

إشارة

وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصِلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٦

آية.

القراءة و الحجأة:..... ص: ٣٤٦

قرأ أهل الكوفة أن يصلحاً بضم الياء و كسر اللام و بسكون الصاد. الباقرن يصلحاً بتشديد الصاد فمن شدد الصاد، قال معناه يتصلحاً و يكون قوله: (صلحاً) اسماً لا مصدرأ و من قرأ بخلافه قال: هو مصدر.

المعنى:..... ص: ٣٤٦

يقول الله تعالى: «وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ» و معناه علمت «مِنْ بَعْلِهَا»، أى زوجها «نُشُوزاً» يعنى استعلاءً بنفسه عنها الى غيرها. و ارتفاعاً بها عنها: إما لبغضه، و إما لكرهه منه شيئاً منها إما ذماتها، و إما سنهها و كبرها، أو غير ذلك «أَوْ إِعْرَاضاً» يعنى انصرافاً بوجهه او ببعض منافعه التى كانت لها منه «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» أى لا حرج عليهما ان يصلحها بينهما صلحاً بان ترك المرأة له يومها، او تضع عنه بعض ما يجب لها. من نفقة او كسوة، و غير ذلك تستعطفه بذلك، و تستديم المقام فى حباله، و التمسك بالعقد الذى بينها و بينه من النكاح، ثم قال:

«وَ الصُّلْحُ» بترك بعض الحق استدأمة للخدمة، و تمسكاً بعقد النكاح خير من طلب الفرقة، و قال بعضهم: الصلح خير من النشوز، و الاعراض و الأول أشبه. هذا إذا كان بطيبة من نفسها، فان لم يكن كذلك، فلا يجوز له الا ما يسوغ فى الشرع من القيام بالكسوة و النفقة، و القسمة و إلا يطلق. و بهذه الجملة قال على عليه السلام، و عمر و ابن عباس، و سعد بن جبير و عائشة و عبيدة السلماني، و ابراهيم و الحكم و قتادة، و مجاهد و عامر الشعبي و السدى، و ابن زيد و قال ابن عباس:

خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله (ص) فقالت لا تطلقنى و اجلسنى مع نسائك و لا تقسم لى، فنزلت «وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً»

و قال سعيد بن المسيب عن سليمان بن يسار. ان رافع بن خديج كانت تحته امرأة قد علا من سنهها،

قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٧

أبو جعفر (ع) هى بنت محمد بن مسلمة، فتزوج عليها شابة فآثر الشابه عليها، فأبت الاولى أن تقرر على ذلك، فطلقها تطليقة حتى إذا بقى من أجلها يسيراً قال: إن شئت راجعتك و صبرت على الاثرة، و ان شئت تركتك حتى يخلو أجلك، ثم طلقها الثانية، و فعل فيها ما فعل أولاً، قالت: بل راجعنى و اصبر على الاثرة، فراجعها. فذلك الصلح الذى بلغنا أن الله أنزل فيه «وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ» الآية.

و قوله: «وَ أَحْضَرَتِ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ وَ إِنِ تَحْسَبُونُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» و اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم و أحضرت الأنفس النساء الشح على أنصبائهن من انفس أزواجهن و أموالهن و أيامهن منهم. ذهب اليه ابن عباس و سعد بن جبير و عطاء، و ابن جريج و السدى. و يزعم انها فى سورة بنت زمعة، و رسول الله (ص) لأنها كانت كبرت، فأراد رسول الله (ص) ان يطلقها، فاصطلحها على ان يمسكها و يجعل يومها لعائشة، فشحت بمكانها من رسول الله (ص). و قال آخرون: و أحضرت انفس كل واحد من الرجل و المرأة الشح بحقه قبل صاحبه.

و هو أعم فيكون شح المرأة بترك حقها من النفقة و القسمة و غير ذلك و شح الرجل إنفاقه على التى لا يريدها، و بذلك قال ابن وهب، و ابن زيد. و الشح: افراط فى الحرص على الشىء و يكون بالمال و غيره من الاعراض يقال: هو شحيح بمودتك أى حريص على دوامها و لا يقال فى ذلك بخيل و البخل يكون بالمال خاصة.

قال الشاعر:

لقد كنت فى قوم عليك اشحةً بفقدك إلا ان من طاح طائح

يودون لو خاطوا عليك جلودهم و هل يدفع الموت النفوس الشحائح «١»

فان قيل: قوله: «وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ» ليس فيه ان الرجل نشز على امرأه و الخوف ليس معه يقين قلنا: عنه جوابان: أحدهما- إن الخوف في الآية بمعنى العلم و تقديره، و إن امرأه علمت.

(١) مجمع البيان ٢: ١١٩- طبع صيدا- العقد الفريد ٣: ٢٤٧- ٢٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٨

و الثاني- انها لا تخاف النشوز من الرجل إلا و قد بدأ منه ما يدل على النشوز و الاعراض من أمارات ذلك و دلائله. و قوله: «وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ» ارتفعت المرأة بفعل مضمّر دلّ عليه ما بعد الاسم، و تقديره و إن خافت امرأة خافت و التفرقة بين ان التي للجزء «١» و الفعل الماضي قال الزجاج هو جيد، و لا يجوز ذلك في الفعل المستقبل.

لا تقول: ان امرأه تخف، (ان) لا تفصل بينهما و بين ما يجزم و يجوز ذلك في ضرورة الشعر قال الشاعر:

فمتى واغل بينهم يحيوه و يعطف عليه كاس الساقى «٢»

و انما جاز في الماضي مع الاختيار، لان (ان) غير عامله في لفظه و ان لم تكن من «٣» حروف الجزاء، فجاز أن يفرق بينهما و بين الفعل، و غير ان يقبح فيه الفصل مع الماضي و المستقبل لا تقول: متى زيد جاءني أكرمته، و يجوز ان تقول: إن الله أمكنني فعلت. و قوله: «وَإِنَّ تُحْسِنُوا» خطاب للرجال يعنى ان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء، و تتقوا من الجور عليهن في النفقة و العشرة بالمعروف، فان الله عالم بذلك. و كان عالماً بما تعملون فيما قبل فيجازيكم على ذلك.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٢٩]..... ص: ٣٤٨

إشارة

وَلَنْ تَسِيَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصِلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩)
آية بلا خلاف.

(١) في المطبوعة (التي الجزاء).

(٢) لسان العرب: (وغل) و مجمع البيان ٢: ١١٩ الواغل: الداخل على القوم في طعامهم- و قيل: في شرابهم- دون أن يدعوه أو منفق معهم: و في روايه أخرى: و تعطف على كف الساقى.

(٣) في المطبوعة (و ان أم حروف الجزاء).

بيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٤٩

المعنى:..... ص: ٣٤٩

نفى الله تعالى في هذه الآية ان يقدر احد من عباده على التسوية بين النساء و الازواج في حبهنّ و الميل إليهن حتى لا يكون ميله الى واحدة منهنّ الا مثل ما يميل الى الاخرى. لان ذلك تابع لما فيه من الشهوة، و ميل الطبع. و ذلك من فعل الله تعالى، و لا صنع للخلق فيه، و ان حرص على ذلك كل الحرص. و ليس يريد بذلك نفى القدرة على التسوية بينهن في النفقة، و الكسوة و القسمة، لأنه لو كان كذلك لما امر الله تعالى بالتسوية في جميع ذلك، لأنه تعالى لا- يكلف العبد ما لا يطيقه. كما قال: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا» (١) و قال: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا» (٢) و لا- تجوز المناقضة في كلامه تعالى. و لو حملنا على انه نفى الاستطاعة في التسوية بينهما في النفقة، جاز أن يكون المراد به ان ذلك لا يخف عليكم بل يثقل و يشق عليكم تسويتهم، لميلكم الى بعضهن، فأباح الله تعالى حينئذ و رخص ان يفضل بعضهن على بعض في ما زاد على الواجب من القسمة و النفقة، و لا يؤاخذ بذلك.

و قوله: «فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ» معناه فلا- تعدلوا بأهوائكم عنم لم تملكوا محبته منهن كل الميل حتى يحملكم ذلك على أن تجوروا على صواحبهما في ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة، و النفقة و الكسوة، و العشرة بالمعروف، «فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ»، يعنى تذروا التي لا تميلون اليها كالمعلقة يعنى كالتى هي لا ذات زوج، و لا هي ايم. و به قال مجاهد و عبيدة، و الحسن و ابن عباس و قتادة و ابن زيد و الضحاك و سفيان، و الطبرى و الجبائى و البلخى و غيرهم. و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و ابن عبد الله (عليه السلام).

و روى ابو ملكية أن الآية نزلت في عائشة

و روى ابو قلابه عن رسول الله (ص) انه كان يقسم بين نساءه و يقول: اللهم هذه قسمتى في ما املك فلا تلمنى فيما تملك، و لا املك

و قوله:

«وَإِنْ تَضَلَّحُوا» يعنى فى القسمة بين الازواج و التسوية بينهما فى النفقة،

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٢) سورة الطلاق، آية ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٠

و الكسوة و العشرة بالمعروف، و تتركوا الميل «١» الذى نهاكم الله عنه، من تفضيل واحدة على الاخرى فى ذلك، «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا» تستر عليكم ما مضى منكم من الحيف فى ذلك إذا تبتم، و رجعتم الى الاستقامة و التسوية بينهما، و يرحمكم بترك المؤاخذه على ذلك، و كذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم يعنى فى قبول التوبة من «٢» كل تائب مقلع نادم على ما فرط و روى عن على (عليه السلام) انه كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ فى بيت الاخرى.

و روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابائه (عليهم السلام) ان النبى (صلى الله عليه و آله) كان يقسم بين نساءه فى مرضه. فيطاف [به «٣» بينهما

، و كان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا فى الطاعون أقرع بينهما أيهما تدفن قبل الأخرى؟.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٠]..... ص: ٣٥٠

إشارة

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيمًا (١٣٠)
آية

المعنى:..... ص: ٣٥٠

إن الزوجين اللذين تقدم ذكرهما، متى أبى كل واحد منهما مصالحة الآخر فإن تطالب المرأة بنصيحتها من القسمة و النفقة و الكسوة و يتمتع الزوج من إجابتها الى ذلك، لميله إلى الاخرى و محبته لها، أو لصغر سنها أو جمالها و يتفرقا حينئذ بالطلاق، فإن الله يغنى كل واحد منهما من سعته يعنى من فضله و رزقه «وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا» يعنى كان لم يزل هكذا واسع الفضل على عبادة، رحيمًا بهم فى ما يدبرهم به و فى الآية دليل على ان الأرزاق كلها بيد الله و هو الذى يتولاها

(١) المطبوعة (و كل)

(٢) من ساقطة المطبوعة

(٣) (به) ساقطة من المطبوعة و التصحيح عن مجمع البيان و السياق يقتضى ذلك أيضاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥١

لعباده و إن كان ربما أجزاها على يدي من يشاء من عباده و قال ابن عباس: «كُلًّا مِنْ سِعَتِهِ» يعنى من رزقه و هذه الجملة بها قال مجاهد و جميع المفسرين.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٣١ الى ١٣٤]..... ص: ٣٥١

وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا (١٣٢) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)

اربع آيات.

لما ذكر الله تعالى قوله: و أن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته بين فى هذه الآية بان له ملك ما فى السموات و ما فى الأرض، لا يتعذر عليه إغناء كل واحد من الزوجين عند التفرق، و إيناسه من وحشته ثم رجح إلى توبيخ من سعى فى أمر بنى أبيرق و تعنيفهم، و وعيد من فعل فعل المرتد منهم، فقال: و لقد وصينا أهل التوراة و الإنجيل و هم الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و إياكم أى و أمرناكم أيضاً أيها الخلق «أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ» و التقدير بان اتقوا الله و احذروا أن تعصوه، و تخالفوا أمره و نهيه «وَ إِنْ تَكْفُرُوا» يعنى تجحدوا وصيته إياكم أيها المؤمنون، فتخالفوها، «فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» يعنى له ملك ما فيهما، فلا يستحضر بخلافكم وصيته و لا ان تكونوا أمثال اليهود و النصارى، بل تضرون أنفسكم بما يحل بكم من عقابه، و غضبه «وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا» لم يزل، غير محتاج إلى خلقه و إن الخلق التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٢

هم المحتاجون إليه (حميداً) يعنى مستوجب الحمد عليكم بصنائه الحميدة إليكم، و آلائه الجميلة، فاستدعوا ذلك باتفاء معاصيه، و المسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به و هذه الجملة مروية عن على (عليه السلام) و هو قول جميع المفسرين، ثم قال:

«وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» بمعنى له ملك ما فيهما، و هو القيم بجميعه و الحافظ له لا يغرب عنه علم شىء و لا يؤوده حفظه و تدبيره «وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا» يعنى كفى الله حافظاً. فان قيل لم كرر قوله: «وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» الآيتين، إحداهما عقيب الاخرى؟ قلنا: لاختلاف الخبرين: الاول فى الآية الاولى عن حاجة الخلق إلى بارئه، و غناه تعالى عن خلقه، و فى الثانية حفظ الله تعالى إياهم و علمه بهم، و تدبيره لهم فان قيل: هلا قال: و كان الله غنياً حميداً أو كفى به و كَيْلًا؟ قيل: ما ذكره فى الآية الاولى يصلح ان يختم به وصف الله تعالى بالغناء و أنه محمود، و لم يذكر فيها ما يقتضى وصفه بالحفظ و التدبير، فلذلك كرر قوله: «وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» .

وقوله: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ» معناه، ان يشأ الله ايها الناس ان يهلككم، و يفتيككم و يأت بقوم آخرين غيركم ينصرون نبيه محمد (ص) و يؤازرونه، كان الله تعالى على ذلك قديراً، فوبخ تعالى بهذه الآيات الخائنين الذين خانوا الدرع «١» و ساعدوهم على ذلك، و دافعوا عنهم و حذر أصحاب النبي (ص) أن يكونوا مثلهم و ان يفعلوا فعل المرتد منهم في ارتداده و لحاقه بالمشركين و بين أن من فعل ذلك لا يضر إلا نفسه، لأنه المحتاج إليه (تعالى) و غناه عنه (عز و جل) و عن جميع الخلق

و روى عن النبي (ص) انه لما نزلت هذه الآية ضرب بيده على ظهر سلمان، فقال: هم قوم هذا رواه ابو هريرة عن النبي (ص) ، ثم أخبر (تعالى) من كان ممن أظهر الايمان بمحمد (ص) من أهل النفاق الذين يبتغون الكفر، و يظهرون الايمان. يريد ثواب الدنيا يعني عرض الدنيا بإظهاره بلسانه في الايمان، «فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا» يعني جزاؤه في الدنيا منها، و ثوابه فيها هو ما يأخذ من الفىء و الغنيمه إذا شهد مع

(١)- انظر تفسير آية (١٠٥) من سورة النساء.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٣

المسلمين الحرب، و آمنه على نفسه و ماله و ذريته. و أما ثوابه في الآخرة فنار جهنم.

«وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً» يعني انه كان لم يزل على صفة يجب ان يسمع المسموعات إذا وجدت، و يبصر المبصرات إذا وجدت. و هذه الصفة هي كونه حياً لا آفة فيه و الصفة حاصله له في الأزل و الآفات مستحيلة عليه، فوجب وصفه بانه سميع بصير و انما ذكرها هنا ذلك، ليبين ان ما يقوله المنافقون إذا لقوا المؤمنين فان الله يسمعه و يعلمه و هو قولهم: انا مؤمنون بصيراً بما يضمرونه و ينطون عليه من النفاق. و موضع كان في قوله: «من كان» جزم، لأنه شرط و الجواب الفاء. و ارتفعت (يريد) لأنه ليس فيها حرف عطف كما قال: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زَيَّنَّهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا» «١» و قال: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) «٢» جزم، لأنه جواب الشرط.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٥]..... ص: ٣٥٣

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)

- آية -

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٥٣

قرأ ابن عامر و حمزه (و إن تلوا) بضم اللام، بعدها واو واحدة ساكنة. الباقون يسكنون اللام بواوین بعدها أولهما مضمومة. حجة من قرأ بواو واحدة أن قال: إن ولاية الشيء اقبال عليه و خلاف الاعراض عنه. و المعنى ان تقبلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً فيجازى المحسن المقبل بإحسانه، و المسيء المعرض

(١) سورة هود، آية ١٠. [.....]

(٢) سورة الشورى، آية ٢٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٤

باعراضه و تركه الإقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال: و لو قرأت بالواوين، لكان فيه تكرار، لان اللى كالأعراض ألا ترى ان قوله: «لَوْأَ رُؤِسِيَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ» (١) معناه أعراض منهم، و ترك الانقياد للحق و مثله «لَيَّا بِاللَّيْتِيهِمْ» (٢) معناه انحراف و أخذ فيما لا ينبغي ان يأخذوا به. و حجة من قرأ بالواوين من لووا ان تقول لا يمتنع ان تتكرر اللفظتان المختلفتان بمعنى واحد على وجه التأكيد، كقوله: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» و كقول الشاعر:

و هند اتى من دونها النأى و البعد (٣)

و قول آخر:

و الفى قولها كذباً و ميتاً

و قالوا: أيضا يجوز ان يكون تلوا كان أصله تلوا، و ان الواو التى هى عين همزت لانضمامها، كما همزت فى قوله: (أدروا) و ألقيت حركة الهمزة على اللام التى هى فاء، فصار تلوا أجاز ذلك الزجاج و الفراء و أبو على الفارسي.

المعنى و اللغة:..... ص: ٣٥٤

و معنى الآية ان الله تعالى لما حكى عن الذين سعوا إلى رسول الله فى امر بنى أبيرق و قيامهم لهم بالعدر، و ذبهم عنهم من حيث كانوا أهل فقر و فاقة، أمر الله المؤمنين ان يكونوا «قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ» يعنى بالعدل و القسط، و الاقساط: العدل يقال: أقسط الرجل إقساطا إذا عدل و أتى بالقسط و قسط يقسط قسوطاً: إذا أجاز و قسط البعير يقسط قسطاً إذا بيصت يده و يد قسط، أى يابس (شهد الله) و هو جمع شهيد و نصب شهداء على الحال من الضمير فى قوله: (قوامين) و هو ضمير الذين آمنوا و قوله: «وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ» يعنى و لو كانت شهادتكم على أنفسكم أو على والديكم او على أقرب الناس إليكم، فقوموا فيها بالقسط و العدل، و أقيموا على صحتها، و قولوا فيها الحق، و لا تميلوا فيها لغنى غنى، و لا فقر فقير، فتجوروا، فان الله قد سوى بين الغنى و الفقير فيما ألزمكم من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل، و هو

(١) سورة المنافقون آية ٥.

(٢) سورة النساء، آية ٤٥.

(٣) قائله الحطيئة صدر البيت: الا حبذا هند و أرض بها هند.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٥

تعالى أولى بهما و أحق، لأنه مالكهما و إلهما دونكم و هو اعلم بما فيه مصلحة كل واحد منهما فى ذلك، و فى غيره من الأمور كلها منكم، فلا تتبعوا الهوى فى الميل فى شهادتكم إذا قمتم بها لغنى أو فقير الى أحدهما، فتعدلوا عن الحق أى تجوزوا عنه و تضلوا و لكن قوموا بالقسط، و أدوا الشهادة على ما أمركم الله عز و جل بأدائها بالعدل لمن شهدتم عليه و له، فان قيل كيف تكون شهادة الإنسان على نفسه حتى يأمر الله تعالى بذلك، قلنا: بان يكون عليه حق لغيره، فيقر له و لا يجحده، فأدب الله تعالى المؤمنين أن يفعلوا ما فعله الذين عذروا بنى أبيرق فى سرتهم ما سرقوا:

و خيانتهم ما خانوا و اضافتهم ذلك الى غيرهم فهذا اختيار الطبرى. و قال السدى: انها نزلت فى النبى (ص) و قد اختصم اليه رجلان غنى و فقير، فكان ضلعه مع الفقير، لظنه أن الفقير لا يظلم الغنى، فانى الله تعالى إلا القيام بالقسط فى أمر الغنى و الفقير قال: «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» و هذا الوجه فيه بعد، لأنه لا يجوز على النبى (ص) فى الحكم ان يميل إلى احد الخصمين سواء كان غنياً أو فقيراً فان ذلك ينافى عصمته و قال ابن عباس: أمر الله سبحانه المؤمنين أن يقولوا الحق و لو على أنفسهم، او أبنائهم، و لا يجابوا

غنياً لغناه، و لا مسكيناً لمسكنته و هذا هو الاولى، لأنه أليق بالظاهر من غير عدول عنه. و في الآية دلالة على جواز شهادة الوالد لولده و الولد لوالده، و كل ذى قرابة لمن يقرب منه، فقال ابن شهاب: كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدتهم، و ظهرت فيهم امور حملت الولاة على اتهامهم، فتركت شهادة من يتم إذا كان من اقربائهم و جاز ذلك من الولد و الوالد و الأخ و الزوج و المرأة و بمعنى قول ابن عباس، قال قتادة، و ابن زيد.

و قوله: «فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» إنما ثنى، و لم يقل به لأنه أراد (فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِغِنَاءِ الْغَنَىٰ وَ فَقْرِ الْفَقِيرِ) لان ذلك منه تعالى و قال قوم: لم يقصد غنياً بعينه، و لا فقيراً بعينه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٦

و هو مجهول و ما ذلك حكمه جاز الرد عليه التوحيد و التثنية و الجميع. و في قراءة أبي (فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمْ) و قال قوم: (او) بمعنى الواو في هذا الموضع، فلذلك ثنى و قال آخرون: جاز تثنية قوله (بهما)، لأنهما قد ذكرا، كما قيل: و له أخ أو أخت فلكل واحد منهما و قيل جاز ذلك، لأنه أضمر فيه (من) كأنه قال: و له أخ أو أخت إن يكون من خاصم غنياً أو فقيراً، بمعنى غنيين أو فقيرين «فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» .

و قوله: «فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا» يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- لا تتبعوا الهوى في ان تعدلوا عن الحق، فتجوروا بترك إقامة الشهادة بالحق.

و الثاني- ان يكون التقدير لا تتبعوا أهواء أنفسكم هرباً من ان تعدلوا في إقامة الشهادة.

و الثالث- فلا تتبعوا الهوى، لتعدلوا، كما يقال: لا تتبع هواك لترضى ربك، بمعنى أنهاك عنه كيما ترضى ربك بتركه. ذكره الفراء و الزجاج.

و قوله: «وَ إِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا» اختلفوا في تأويله فقال قوم: معناه و ان تلوا أيها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الاخر، أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً و حملوا الآية على انها نزلت في الحكام ذهب اليه السدى على ما قال:

إنها نزلت في النبي (ص) و روى عن ابن عباس أنه قال: هما الرجلان يجلسان بين يدي القاضى، فيكون لى القاضى و اعراضه لأحدهما على الاخر و قال آخرون:

معناه و ان تلوا ايها الشهداء في شهادتكم، فتحرفوها، فلا- تقيموها أو تعرضوا عنها، فتركوها ذهب اليه ابن عباس و مجاهد و قال مجاهد:

معنى تلوا تبدلوا الشهادة أو تعرضوا أى تكتموها و هو قول أبى جعفر (ع)

و به قال ابن زيد و الضحاك و أولى التأويلين قول من قال: إنه لى الشهادة لمن شهد له أو عليه بان يحرفها بلسانه أو يتركها، فلا يقيمها، ليبتل بذلك شهادته و اعراضه عنها فلو ترك إقامتها فلا يشهد بها. و سياق الآية يدل على ما قال ابن عباس و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ

كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» معناه انه كان عالماً بما يكون منهم من اقامة الشهادة، و تحريفها و الاعراض عنها، و اللى التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٧

هو المطل لما يجب من الحق قال الأعشى:

يلوينى دينى النهار و اقتضى دينى إذا رقد النعاس الرقدا «١»

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٦]..... ص: ٣٥٧

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)

- آية -

القراءة والحجة:..... ص: ٣٥٧

قرأ ابن كثير و أبو عمر و ابن عامر و الكسائي عن أبي بكر «الكتاب الذى نزل و الكتاب الذى أنزل» بضم النون، و الهمزة و كسر الزاء الباقون بفتحهما، فمن فتحهما حملة على قوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» و قوله: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ» و من ضمهما حملهما على قوله: «التَّبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» و قوله: «يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ» و كل جيد سايع.

قيل فى تأويل أمر من آمن - آمن يؤمن - بالله و رسوله ثلاثة أقوال:

أحدها - و هو المعتمد عليه عندنا و اللائق بمذهبننا ان المعنى يا أيها الذين آمنوا فى الظاهر بالإقرار بالله و رسوله، و صدقوهما، و آمنوا بالله و رسوله فى الباطن، ليطابق باطنكم ظاهركم و يكون الخطاب خاصا بالمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون. و الكتاب الذى نزل على رسوله هو القرآن أمرهم بالتصديق به و الكتاب الذى انزل من قبل، يعنى التوراة و الإنجيل أمرهم بالتصديق بهما. و انهما من عند الله.

و الثانى - ما اختاره الجبائى و الزجاج و البلخى ان يكون ذلك خطاباً لجميع المؤمنين

(١) ديوانه من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن لما أغار الحارث بن و علة على بعض السواء و رقمها: ٣٤. يلوينى: يملتنى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٨

الذين هم مؤمنون على الحقيقة ظاهراً أو باطناً أمرهم الله تعالى أن يؤمنوا به فى المستقبل بان يستديموا الايمان، و لا ينتقلوا عنه، لان الايمان الذى هو التصديق لا يبقى و انما يستمر بان يجدهه الإنسان حالا بعد حال و هذا أيضاً وجه جيد.

الثالث - ما اختاره الطبرى من ان ذلك خطاب لأهل الكتاب اليهود و النصارى أمرهم الله (تعالى) بان يؤمنوا بالنبي (ص)، و الكتاب الذى أنزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكتب: التوراة و الإنجيل و يكون قوله: «وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلُ» اشارة الى ما معهم من الإنجيل و التوراة و يكون وجه أمرهم بالتصديق لهما و ان كانوا مصدقين بهما، لاحد أمرين:

أحدهما - ان التوراة و الإنجيل إذا كان فيهما صفات النبي (ص)، و ما ينبئ عن صدق قوله و صحة نبوته فمن لم يصدق النبي (ص)، و لم يصدق الكتاب الذى أنزل معه، لا - يكون مصداقاً بما معه، لان فى تكذيبه، تكذيب ما معه من التوراة و الإنجيل، فيجب عليه أن يصدق النبي (ص) و يقر بما انزل عليه، ليكون مصداقاً بما معه، و معترفاً به. و الثانى - أن يكون متوجهاً إلى اليهود الذين آمنوا بالتوراة دون الإنجيل و القرآن، فيكون الله أمرهم بالإقرار بمحمد (صلى الله عليه و آله) و بما انزل من قبل يعنى الإنجيل. و ذلك لا يصح الا بالإقرار بعبسى (عليه السلام) أيضاً و انه نبي من قبل الله و قوله: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه ان من كفر بمحمد (ص) فيجحد نبوته و يجحد ما أنزله الله عليه، فكأنه جحد جميع ذلك، لأنه لا يصح ايمان احد من الخلق الا بالايمان بما أمره الله بالايمان به، و الكفر بشيء منه كفر بجميعه فكذلك قال: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فعقب خطابه لأهل الكتاب و أمره إياهم بالايمان بمحمد (ص) تهديداً لهم، و ان كانوا مقرين بوحدانية الله تعالى و الملائكة و الكتب و الرسل، و اليوم الآخر سوى محمد (صلى الله عليه و آله) و ما جاء به من القرآن فبين لهم ان من جحد محمداً بنبوته لا ينفعه الايمان بشيء سواه، و يكون وجوده و عدمه سواء و قوله: «فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» معناه فقد ذهب عن قصد السبيل و جاز التبيان فى تفسير

القرآن، ج ٣، ص: ٣٥٩

عن محجة الطريق ألى المهالك ضللا ذهاباً، و جوراً بعيداً.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٣٧].... ص: ٣٥٩

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) آية واحدة.

المعنى:.... ص: ٣٥٩

قيل فى المعنى بهذه الآية ثلاثة اقوال:

[الأول قال قتاده عنى بذلك الذين امنوا بموسى، ثم كفروا بان عبدوا العجل، ثم آمنوا يعنى النصرارى بعيسى، ثم كفروا به، ثم ازدادوا كُفْرًا بنبوة محمد (ص) و قال الزجاج و الفراء: آمنوا بموسى، و كفروا بعزير، ثم امنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كُفْرًا بمحمد (ص).

و الثانى- قال مجاهد و ابن زيد يعنى بذلك أهل النفاق أنهم آمنوا، ثم ارتدوا ثم آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ازدادوا كُفْرًا بموتهم على كفرهم.

و الثالث- قال ابو العالیه: هم اليهود و النصرارى أذنبوا ذنباً فى شركهم، ثم تابوا فلم تقبل توبتهم، و لو تابوا من الشرك لقبل منهم و أقوى الأقوال عندنا قول مجاهد، لان المؤمن على الحقيقة عندنا لا يجوز أن يكفر، لان الايمان يستحق عليه الثواب الدائم و الكفر يستحق عليه العقاب الدائم بلا- خلاف فيهما و الاحتياط عندنا باطل، فلو أجزنا الارتداد بعد الايمان الحقيقى لادى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم و الإجماع بخلافه و اختار الطبرى الوجه الاول و قال الجبائى و البلخى يجوز ان تكون الآية نزلت فى قوم كانوا آمنوا ثم ارتدوا، ثم آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كُفْرًا و قوله:

«لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ» معناه لم يكن الله ليغفر لهم بالايان الثانى الكفر التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٠

المتقدم، لأنه لما ارتد فيما بعد، دلّ على ان ما تقدم، لم يكن ايماناً فلا يستحق به غفران عقاب الكفر المتقدم و هو الذى اختاره الزجاج و قال البلخى و الزجاج: لم يكن الله ليغفر لهم إذا لم يتوبوا منه و هذا الذى ذكروه لا يصح، لان الكفر على كل حال و لو مرة واحدة، لا يغفر الله الا بالتوبة، فلا معنى لنفى الغفران عن كفر بعد إيمان تقدمه كفر تقدمه ايمان.

و قوله: «وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا» معناه لا يهديهم سبيل الجنة و الثواب فيها، لأنهم غير مستحقين له و يحتمل ان يكون المراد بذلك أنه لا يلف لهم فيما بعد بل يخذلهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم. و لا يجوز ان يكون المراد به أنه لا ينصب لهم الدلالة، لأن نصب الأدلة قد تقدم فى التكليف الاول و المرتد عندنا على ضربين:

أحدهما- لا يستتاب و يقتل على كل حال و هو من ولد على فطرة الإسلام بين مسلمين متى كفر فانه يقتل على كل حال. و الآخر و هو

من كان كافراً فاسلم، ثم ارتد فانه يستتاب ثلاثاً فان تاب و الا قتل، و لا يستتاب اكثر من ذلك. و به قال على عليه السلام و ابن عمر. و قال قوم: يستتاب ابدأ. ذهب اليه ابراهيم و غيره. و اختاره الطبرى. و المرأة تستتاب على كل حال فان تابت، و الا خلدت فى السجن و لا تقتل بحال و فى ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٣٨ الى ١٣٩]..... ص: ٣٦٠

إشارة

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَّتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)

آيتان بلا خلاف.

المعنى:..... ص: ٣٦٠

معنى قوله «بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ» جعل موضع بشارتهم لهم العذاب والعرب تقول:

تحيتك الضرب و عقابك السيف، أى بدلا من ذلك. قال الشاعر: التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦١

و خيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب و جمع

امر الله (تعالى نبيه) ان يبشر المنافقين بان لهم عذاباً أليماً و هو المؤلم الموجه.

على نفاقهم، ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال: (الذين يتخذون) أهل الكفر بالله و نبيه اولياء يعنى أنصارا و أحلafa من دون المؤمنين يعنى من غيرهم، ثم قال:

«يَتَّخِعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ» معناه يطلبون عندهم المنفعة و القوة باتخاذهم اولياء من دون اهل الايمان به (تعالى)، ثم أخبر ان العزة بأجمعها له (تعالى) و ان هؤلاء الذين يطلبون من جهنم العزة و المنعة، لا منعة عندهم، بل النصر و المنعة من عند الله الذى له العزة و المنعة الذى يعز من يشاء، و يذل من يشاء. و اصل العزة الشدة و منه قيل للأرض الصلبة الشديدة: عزاز و يقال: استعز المريض إذا اشتد مرضه و تعزز اللحم: إذا اشتد و منه قيل: عز على ان يكون كذا، أى اشتد على و منه قولهم: (من عزّ بزّ) أى من غلب سلب. و قولهم: عزّ الشيء معناه صعب و جوده و اشتد حصوله.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٠]..... ص: ٣٦١

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)

- آية- قرأ عاصم و يعقوب (و قد نزل) بفتح النون و الزاى و تشديده. الباقون بضم النون و كسر الزاى و المنزل فى الكتاب. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٢

قوله تعالى:

اعلم الله تعالى فى هذه الآية المؤمنين ان المنافقين يهزون بكتاب الله الذى هو القرآن، و أمرهم ان لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا، يعنى يأخذوا فى حديث غير القرآن، ثم قال: انكم ان جالستموهم على الخوض فى كتاب الله و الهزاء به، فأنتم مثلهم، و انما حكم بأنهم مثلهم متى رضوا بما هم فيه، و لم ينكروا عليهم مع القدرة على الإنكار، و لم يظهروا كراهية، فإنهم متى كانوا راضين بالكفر، كانوا كفاراً، لان الرضاء بالكفر كفر. و فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة على ذلك، و زوال العذر عنه. و إن من ترك ذلك مع القدرة عليه كان مخطئاً آثماً. و كذلك فيها دلالة على انه لا يجوز مجالسة الفساق، و المبتدعين من اى نوع كان. و به قال جماعة من المفسرين. ذهب اليه ابو وائل، و ابراهيم و عبد الله. و قال ابراهيم: من ذلك إذا تكلم الرجل فى مجلس بكذب،

يضحك منه جلساؤه، فسخط الله عليهم. و به قال عمر بن عبد العزيز وقيل: إنه ضرب صائماً كان قاعداً مع قوم يشربون الخمر. و قال ابن عباس: امر الله بذلك الإنفاق، و نهاهم عن الاختلاف و الفرقة، و المرء و الخصومة. و به قال الطبري و الجبائي و البلخي و جماعة من المفسرين.

قال ابو علي الجبائي: اما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم و لا يقدر على إنكاره، فليس بمحذور، و انما المحذور مجالستهم من غير اظهار كراهية ما سمعه أو يراه. و قوله: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) و معناه ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر، و النفاق في القيامة في النار. و العقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين، و المؤازرة عليهم. قال الجبائي: في الآية دلالة على بطلان قول الأسم، و نفاة الاعراض و قولهم: انه ليس ها هنا غير الأجسام، لأنه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٣ قال: «حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» فاثبت غيراً لما كانوا فيه. و ذلك هو العرض.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤١]..... ص: ٣٦٣

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)

آية بلا خلاف.

(الذين) في موضع خفض صفة للمنافقين و الكافرين في قوله: «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ» .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين الى ينتظرون بهم فان فتح الله على المؤمنين فتحاً من عدوهم، فأفاء عليهم شيئاً من الغنائم، قالوا لهم الم نكن معكم نجاهد عدوكم و نغزوهم معكم، فاعطونا نصيبنا من الغنيمه، فانا شهدنا القتال و ان كان للكافرين نصيب أى حظ باصابتهم من المؤمنين، و ليس المراد بذلك ان لهم نصيباً من الله، لأنه (تعالى) لم يجعل لهم غلبه المسلمين، و لا أباح لهم شيئاً من أموالهم، بل حظر ذلك عليهم. و قوله: «قالوا» يعنى قال المنافقون للكافرين:

الم نستحوذ عليكم بمعنى الم نغلب عليكم؟ فى قول السدى. و قال ابن جريج: معناه أ لم نبين لكم انا على ما أنتم عليه و الاستحواذ الغلبه و منه قوله: «اسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» و معناه غلب عليهم. يقال منه: حاذ عليه يحوذ. و استحاذ يستحيد. و حاذ يحوذهن و له حوذى «١»

و أنشده ابو عبيده و الاصمعي بالزاي يحوزهن و له حوزى و المعنيان

(١) اللسان (حوذ). ديوانه: ٧١ و مجاز القرآن لابي عبيده ١: ١٤١ و يده:

خوف الخلاط فهو اجنبى كما يحوذ الفئه الكمى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٤

متقاربان. و قال لبيد فى صفة غير و اتن على احاذ.

إذا اجتمعت و احوذ جانبها و أوردها على عوج طوال «١»

العوج الطوال القوائم. و قيل: هى النخيل الطوال. فمعنى احوذ جانبها لم يشذ منها شىء. و الاحوذ: الجاد المنكمش الخفيف فى أمره كلها. و كان القياس يقتضى أن يقول: استحاذ، لان الواو إذا كانت عين الفعل و كانت محركة بالفتح، و ما قبلها ساكن تقلب حركتها الى فاء الفعل و قلبوها الفأ اتباعاً لحركة ما قبلها.

كقولهم: استحاذ و استبان و استنار و استعاذ بالله و ها هنا تركت على الأصل و هى لغة القرآن. و قوله: «وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى

يقول المنافقون الكافرون منعنا المؤمنين منكم بتخذيلنا إياهم، واطلاعنا إياكم على اخبارهم، وكوننا عيوننا لكم حتى انصرفوا عنكم و غلبتموهم. وقوله: (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) اخبار منه (تعالى) انه الذى يحكم بين الخلائق يوم القيامة و يفصل بينهم بالحق، و ينصر المؤمنين

«وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» اى بالغلبة و القهر. و ان حملناه على دار الدنيا يمكن حمله على انه لا يجعل لهم عليهم سبيلا بالحجة، و ان جاز ان يغلبوهم بالقوة، لكن المؤمنين منصورون بالحجة و الدالة. و بالتأويل الاول قال على (عليه السلام) : و السدى و ابو مالك و ابن عباس. قال السدى: السبيل - ها هنا- الحجة. و بالثانى قال: الزجاج و الجبائى و البلخى. و قال الجبائى: لو حملنا ذلك على الغلبة، كان أيضاً صحيحاً، لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله، لان ذلك قبيح، و الله لا يفعل القبيح. و ليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار، لأنه حسن و طاعة، فكان ذلك منسوباً الى الله (تعالى).

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣].... ص: ٣٦٤

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُذَبَّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)

(١) اللسان (حوذ). القصيدة: ١٧ و بعده:

رفعن سرادقاً فى يوم ريح يصفق بين ميل و اعتدال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٥

آيتان.

- قد بينا- فى اول البقرة معنى الخداع من المنافقين، و من الله (تعالى) و جملته ان الخداع من المنافقين اظهارهم الايمان الذى حقنوا به دماءهم و أموالهم، كما حقن المؤمنون على الحقيقة. و قال: الحسن و الزجاج و الازهرى ان معناه يخادعون نبي الله فسماه خداعاً لله للاختصاص، كما قال: ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فسمى مبايعه النبي (ص) مبايعه لله، للاختصاص، لأنه بأمره. و معنى الخداع من الله يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يجازيهم على خداعهم فسمى الجزاء باسم الشىء، للازدواج، كما قال: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» و الجزاء ليس بسئته. و قال: «وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهُ» و الله لا يمكر، غير انه يجازى عليه.

و الثانى- ما حكم الله فيهم من منع دمايتهم بما اظهروه من الايمان بلسانهم منع علمه باطنهم، و اعتقادهم الكفر استدراجاً منه لهم فى الدنيا حتى يلقوه يوم القيامة، فيوردهم بما ابطنوهم نار جهنم. و قال السدى: يعطيهم الله نوراً يوم القيامة يمشون به مع المسلمين، كما كانوا فى الدنيا، ثم يسلبهم ذلك النور، و يضرب بينهم بسور، فذلك هو الخداع منه (تعالى). و به قال ابن جريج، و الحسن و غيرهم من المفسرين:

على ما بيناه فيما مضى. و قوله: «وَأِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ»

يعنى ان المنافقين لا يعملون شيئاً من اعمال العبادات التى أوجبها على المؤمنين على وجه القربة الى الله، لأنهم غير موقنين بها، و لا ان لهم عليها ثواباً أو عقاباً و انما يفعلون ذلك إبقاءً على أنفسهم، و حذراً من المؤمنين أن يقتلوهم، و يسلبوا أموالهم، فهم إذا قاموا الى الصلاة، قاموا كسالى اليها رياءً للمؤمنين، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٦

ليحسبواهم المؤمنون منهم، و ليسوا منهم، لأنهم لا يعتقدون فرضها. و به قال قتادة و ابن زيد. و قوله: «وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» إنما وصف ما استثناء من ذكرهم لله بالقلّة من حيث انهم لا يقصدون به وجه الله، و لا التقرب اليه، لا ان شيئاً من ذكر الله يوصف بانه

قليل، بل يوصف جميعه بانه كثير، قال الحسن: وصفه بالقلّة، لأنه كان لغير الله. و قال قتادة: لأنه لم يقبله الله و كلما رده الله، فهو قليل، و ما قبله فهو كثير. و قال الجبائي: لأنهم. إذا قاموا الى الصلاة، لم يذكروا غير تكبيرة الإحرام.

و قوله: «مذبذبين» في موضع نصب على الحال. و معناه انهم يقومون الى الصلاة يعنى المنافقين مترددين. لا الى هؤلاء يعنى المؤمنين فيفعلونه، فيستحقون به الثواب و لا الى هؤلاء يعنى الكفار فيجاهرون بالكفر، بل بين ذلك يظهران الايمان، فيجرى عليهم حكم أهله، و يطنون الكفر فيستحقون به عقاب أهله. و اصل التذبذب التحرك و الاضطراب. قال النابغة:

الم تر ان الله أعطاك سورة يرى كل ملكك دونها يتذبذب (١)

و قال الحسن بن على المغربي: مذبذبين مطرودين من هؤلاء، و من هؤلاء، من الذب الذى هو الطرد. وصف الله تعالى هؤلاء المنافقين بالحيرة فى دينهم، و انهم لا يرجعون إلى صحة فيه، لا مع المؤمنين على بصيرة، و لا مع الكفار على جهالة.

و قال ابن عمر عن رسول الله (ص) ان مثلهم مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير، فتتظر إلى هذه و الى هذه، لا تدرى أيهما تتبع. و بهذه الجملة قال السدى و قتادة و مجاهد و ابن جريج و ابن زيد و غيرهم من المفسرين. و قوله: «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» يحتمل أمرين:

أحدهما- من يضلّه الله عن طريق الجنة، فلن تجد له سبيلا الى طريق الجنة.

و الثانى- من يجد له عقوبة على معاصيه عن طريق الرشاد و الإسلام، و لم

(١)- مر فى ١: ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٧

يوقفه، لحرمانه نفسه التوفيق بسوء اختياره، فلن تجد له سبيلا يعنى طريقاً الى الحق يفضيه اليه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٤]..... ص: ٣٦٧

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤)

- آية- هذا خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يتخذوا الكافرين اولياء و انصاراً من دون المؤمنين، فيكونون مثلهم فى ركوب ما نهاهم الله عنه من موالاته أعدائه «أ تَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا» يعنى حجة ظاهرة. قال عكرمة: كل ما فى القرآن من ذكر سلطان، فمعناه حجة. و به قال مجاهد و الزجاج. و هو يذكر و يؤنث و قيل للأمر سلطان، لان معناه ذو الحجة و معنى الآية النهى عن اتخاذ الكفار اولياء من دون المؤمنين. فمن فعل ذلك، فقد جعل الله على نفسه الحجة، و تعرض لغضبه و عقابه و فى الآية دلالة على أنه لا يجوز أن يتدعى الله الخلق بالعذاب، و لا يعاقب الأطفال بذنوب الآباء، لأنه لو كان ذلك شائعاً، لما قال للمؤمنين: «تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا» يعنى باتخاذكم الكفار اولياء من دون المؤمنين، لان ذلك دلالة على انه لم يكن له ذلك، و انه لا كان له حجة على الخلق لو لا معاصيهم و مخالفتهم له تعالى.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٤٥ الى ١٤٦]..... ص: ٣٦٧

إشارة

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)

آيتان بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٨

القراءة و الحجبة:..... ص: ٣٦٨

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر، الا العلمى (الدرك) بسكون الراء الباقون بفتحها و هما لغتان مثل نهر و نهر و شمع فمن فتح الراء قال فى الجمع: إدراك فى القلة و الكثرة و من سكنها قال إدراك و فى الكثير الدرك و التسكين لغة و ليس يسكن من المفتوح، لان مثل ذلك لا يجوز تسكينه، فلا يسكن جمل و جبل و انما هما لغتان مثل شمع و شمع و نهر و نهر. قالوا بفتح الراء افصح، سمع من العرب من يقول:

أعطني دركاً اصل به حبلى، يعنى ما يصل به حبله الذى عجز عن بلوغ الركية.

المعنى:..... ص: ٣٦٨

و معنى الآية الاخبار من الله إن المنافقين فى الطبقة الأسفل من النار. قال عبد الله: المنافقون فى توابيت من حديد مغلقة عليهم فى النار و به قال ابو هريرة، و ابن عباس. قال ابن جريج: قال عبد الله بن كثير و أبو عبيدة، سمعنا ان جهنم إدراك منازل. و ليس يمنع ان يجعل الله قوماً من الكفار فى الدرك الأسفل، كقرعون و هامان و أبى جهل، فان هؤلاء أعظم كفراً من المنافقين و ليس فى اخبار الله ان المنافقين هناك ما يمنع أن يكون غيرهم فيه أيضاً، و ان تفاضلوا فى العقاب قال ابن جريج: هذه الآيات نزلت فى عبد الله بن أبى و أصحابه. قال البلخى يجوز أن يكون الأدراك منازل بعضها أسفل من بعض بالمسافة، و يجوز أن يكون ذلك اخباراً عن بلوغ الغاية فى العقاب و الاهانة، كما يقال بلغ فلاناً السلطان الحضيض، و بلغ فلاناً العرش. و يريدون بذلك علو المنزلة و انحطاطها لا المسافة.

و قوله: «وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً» معناه لا تجد يا محمد، لهؤلاء المنافقين إذا جعلهم الله فى أسفل طبقته من النار ناصراً ينصرهم، فينقذهم من عذابه، و يدفع عنهم أليم عقابه، ثم استثنى فقال: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» فاستثنى منهم التائبين من نفاقهم إذا أصلحوا نياتهم، و أخلصوا الدين لله، و تبرؤوا من الآلهة و الأنداد، و اعتصموا يعنى تمسكوا بكتاب الله و صدقوا رسله، فإنهم إذا فعلوا ذلك فإنهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٦٩

يكونون مع المؤمنين فى الجنة، و محل الكرامة، و يسكنهم مساكنهم و ما وعدهم من الجزاء على توبتهم، و سوف يؤتى الله المؤمنين اجراً عظيماً. فكان تقدير الآية إن الذين راجعوا الحق، و أقروا بوحدانية الله، و تصديق رسوله، و ما جاء به من عند الله، و أصلحوا أعمالهم فعملوا بما أمرهم الله به و أدوا فرضه و انتهوا عما نهاهم، و انزجروا عن معاصيه، و تمسكوا بعهد الله و ميثاقه، فقطع حينئذ انه تعالى يؤتى المؤمنين، أى يعطيهم أجراً، يعنى ثواباً عظيماً، و درجات فى الجنة كما اعطى من مات على النفاق منازل فى النار فى أسفل طبقته منها. و هذه الجملة معنى قول حذيفة بن اليمان، و جميع المفسرين.

«وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ» كتبت فى المصحف بلا- ياء تخفيفاً و مثله «يَوْمَ يَأْتِ لَّا- تَكَلَّمُ» و قوله: «مَا كُنَّا نَبْغِ» و غير ذلك. و كان الكسائى يثبت الياء فى الوصل دون الوقف، ثم رجع عنه. و ابو عمرو يثبتها فى الوصل و اهل المدينة يثبتونها فى الحالين.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٧]..... ص: ٣٦٩

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كَانِ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)

- آية- خاطب الله (تعالى) بهذه الآية المنافقين الذين تابوا و آمنوا، و أصلحوا أعمالهم، فقال: إن أنتم تبتنم الى الله و راجعتم الحق الواجب لله عليكم، و شكرتموه على نعمه و اخلصتم عبادته، و اعتصمتم به و تركتم رياء الناس، و آمنتم برسوله محمد (ص) و

صدقتم به، و أقرتم بما جاء به من عند الله ما يصنع بعذابكم، أى لا حاجة بالله الى عذابكم، و جعلكم فى الدرك الأسفل من جهنم، لأنه لا يجتلب بعذابكم نفعاً، و لا يدفع عن نفسه ضرراً، لأنهما مستحيلان عليه.

«وَ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا» يعنى لم يزل الله مجازيا للشاكر على شكره فى جميع التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٠

عباده عليما بما يستحقونه على طاعاته من الثواب، و لا يضيع عنده شىء منه، و لا يفوته شىء من معاصي من عصاه، فيجازى بذلك من يشاء منهم على سوء أفعالهم جزاءً بما كسبوه. و به قال قتادة و غيره من المفسرين. و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من تعظيم المنعم، و ذلك لا يجوز الشكر منه بمعنى الجزاء عليه كما قال: «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» و الجزاء ليست سيئة و لكن اطلق ذلك لازدواج الكلام.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٨]..... ص: ٣٧٠

إشارة

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨)
آية بلا خلاف.

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٧٠

الفراء ضم الظاء فى قوله: (الا من ظلم) و كسر اللام. و قرأ زيد بن اسلم و الضحاك بن مزاحم (ظلم) بفتح الظاء و اللام. فمن ضمن الظاء، اختلفوا فى تأويله فقال قوم: معنى ذلك لا يحب الله ان يجهر احد بالدعاء على احد، و هو الجهر بالسوء إلا من ظلم فيدعو على ظالمه، لا يكره ذلك. و ذلك انه رخص له فيه. ذهب اليه ابن عباس و قتادة و الحسن.

الاعراب:..... ص: ٣٧٠

و (من) على قول ابن عباس فى موضع رفع، لأنه وجهه إلى ان الجهر بالسوء فى معنى الدعاء. و استثنى المظلوم منه و قال الزجاج: وجه الرفع أن يكون بدلا من احد و تقديره لا يحب الله أن يجهر احد بالسوء إلا من ظلم و قال الفراء تقديره لا يحب الله أن يجهر بالسوء إلا- المظلوم، فلا حرج عليه فى الجهر اما بان يدعو عليه، أو بان يخبر بما فعله به، و يذمه عليه. و به قال الجبائى قال: و لا يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧١

لمن ليس بمظلوم أن يذكر احداً بسوء لان الله (تعالى) أمره بالستر عليه و الکتمان، و انما يجب عليه أن ينكر عليه فيما بينه و بينه على وجه لا يفضحه، و انما جاز ذلك للمظلوم، لأنه خصم يجوز له ان يدعى على خصمه ما ظلمه فيه، فان أقام بذلك بينة استوفى له حقه، و الا- أبطل دعواه. و قال بعض النحويين: هذا خطأ فى العربية، لان من لا يجوز أن يكون رفعاً بالجحد لأنها فى صلة، أن، و لم ينله الجحد، فلا يجوز العطف عليه. لا يجوز أن يقول: لا يعجبني أن يقوم الا زيد. و يحتمل أن يكون (من) نصباً فى تأويل ابن عباس.

المعنى:..... ص: ٣٧١

و قوله: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ» يكون كلاماً، ثم قال:

«الا من ظلم فلا حرج عليه» فيكون (من) استثناء من الفعل، و ان لم يكن قبل الاستثناء شيء ظاهر يستثنى منه، كما قال: «لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ». و كقولهم: إني لأكره الخصومة و المرء، اللهم إلا رجلا يريد الله بذلك. و لم يذكر فيه شيء من الأشياء ذكره الفراء. و قال آخرون: معناه لا- يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا- من ظلم فيخبر بما ينل منه. ذهب اليه مجاهد قال مجاهد: هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن اليه فقد رخص له أن يقول ذلك فيه و روى عن أبي عبد الله انه قال: هو الضيف ينزل بالرجل، فلا يحسن ضيافته ، جاز أن يقول ذلك فيه. و قال آخرون:

الا من ظلم فانتصر من ظلمه، فان ذلك قد أذن له فيه، ذهب اليه السدي و هو المروي عن أبي جعفر (ع)

و (من) على هذا يكون في موضع نصب على انقطاعه من الاول. و من شان العرب ان تنصب ما بعد الا في الاستثناء المنقطع. فالمعنى على هذا القول سوى قول ابن عباس: لا- يحب الله الجهر بالسوء من القول، لكن من ظلم فلا- حرج عليه ان يخبر بما ينل منه، ينتصر ممن ظلمه. و من فتح الظاء قال تأويله: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، الا من ظلم، فلا بأس أن يجهر له بالسوء من القول. ذهب اليه ابن زيد قال: التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٢

يجهر له بالسوء حتى يفزع. (و من) على هذا القول في موضع نصب و المعنى لا- يحب الله الجهر أن يجهر أحد ل أحد من المنافقين بالسوء من القول إلا- من ظلم منهم فأقام على نفاقه، فانه لا- بأس بالجهر بالسوء من القول. قال الزجاج: و فيه وجه آخر لم يذكره النحويون و هو أن يكون الا من ظلم، لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول، و هو استثناء ليس من الاول. و هذا الذي ذكره هو قول ابن زيد بعينه. و قال الفراء: موضع (من) نصب في القراءتين معاً. و يجوز الرفع على تقدير لا يحب الله أن يجهر بالسوء الا المظلوم. و قال البلخي: كان الضحاك يقول: فيه تقديم و تأخير و التقدير ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و أمتم إلا من ظلم بفتح الظاء ثم قال: لا- يحب الله الجهر بالسوء من القوم على كل حال. قال البلخي: و يجوز أن يكون (إلا-) بمعنى الواو، كأنه قال: لا يحب الله الجهر بالسوء، و لا- من ظلم، فانه لا- يحب الجهر بالسوء منه. و قال قطرب: يجوز أن يكون المراد به المكره في قوله: «إِلَّا مَنْ ظَلِمَ» لأنه إذا اكره على الجهر بالسوء من القول، فلا شيء عليه. و القراءة المعروفة أولى بالصواب، لان هذه شاذة.

و التأويل فيه لا يحب الله ان يجهر احد ل أحد بالسوء من القول إلا من ظلم، فلا حرج عليه أن يخبر بما اسىء اليه. و تكون (من) في موضع نصب لانقطاعها عما قبلها، فانه لا اسماء قبله يستثنى منها. و هو مثل قوله: «لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» و قوله: «وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا» يعني سمياً لما يجهرون من سوء القول لمن يجهرون له، و غير ذلك من كلامكم و أصواتكم عليما بما تخفون من سوء قولكم و كلامكم لمن يخفون له به فلا- يجهرون يحصى ذلك كله عليكم فيجازى على ذلك كل المسىء بإساءته. و المحسن بإحسانه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٤٩]..... ص: ٣٧٢

إشارة

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٣

- آية -

المعنى:..... ص: ٣٧٣

هذا خطاب لجميع المكلفين. يقول الله لهم: «إِنْ تَبَيَّنُوا» بمعنى ان تظهروا (خيراً) اى حسناً جميلاً من القول لمن احسن إليكم شكراً على إنعامه عليكم، أو تخفوه أى تتركوا إظهاره، فلا- تبعده، «أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ» معناه أو تصفحوا عن أساء إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذى أذنت لكن أن تظهروه، و تجهروا به «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا» يعنى لم يزل كان صفوحاً عن خلقه يصفح لهم عن معاصيه (قديراً) يعنى قادراً على الانتقام منهم. و انما أراد بذلك انه مع صفحه قادراً على الانتقام، ليكون أعظم للمدح ليحث بذلك الخلق على العفو عن أساء اليهم. إذا قدروا على انتقام منهم، و المكافات لهم. و لا- يجهروا له بالسوء من القول مع القدرة عليه، و يتأدبوا فى ذلك بأدب الله تعالى.

و روى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص): (ان الله عفو يحب العفو).

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٠ الى ١٥١]..... ص: ٣٧٣

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١)

آيتان.

المعنى:..... ص: ٣٧٣

معنى الآية الاخبار من الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» و معناه يجحدون بالله و رسله من اليهود و النصارى «و يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ» أى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٤

يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه و أوحى اليهم و يزعمون انهم كاذبون على الله. و ذلك معنى إرادتهم التفريق بين الله و رسله «و يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ» و معناه أنهم يقولون نصدق بهذا و نكذب بهذا، كما فعلت اليهود صدقوا موسى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا عيسى و محمداً (ص) و كما فعلت النصارى صدقت عيسى و من تقدمه من الأنبياء، و كذبوا محمداً (ص) «و يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» يعنى يريد المفرقون بين الله و رسله الزاعمون انهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض أن يتخذوا بين قولهم: نؤمن ببعض، و نكفر ببعض سبيلاً يعنى طريقاً إلى الضلالة التى أحدثوها، و البدعة التى ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه، ثم اخبر عن حالهم فقال: «أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا» أى هؤلاء الذين اخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، و تفريقهم بين الله و رسله هم الكافرون حقاً فاستيقنوا ذلك و لا- ترتابوا بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم فيه مقرون من الكتب و الرسل، فإنهم يكذبون فى دعواهم هذه، لأنهم لو كانوا صادقين فى ذلك، لصدقوا جميع رسل الله، لأنه لا يصح أن يكونوا عارفين بالله و رسوله مع جحودهم، لنبوة بعض الأنبياء على ما يذهب اليه فى الموافات. و عند من قال بالإحباط لا يمتنع أن يكونوا عارفين بالله، و بعض رسله فإذا كفروا ببعضهم، انحبط ما معهم من الثواب على إيمانهم و هذا لا يصح على مذهبنا فى بطلان الإحباط فالصحيح إذا ما قلناه.

و قوله: «وَأَعْتَدْنَا» معناه أعددتنا للكافرين يعنى الجاحدين الذين ذكرهم و لغيرهم من اصناف الكفار (عذاباً) فى الآخرة (مهيناً) يهينهم و يذلهم مخلدون فى ذلك و قال قتادة و السدى و مجاهد نزلت فى اليهود و النصارى و انما قال: إن هؤلاء هم الكافرون حقاً، و إن كان غيرهم أيضاً كافراً حقاً على وجه التأكيد لثلاث- يظن أنهم ليسوا كافراً لقولهم: نؤمن ببعض و نكفر ببعض و قيل إنه قال ذلك

استعظماً لكفرهم، كما قال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم إلى التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٥ قوله: «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» و قد يكون مؤمناً حقاً من لم يلحق هذه الخصال بلا خلاف.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٢]..... ص: ٣٧٥

إشارة

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢) آية بلا خلاف.

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٧٥

قرأ يؤتيهم بالياء حفص الباقون بالنون حجة حفص قوله: «سَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ» و من قرأ نؤتيهم- بالنون- فلقوله: «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ» و قوله: «أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا» و غير ذلك من الآي.

المعنى:..... ص: ٣٧٥

لما ذكر الله تعالى حكم من فرق بين الله و رسله، و الايمان ببعض دون بعض، و انهم الكافرون، و انهم أعد لهم العذاب المهين، اخبر عقبيه عن آمن بالله و رسله، و صدقهم و أقر بنبوتهم، و لم يفرقوا بين احد منهم، بل آمنوا بجمعهم، فان الله (تعالى) سيؤتيهم أجورهم بمعنى سيعطيهم ثوابهم الذي استحقوا على ايمانهم بالله و رسله، و الإقرار بهم، و إنه يعطيهم جزاءهم على ذلك. «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» و معناه يغفر لمن هذه صفته ما سلف له من المعاصي و الآثام، و يسيرها عليهم، و يترك العقوبة عليها، فانه لم يزل كان غفوراً رحيماً أى متفضلاً عليهم بالهداية إلى سبيل الحق موفقاً لهم لما فيه خلاص رقابهم من عقاب النار.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٦

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٣]..... ص: ٣٧٦

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣) آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبي (ص) يسألك يا محمد اهل الكتاب يعنى اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء و اختلفوا فى الكتاب الذى سأل اليهود محمد (ص) أن ينزل عليهم من السماء فقال قوم: سألوا ان ينزل كتاباً من السماء مكتوباً، كما جاء موسى بنى إسرائيل بالتوراة مكتوبة من عند الله فى الألواح. ذهب اليه السدى و محمد بن كعب القرطى، فانزل الله فيهم هذه الآية إلى قوله: «عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» و قال آخرون: بل سألوه أن ينزل عليهم كتاباً خاصاً لهم ذهب اليه قتادة.

و قال آخرون: بل يسألون أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتباً بالأمر بتصديقه، و اتباعه ذكر ذلك ابن جريج، و اختاره الطبرى و قال الزجاج: ذلك حين سألوا فقالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ» و قال الجبائى: كان سؤالهم على وجه التعنت و الا فكان فيما أنزله الله من القرآن دلالة واضحة على نبوته.

وقوله: «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ» فانه توبيخ من الله تعالى، سئل انزال الكتاب عليهم، و تفریح منه لهم بقوله لنبیه (ص): یا محمد لا یعظمن علیک مسألتهم، إياک ذلك فإنهم من جهلهم بالله عز و جل و جرأتهم علیه، و اغترارهم بحلمه، لو أنزلت علیهم الكتاب الذى سألوه لخالقوا امر الله، كما خالفوا بعد أحياء الله اوائلهم من صعقتهم، فعبدوا العجل، و اتخذوه آلهاً فعبدوه من دون خالقهم و بارئهم الذى أراهم قدرته، و عظمته و سلطانه بما أراهم، ثم قص من قصتهم و قصة موسى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٧

ما قص، فقال «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ» يعنى سأل اسلاف هؤلاء اليهود موسى (ع) أعظم مما سألوک فقالوا أرنا الله جهرة أى عيانا نعاينه و نظر اليه.

و قد بينا معنى الجهرة فيما مضى. و حكى عن ابن عباس أنه قال: فيه تقديم و تأخير، و تقديره إنما قالوا جهرة أرنا الله: و هو الذى اختاره أبو عبيدة. و قال غيره: أراد رؤيته بالبصر ظاهرة منكشفة، لان من علم الله فقد رآه. و هو اختيار الزجاج لقوله تعالى: «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» و قول ابن عباس يدل على انه كان يذهب إلى استحالة الرؤية عليه تعالى، لان على تأويله بنفس سؤال الرؤية، اخذتهم الصاعقة دون رؤية مخصوصة على ما يذهب اليه من قال بالرؤية. و قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ» يعنى فصعقوا بظلمهم أنفسهم عن سؤالهم موسى أن يريهم الله، لان ذلك مما هو مستحيل عليه (تعالى) و فى ذلك دلالة واضحة على استحالة الرؤية عليه (تعالى) و استعظام لتجويزها، لأنهم كانوا يكفرون به و يجحدونه و لم ينزل عليهم الصاعقة، فلما سألوا الرؤية أنزلها عليهم. و فى ذلك دلالة على أن اصل كل تشبيه تجويز الرؤية عليه تعالى على قول أبى على. و قد بينا معنى الصاعقة فيما مضى، فلا نطول باعادته.

و قوله: «ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ» معناه، ثم اتخذ هؤلاء الذين سألوا موسى ما سألوا من رؤية الله بعد ما أحياهم و بعثهم من صعقتهم - العجل الذى كان السامرى أضلهم به. و قد بينا فيما مضى السبب الذى من اجله اتخذوا العجل، و كيف كان أمرهم. و قوله: «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ» معناه من بعد ما جاءت هؤلاء الذين سألوا موسى البيئات من الله، و من الدلالات الواضحات بان الرؤية مستحيلة عليه، و منها اصعاق الله إياهم عند مسألتهم موسى يريدون ان يريهم ربهم جهرة، ثم إحياءه إياهم بعد مماتهم مع غيره من الآيات التى أراهم الله دلالة على ذلك، فقال الله مقبلاً فعلهم، و موضعاً عن جهلهم و نقص عقولهم بإقرارهم للعجل بانه إلههم، و هم يرونه عياناً، و ينظرون اليه، فعكفوا على التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٨

عبادته مصدقين بإلهيته ثم قال تعالى: «فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ» و معناه عفونا للذين عبدوا العجل عن عبادتهم بعد ان أرادهم الله آية على أنهم لا يرون ربهم. و قوله:

«وَ آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا» معناه أعطينا موسى حجة ظاهرة تبين عن صدقه و حقيقة نبوته، و تلك الحجة هى الآيات التى أتاه الله إياها.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٤]..... ص: ٣٧٨

إشارة

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) - آية اجماعا -

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٧٨

قرأ أهل المدينة (لا تعدوا) بتسكين العين و تشديد الدال و الجمع بين ساكنين بمعنى لا تعتدوا، ثم ادغم التاء في الدال فصارت دالا مشددة مضمومة، كما قرأ من قرأ (يهتدى) بتسكين الهاء- و قوا ذلك بقوله: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ» فجاء في هذه القصة افتعلوا و قال: «لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» و قرأ الباقون بتسكين العين- من عدوت في الامر: إذا تجاوزت الحق فيه أعدو عدوانا و عدا و عدواً قال ابو زيد: عدا على اللص: أشد العدو.

و العدو و العدا و العدوان اى سرقك و ظلمك. وعدت يمينه عن ذلك أشد العدو و تعدو و حجتهم قوله: إذا يعدون في السبت في هذه القصة و قوله: فأولئك هم العادون.

المعنى:..... ص: ٣٧٨

معنى قوله: «وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ» يعنى الجبل لما امتنعوا من العمل بما فى التوراة و قبول ما جاءهم به موسى بميثاقهم يعنى بما اعطوا الله من الميثاق و العهد، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٧٩
ليعلمن بما فى التوراة. «وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا» يعنى باب حطه حين أمرهم الله ان يدخلوا فيه سجوداً، فدخلوا على أستاذهم يزحفون. و قلنا لهم:

«لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» اى لا- تتجاوزوا فى يوم السبت ما أبيض لكم الى ما حرم عليكم. قال قتادة: أمرهم الله ان لا يأكلوا الحيتان يوم السبت، و لا يعرضوا لها. و أحل له ما عداه. و قوله: «وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» يعنى عهداً مؤكداً بأنهم يعلمون ما أمرهم الله به و ينتهون عما أنهاهم الله عز و جل عنه. و قد بينا فيما مضى السبت الذى من أجله كانوا أمروا بدخول الباب سجداً، و ما كان من أمرهم فى ذلك. قال ابن عباس: رفع الله فوقهم الجبل، فقيل لهم: إما ان تأخذوا التوراة بما فيها، أو يلقي عليكم الجبل. و قال ابو مسلم: رفع الله الجبل فوقهم ظللاً لهم من الشمس بميثاقهم أى بعهدهم جزاء لهم على ذلك. و الاول قول اكثر المفسرين.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٥ الى ١٥٦]..... ص: ٣٧٩

إشارة

فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ قَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)
آيتان-.

المعنى:..... ص: ٣٧٩

المعنى فى قوله: «فِيمَا نَقَضْتُمْ» قولان:

أحدهما- قال الفراء و الزجاج و غيرهما: إن (ما) زائدة. و تقديره فبنقضهم.

و الثانى- انها بمعنى شىء. و تقديره فبشىء و نقضهم. بدل منه و مجرور به. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٠

مثله قوله: «مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ» (١) و فيه القولان. و التقدير فبنقض هؤلاء الذين وصفهم من اهل الكتاب و ميثاقهم يعنى عهودهم التى عاهدوا الله عليها أن يعملوا بما فى التوراة «وَ كُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ» يعنى جحودهم بآيات الله. و هى اعلامه، و أدلته التى احتج بها عليهم فى صدق أنبيائه، و رسله «وَ قَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» يعنى و قتلتم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم بغير حق يعنى بغير استحقاق

منهم، لكبيره أتوها ولا خطيئة استوجبا بها القتل. و قتل الأنبياء، و ان كان لا يكون إلا بغير حق، فإنما اكده بقوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ» و معناه ما قدمنا القول فيه أنه لا يكون ذلك إلا بغير حق، كما قال: «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» و المعنى إن هذا لا يكون عليه برهان. و مثله قول الشاعر:

على لا حب لا يهتدى بمناره (٢)

و انما أراد لا منارها هناك يهتدى به. و قد استوفينا ما فى ذلك فيما مضى «وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ» تقديره يقولون: قلوبنا عليها غشاوة و أغطية لا نفقه ما تقول، و لا نعلق له، فاكذبهم الله فى ذلك و قال الفراء و الزجاج: معناه قلوبنا أوعية للعلم لا نفقه ما تقول. و قد بينا معنى الغلف فيما مضى. قوله: «بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» و المعنى كذبوا فى قولهم قلوبنا غلف ما هى بغلف، و لا عليها اغطية، بل طبع الله عليها بكفرهم. و قد بينا معنى الطبع فيما مضى. و هو أنه السممة و العلامة و سم الله تعالى و علم على قلوب من الكفار الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون فيما بعد، و جعل ذلك عقوبة لهم على كفرهم الذى ارتكبوه فى الحال تعرفه الملائكة. و قوله: «فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» معناه فلا يصدقون الا تصديقا قليلا. و إنما وصفه بالقله لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم الله به لكن صدقوا ببعض الأنبياء، و بعض الكتب و كذبوا بالبعض، فكان تصديقهم بما صدقوا به قليلا، لأنهم و ان صدقوا به من وجه، فهم يكذبون به من وجه آخر. و يجوز

(١) سورة البقرة، آية ٢٦.

(٢) انظر ا: ١٨٩ - ٢٧٩ - ٤٤٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨١

أن يكون الاستثناء من الذين نفى الله عنهم الايمان فكأنه علم انه يؤمن منهم جماعة قليلة فيما بعد، فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم أنهم لا يؤمنون. و بهذه الجملة قال جماعة المفسرين: قتادة و غيره. و اختلفوا فى قوله: «فِيمَا نَقَضِهِمْ» هل هو متصل بما قبله من الكلام او منفصل منه، فقال قتادة هو منفصل و قال لما ترك القوم أمر الله، و قتلوا رسله و كذبوا بآياته و نقضوا ميثاقه طبع الله على قلوبهم بكفرهم، و لعنهم و قال قوم: بل هو متصل بما قبله. قالوا: معناه فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بنقضهم ميثاقهم، و بكفرهم بآيات الله، و بقتلهم الأنبياء بغير حق، و بكذا و كذا أخذتهم الصاعقة، فتبع الكلام بعضه بعضا. و معناه مردود على أوله، و جوابه قول «فبظلم» من الذين قالوا الزجاج هو بدل من قوله: «فِيمَا نَقَضَهُمْ» و اختار الطبرى الاول، و أنه منفصل من معنى ما قبله و المعنى: فيما نقضهم ميثاقهم، و كفرهم بآيات الله و بكذا و كذا لعناهم، و غضبنا عليهم، فترك ذكر لعناهم لدلالة قوله: «بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» على معنى ذلك من حيث كان من طبع على قلبه، فقد لعن و سخط عليه قال: و انما قلنا ذلك، لأن الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى، الذين قتلوا الأنبياء، و الذين رموا مريم بالبهتان العظيم، و قالوا قتلنا عيسى، كانوا بعد موسى بدهر طويل، و معلوم أن الذين اخذتهم الصاعقة لم تأخذهم عقوبة على رميهم مريم بالبهتان، و لا لقولهم: أنا قتلنا المسيح فبان بذلك أن الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة.

و قوله: «وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» معناه و بكفر هؤلاء الذين وصفهم، و قولهم على مريم بهتاناً يعنى رميهم لها بالزنا، و هو البهتان و بقربتهم عليها، لأنهم رموها و هى بريئة بغير بينة و لا برهان به بل هتوها بباطل القول.

و هو قول ابن عباس و السدى و الضحاك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٢

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٧ الى ١٥٨]..... ص: ٣٨٢

إشارة

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)
- آية -

المعنى:..... ص: ٣٨٢

هذه الآية عطف على ما قبلها وتقديره، فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم: قلوبنا غلف و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، أنزلنا من العذاب، وأوجبنا لهم من العقاب، لأن اخبارهم انهم قتلوا المسيح يقيناً، و ما قتلوه، كفر من حيث هو جرأة على الله في قتل أنبيائه، و من دلت المعجزات على صدقه، ثم كذبهم الله في قولهم: إنا قتلناه فقال: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ».

و اختلفوا في كيفية التشبيه الذي شبهه لليهود في أمر عيسى فقال وهب بن منبه: أنى عيسى و معه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتونا ليرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً، فقال عيسى لأصحابه: من يشرى نفسه منكم اليوم بالجنة، فقال رجل منهم: انا، فخرج اليهم فقال: أنا عيسى، و قد صيره الله على صورة عيسى، فأخذوه و قتلوه، و صلبوه. فمن ثم شبه لهم، و ظنوا انهم قد قتلوا عيسى، و ظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى، و رفع الله عيسى من يومه ذلك. و به قال قتادة و السدى و ابن إسحاق و مجاهد و ابن جريج، و ان اختلفوا في عدد الحواريين، و لم يذكر احد غير وهب ان شبهه ألقى على جميعهم، بل قالوا: ألقى شبهه على التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٣

واحد، و رفع عيسى من بينهم قال ابن إسحاق: و كان اسم الذي القى عليه شبهه سرجس، و كان احد الحواريين، و يقال: إن الذي دلهم عليه و قال هذا عيسى أحد الحواريين أخذ على ذلك ثلاثين درهماً، و كان منافقاً، ثم انه ندم على ذلك فاختنق حتى قتل نفسه، و كان اسمه بودس زكريا بوطا، و هو ملعون في النصارى، و بعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه، و هو و بعض النصارى يقول: إن بودس زكريا بوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه، و هو يقول: لست بصاحبكم الذي دللتكم عليه. قال الطبرى: الأقوى قول ابن المنبه.

و هو ابن سبعة عشر القى على جماعتهم شبه عيسى، لأنه لو كان ألقى على واحد منهم مع قول عيسى أيكم يلقي عليه شبهى و له الجنة، ثم رأوا عيسى قد رفع من بين أيديهم لما اشتبه عليهم، و ما اختلفوا فيه، و ان جاز أن يشته على أعدائهم من اليهود الذين لم يكونوا يعرفونه، لكن لما ألقى شبهه على جميعهم، فكان يرى كل واحد بصورة عيسى، فلما قتل واحد منهم اشتبه الحال عليهم. و هذا الذى ذكره قريب. و قال الجبائى: وجه التشبيه ان رؤساء اليهود أخذوا إنساناً فقتلوه و صلبوه على موضع عال، و لم يمكنوا احداً من الدنو منه فتغيرت حليته و تنكرت صورته.

و قالوا: قتلنا عيسى، ليوهموا بذلك على عوامهم، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذى فيه عيسى فلما دخلوه كان رفع عيسى من بينهم، فخافوا أن يكون ذلك سبب إيمان اليهود به، ففعلوا ذلك. و الذين اختلفوا غير الذين صلبوا من صلبوه، و هم باقى اليهود، فان قيل: هل يجوز أن يلقي الله شبه زيد على عمر حتى لا يفصل الناظر اليهما بينهما، كما كان يفصل قبل إلقاء الشبه؟ قيل: ذلك مقدور لله بلا خلاف، و يجوز ان يفعله عندنا تغليظاً للمحنة، و تشديداً للتكليف، و ان كان ذلك خارقاً للعادة، يجوز أن يجعل ذلك معجزة أو كرامة، لبعض أوليائه الصالحين، أو الائمة المعصومين (ع). و عند المعتزلة لا يجوز ذلك الا على يدى الأنبياء أو فى وقتهم، لأنه لا يجوز خرق العادة عنهم إلا على يده. و قد قيل: إن اصحاب عيسى (ع) تفرقوا عنه حتى لم يبق غير عيسى، و غير الذى القى شبهه عليه،

فلذلك التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٤

اشتبه على النصارى، فان قيل: كيف يجوز من الخلق العظيم ان يخبروا بالشىء على خلاف ما هو به، وقد علمنا كثرة اليهود و النصارى، و مع كثرتهم أخبروا ان عيسى صلب و قتل، فكيف يجوز ان يكونوا مع كثرتهم كذابين؟ و لئن جاز هذا لم نثق بشىء من الاخبار أصلاً و يؤدي ذلك إلى قول التسمية! قلنا: هؤلاء القوم دخلت عليهم الشبهة، لان اليهود لم يكونوا يعرفون عيسى، و انما أخبروا انهم قتلوا واحداً، و قيل لهم انه عيسى، فهم فى ذلك صادقون، و ان لم يكن المقتول عيسى. و أما النصارى فاشتبه عليهم، لأنه كان ألقى شبهه على غيره، فلما رأوا من هو فى صورته مقتولا، ظنوا انه عيسى، فلم يخبر احد من الفريقين بما ظن ان الامر على ما اخبر به، فلا يؤدي ذلك الى بطلان الاخبار بحال.

و قوله: «وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» يعنى به الذين أحاطوا بعيسى و أصحابه حيث أرادوا قتله لأنهم كانوا قد عرفوا عدة من فى البيت، فلما دخلوا عليهم فقدوا واحداً منهم، فالتبس عليهم أمر عيسى بفقدهم واحداً من العدة، و قتلوا من قتلوا على شك منهم فى أمر عيسى. هذا على قول من قال: لم يتفرق أصحابه حتى دخل عليهم اليهود و اما من قال تفرقوا عنه، فانه يقول: اختلفهم كان بأن عيسى هل كان فى من بقى فى البيت أو كان فى الذين خرجوا. فاشتبه الامر عليهم. قال الزجاج: وجه اختلاف النصارى أن منهم من ادعى انه اله لا- يقتل، و منهم من قال قتل، فكذب الله الجميع. و قوله: «إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ» استثناء منقطع. و تقديره لم يكن لهم بمن قتلوه علم لكنهم اتبعوه ظناً منهم انه عيسى، و لم يكن به.

و قوله: «وَ مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» معناه و ما قتلوا ظنهم الذى اتبعوا المقتول الذى قتلوه، و هم يحسبونه عيسى يقيناً انه عيسى، و لا انه غيره، لكنهم كانوا منه على ظن و شبهة، كما يقول القائل: ما قلت هذا الامر علماً، و ما قتلته يقيناً: إذا تكلم فيه بالظن على غير يقين. فالهاء فى (قتلوه) عائدة على الظن. و قال ابن عباس و جوير التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٥

و ما قتلوا ظنهم يقيناً. و حكى الزجاج عن قومهم: أن الهاء راجعة إلى عيسى (ع).

نفى الله عنه القتل على وجه التحقيق و اليقين. و قال السدى: و ما قتلوا أمره يقيناً إن الرجل هو عيسى (ع) و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» يعنى بل رفع الله المسيح اليه، و لم يقتلوه، و لم يصلبوه، لكن الله رفعه و طهره من الذين كفروا و قوله: «كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» معناه لم يزل الله عزيزاً منتقماً من أعدائه كانتقامه من الذين اخذتهم الصاعقة بظلمهم، و كلعنه من نقض ميثاقه و فعل ما قصه الله، حكيماً فى أفعاله و تدبيراته و تصرفه خلقه فى قضائه، و احذروا و أيها السائلون محمداً ان ينزل عليكم كتاباً من السماء- حلول عقوبته بكم، كما حل باوائلكم الذين فعلوا فعلكم فى تكذيبهم رسلى و افترائهم على أوليائى. و به قال ابن عباس. و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ» .

القراءة و الحجة:..... ص: ٣٨٥

فى القراء من ادغم اللام فى الراء و عليه الأ-كث. و هو الأقوى لقرب مخرج اللام من مخرج الراء. و هو أقوى من ادغام الراء فى اللام، لان فى الراء تكويراً فهو يجرى مجرى الحرفين. و من لم يدغم قال: لأنه من كلمتين. و قال الفراء: لا يجوز غير الإدغام. و قال سيبويه: الإدغام أجود و تركه جائز و هى لغة حجازية.

و قوله: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» معناه انه رفعه إلى الموضع الذى يختص الله (تعالى) بالملك، و لم يملك احداً منه شيئاً. و هو السماء، لأنه لا- يجوز ان يكون المراد انه رفعه إلى مكان هو (تعالى)، فيه لان ذلك من صفات الأجسام (تعالى الله عن ذلك) و على هذا يحمل قوله حكاية عن ابراهيم «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي» يعنى الى الموضع الذى أمرنى به ربي و مثل قوله: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» يعنى مهاجراً الى الموضع الذى أمره الله بالهجرة اليه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٦

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٥٩]..... ص: ٣٨٦

وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)

- آية- معنى (ان) معنى (ما) النافية و موضعها الرفع و هي مثل قوله: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» أى ما منكم احد إلا واردها. و معنى الآية الاخبار منه (تعالى) بانه إلا ليؤمنن به يعنى بعيسى قبل موته و اختلفوا فى الهاء إلى من ترجع فقال قوم: هي كناية عن عيسى، كأنه قال: لا يبقى احد من اليهود الا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى بأن ينزله الله إلى الأرض إذا اخرج المهدي (عج) و أنزله الله لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملة واحدة و هي ملة الإسلام الحنيفية دين ابراهيم (ع). ذهب اليه ابن عباس و أبو مالك و الحسن و قتادة، و ابن زيد و ذلك حين لا ينفعهم الايمان. و اختاره الطبرى. قال: و الآية خاصة لمن يكون فى ذلك الزمان و هو الذى ذكره على بن ابراهيم فى تفسير أصحابنا. و روى شهر بن حوشب عن محمد بن على بن الحنفية ان الحجاج سأله عن هذه الآية و قال: نرى اليهود تضرب رقبتة، فلا يتكلم بشيء فقال: حدثني محمد بن على أن الله يبعث اليه ملكا ينفضه و يضرب رأسه و دبره، و يقول له: كذبت عيسى، فيؤمن حينئذ و يقول: كذبت عيسى و يعترف به. فقال الحجاج: عمن؟ فقال: عن محمد بن على فقال له، جئت بها من عين صافية. فقيل لشهر ما أردت بذلك؟ قال: أردت ان اغيظه و ذكره البلخي مثل ذلك و ضعف هذا الوجه الزجاج و قال: الذين يقعون إلى زمن نزول عيسى (ع) من أهل الكتاب قليل. و الآية تقتضى عموم إيمان أهل الكتاب أجمع قال: إلا ان تحمل على ان جميعهم يقول: ان عيسى الذى ينزل لقتل الدجال نحن نؤمن به فعلى هذا يجوز. و اختار الوجه الثانى و قال قوم: الهاء كناية عن الكتابى، و تقديره أنه لا يكون احد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا إلا و يؤمن بعيسى عند التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٧

موته إذا زال تكليفه، و تحقق الموت، و لكن لا ينفعه الايمان حينئذ ذهب اليه ابن عباس فى رواية أخرى، و مجاهد. قال ابن عباس: لو ضربت رقبتة لم تخرج نفسه حتى يؤمن. و به قال عكرمة و الضحاك. و فى رواية عن الحسن و قتادة و قال قوم: الهاء كناية عن محمد (ص) و التقدير و ليس من أهل الكتاب إلا من يؤمن بمحمد (ص) قبل موت الكتابى ذهب اليه عكرمة و طعن الطبرى على هذا الوجه بان قال: لو كان ذلك صحيحاً لما جاز اجزاء احكام الكفار عليهم إذا ماتوا من ترك الصلاة عليهم. و منع المدافنة و الموارثة. و غير ذلك. و وجب اجراء حكم الإسلام عليهم. و هذا الذى ذكره ليس بشيء لانه ايمانهم بمحمد (ص) انما يكون فى حال زوال التكليف، فلا حكم لذلك الايمان. و ذلك مثل إيمان فرعون حين غرق و قال:

«آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ» فقال الله تعالى له: «الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فكذلك إيمان هؤلاء لا يعتد به، و انما يضعف هذا الجواب من حيث انه لم يجر لمحمد (ص) ذكر فيما تقدم، و لا ها هنا ضرورة موجبة لرد الكناية عليه. و ما هذه صورته لا تجوز الكناية عنه. و انما قلناه فى قوله: حتى توارت بالحجاب إنها كناية عن الشمس للضرورة، لأنه يحتمل سواها.

و قد جرى ذكر عيسى و الكتابى فأمكن ان يكون كناية عن كل واحد منهما، فلا يجوز العدول عنه. و قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» قال قتادة و ابن جريج: يكون عيسى عليهم شهيداً على أنه قد بلغ رسالته ربه، و أقر على نفسه بالعبودية مكذباً من كذبه و مصداقاً من صدقه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٦٠ الى ١٦١]..... ص: ٣٨٧

فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٨

آيتان - هاتان الآيتان معطوفتان على ما تقدم.

قال الزجاج: قوله: «فبظلم» بدل من قوله: «فبما نَقَضَ بِهِمْ مِيثَاقَهُمْ» والعامل في الياء قوله: «حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ» لما طال الكلام أجمل (تعالى) ما ذكره ها هنا في قوله: فبظلم و اخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذين واثقوا الله عليه، و كفروا بآياته، و قتلوا أنبياءه، و قالوا البهتان على مريم و فعلوا ما فعلوا مما وصفه الله في كتابه طيبات من المأكل و غيرها، و كانت لهم حلالا، عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر الله عنه لأنهم لما فعلوا ما فعلوا، اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء عليهم. و هو قول مجاهد و اكثر المفسرين. و قوله: «وَبَصِيْدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا» يعنى بمنعهم عباد الله عن دينه و سبيله التى شرعها لعباده صداً كثيراً، و كان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل، و ادعائهم ان ذلك عن الله.

و تبدلهم كتاب الله و تحريفهم معانيه عن وجوهه. و من أعظم ذلك جحدهم نبوة محمد (ص) و تركهم بيان ما قد عملوا من أمره من جهل أمره من الناس. و هو قول مجاهد و غيره. و قوله: «وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا» يعنى على رؤوس أموالهم بتأخيرهم له عن محله إلى محل آخر و قد نهوا عنه يعنى عن الربا، و أكلهم اموال الناس بالباطل يعنى بغير استحقاق، و لا استيجاب. و هو ما كانوا يأخذونه من الرشا على الأحكام، كما قال تعالى: «وَأَكَلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» و منه ما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التى كانوا يكتبونها بأيديهم، و يقولون هذا من عند الله، و ما أشبه ذلك من المأكل الخسيسه الخبيثه، فعاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرم عليهم من الطيبات. و قوله: «وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا» معناه و جعلنا للظالمين أنفسهم بكفرهم بالله، و جحدهم رسوله محمد (صلى الله عليه و آله) من هؤلاء اليهود العذاب الأليم. و هو المؤلم الموجه يصلونها فى الاخرة عدة لهم. قال ابو على: حرم الله (تعالى) هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم و من لم يكن ظالماً منهم نسخته منهم اما على لسان عيسى أو على لسان محمد (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٨٩

نيننا و هو ما حرمة من كل ذى ناب من السباع و مخلب من الطير، و غير ذلك مما ذكره فى قوله: «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَى قَوْلِهِ... ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ» فهذا البغى هو الظلم الذى ذكره ها هنا.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٢]..... ص: ٣٨٩

لَكِنَّ الرَّاَسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) آية.

استثنى الله تعالى من اليهود الذين وصف صفتهم فيما مضى من الآيات فى قوله: يسألك أهل الكتاب إلى ها هنا من هداه الله لدينه، و وفقه لرشده فقال:

«لَكِنَّ الرَّاَسِخُونَ» و هم الذين رسخوا فى العلم و ثبتوا فيه. و قد مضى معنى الرسوخ فيما مضى فى العلم الذى جاء به الأنبياء، و احكام الله التى أدوها إلى عباده، و المؤمنون بالله و رسوله منهم يؤمنون بالقرآن الذى أنزله الله اليك يا محمد (ص) و بالكتب التى أنزلها على من قبلك من الأنبياء، و الرسل، و لا يسألونك ما يسأل هؤلاء الجهال من انزال كتاب من السماء، لأنهم قد علموا صدق قولك بما قرأوا من الكتب التى أنزلها على الأنبياء، و وصفك فيها و أنه يجب عليهم اتباعك، فلا حاجة بهم إلى ان يسألوك معجزة اخرى، و لا دلالة غير ما علموا من أمرك بالعلم الراسخ فى قلوبهم و هو قول قتادة و المفسرين. و قوله: «وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ» اختلفوا هل هم الراسخون فى العلم أو غيرهم؟ فقال قوم: هم هم. و اختلف هؤلاء فى إعرابه و مخالفته لاعراب الراسخين فقال قوم منهم: هو غلط من الكتب و انما هو، لكن الراسخون فى العلم منهم و المؤمنون و المقيمون الصلاة ذكر ذلك حماد بن سلمة عن الزبير. قال: قلت لابان بن عثمان بن عفان: ما شأنها كتبت لكن الراسخون فى العلم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٠

منهم و المؤمنون و المقيمين الصلاة فقال: قال: إن الكاتب لما كتب لكن الراسخون في العلم منهم إلى قوله: من قبلك قال: ما اكتب؟ قيل له: اكتب و المقيمين الصلاة.

و روى عروة بن الزبير قال: سألت عائشة عن قوله: «وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ»، و عن قوله: «وَالصَّابِتُونَ» و عن قوله: «إِنَّ هَذَا» فقالت: يا بن اخي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتابة و في مصحف ابن مسعود (و المقيمون الصلوة) و قال الفراء و الزجاج و غيرهما من النحويين: هو من صفة الراسخين، لكن لما طال، و اعترض بينهما كلام نصب المقيمين على المدح و ذلك سائغ في اللغة كما قال في الآيات التي تلونها، و في قوله: «وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ» و قال اخرون: هو من صفة الراسخين في العلم ها هنا، و ان كان الراسخون في العلم من المقيمين. قالوا: و موضع (المقيمين) خفض عطفاً على ما في قوله: يؤمنون بما أنزل اليك و ما انزل من قبلك، و يؤمنون بالمقيمين الصلاة.

و المعنى يؤمنون باقام الصلاة و قوله: و المؤتون الزكاة: قالوا: عطف على قوله:

«وَالْمُؤْمِنُونَ» و قال اخرون المقيمون الصلاة هم الملائكة. و إقامتهم للصلاة تسيحهم ربهم، و استغفارهم لمن في الأرض. و معنى الكلام و المؤمنون يؤمنون بما انزل اليك و ما أنزله من قبلك، و بالملائكة. و اختاره الطبرى. قال لأنه في قراءة أبي كذلك، و كذلك هو في مصحفه. فلما وافق مصحفه لمصحفنا ذلك على انه ليس بغلط. و قال اخرون: المعنى المؤمنون يؤمنون بما انزل اليك، و ما انزل من قبلك، و يؤمنون بالمقيمين الصلاة، و هم الائمة المعصومون، و المؤتون الزكاة، كما قال: يؤمن بالله، و يؤمن للمؤمنين. و أنكروا النصب على المدح. قالوا: و انما يجوز ذلك بعد تمام خبره قالوا و خبر الراسخين قوله: «أُولَئِكَ سَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا» فلا يجوز نصب المؤمنين على المدح في وسط الكلام قبل تمام الخبر. و اختار الزجاج ذلك. قال:

يجوز أن تقول مررت بزيد كريم. بالجر و النصب و الرفع: النصب على المدح، و الخفض على الصفة، و الرفع على تقدير هو الكريم. و انشد في النصب على المدح التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩١

بيت خرق:

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة و آفة الجزر

النازليين بكل معترك و الطيبون معاقد الأزر

على معنى اذكر النازليين و هم الطيبون. و لو نصب لكان جائزاً. و قال قوم المعنى لكن الراسخون في العلم منهم و من المقيمين الصلاة قالوا فموضعه خفض. و قال:

قوم: المعنى يؤمنون بما أنزل. اليك و إلى المقيمين الصلاة و هذان الوجهان الأخيران ضعيفان عند النحويين، لأنه لا يكاد يعطف ظاهر على مكنى.

قوله: «أُولَئِكَ سَيُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا» إشارة الى هؤلاء الذين وصفهم الله فأخبر أنه سيعطينهم أجراً أى ثواباً، و جزاء على ما كان منهم من طاعة الله و اتباع أمره من الخلود في الجنة. و قيل من جملة الراسخين: عبد الله بن سلام و ابن يامين و ابن صوريا، و اسد و ثعلبة، و سلام و غيرهم من علماء اليهود الذين آمنوا بالنبي (ص).

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٣]..... ص: ٣٩١

إشارة

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣)

آية.

القراءة والحجة:..... ص: ٣٩١

قرأ حمزة و خلف (زبوراً) بضم الزاي. الباقون بفتحها حيث وقعت من ضم الزاي احتمال ذلك وجهين: أحدهما أن يكون جمع زبر، فأوقع على المزبور الزبر. كما قيل: ضرب الأمير و نسج اليمن. كما يسمى المكتوب الكتاب، ثم جمع الزبر على زبور لوقوعه موقع الأسماء التي ليست مصادر كما يجمع الكتاب كتب، فلما استعمل استعمال الأسماء قالوا: زبور و الوجه الآخر أن يكون جمع زبور بحذف الزيادة على زبور، كما قالوا: ظريف و ظروف، و كروان و كروان، و ورشان التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٢

و ورشان و نحو ذلك مما يجمع بحذف الزيادة يدل على قوة هذا ان التكسير مثل التصغير. و قد اطرده هذا الحذف في ترخيم التصغير نحو أزهر و زهير، و حارث و حريث و ثابت و ثبيت و الجمع مثله في القياس، و إن كان اقل منه في الاستعمال، و من فتح الزاي أراد الكتاب المنزل على داود (ع) كما سمي المنزل على موسى التوراة، و المنزل على عيسى الإنجيل، و المنزل على محمد (ص) الفرقان.

المعنى:..... ص: ٣٩٢

قال الحسين بن علي المغربي: زبور جمع زبور و مثله تخوم و تخوم و عذوب و عذوب قال: و لا يجمع فعول- بفتح الفاء- على فعول- بضم الفاء- إلا- هذه الثلاثة فيما عرفنا. و الزبر احكام العمل في البئر خاصة يقال: بئر مزبورة: إذا كانت مطوية بالحجارة. و يقال: ما لفلان زبر اي عقل. و زبر الحديد: قطعه و أحدها زبرة.

و يقول زبرت الكتاب ازبره زبراً مثل اذبره ذبراً- بالذال المعجمة-.

المعنى:..... ص: ٣٩٢

هذا خطاب من الله للنبي (ص) يقول الله: إنا أوحينا إليك يا محمد أي أرسلنا اليك رسلنا بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح و سائر الأنبياء الذين سميناهم لك من بعد و الذين لم نسمهم لك. و قيل: إن هذه الآية نزلت على النبي (ص) لان بعض اليهود لما فضحهم الله بالآيات- التي أنزلها على رسوله (ص) من عند قوله:

«يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء و ما بعده» فتلا ذلك عليهم رسول الله، قالوا: ما انزل الله على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله هذه الآيات تكذيباً لهم، و اخبر نبيه و المؤمنين بها انه قد انزل على من بعد موسى من الذين سماهم في هذه الآية و على من لم يسمهم و هو قول ابن عباس. و قال آخرون بل قالوا لما انزل الله الآيات التي قبل هذه في ذكرهم: ما انزل الله على بشر من التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٣

شيء، و لا على عيسى. ذهب اليه محمد بن كعب القرطبي و فيه نزل قوله: «و ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» و الأسباط في ولد إسحاق كالبائبل في أولاد إسماعيل. و قد بعث منهم عدة رسل: كيوسف و داود و سليمان، و موسى و عيسى، فيجوز أن يكون أراد بالوحي اليهم الوحي إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت الى بني تميم، و إن أرسلت إلى وجوههم و ليس يصح عندنا ان الأسباط الذين هم اخوة يوسف، كانوا أنبياء.

قوله تعالى: [سورة النساء (٢): آية ١٦٤]..... ص: ٣٩٣

إشارة

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)
آية بلا خلاف.

الاعراب و المعنى:..... ص: ٣٩٣

يحتمل نصب (و رسلا) امرين:

أحدهما- على قول الفراء- انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح، و الى رسل قد قصصناهم عليك، و رسول لم نقصصهم عليك. فلما حذف الى نصب رسلا. و قال الزجاج: تقديره انه لما قال: «إِنَّا أَوْحَيْنَا» كان معناه أرسلناك رسولا عطف على ذلك، فقال: و رسلا. و تقديره و أرسلنا رسلا، فعطف الرسل على معنى الأسماء قبلها فى الاعراب كما قال الشاعر:

أوحيت بالخيز له ميسرا و البيض مطبوخاً معاً و السكر

لم يرضه ذلك حتى يشكرا

و الوجه الثانى - أن يكون نصباً بفعل يفسره ما بعده، و يتلوه، و هو اختيار الزجاج. و تقديره و قصصنا عليك رسلا قد قصصناهم عليك، كما قال: «و الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ» و التقدير و أعد للظالمين أعد لهم عذاباً أليماً.

و قرأ أبى و رسل. بالرفع- لما كان فى الفعل عائد اليهم، و هو قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٤

«قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ» و قوله:

«وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» نصب تكلما على المصدر و فائدته و كلم الله موسى بلا واسطة خصوصاً من بين سائر الأنبياء كلمهم الله بواسطة الوحي و قيل: إنما قال ذلك، ليعلم، ان كلام الله من جنس هذا المعقول الذى يشقق من التكلم على خلاف ما يقول المبطلون. و قيل انما اتى بالمصدر تأكيداً. و قيل: إنما أراد بذلك تعظيم كلامه، كأنه قال: كلم الله موسى تكلما شريفاً كما قال: «فَعَشِيَّتُهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا عَشِيَّتُهُمْ» يريد بذلك تعظيم ما غشيهم من الأهوال فاما قول من قال: إن الله كلم موسى تكلما شريفاً كما قال: يفهمها، فلما كان آخر شىء كلمه بكلام فهمه، فان ذلك لا يجوز عليه تعالى، لان خطاب من لا يفهم خطابه عبث يجرى مجرى قبح خطاب العربى بالزنجية، و الله (يتعالى عن ذلك) قال البلخى: و فى الآية دلالة على أن كلام الله محدث من حيث انه كلم موسى خاصة دون غيره من الأنبياء، و كلمه فى وقت دون وقت، و لو كان الكلام قديماً و من صفات ذاته لم يكن فى ذلك اختصاص و من فصل بين الكليم و التكلم، فقد ابعده لان المتكلم لغيره لا- يكون الا- متكلماً، و إن كان يجوز ان يكون متكلماً و ان لم يكن مكلماً فالمتكلم يجمع الامرين.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٥]..... ص: ٣٩٤

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)
آية بلا خلاف.

نصب (رسلا) على القطع من اسماء الأنبياء الذين ذكر أسماءهم (مبشرين) نصب على الحال. و التقدير أرسلت هؤلاء الأنبياء رسلا إلى خلقى و عبادى مبشرين بثوابى من اطاعنى و صدق رسلى (و منذرين) يعنى مخوفين من عقابى من عصانى و خالف أمرى، و كذب رسلى «لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٥

ابو على: ذلك مخصوص بمن علم الله من حاله أن له فى بعثه الأنبياء لطفاً، لأنه إذا كان كذلك متى لم يبعث اليهم نبيا يعرفهم ما فيه لطفهم، كان فى ذلك أتم الحجته عليه (تعالى) و ذلك يفسد قول من قال: فى مقدوره من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن به، لأنه لو

كان الامر على ما قالوه، لكانت لهم الحججة بذلك على الله (تعالى) قائمة. فاما من لم يعلم من حاله ان له في إنفاذ الرسل اليه لطفاً، فالحججة قائمة عليه بالعقل، و أدلته على توحيده، و صفاته و عدله، و لو لم تقم الحججة بالعقل و لا قامت إلا بإنفاذ الرسل، لفسد ذلك من وجهين:

أحدهما- ان صدق الرسل لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد و العدل فان كانت الحججة، لم تقم عليه بالعقل فكيف الطريق له إلى معرفة النبي (ص) و صدقه.

و الثاني- انه لو كانت الحججة لا- تقوم الا- بالرسول لاحتاج الرسول أيضاً إلى رسول آخر حتى تقوم عليه الحججة. و الكلام في رسوله كالكلام في هذا الرسول و يؤدي ذلك إلى ما لا يتناهى. و ذلك فاسد فمن استدل بهذه الآية على ان التكليف، لا يصح بحال الا بعد إنفاذ الرسل، فقد ابعد على ما قلناه. و قوله: «وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» معناه انه مقتدر على الانتقام ممن يعصيه و يكفر به لا يمنعه منه مانع لعزته حكيم فيما امر به خلقه و في جميع أفعاله.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٦]..... ص: ٣٩٥

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) آية.

قال الزجاج: الرفع مع تخفيف (لكن) و النصب مع تشديده جائز، لكن لم يقرأ بالتشديد احد.

و معنى «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ» أى يبين ما تشهد به و يعلم مع إبانته انه حق. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٦

«وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» دخلت الباء مؤكدة. و المعنى اکتفوا بالله فى شهادته و المعنى فى الآية ان هؤلاء اليهود الذين سألوک ان ينزل عليهم کتابا من السماء و قالوا لک ما أنزل الله على بشر من شىء، و قد کذبوا لیس الامر کما قالوا، لكن الله يشهد بتزليل ما أنزله اليک من کتابه و وحیه انزل ذلك إلیک، و هو عالم بأنک خیرته من خلقه، و صفوته من عباده يشهد لک بذلك ملائکته، فلا یحزنک تکذیب من کذبک، و خلاف من خالفک «وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» أى حسبک بالله شاهدًا على صدقک، دون ما سواه. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فى جماعة من اليهود کان النبی (ص) دعاهم إلى اتباعه، و أخبرهم أنهم یعلمون حقيقة نبوته فجددوا نبوته، و أنكروا معرفته، فانزل الله فیهم هذه الآية تسلیة للنبی (ص) و تعزیه له عن تکذیب من کذبه. و من استدل بهذه الآية على انه تعالى عالم بعلم، فقد اخطأ لان، قوله بعلمه معناه، و هو عالم به. و لو کان المراد بذلك ذاتا اخرى، لوجب أن یكون العلم آله فى الانزال، کما یقولون کتبت بالقلم، و قطعت بالسکین، و نجرت بالناس. و لا خلاف ان العلم لیس بآله فى الانزال. و قال الزجاج معناه إنزال القرآن الذى علمه فیہ. و هو اختیار الازهرى.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٦٧]..... ص: ٣٩٦

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) آية.

المعنى:..... ص: ٣٩٦

ان الذين جحدوا نبوتك بعد علمهم بها من أهل الكتاب الذين ذكر قصتهم، و أنكروا ان الله تعالى أوحى اليك و انزل كتابه عليك،

و صدوا عن سبيل الله يعنى عن الدين الذى بعثك به الى خلقه. و هو الإسلام بقولهم للذين يسألونهم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٧

عن صحه نبوتك ما نجد صفه محمد (ص) فى كتبنا، و ادعاؤهم عهد إليهم ان النبوه لا تكون إلا فى ولد هارون. و من ذريه داود، و ما أشبه ذلك فقد ضلوا ضلالاً بعيداً يعنى جاروا عن قصد الطريق جوراً شديداً، و زالوا عن المحجّه التى هى دين الله الذى ارتضاه لعباده و بعثك به الى خلقه زوالاً بعيداً، و ابعدوا من الرشاد.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٦٨ الى ١٦٩]..... ص: ٣٩٧

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩)
آيتان.

هذا خبر من الله تعالى بان الذين جحدوا رساله محمد (صلى الله عليه و آله) كفروا بالله، و جحدوه بجحدوهم رساله نبيه و ظلموا نبيه بتكذيبهم إياه، و مقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم عباد الله، و حسدا للعرب، و بغياً على رسوله «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ» يعنى لم يكن الله ليغفو عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها، لكنه تعالى يفضحهم بها (جل ثناؤه) بعقوبته إياهم عليه، و لا ليهديهم طريقاً يعنى لا يهدىهم لطريق الجنة، لان الهدايه إلى طريق الايمان قد سبقت، و قد عم الله أيضاً بها جميع المكلفين. و يحتمل أن يكون المراد لم يكن الله يفعل بهم ما يؤمنون عنده فى المستقبل عقوبه لهم على كفرهم الماضى، و استحقاقهم حرمان ذلك، و انه يخذلهم عن ذلك حتى يسلكوا طريق جهنم، و يكون المعنى لم يكن الله ليوفقهم للإسلام، لكنه يخذلهم عنه الى طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر خالدين فيها مقيمين ابدأ «وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» المعنى و كان تخليد هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم فى جهنم على الله يسيراً، لأنه تعالى إذا أراد ذلك به لم يقدر على الامتناع منه، و لا يصعب عليه عقاب من يعصيه، فلذلك كان يسيراً عليه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٨

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٠]..... ص: ٣٩٨

إشارة

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)
آية بلا خلاف.

خاطب الله بهذه الآيه جميع الكفار الذين لم يؤمنوا بالنبي (ص) من مشركى العرب، و جميع اصناف الكفار، و بين انه قد جاءهم الرسول- يعنى محمد (صلى الله عليه و آله)- بالحق من ربكم- يعنى بالإسلام الذى ارتضاه الله لعباده ديناً من ربكم. يعنى من عند ربكم «فَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ» معناه صدقوه و صدقوا ما جاءكم به من عند ربكم من الدين فان الايمان بذلك خير لكم من الكفر «وَ إِنْ تَكْفُرُوا» اى تجحدوا نبوته و تكذبوا رسالته و بما جاء به من عند الله فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله تعالى الذى له ملك السماوات، لا ينقص كفركم بما كفرتم به من أمره، و عصيانكم فيما عصيتموه فيه من ملكه و سلطانه شيئاً. «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» بما أنتم صائرون اليه من طاعته أو معصيته «حكيماً» فى أمره إياكم و نهبه عما نهاكم عنه و فى غير ذلك من تدبيره فيكم، و فى غيركم من خلقه.

الاعراب:..... ص: ٣٩٨

واختلفوا في نصب «خَيْراً لَكُمْ» فقال الخليل، وجميع البصريين: إن ذلك محمول على المعنى، لأنك إذا قلت: انتة خيراً لك، فأنت تدفعه عن امر، و تدخله في غيره، كأنك قلت: انتة و أت خيراً لك و ادخل فيما هو خير لك و انشد الخليل و سيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

فواعديه سرحتي مالك او الربا بينهما اسهلا

و تقديره و أننى مكاناً سهلاً و قال الكسائي: انتصب بخروجه من الكلام. قال: التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣٩٩
و هذا تفعله العرب في الكلام التام، نحو قولك لتقوم خيراً لك، و انتة خيراً لك، فإذا كان الكلام ناقصاً، لم يخبر غير الرفع تقول ان تنته خير لك، و ان تصبروا خير لكم. و قال الفراء انتصب ذلك لأنه متصل بالامر و هو من صفته. الا ترى انك، تقول: انتة هو خير لك؟ فلما أسقطت هو اتصل بما قبله، و هو معرفة فانتصب و قال ابو عبيدة: انتصب ذلك على إضمار كان، كأنه قال: فامنوا يكن الايمان خيراً لكم قال: و كذلك كل امر و نهى قال الفراء: يلزم على ذلك ما يبطله. ألا ترى انك تقول: اتق الله تكن محسناً، و لا يجوز ان تقول: اتق الله محسناً بإضمار كان، و لا يصلح ان تقول: انصرنا أخانا، و انت تريد تكن أخانا. و قال قوم. انتصب ذلك بفعل مضمرة اكتفى في ذلك المضمرة بقوله: لا تفعل ذلك و افعل صلاحاً لك.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧١]..... ص: ٣٩٩

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١)
آية واحدة.

هذا خطاب من الله تعالى لأهل الكتاب الذي هو الإنجيل و هم النصارى نهاهم الله (تعالى) ان يغلوا في دينهم بان يجاوزوا الحق فيه، و يفرطوا في دينهم، و لا- يقولوا في عيسى غير الحق، فان قولهم في عيسى أنه ابن الله قول بغير الحق، لأنه (تعالى) لم يتخذ ولداً فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابناً له، و نهاهم أن يقولوا على الله. الا الحق، و هو الإقرار بتوحيده، و انه لا شريك له و لا صاحبة و لا ولد.

و اصل الغلو في كل شيء تجاوز حده يقال: غلا فلان في الدين يغلو غلواً. و غلا التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٠
بالجارية عظمتها و لحمها: إذا انسرعت الشباب، و تجاوزت لذاتها. يغلو بها غلواً و غلاء قال الحارث بن خالد المخزومي:
خمصانه فلق موشحها رود الشباب غلا بها عظم «١»

و قوله: انما المسيح عيسى بن مريم، فأصل المسيح الممسوح- نقل من مفعول إلى فعيل. سماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب، و قيل مسح من الذنوب و الأذناس التي تكون في الآدميين كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه. و هو قول مجاهد. و قال ابو عبيدة: هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيخاً، فعبت فقبل المسيح، كما عرب سائر أسماء الأنبياء في القرآن، نحو إسماعيل و إسحاق و موسى و عيسى. و قال قوم ليس هذا مثل ذلك، لان إسماعيل و إسحاق و ما أشبههما أسماء، لا صفات. و المسيح صفة و لا يجوز ان يخاطب العرب و غيرها من أجناس الخلق في صفة شيء إلا بما يفهم، فعلم بذلك انها كلمة عربية و قال ابراهيم: المسيح المسيح الصديق و اما المسيح الدجال فانه ايضاً بمعنى الممسوح العين صرف من مفعول إلى فعيل فمعين المسيح في عيسى (ع) الممسوح البدن من الأذناس و الآثام. و معنى المسيح في الدجال الممسوح العين اليمنى أو اليسر كما يروى عن النبي (ص) في ذلك. و قوله:

رسول الله اخباره منه (تعالى) ان المسيح أرسله الله و جعله نبياً. و قوله: «كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ» فانه يعنى بالكلمة الرسالة التي امر الله ملائكته أن يأتي بها بشاره من الله (تعالى) لها التي ذكرت في قوله: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» يعنى برسالة منه و بشاره من عنده و قال قتادة و الحسن: هو قوله: «كن فكان» و اختار الطبري الاول و قال الجبائي: ذلك مجاز، و انما أراد بالكلمة انهم يهتدون بعيسى، كما يهتدون بكلامه. و كذلك يحيون به في دينهم كما يحيى الحي بالروح، فلذلك سماه روحا.

(١) اللسان (علا) - مجاز القرآن ا: ١٤٣ و في الأغاني (علا) بدل (غلا).

خمصانة بفتح الخاء و ضمها - ضامرة البطن. رؤد الشباب شابة حسنة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠١

و قوله: «أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ» فمعناه أعلمها بها و أخبرها كما يقال ألقىت اليك كلمة حسنة بمعنى أخبرتك بها، و كلمتك بها. و قال الجبائي: معنى ألقاها الى مريم خلفه في رحمها.

و قوله: «وَرُوحٌ مِنْهُ» اختلفوا فيه على ستة اقوال:

فقال قوم: معناه و نفحه منه و سماه روحا، لأنه حدث عن نفحه جبرائيل في درع مريم بأمر الله له بذلك، و نسب الى الله، لأنه كان بامر. و انما سمى النفخ روحا، لأنها ريح تخرج من الروح. و استشهدوا على ذلك قول ذي الرمة - و اسمه غيلان - في صفة نار نفثها.

فلما بدت كنفها و هي طفلة بطلساء لم تكمل ذراعا و لا شبراً.

و قلت له: ارفعها اليك و احبها بروحك و اقتها لها قيته قدرأ

و ظاهر لها من يابس الشخت، و استعن عليها الصبا و اجعل يديك لها سترأ (١).

معنى احبها بروحك اى بنفخك.

و قال بعضهم: معناه انه كان إنساناً باحياء الله إياه بتكوينه بلا واسطة من جماع، و نطفه على مجرى العادة.

و قال قوم: قوله: «وَرُوحٌ مِنْهُ» معناه و رحمة منه. كما قال في موضع:

«وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» و معناه و رحمة منه. قال: فجعل الله عيسى رحمة على من اتبعه، و آمن به و صدقه، لأنه هداهم الى سبيل الرشاد.

و قال آخرون: معنى ذلك و روح من الله خلقها فصورها، ثم أرسلها الى مريم، فدخلت في فيها فصيرها الله تعالى روح عيسى ذهب

اليه ابو العالیه عن أبي ابن كعب.

(١) ديوانه. و اللسان (روح) يصف ناراً طلساء خرقة اقتتها...: (نفخ بها برفق) الشخت: الدقيق من كل شيء.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٢

و قال بعضهم: ان معنى الروح - ها هنا - القوة التي كان بها يحيى الموتى قال الراجز:

إذا عرج الليل بروح الشمس

و قال قوم: معنى الروح ها هنا جبرائيل. قالوا: و الروح معطوفة به على ما في قوله من ذكر الله تعالى. و المعنى إن إلقاء الكلمة الى مريم كان من الله تعالى.

ثم من جبرائيل. و قوله: «فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» أمر من الله إياهم بتصديق الله تعالى، و الإقرار بوحدانيه، و تصديق رسله فيما جاءوا به من عند الله، و فيما أخبرهم به أن الله لا شريك له، و لا صاحبه و لا ولدا.

و قوله: «وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوا» نهى لهم عن أن يقولوا الأرباب ثلاثة، و انما رفع ثلاثة بمحذوف دل عليه ظاهر الكلام. و تقديره و لا تقولوا: هم ثلاثة.

وانما جاز ذلك، لان القول حكاية و مثل ذلك قوله: «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَالْبَيْتِ» (١) و كذلك كلما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم، ثم قال متوعداً لهم على عظيم قولهم الذي قالوه في الله: انتهوا أيها القائلون الله ثالث ثلاثة عما تقولون من الزوج والشرك بالله، و الانتهاء عن ذلك خير لكم من قولكم لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قولكم ذلك ان أقمتم عليه، و لم ترجعوا إلى الحق.

و وجه النصب في «أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ» ما قلناه في قوله آمنوا خيراً لكم، فلا وجه لإعادته.

و قوله: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ» معناه الاخبار من الله (تعالى) ان الذين يحق له العبادة واحد، لان من كان له ولد، لا يكون آلهاً و كذلك من كان، له صاحبة لا يجوز ان يكون إلهاً معبوداً، و لكن الله الذي له الالهية و العبادة إله واحد، و معبود واحد لا ولد له، و لا والد، و لا صاحبة، و لا شريك، ثم نزه تعالى نفسه و عظمها و رفعها عما قاله المبطلون الكافرون فقال: «سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ»

(١) سورة الكهف، آية ٢٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٣

و لفظه سبحانه تفيد التنزيه عما لا يليق به من الولد و الصاحبة، لان من يملك ما في السموات و الأرض و ما بينهما و له التصرف فيهما، و فيهم عيسى و امه، و هم عبيده، و هو رازقهم و خالقهم، و هم أهل الحاجة إليه و الفاقة، فكيف يكون المسيح ابناً له، و هو إما في الأرض أو في السماء. و هو تعالى يملك جميع ذلك، و يحتمل أن يكون في موضع نصب لأنه يصلح أن يقال عن ابن يكون او من ان يكون، فإذا حذف حرف الجر كانت في موضع نصب. و كان الكسائي يقول هو في موضع خفض. و الاول قول الفراء و غيره. و قوله: «وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا» معناه حسب ما في السموات و ما في الأرض بالله قيما و مدبراً، و رازقاً من الحاجة معه إلى غيره و معنى كفى بالله اكتفوا بالله.

و قد شبهت النصارى قولها: انه ثلاثة أقانيم جوهر واحد بقولنا: سراج واحد، ثم نقول. انه ثلاثة أشياء دهن و قطن و نار و للشمس انها شمس واحدة، ثم نقول انها جسم و زوج و شعاع. قال البلخي، و هذا غلط، لأننا و ان قلنا إنه سراج واحد، لا نقول هو شيء واحد، و لا الشمس انها شيء واحد بل نقول هو أشياء على الحقيقة، كما نقول عشرة واحدة، و انسان واحد، و دار واحدة، و شهر واحد، و هي أشياء متغايرة. فان قالوا: إن الله شيء واحد حقيقة كما انه إله واحد، فقولهم بعد ذلك انه ثلاثة مناقضة لا يشبه ما قلناه. و ان قالوا: هو أشياء، و ليس بشيء واحد دخلوا في قول المشبهة، و تركوا القول بالتوحيد. و العجب أنهم يقولون:

إن الأب له ابن و الابن لا أب له، ثم يزعمون ان الذي له ابن هو الذي لا أب له، و يقولون إن من عبد الإنسان، فقد اخطأ و ضلّ، ثم يزعمون أن المسيح إله انسان، و انهم يعبدون المسيح. و قد تكلمنا على ما نعقل من مذاهبهم في الأقانيم و الاتحاد و النبوة في كتاب شرح الجمل بما لا مزيد عليه لا نطول بذكره ها هنا.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٤

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٢]..... ص: ٤٠٤

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) آية.

معنى نْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ

لم يأنف. و أصله في اللغة من نكفت الدمع:

إذا نحيته بإصبعك من خدك. قال الشاعر:

فباتوا فلو لا ما تذكر منهم من الخلف لم ينكف لعينيك مدمع

فتأويلن يَسْتَنْكِفُ»

لن ينقبض و لن يمتنع. فمعنى الآية «لن يستكبر المسيح ان يكون عبداً» بمعنى من ان يكون عبداً لله و لا الملائكة المقربون. و معناه و لا يستنكف الملائكة أيضاً، و لا يأنفون، و لا يستكبرون من الإقرار لله بالعبودية، و الإذعان له بذلك «المقربون» الذين قربهم و رفع منازلهم على غيرهم من خلقه.

و قال الضحاك: المقربون معناه انه قربهم إلى السماء الثانية. و قوله: مَنْ يَسْتَنْكِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ»

معناه من يأنف من عبادة الله، و يتعظم عن التذلل و الخضوع له، و الطاعة له من جميع خلقه «فسيحشرهم». و معناه فسيبعثهم يوم القيام جميعاً يجمعهم لموعدهم عنده. و معنى إليه إلى الموضع الذي لا يملك التصرف فيه سواه، كما يقال صار أمر فلان إلى القاضي أى لا يملكه غير القاضي، و لا يراد بذلك المكان الذي فيه القاضي. و استدل قوم بهذه الآية على ان الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا: لا يجوز أن يقول القائل: لا- يأنف الأمير أن يركب إلى و لا- غلامه. و انما يجوز أن يقال: لا- يأنف الوزير أن يركب إلى و لا الأمير، فيعطف بعالي الرتبة على الأدون، و لا يعطف بالادون على الأعلى. و هذا الذي ذكروه لا دلالة فيه من وجوه:

أحدها- ان يكون هذا القول متوجهاً إلى قوم اعتقدوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء، فأجرى الكلام على اعتقادهم، كما يقول القائل لغيره: لا يستنكف أبى من التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٥ من كذا، و لا أبوك. و إن كان القائل يعتقد أن أباه أفضل.

الثاني- انه لا- تفاوت بين الأنبياء و الملائكة التفاوت البعيد كتفاوت الأمير و الحارس، و ما جرى مجرى ذلك. و يجوز أن يقدم الفاضل و يؤخر المفضول. ألا ترى أنك تقول: لا يستنكف الأمير فلان من كذا، و لا الأمير فلان؟ و ان كان الاول أفضل. و الثالث- انه اخر ذكر الملائكة، لان جميع الملائكة اكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً فمن اين ان كل واحد منهم أفضل من المسيح، أو غيره من الأنبياء؟

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٣].... ص: ٤٠٥

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) آية.

أخبر الله تعالى في هذه الآية و وعد ان الذين يقرون بوحدانيتة تعالى، و يعترفون بربوبيته، و يخضعون لعبادته. و يعملون الاعمال الصالحات التي أمر الله بها، و بعث بها رسله انه يوفيههم أجورهم. و معناه يؤتيهم جزاء أعمالهم الصالحة وافياً تاماً، و يزيدهم من فضله يعنى يزيدهم ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الصالحة و الثواب عليها من الفضل، و الزيادة هو ما لم يعرفهم مبلغه لأنه (تعالى) وعد على الحسنه عشر أمثالها من الثواب، و الزيادة على ذلك تفضل من الله عليهم، و إن كان كل ذلك من فضله إلى عباده. و قد روى ان الزيادة إلى سبعين ضعفاً و إلى سبعمائة و إلى ألفين و كل ذلك جائز على ما يختاره الله و يفعله.

و قوله «وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا» معناه أن الذين يأنفون عن الإقرار بتوحيد الله، و يتعظمون عن الاعتراف بعبوديته، و الإذعان له بالطاعة، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٦

و استكبروا عن التذلل له، و تسليم ربوبيته يعذبهم عذاباً أليماً أى مؤلماً موجعاً، و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً. و انما رفع و لا- يجدون بالعطف على ما بعد فيعذبهم و لو جزم على موضع ما بعد الفاء، كان جائزاً يعنى و لا- يجد المستنكفون و المستكبرون لأنفسهم ولياً ينجيهم من عذابه، و ناصرأ ينقذهم من عقابه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٤]..... ص: ٤٠٦

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤)

- آية بلا خلاف- هذا خطاب من الله (تعالى) لجميع الخلق من الناس المكلفين من سائر اصناف الملل الذين قص قصصهم في هذه السورة من اليهود والنصارى والمشركين «قَدْ جَاءَكُمْ» يعنى أتاكم حجة من الله تبرهن لكم عن صحة ما أمركم به، وهو محمد (صلى الله عليه وآله) جعله الله حجة عليكم، وقطع به عذركم، «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا» يعنى وأنزلنا إليكم معه نوراً مبيناً يعنى بين لكم المحجة الواضحة، والسبيل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله واليم عقابه، وذلك النور هو القرآن الذى أنزله الله على محمد (ص) وهو قول مجاهد، وقادة والسدى وابن جريج، وجميع المفسرين. وانما سماه نوراً لنا فيه من الدلالة على ما امر الله به ونهى عنه والاهتداء به تشبها بالنور الذى يهتدى به فى الظلمات وفى الآية دلالة على أن كلام الله محدث، لأنه وصفه بالانزال فلو كان قديماً، لما جاز ذلك عليه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٥]..... ص: ٤٠٦

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا (١٧٥)

آية. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٧

هذا اخبار من الله و وعد منه لمن صدق الله و أقر بوحدانيته، و اعترف بما بعث به نبيه محمداً صلى الله عليه وآله من أهل الملل، و اعتصم به و تمسك بالنور الذى أنزله إلى نبيه. قال ابن جريج الهاء فى (به) كناية عن القرآن، فسيدخلهم فى رحمة منه معناه ستألفهم رحمته التى تنجيهم من عقابه، و توجب لهم ثوابه، و جنته، و يلحقهم ما لحق أهل الايمان به، و التصديق لرسوله، «وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا» يعنى يوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به على أوليائه و يسددهم لسلك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته و اقتفاء آثارهم و اتباع دينهم. و ذلك هو الصراط المستقيم.

و هو الإسلام الذى ارتضاه الله دينا لعباده.

و نصب «صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» على القطع من الهاء فى قوله (إليه) و يحتمل أن يكون المراد بقوله: «وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا» يعنى إلى ثوابه.

قوله تعالى: [سورة النساء (٤): آية ١٧٦]..... ص: ٤٠٧**إشارة**

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَارِدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَارِدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَ نِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

آية آخر السورة.

النزول:..... ص: ٤٠٧

روى البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة. و آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» و قال جابر بن عبد الله:

نزلت في المدينة و قال ابن سيرين: نزلت في مسير كان فيه رسول الله (ص) التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٨
و أصحابه. و اختلفوا في سبب نزول هذه الآية

فقال سعيد بن المسيب: سأل عمر النبي (ص) عن الكلالة، فقال: ا ليس قد بين الله ذلك؟ قال: فنزلت «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي
الْكَلَالَةِ»

و قال جابر بن عبد الله: اشتكيت و عندي تسع أخوات لى أو سبع، فدخل على النبي (ص) فنفخ فى وجهى، فأفقت. فقلت: يا رسول
الله ألا أوصى لأخواتى بالثلثين؟ قال: أحسن. قلت: الشطر. قال: احسن، ثم خرج و تركنى، و رجع الى فقال: يا جابر انى لا أراك ميتاً
من وجعك هذا، و ان الله عز و جل قد أنزل فى الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين. قال: و كان جابر يقول:
نزلت هذه الآية فى.

و قال قتادة: ان اصحاب رسول الله (ص) همهم شأن الكلالة، فانزل الله (عز و جل) فيها هذه الآية.

المعنى:..... ص: ٤٠٨

معنى يستفتونك يسألونك يا محمد ان تفتيهم فى الكلالة. و حذف اقتصاراً لما دل الجواب عليه. و الاستفتاء و الاستقضاء واحدة
يقال: قاضيته و فأتيته.

قال الشاعر:

تعالوا نفاتيكم أ أعيا و فقعس إلى المجد أدنى ام عشيرة حاتم

هكذا أنشده الحسين بن على المغربى. و قد فسرنا معنى الكلالة و ذكرنا اختلاف العلماء فى ذلك فأغنى عن الاعداء. و قوله: «إِنِ امْرُؤٌ
هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَوَلَدٌ» قال السدى: معناه مات ليس له ولد ذكر و أنثى، (و له اخت) يعنى و للبيت اخت لأبيه و امه، فلها نصف ما ترك،
فان لم يكن أخت لايب و أم، و كانت اختاً لايب قامت مقامها، و الباقى عندنا رد على الاخت سواء كان هناك عصبه، او لم يكن. و
قال جميع الفقهاء: إن الباقى للعصبه، و إن لم يكن هناك عصبه، و هم العم و بنو العم، و أولاد الأخ. قال فمن قال: الرد على ذوى
الأرحام، رد على الاخت الباقى و هو اختيار الجبائى، و أكثر اهل العلم. و قال زيد بن ثابت، و الشافعى و جماعة: إن الباقى لبيت المال
يرثه جميع المسلمين. و قوله: «وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَوَلَدٌ» يعنى إن كانت الأخت هى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٠٩

الميتة، و لها أخ من أب و أم، أو من أب فالمال كله له بلا خلاف إذا لم يكن هناك ولد، سواء كان ولدها ذكراً، أو أنثى، فان كان
ولدها ذكراً، فالمال له بلا خلاف و يسقط الأخ، و إن كانت بنتاً كان لها النصف بالتسمية بلا خلاف و الباقى رد عليها، لأنها اقرب
دون الأخ، و لأن الله (تعالى) انما قال: «وَهُوَ يَرِثُهَا» يعنى الأخ إذا لم يكن لها ولد. و البنت [ولد] «١» بلا خلاف و من خالف فى
تسمية البنت ولداً فقد اخطأ. ذكر ذلك البلخى و استدلل على ذلك بان قال: لو مات و خلف بنتاً و أبوين إن للأبوين الثلث، مع. قوله:
«و لأبويه لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد» و إنما أراد الولد الذكر. و هذا الذى ذكره خطأ، لأنه خلاف لأهل اللغة. لأنه لا
خلاف فى تسمية البنت بأنها ولد، و لأنه قال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» ثم فسر الأولاد فقال: «فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» فلو كان
الولد لا- يقع على الأنتى، لكان المال بينهم بالسوية، و ذلك خلاف القرآن. على انا نخالف فى المسألة التى ذكرها، فنقول للأبوين
السدسان، و للبنت النصف و الباقى رد عليهم على قدر سهامهم، فنجعل الفريضة من خمسة و من رد الباقى على الأب فإنما يرده
بالتعصيب، لا لان البنت لا تسمى ولداً، فبان بطلان ما قاله. و من خالفنا من الفقهاء فى مسألة الأخ و البنت، يقول: الباقى للأخ،

لقوله (ع): (ما أبقت الفرائض فلاولى عصبته)

ذكر هذا الخبر عندنا ضعيف، لأنه أو لا خير واحد. و قد طعن على صحته. ضعفه أصحاب الحديث بما ذكرناه فى مسائل الخلاف، و
تهذيب الأحكام، و غير ذلك من كتبنا. و ما هذه صفته لا يترك له ظاهر القران. و قوله: «فَإِنْ كَانَتْ أُثْنَيْنِ» يعنى ان كانت الأختان

اثنتين، فلهما الثلثان. وهذا لا خلاف فيه و الباقي على ما بيناه من الخلاف في الأخت الواحدة. عندنا، رد عليها دون عصبته، و دون ذوى الأرحام، و إذا كان هناك عصبه، رد الفقهاء الباقي عليهم، و إن لم يكن رد على ذوى الأرحام. من قال بذلك فرد على الأختين، لأنهما أقرب، و من لم يقل بذلك رد على بيت المال. فان كانت احدى الأختين لاب و ام، و الاخرى لاب، فلأخت للأب و الام النصف،

(١) - ساقطة من المطبوعه. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٠

بلا خلاف. و الباقي رد عليها عندنا، لأنها تجمع السبين و لا شيء للاخت للأب، لأنها انفردت بسبب واحد و عند الفقهاء لها السدس تكمله الثلثين و الباقي على ما بيناه من الخلاف، و إن كانوا أخوة رجالا و نساء يعنى يكون الورثة أخوة رجالا و نساء للأب، و الام، أو للأب فلذلك مثل حظ الأنثيين. بلا خلاف فان كان الذكور منهم للأب و الام و الإناث للأب، انفرد الذكور بجميع المال بلا خلاف. و إن كان الإناث للأب و الام و الذكور للأب كان للإناث الثلثان ما سمي بلا خلاف و الباقي عندنا، رد عليهن لما بيناه من اجتماع السبين لهن. و عند جميع الفقهاء ان الباقي للاخوة مع الأب، و لأنهم عصبه. و قد قلنا ما عندنا فى خبر العصبه و يمكن ان يحمل خبر العصبه مع تسليمه على ما مات، و خلف زوجاً أو زوجةً و أخا لاب و أم، و أخاً للأب أو ابن أخ لاب و أم، أو ابن أخ لأب أو ابن عم لاب و أم، و ابن عم لاب فان للزوج سهمه المسمى و الباقي لمن يجمع كلاله الأب و الام دون من يتفرد بكلاله الأب. و قوله: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا» قال الفراء: معناه لثلاثا تضلوا.

قال القطامي:

رأينا ما رأى البصرء فيها فألينا عليها ان تباعا «١»

و المعنى إلا تباعا. و قال الزجاج و البصريون: لا يجوز إضمار لا. و المعنى بين الله لكم كراهه أن تضلوا. و حذف كراهه، لدلالة الكلام عليه. قالوا: و انما جاز الحذف فى قوله: «وَسَيَسْأَلُ الْقَرْيَةَ» و المعنى و سل اهل القرية، لأنه بقى المضاف فدل على المحذوف. فاما حذف (لا) و هى حرف جاء لمعنى النفي، فلا يجوز، لكن قد تدخل فى الكلام مؤكده و هى لغو كقوله: «لثلاثا يعلم أهل الكتاب» و المراد لئن يعلم. و مثله قول الشاعر:

و ما ألوم البيض الا تسخرأ إذا رأين الشمط القفندرا «٢»

(١) - ديوانه: ٤٣ يصف ناقته.

(٢) - أنظر ا: ٤٥

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١١

و المعنى و ما ألوم البيض ان تسخر و مثله قوله: «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» «١» «و لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» «٢» و المعنى أقسم. و لا- يجوز على القياس على ذلك أن تقول: لا أخلف عليك و تريد أخلف عليك، لان (لا) إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غير النفي، فإذا بنيت الكلام على النفي، فقد نقضت الإيجاب و انما جاز الغاء (لا) فى أول السورة، لان القرآن كله كالسورة الواحدة ألا ترى أن جواب الشئ فيه يقع و بينهما سور؟ كما قال تعالى جواباً لقوله: «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» «٣» فقال: «ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» «٤» و بينهما سور كثيرة. ذكره الزجاج. و قوله: «إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ» قال الفراء (هلك) فى موضع جزم. و مثله قوله: «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ» «٥» و لو كان موضعها يفعل كان جزمًا. و قال الزجاج: جاز مع ان تقديم الاسم قبل الفعل، لأن (ان) لا تعمل فى الماضى، و لأنها (ام) فى الجزاء قال: و التقدير ان هلك امرؤ هلك. و انشد الفراء:

صعدة قد نبتت في حائر انما الريح تميلها تمل
 فجزم تميلها. و قد حال بينها و بين أينما بالاسم و هو الريح.
 و قال عمر: سألت رسول الله (ص) عن الكلالة، فقال: أ لم تسمع الآية التي أنزلت في الصيف. و في خبر آخر- تكفيك آية الصيف.
 و قوله: «امْرُؤٌ هَلَمَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتُ: فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ» يمنع أن يكون الاخـت ترث مع البنت، لأنه شرط في ميراثها عدم
 الولد. و البنت ولد بلا خلاف بين أهل اللغة.
 و ما روى عن النبي (ص) أن الأخوات مع البنات عصبه
 خير واحد، لا يلتفت اليه، لأنه يخالف نصب القرآن. و بما قلناه قال ابن عباس، لأنه لم يجعل الأخوات مع البنات عصبه.

(١)- سورة البلد، آية ١.

(٢)- سورة القيامة، آية ١.

(٣)- سورة الحجر، آية ٦.

(٤)- سورة القلم، آية ١- ٢.

(٥) سورة التوبة، آية ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٢

و موضع (ان) في قوله (ان تضلوا) نصب في قول الأكثر، لاتصالها بالفعل و في قول الكسائي: خفض، لان تقديره عنده لثلاثا تتولوا، فان
 قيل:

ما وجه قوله: «اثنتين» مع أن قوله: «فان كانتا» قد دل على اثنتين؟ قيل:

يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون ذلك تأكيداً للمضمرة يقول القائل: فعلت أنا.

و الثاني- ان يبين بذلك ان المطلوب في ذلك العدد، لا- غيره من الصفات من صغر او كبر أو عقل أو عدمه، و غير ذلك من
 الصفات، بل متى جعل العدد ثبت ما ذكره من الميراث.

و قوله: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه عالم بكل شيء من مصالح عباده في قسمته مواريتهم، و غيرها من جميع الأشياء، لا يخفى عليه
 شيء من جميعه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٣

٥- سورة المائدة..... ص: ٤١٣

إشارة

هي مدنية في قول ابن عباس و مجاهد و قتادة.

و قال جعفر بن مبشر: هي- مدنية إلا آية منها نزلت في حجة الوداع و هي قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» و هي كلها مدنية بمعنى
 انها نزلت بعد الهجرة.

و قال الشعبي: نزل قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ» و النبي (صلى الله عليه و آله) واقف على راحلته في حجة الوداع.

و قال عبد الله بن عمر آخر سورة نزلت المائدة. و هي مائة و عشرون آية كوفي و اثنتان و عشرون في المدينتين. و ثلاثة و عشرون

بصرى.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١]..... ص: ٤١٣

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)
آية بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٤

هذا خطاب من الله (تعالى) للمؤمنين المعترفين بوحدانيته تعالى المقربين له بالعبودية المصدقين لرسوله (ص) في نبوته، وفيما جاء به من عند الله من شريعة الإسلام، أمرهم الله بإيفاء العقود و هي العهود التي عاهدوها مع الله و أوجبوا على أنفسهم حقوقاً، و الزموا نفوسهم بها فروضاً أمرهم الله تعالى بالإتمام بالوفاء و الكمال لما لزمهم يقال: أو في بالعهد و وفى به و أوفى به لغه أهل الحجاز. و هي لغه القرآن، و اختلف أهل التأويل في العقود التي أمر الله (تعالى) بالوفاء بها في هذه الآية بعد إجماعهم على ان المراد بالعقود العهود، فقال قوم: هي العقود التي كان أهل الجاهلية عاقد بعضهم بعضاً على النصره و المؤازرة. و المظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءً و ذلك هو معنى الحلف. ذهب اليه ابن عباس و مجاهد، و الربيع ابن أنس و الضحاك و قتادة و السدى و سفيان الثوري. و العقود جمع عقد. و أصله عقد الشيء بغيره. و هو وصله به، كما يعقد الحبل إذا وصل به شيئاً. يقال منه: عقد فلان بينه و بين فلان عقداً فهو يعقده. قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج و شدوا فوقه الكربا «١»

و ذلك إذا واثقه على امر عاهده على عهد بالوفاء له بما عاقده عليه من أمان، أو ذمه أو نصره، أو نكاح أو غيره ذلك. قال قتادة: هي عقود الجاهلية الحلف.

و يقال: اعقدت العسل فهو عقيد و معقد و روى بعضهم عقدت، العسل و الكلام و أعقدت. و قال آخرون: هي العهود التي أخذ الله على عباده بالايمن به، و طاعته فيما أحل لهم أو حرم عليهم. روى ذلك عن ابن عباس و قال: هو ما أحل و حرم و ما فرض، و ما حد في القرآن كله، فلا تعدوا أو لا تنكثوا، ثم سدد فقال:

(١) ديوانه: ٦ مجاز القرآن لأبى عبيدة: ١٤٥ اللسان (كرب) من قصيدته التي قالها في الزبرقان بن بدر و بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة. العناء: خيط يشد في أسفل الدلو. الكرب: الحبل.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٥

«وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ» الى قوله: «سوء الدار». و به قال أيضاً مجاهد: و قال قوم: بل العقود التي يتعاقد بها الناس بينهم و يعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان، و عقد النكاح، و عقد العهد، و عقد البيع، و عقد الحلف.

ذهب اليه عبد الله بن عبيدة و ابن زيد، و هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه.

و قال آخرون: ذلك امر من الله لأهل الكتاب بالوفاء بما أخذ به ميثاقهم من العمل بما في التوراه و الإنجيل في تصديق محمد (صلى الله عليه و آله) و ما جاء به من عند الله.

ذكر ذلك ابن جريج و أبو صالح. و قال الجبائي: أراد به الوفاء بالايمن فيما يجوز الوفاء به. فاما ما كان يميناً بالمعصية، فعليه حنثه و عليه الكفارة. و عندنا ان اليمين في معصية لا- تنعقد، و لا كفارة في خلافها. و أقوى هذه الأقوال ما حكيناه عن ابن عباس أن معناه

أوفوا بعقود الله التي أوجبها عليكم، و عقدها فيما أحل لكم و حرم، و ألزمتكم فرضه. و بين لكم حدوده. و يدخل في جميع ذلك ما قاله إلا ما كان عقداً على المعاونة على أمر قبيح. فان ذلك محظور بلا خلاف.

و قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» اختلفوا في تأويل بهيمة الانعام في هذه الآية فقال قوم: هي الانعام كلها: الإبل و البقر، و الغنم. ذهب اليه الحسن و قتادة و السدى و الربيع و الضحاك. و قال آخرون:

أراد بذلك اجنة الأنعام التي توجد في بطون أمهاتها إذا ذكيت الأمهات. و هي ميتة. ذهب اليه ابن عمر و ابن عباس. و هو المروى عن أبي عبد الله.

و الأولى حمل الآية على عمومها في الجميع.

و الانعام جمع نعم، و هو اسم للإبل، و البقر و الغنم خاصة عند العرب كما قال تعالى: «و الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَ مَنَافِعٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» ثم قال: «و الْخَيْلَ وَ الْبُغَالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً» ففضل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان و أما بهائمها فإنها أولادها. و قال الفراء بهيمة الانعام: وحشها كالظباء، و بقر الوحش، و الحمر الوحشية. و انما سميت بهيمة الانعام، لان كل حي لا يميز،

فهو بهيمة الانعام، لأنه أبهم عن ان يميز. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٦

و قوله: «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» اختلفوا في المراد بقوله «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» فقال بعضهم: أراد بذلك أحلت لكم أولاد الإبل، و البقر و الغنم إلا ما بين الله تعالى فيما يتلى عليكم بقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ... الآية» ذهب اليه مجاهد و قتادة و قال: الميتة، و ما لم يذكر اسم الله عليه. و به قال السدى و ابن عباس. و قال آخرون: استثنى من ذلك الخنزير روى ذلك أيضاً عن ابن عباس، و الضحاك. و الاول أقوى، لان قوله: «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» يجب حمله على عمومها في جميع ما حرم الله (تعالى) في كتابه. و الذي حرمه هو ما ذكره في قوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ..... الى آخر الآية» و الخنزير و إن كان محرماً، فليس من بهيمة الانعام، فمتى حملناه عليه كان الاستثناء منقطعاً، و متى خصصنا بالميتة و الدم، كان الاستثناء متصلاً. و إن حملناه على الكل تكون علينا حكم الميتة و ما ذكر بعده، فيكون الاستثناء أيضاً حقيقة و متصلاً. و اختار الطبري تخصيصه بالميتة و الدم، و ما أهل لغير الله به. قال الحسين ابن علي المغربي إلا ما يتلى معناه من البحيرة و السائبة و الوصيلة فلا تكون المحرم، و استثنى ها هنا ما حرمه (تعالى) فلا يليق بذلك.

و قوله: «غَيْرَ مُحْلَى الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ» اختلفوا في تأويله فقال بعضهم:

معناه أوفوا بالعقود غير محلين الصيد و أنتم حرم أحلت لكم بهيمة الانعام. و يكون فيه التقديم و التأخير، فغير يكون منصوباً على هذا الحال مما في قوله: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» من ذكر الذين آمنوا. و تقدير الكلام أوفوا أيها الذين آمنوا بعقود الله التي عقدها عليكم في كتابه لا- محلين الصيد، و أنتم حرم. و قال آخرون: معنى ذلك أحلت لكم بهيمة الانعام الوحشية من الظباء، و البقر و الحمر غير محلى

الصيد غير مستحلين اصطياًدهم، و أنتم حرم، و إلا- ما يتلى عليكم (غير) على هذا منصوب على الحال من الكاف، و الميم اللين في قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» و التقدير أحلت لكم يا أيها الذين آمنوا بهيمة الانعام، لا مستحلى اصطياًدها في حال إحرامكم و قال

آخرون: معناه أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما يتلى عليكم. بمعنى إلا التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٧

ما كان منها وحشياً، فانه صيد، و لا يحل لكم و أنتم حرم. و التقدير على هذا أحلت لكم بهيمة الانعام كلها إلا ما بين لكم من وحشها غير مستحلى اصطياًدها في حال إحرامكم، فتكون (غير) منصوبة على الحال في الكاف و الميم في قوله: إلا ما يتلى عليكم. ذهب إلى ذلك الربيع، و الحرم جمع حرام. و هو المحرم قال الشاعر:

فقلت لها حتى ليك فاني حرام و إنى بعد ذاك ليب

أى و انى ملب.

وقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ» معناه إن الله يقضى فى خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله، و تحريم ما يريد تحريمه، و إيجاب ما يريد إيجابه. و غير ذلك من أحكامه و قضاياه، فافعلوا ما أمركم به، و انتهوا عما نهاكم عنه.

الاعراب:..... ص: ٤١٧

(و ما) فى قوله: «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» فى موضع نصب بالاستثناء. و قال الفراء يجوز أن يكون موضعها الرفع. كما تقول جاءنى القوم، إلا زيدا و إلا زيد قال الزجاج: و هذا لا يجوز إلا أن تكون إلا بمعنى غير، فتكون صفة. فاما بمعنى الاستثناء، فلا يجوز. و قوله عليه السلام: (ذكاة الجنين ذكاة امه عندنا) معناه انه إذا ذكيت الام و خرج الولد ميتا، قد اشعرا و أوبر، جاز أكله. و به قال الشافعى و أهل المدينة و قال ابو حنيفة: معناه انه يذكى كما تذكى امه و هو اختيار البلخى.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢]..... ص: ٤١٧

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْفُلَاةَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَبَدُواكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَىٰ وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٨ آية.

القراءة:..... ص: ٤١٨

قرأ أبو بكر عن عاصم، و ابو جعفر و إسماعيل المسيبى (شنان) بسكون النون الاولى فى الموضوعين. الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أبو عمر (و ان صدوكم) بكسر الهمزة الباقون بفتحها.

المعنى:..... ص: ٤١٨

هذا خطاب من الله (تعالى) للمؤمنين ينهاهم ان يحلوا شعائر الله. و اختلفوا فى معنى شعائر الله على سبعة اقوال: فقال بعضهم: معناه لا تحلوا حرمت الله، و لا تعدوا حدوده، و حملوا الشعائر على المعالم. و أرادوا بذلك معالم حدود الله و أمره و نهيه، و فرائضه ذهب اليه عطا و غيره. و قال قوم: معناه لا تحلوا حرم الله و حملوا شعائر الله على معالم حرم الله من البلاد. ذهب اليه السدى. و قال آخرون: معنى شعائر الله مناسك الحج. و المعنى لا تحلوا مناسك الحج، فتضيعوها. ذهب اليه ابن جريج، و رواه عن ابن عباس. و قال ابن عباس: كان المشركون يحجون البيت، و يهدون الهدايا، و يعظمون حرمة المشاعر، و يتجرون فى حججهم، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فنهاهم الله عن ذلك. و قال مجاهد: شعائر الله الصفا و المروة و الهدى من البدن، و غيرها. كل هذا من شعائر الله. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤١٩

و قال الفراء

كانت عامة العرب لا ترى الصفا و المروة من الشعائر، و لا يطوفون بهما، فنهاهم الله عن ذلك و هو قول أبي جعفر (عليه السلام).

و قال قوم: معناه لا تحلوا ما حرم الله عليكم في إحرامكم. روى ذلك عن ابن عباس في رواية اخرى.

و قال الجبائي الشعائر: العلامات المنصوبة للفرق بين الحل، و الحرم نهاهم الله أن يتجاوزها إلى مكة بغير إحرام. و قال الحسين بن على المغربى: المعنى لا- تحلوا الهدايا المشعرة. و هو قول الزجاج و اختاره البلخى. و أقوى الأقوال قول عطا من أن معناه، لا تحلوا حرمت الله، و لا تضيعوا فرائضه لان الشعائر جمع شعيرة و هى. على وزن فعلية، و اشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر: إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، و إذا كان كذلك، و جب حمل الآية على عمومها، فيدخل فيه مناسك الحج، و تحريم ما حرم فى الإحرام، و تضييع ما نهى عن تضييعه و استحلال حرمت الله، و غير ذلك من حدوده و فرائضه و حلاله و حرامه، لان كل ذلك من معالمه، فكان حمل الآية على العموم اولى.

و قوله: «وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ» معناه و لا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءكم من المشركين، كما قال: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و هو قول ابن عباس و قتاده. و الشهر الحرام الذى عناه الله ها هنا قال قوم:

هو رجب، و هو شهر كانت مضر تحرم فيه القتال. و قال قوم: هو ذو العقدة. ذكره عكرمة. و قال ابو على الجبائي: هو أشهر الحرام كلها، نهاهم الله عن القتال فيها.

و هو أليق بالعموم. و به قال البلخى.

و قوله: «وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْقَلَائِدَ» فالهدى جمع واحدة هدية و أصله هدية و هو ما هداه الإنسان من بعير او بقرة أو شاة أو غير ذلك إلى بيت الله تقربا به إلى الله (تعالى) و طلباً لثوابه بقول الله: لا تستحلوا ذلك فتغصبوه أهله عليه، و لا تحولوا بينهم و بين ما اهدوا من ذلك إلى بيت الله ان يبلغوه محله من الحرم، و لكن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٠

خلوهم حتى يغوا به المحل الذى جعله عز و جعل له. و هو كعبته. قال ابن عباس:

و الهدى يكون هدياً قبل ان يقلد ما جعله على نفسه أن يهديه و يقلده. و قوله: «وَلَا الْقَلَائِدَ» معناه و لا تحلوا القلائد. و اختلفوا فى معناه فقال بعضهم: عنى بالقلائد الهدى. و انما كرر، لأنه أراد المنع من حل الهدى الذى لم يقلد، و الهدى الذى قلده. و هو قول ابن عباس. و قال آخرون: يعنى بذلك القلائد التى كان المشركون يتقلدون إذا أرادوا الحج مقبلين إلى مكة من لحاء السمير، و إذا خرجوا منها إلى منازلهم منصرفين منها الى المشعر. ذهب اليه قتاده و قال كان فى الجاهلية إذا خرج الرجل من أهله يريد الحج تقلد من السمير، فلا يعرض له أحد و إذا رجع تقلد قلادة شعر، فلا يعرض له احد. و قال عطا: كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به إذا خرجوا من الحرم. و قال الفراء: كان اهل الحرم يتقلدون بلحاء الشجر، و اهل غير الحرم يتقلدون بالصوف و الشعر و غيرهما، فنزلت «لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...»

و قال مجاهد: و هو اللحاء فى رقاب الناس. و البهائم أمن لهم. و هو قول السدى.

و قال ابن زيد: إنما عنى بالمؤمنين نهاهم أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم يتقلدون به، كم كان المشركون يفعلونه فى جاهليتهم. ذهب اليه عطا فى رواية و الربيع بن أنس. و قال ابو على الجبائي: القلائد هو ما قلده الهدى، نهاهم عن حلها، لأنه كان يحب أن يتصدق بها. قال: و يحتمل أن تكون عبارة عن الهدى المقلد. و الأقوى أن يكون المراد بذلك النهى عن حل القلائد، فيدخل فيه الإنسان و البهيمة إذ هو نهى عن استحلال حرمة المقلد، و هو هدياً كان ذلك أو إنساناً.

قوله: «وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ» معناه، و لا تحلوا قاصدين البيت الحرام.

يقال: أمتت كذا: إذا قصدته و عمدته. و بعضهم يقول يمتته قال الشاعر:

إنى كذلك إذا ما ساءنى بلدٌ يمت صدر بعيرى غيره بلداً «١»

و البيت الحرام بيت الله بمكة. و هو الكعبة.

(١) مجاز القرآن لابي عبيدة: ١٤٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢١

وقوله: «يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَاناً» معناه يلتمسون أرباحاً في تجارتهم من الله «و رِضْوَاناً» يعنى و ان ترضى عنهم منسكهم. نهى الله تعالى ان يحلّ و يمنع من هذه صورته. فاما من قصد البيت ظلماً لأهله، و جب منعه و دفعه عنهم.

النزول:..... ص: ٤٢١

و قال ابو جعفر (عليه السلام): نزلت هذه الآية في رجل من بنى ربيعة يقال له: الحطم. قال السدى: أقبل الحطم بن هند البكرى حتى أتى النبي (صلى الله عليه و آله) وحده، و خلف خيله خارجة من المدينة، فدعاه فقال: الام تدعو فأخبره و قد كان النبي (ص) قال: لأصحابه: يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان، فلما أخبره النبي (صلى الله عليه و آله) قال: انظروا لعلى اسلم ولى من أشاوره، فخرج من عنده فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لقد دخل بوجه كافر ، و خرج بعقب غادر، فمر بسرج من سرج المدينة فساده و انطلق به، و هو يرتجز و يقول:

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى ابل و لا غنم

و لا بجزار على ظهر و ضم باتوا نياماً و ابن هند لم يتم

بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم «١»

ثم اقبل من عام قبل حاجا قد قلده هدياً، فأراد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يبعث اليه، فنزلت هذه الآية «وَلَا آمِنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ» هذا قول ابن جريج، و عكرمة و السدى و قال ابن زيد: نزلت يوم الفتح في ناس يأمنون البيت من

(١) البيان و التبيين ٢: ٣٠٨ الاغاني ١٤: ٤٤ اللسان (حطم) و قبل هذا الرجز قوله هذا أوان الشد فأشتدى زيم. حطم السائق الذى يسير بأقصى سرعة: الوضم: خشبة القصاب التى يقطع عليك اللحم الزلم: قرح الميسر، خدلج الساقين: ممتلى الساقين. ممسوح القدم: قدمه مستو. و قد جاء فى صفة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مسيح القدمين.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٢

المشركين يهلون بعمرة. فقال المسلمون: يا رسول الله (ص) إنما هؤلاء مشركون، مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم، فانزل الله تعالى الآية قال ابن عباس: ذلك فى كل من توجه حاجا. و به قال الضحاك و الربيع بن انس.

النسخ:..... ص: ٤٢٢

و اجمعوا على انه نسخ من حكم هذه الآية شىء إلا ابن جريج فانه قال:

لم ينسخ منها شىء، لأنه لا يجوز أن يبتدأ المشركون فى أشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا. و هو المروى عن أبى جعفر (ع)

و قال الشعبى: لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية و قال أبو ميسرة: فى المائدة ثمانية عشر فريضة ليس منها شىء منسوخ.

و اختلفوا فيما نسخ منه فقال بعضهم: نسخ جميعها ذهب إليه الشعبى و قال: لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر الله و لا الشهر الحرام، و لا الهدى، و لا القلائد. و به قال مجاهد: قال: نسخها قوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و به قال قتادة و

الضحاك و حبيب بن أبى ثابت و ابن زيد. و قال آخرون: نسخ منها قوله: «و لا الشهر الحرام، أمين البيت الحرام» ذكر ذلك عن ابن أبى عروبة عن قتادة و قال: نسخها قوله: «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و قوله: «ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ» و قوله: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الْآيَةَ» فى السنة التى نادى على (عليه السلام) فيها بالأذان. و به قال ابن عباس و قال قوم: لم ينسخ منه إلا القلائد. و روى ذلك عن ابن أبى يحيى عن مجاهد. و أقوى الأقوال قول من قال: نسخ منها «و لا الشهر الحرام و لا القلائد و لا أمين البيت الحرام» لإجماع الامة على أنه (تعالى) أحل قتال أهل الشرك فى أشهر الحرام و غيرها من شهور السنة. و اجمعوا أيضاً على أن مشركاً لو قلد لحا جميع أشجار الحرم عنقه او ذراعه، لم يكن ذلك أمناً له من القتل إذا لم يتقدم له أمان.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٣

المعنى:..... ص: ٤٢٣

و قوله: «وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ» ظاهره يحتمل المسلم و المشرك لعموم اللفظ، لكن خصصنا المشركين بقوله: «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ... الْآيَةَ» و يحتمل أيضاً أن يكون مخصوصاً بأهل الشرك. و عليه اكثر المفسرين. فان كان مخصوصاً بهم، فلا شك أيضاً أنه. منسوخ بما قدمناه من الآية و الإجماع. و قوله: «يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً» معناه يلتمسون و يطلبون الزيادة، و الأرباح فى التجارة و رضوان الله عنهم و ألا- يحل بهم ما حل بغيرهم من الأمم بالعقوبة فى غالب دنياهم. و هو قول قتادة و قال: هى للمشركين يلتمسون فضل الله، و رضوانه بما يصلح لهم دنياهم.

و به قال ابن عباس و الربيع بن انس و مجاهد و فى الآية دلالة على جواز حمل المتاع للتجارة فى الحج. و قوله: إذا حللتم، فاصطادوا فأهل الحجاز يقولون: حللت من الإحرام أحل، و الرجل حلال. و كذلك سعد بن بكر و كذا يقولون: حرم الرجل فهو حرام: إذا صار محرماً، و قوم حرم و اسد و قيس و تميم يقولون: أحل من إحرامه، فهو مُحلّ و أحرم فهو محرّم. معناه إذا حللتم من إحرامكم، فاصطادوا الصيد الذى نهيتكم أن تحلوه، و أنتم حرم. و هو بصورة الامر. و معناه الاباحة. و تقديره لا حرج عليكم فى اصطاده فاصطادوه ان شئتم حينئذ لأن السبب المحرم قد زال. و هو قول جميع المفسرين: مجاهد و عطاء، و ابن جريج و غيرهم.

و قوله: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ» قال ابن عباس: و لا- يحملنكم شأن قوم. و هو قول قتادة. و اختلف اهل اللغة فى تأويلها، فقال الأخفش، و جماعة من البصريين، لا يحقن لكم، مثل قوله: «لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» و معناه حق ان لهم النار. و قال الكسائى و الزجاج معناه: لا يحملنكم و قال بعض: الكوفيين معناه لا يحملنكم. قال: يقال: جرمنى فلان على أن صنعت كذا أى حملنى عليه. و قال الفراء: معناه لا يكسبنكم شأن قوم. و استشهد الجميع بقول الشاعر:

و لقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزاره بعدها ان يغضبوا (١)

(١) قائله أبو أسماء بن الضريبة. مجاز القرآن لابی عبيدة: ١٤٧ اللسان: (جرم)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٤

فمنهم من حمل قوله: جرمت على ان معناه حملت. و منهم من حملة على أن معناه أحقت الطعنة، لفزاره الغضب. و منهم من قال: معناه كسبت فزاره أن يغضبوا و قال المغربى: معناه قطعت فزاره و ليس من هذا فى شىء. و سمع الفراء من العرب من يقول: فلان جريمة أهله أى كاسبهم. و خرج يجرمهم أى يكسبهم.

و الأقاويل متقاربة المعاني. و قراءة القراءة المعروفين «لا- يَجْرِمَنَّكُمْ» - بفتح الياء من جرته. و قرأ يحيى بن وثاب، و الأعمش «يجرمنكم» بضم الياء من أجرته فهو يجرمني. و قيل: هما لغتان. و الأولى أفصح، و أعرف، و أجاز أبو علي الفارسي معنى جرم كسب. قال: و هو فعل يتعدى الى مفعولين مثل كسب يدل على ذلك قول الشاعر في صفة عقاب:

جريمة ناهض في رأسه نيق يرى لعظام ما جمعت صليباً

معناه تكسب لفرخها. جريمة ناهض يحتمل تقريرين:

أحدهما- جريمة قوت ناهض اي كاسب قوته، كما قالوا ضارب قداح، و ضريب قداح و عريف و عارف.

و الآخر- أن تقدر حذف المضاف، و تضيف جريمة الى ناهض. و المعنى كاسب ناهض، فجرم يستعمل في الكسب و ما يريد من سعي الإنسان عليه.

و أما جرم فمعناه اكتسب الإثم قال الله تعالى: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ» و قال:

«فَعَلَىٰ إِجْرَامِي» و معناه فعلى عقوبة إجرامى أو اثم إجرامى. و معنى «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ» لا تكتسبوا لبغض قوم عدواناً، و لا تفتنوه، فمن فتح أن أوقع النهي فى اللفظ على الشنآن. و المعنى بالنهى المخاطبون، كما قالوا: لا أريتك ها هنا و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون.

الاعراب:..... ص: ٤٢٤

و كذلك قوله: لا- يجر منكم شقاقي ان يصيبكم المفعول الثانى و اسماء المخاطبين المفعول الاول، كما أن المفعول الاول فى الآية الأخرى المخاطبون. و الثانى قوله: «أَنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٥

تَعْتَدُوا»

و لفظ النهي واقع على الشقاق. و المعنى بالنهى المخاطبون. قال الزجاج:

موضع (ان) الأولى نصب بانه مفعول له. و تقديره لا يحملنكم بغض قوم لان صدودكم عن المسجد يعنى النبى (ص) و أصحابه، لما صدوهم عن مكة. و موضع ان الثانية مفعول به و معناه لا يكسبنكم بغض قوم أى بغضكم قوماً الاعتداء عليهم، لصددهم عن المسجد الحرام.

و قوله: «شَنَاٰنُ قَوْمٍ» معناه بغض قوم فى قول ابن عباس، و قتادة و ابن زيد، و غيرهم يقول: شنت الرجل اشناه شنتاً و شناناً و شناً و منشأة: إذا أبغضته و ذهب سبويه الى أن ما كان من المصادر على فعلان لم يتعد فعله إلا أن يشد شىء نحو شنيته شناناً و لا يجوز أن يكون شنيته يراد به حذف الجر، كقول سيبويه فى فرقته و حذرت أنه أصله حذرت منه لان اسم الفاعل منه على فاعل، نحو شانى و «إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» و قال الشاعر:

بشانيك الضراعة و الكلول

قال ابو على: هذا يقوى أنه مثل علم يعلم، فهو عالم، و نحوه من المتعدى و أيضاً، فان شنت فى المعنى بمنزلة أبغضت، فلما كان معناه عدى كما عدى أبغضت كما أن الرفث لما كان بمعنى الإفضاء عدى بالجار، كما عدى الإفضاء به. و قال سيبويه:

قالوا: لويته حقه لياناً على فعلان، فيجوز أن يكون شنان فيمن أسكن النون مصدراً كالليان فيكون المعنى لا يحملنكم بغض قوم، لو فتح النون. قال ابو عبيدة: «شَنَاٰنُ قَوْمٍ» بغضاء و هى متحركة الحروف مصدر شنت، و بعضهم يسكنون النون الاولى و انشد للاحوص:

و ما العيش الا ما تلذ و تشتهى و ان عاب فيه ذو الشنان و فندا

فحذف الهمزة قال أبو على: و يجوز أن يكون خففها. و قال أبو عبيدة:

و شنت أيضاً بمعنى أقررت به، و بؤت به و انشد للعجاج.

زلّ بنو العوام عن آل الحكم و شنّوا الملك لملك ذو قدم

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٦

و قال الفرزدق:

و لو كان هذا الامر في جاهلية شئت به أو غصّ بالماء شاربه

قال ابو علي: و قد جاء فعلان مصدرأ و وصفاً و هما جميعاً قليلاً. فمما حل مصدرأ ما حكاه سيبويه من قولهم: خمصان و ندمان. و

انشد ابو زيد ما ظاهره أن يكون فعلان منه صفة و هو:

لما استمر بها شيحان منبجح بالبين عنك بها مولاك شتانا

اللغة:..... ص: ٤٢٦

حكى أبو زيد في مؤنث شتآن شتآني، و يقرب أن يكون شيحان فعلان.

و في الحديث (ثم اعرض و أشاح) قال ابو علي: و ترك صرف شيحان في البيت مع أنه لا فعلى له. و يجوز أن يكون، لأنه اسم علم.

و يجوز أن يكون على قول من يجوز ترك صرف ما يتصرف في الشعر. فاما الشتان قال ابو علي: فعلان يجيء على ضربين:

أحدهما- اسم، و الآخر- صفة فالاسم على ضربين:

أحدهما ان يكون مصدرأ، كالنقران و الغليان، و الطوفان و الغثيان. و عامه ذلك يكون معناه التحرك و التقلب. و الاسم الذي ليس

بمصدر نحو الورشان و العلجان. و أما مجيئه فنحو الزفيان و القطوان و الصميان، و كبش اليان و نعجة اليان، و كباش إلى، و مثله حمار

قطوان و اتان قطوانه من قطا يقطو قطواً و قطواً:

إذا قارب بين خطوه. و من خفف النون ذهب الى انه مصدر، مثل ليان. و معنى الآية لا يحملنكم بغض قوم أى بغضكم قوماً لصدهم

إياكم و من اجل صدهم إياكم ان تعتدوا فأضيف المصدر الى المفعول و حذف الفاعل كقوله: من دعاء الخير و سؤال نعتك و

قوله: ان صدوكم من كسر الهمزة ذهب إلى أن (إن) للجزاء يقوى ذلك ان في قراءة ابن مسعود ان يصدوكم فمتى؟ قيل كيف تكون

للجزاء و الصد ماض، لأنه كان سنه الحديبية من المشركين للمسلمين، و ما يكون ماضياً لا يكون شرطاً؟ قيل: التبيان في تفسير القرآن،

ج ٣، ص: ٤٢٧

ذكر ابو علي ان الماضى قد يقع فى الجزاء لا- ان المراد بالماضى الجزاء، لكن على انه إن كان مثل هذا الفعل، فيكون اللفظ على ما

مضى و المعنى على مثله، كأنه يقول: إن وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا. و على ذلك حمل قول الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة و لم تجدى من أن تقوى به بدأ «١»

إن قد أغنى عنه ما تقدم من قوله: «لا يجر منكم» و المعنى إن صدوكم قوم عن المسجد الحرام، فلا تكسبوا عدواناً. و من فتح الهمزة،

فلانه مفعول له و التقدير لا- يجر منكم شتآن قوم، لان صدوركم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، فان الثانية فى موضع نصب بانه

المفعول الثانى، و الأولى منصوبه، لأنه مفعول له و قوله:

«أَنْ تَعْتَدُوا» معناه إن تجاوزوا حكم الله فيهم إلى ما نهاكم عنه. و ذكر انها نزلت فى النهى عن الطلب بدخول الجاهلية. ذهب اليه

مجاهد و قال: هذا غير منسوخ. و هو الاولى. و قال غيره هو منسوخ ذهب اليه ابن زيد. و إنما قلنا: إنه غير منسوخ، لان معناه لا تعتدوا

الحق فيما أمرتكم به. و إذا احتمل ذلك، لم يخبر أن يقال هو منسوخ إلا بحجة.

و قوله: و تعاونوا على البر و التقوى و لا- تعاونوا على الإثم و العدوان ليس بعطف على أن تعتدوا، فيكون فى موضع نصب، بل هو

استئناف كلام أمر الله تعالى الخلق بان يعين بعضهم بعضاً على البر و هو العمل بما أمرهم الله به، و اتقاء ما نهاهم عنه، و نهاهم ان

يعين بعضهم بعضاً على الإثم. و هو ترك ما أمرهم به، و ارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان، و نهاهم ان يجاوزوا ما حد الله لهم فى

دينهم، و فرض لهم فى أنفسهم و به قال ابن عباس و ابو العالیه و غيرهما من المفسرين.

وقوله: «وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» أمر من الله، و وعيد و تهديد لمن اعتدى حدوده، و تجاوز أمره بقول الله: اتقوا الله. و معناه احذروا معاصيه و تعدى حدوده فيما أمركم به و نهاكم عنه، فتستوجبوا عقابه متى خالفتم و تستحقوا

(١) انظر: ٢٨٩ - ٣٥٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٨

اليم عقابه، ثم وصف عقابه بالشدة فقال: إن الله شديد العقاب لمن يعاقبه من خلقه، لأنه نار لا يطفى حرها، و لا يخمد جمرها، و لا يسكن لهيبتها (نعوذ بالله منها).

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣]..... ص: ٤٢٨

إشارة

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمُوقُودَةُ وَ الْمَتْرَدِيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ يَوْمَ الدِّينِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)

آية بلا خلاف.

اللغة:..... ص: ٤٢٨

بين الله (تعالى) في هذه الآية ما استثناه في قوله: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» فهذا مما تلاه علينا فقال مخاطباً للمكلفين: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و أصله الميتة مشدد غير انه خفف، و لو قرئ على الأصل كان جائزاً إلا انه لم يقرأ به احد ها هنا إلا أبا جعفر المدني يقال: ميت بمعنى واحد. و قال بعضهم الميت لما لم يميت و الميت لما قد مات و هذا ليس بشيء لان ميت يصلح لما قد مات، و لما سيموت. قال الله (تعالى): «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» و قال الشاعر في الجمع بين اللغتين:

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء

فجعل الميت مخففاً من الميت و قال بعضهم: الميتة كلما له نفس سائلة من دواب التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٢٩

البر، و طيره مما أباح الله أكلها أهلها و وحشيتها فارتقتها روحها بغير تذكئة.

و قد روى عن النبي (صلى الله عليه و آله) انه سمي الجراد و السمك ميتاً فقال: ميتتان مباحان: الجراد، و السمك.

وقوله: «و الدم» تقديره، و حرم عليكم الدم. و قيل: إنهم كانوا يجعلون في المبايع يشوونها و يأكلونها، فاعلم الله تعالى ان الدم المسفوح أى المصوب حرام، فاما المتلطح، باللحم، فهو كاللحم، و ما كان منه كاللحم مثل الكبد فهو مباح.

و أما الطحال، فهو محرم عندنا. و قد روى كراهته عن «على عليه السلام

، و ابن مسعود و أصحابهما» و عند جميع الفقهاء أنه مباح. و انما شرطنا في الدم المحرم ما كان مسفوحاً، لأنه (تعالى) بين ذلك في آية اخرى فقال: «أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا» .

وقوله: «و لَحْمُ الْخَنزِيرِ» معناه و حرم عليكم لحم الخنزير أهليه و بريه، فالميتة و لآدم مخرجهما في الظاهر مخرج العموم. و المراد بهما الخصوص. و لحم الخنزير على ظاهره في العموم. و كذلك كل ما كان من الخنزير حرام ك لحمه من الشحم و الجلد، و غيره ذلك و

قوله: «وَمَا أَهْلَ لَيْعِيْرِ اللَّهِ بِهِ» موضع ما رفع و تقديره و حرم عليكم ما اهل لغير الله به. و معنى اهل لغير الله به ما ذبح للأصنام و الأوثان أى ذكر اسم غير الله عليه، لان الإهلال رفع الصوت بالشىء. و منه استهلال الصبى و هو صياحه إذا سقط من بطن امه. و منه إهلال المحرم بالحج أو العمرة: إذا لبي به. قال ابن احمر:

يهل بالفرقد ركبانا كما يهل الراكب المعتمر

فما تقرب به من الذبح لغير الله او ذكر عليه غير اسمه حرام، و كل ما حرم اكله مما عددناه يحرم بيعه و ملكه، و التصرف فيه. و الخنزير يقع على الذكر و الأنثى. و فى الآية دلالة على ان ذبائح من خالف الإسلام، لا يجوز اكله، لأنهم يذكرون عليه اسم غير الله لأنهم يعنون بذلك من ابد شرع موسى، أو اتخذ عيسى ابناً، و كذب محمد بن عبد الله (ص) و ذلك غير الله، فيجب أن لا يجوز أكل ذبيحته. فاما من اظهر الإسلام، و دان بالتجسيم، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٠

و الصورة و قال بالجبر و التشبيه أو خالف الحق، فعندنا لا يجوز أكل ذبيحته. فاما الصلاة عليه و دفنه فى مقابر المسلمين و موارثته، فانه يجرى عليه، لان هذه الأحكام تابعة فى الشرع لإظهار الشهادتين. و اما مناكحته فلا تجوز عندنا. و قال البلخى حاكياً عن قوم: إنه لا- يجوز أجراء شىء من ذلك عليهم. و حكى عن آخرين أنه يجرى جميع ذلك عليهم، لأنها تجرى على من اظهر الشهادتين دون المؤمنين على الحقيقة، و كذلك أجريت على المجانين، و الأطفال. فاما التسمية على الذبيحة، فعندنا واجبه من تركها معتمداً، لا يجوز كل ذبيحته، و ان تركها ناسياً، لم يكن به بأس.

و كذلك إن ترك استقبال القبلة معتمداً لم يحل أكل ذبيحته، و ان تركه ناسياً، لم يحرم... و فى ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

و المنخنقة قال السدى: هى التى تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق و تموت. و قال الضحاك: هى التى تختنق و تموت. و قال قتادة: هى التى تموت فى خناقها. و قال ابن عباس: هى التى تختنق، فتموت. و حكى عن قتادة ان أهل الجاهلية كانوا يخنقونها، ثم يأكلونها. و الاولى حمل الآية على عمومها فى جميع ذلك و هى التى تختنق حتى تموت، سواء كان فى وثاقها أو بإدخال رأسها فى موضع لا- تقدر على التخلص أو غير ذلك، لان الله (تعالى) وصفها بأنها المنخنقة، و لو كان الامر على ما حكى عن قتادة، لقال: «والمخنوقة» .

و قوله: «وَالْمَوْقُودَةُ» يعنى التى تضرب حتى تموت: يقال: و قذتها أقدها وقذاً و أوقدها يوقدها إيقاداً: إذا أثنختها ضرباً. و قال الفرزدق.

شفارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبقار

و هو قول ابن عباس، و قتادة و الضحاك و السدى:

و قوله: «وَالْمُتَرَدِّدَةُ» يعنى التى تقع من جبل، أو تقع فى بئر أو من مكان عال، فتموت. و هو قول ابن عباس. و قتادة و السدى، و الضحاك، و متى وقع فى بئر و لا يقدر على موضع ذكاته، جاز أن يطعن و يضرب بالسكين فى غير المذبح حتى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣١

يبرد، ثم يؤكل. و قوله: «وَالنَّطِيحَةُ» يعنى التى تنطح أو تنطح، فتموت و النطيحة بمعنى المنطوحة، فنقل من مفعول الى فعيل، فان قيل: كيف ثبت فيها الهاء، و فعيل إذا كان بمعنى مفعول مثل لحيه دمين، و عين كحيل و كف خضيب، بلا هاء التأنيث فى شىء من ذلك؟ قيل: اختلف فى ذلك فقال: بعض البصريين اثبت فيها الهاء أعنى فى النطيحة، لأنها جعلت كالاسم، مثل الطويلة و الظريفة فوجه. هذا تأويل النطيحة الى معنى الناطحة. و يكون المعنى حرمت عليكم الناطحة التى تموت من نطاحها. و قال بعض الكوفيين: إنما يحذف الهاء من فعلية بمعنى مفعولة إذا كانت صفة لاسم قد تقدمها، مثل كف خضيب، و عين كحيل، فاما إذا حذف الكف و العين و الاسم الذى يكون فقيل نعتاً له و اجتزوا بفعيل أثبتوا فيه هاء التأنيث، ليعلم بشوتها فيه أنه صفة للمؤنث دون المذكر فيقول: رأينا

كحيله و خضيبه و اكيله السبع، فلذلك دخلت الهاء في النطيحة، لأنها صفة المؤنث. و القول بأن النطيحة بمعنى المنطوحة هو قول اكثر المفسرين، ابن عباس، و ابن مسيره و الضحاك، و السدى و قتاده، لأنهم اجمعوا على تحريم الناطحة و المنطوحة إذا ماتاً. و قوله: «وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ» موضع (ما) رفع و تقديره و حرم عليكم ما أكل السبع بمعنى ما قتله السبع. و هو قول ابن عباس، و الضحاك و قتاده، و هو فريسه السبع.

و قوله: «إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ» معناه إلا ما أدركتم ذكاته، فذكيتموه من هذه الأشياء التي وصفها. و موضع (ما) نصب بالاستثناء. و اختلفوا في الاستثناء إلى ما ذا يرجع فقال قوم: يرجع إلى جميع ما تقدم ذكره من قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخَنزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمُوقُودَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَّةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّبْعُ» إلا ما لا يقبل الذكاه من الخنزير و الدم. و هو الأقوى. ذهب إليه على (عليه السلام) و ابن عباس قال: و هو أن تدركه تتحرك أذنه او ذنبه، أو تطرف عينه. و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع)

و به قال الحسن و قتاده التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٢

و إبراهيم و طاوس، و عبيد بن عمير و الضحاك، و ابن زيد و قال آخرون: هو استثناء من التحريم، لا من المحرمات، لان الميتة لا ذكاه لها، و لا الخنزير قالوا: و المعنى حرمت عليكم الميتة و الدم و سائر ما ذكر إلا ما ذكيتم مما أحله الله لكم بالتذكية، فانه حلال لكم. ذهب إليه مالك و جماعة من أهل المدينة، و الجبائي و سئل مالك من الشاة يخرق جوفها السبع حتى يخرج أمعاءها فقال لا أرى ان تذكي و لا يؤكل أى شىء يذكى منها. و قال كثير من الفقهاء إنه يراعى أن يلحق فيه حياة مستقرة، فيذكى و يجوز أن يؤكل و ما يعلم أنه لا- حياة فيه مستقرة، فلا يجوز بحال. و اختار الطبرى الأقل. و قال: كل ما أدراك ذكاته مما ذكر من طير أو بهيمة قبل خروج نفسه و مفارقة روحه جسده، فحلال اكله إذا كان مما أحله الله لعباده و اختار البلخي، و الجبائي الاول، فان قيل: فما وجه تكرير قول: «وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمُوقُودَةُ» و جميع ما عدد تحريمه فى هذه الآية و قد افتتح الآية بقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و الميتة تعم جميع ذلك و ان اختلفت أسباب موته من خنق أو ترد أو نطح أو إهلال لغير الله به أو أكيل سبع. و انما يكون لذلك معنى على قول من يقول: إنها، و ان كانت فيها حياة إذا كانت غير مستقرة، فلا يجوز أكلها. قيل:

الفائدة فى ذلك ان الذين خوطبوا بذلك لم يكونوا يعدون الميت إلا ما مات حتف انفه من دون شىء من هذه الأسباب، فأعلمهم الله ان حكم الجميع واحد، و ان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة. و قال السدى إن ناساً من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك، و لا يعدونه ميتاً. انما يعدون الميت الذى يموت من الوجع.

و التذكية: هو فرى الأوداج و الحلقوم إذا كانت فيه حياة، و لا يكون بحكم الميت. و اصل الذكاه فى اللغة تمام الشىء فمن ذلك الذكاه فى السن، و الفهم و هو تمام السن. قال الخليل: الذكاه أن تأتى فى السن على قروحه، و هو سن فى ذات الحافر، هى البزولة فى ذات الخف، و هى الصلوعه فى ذات الظلف. و ذلك تمام استكمال القوة. قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٣

يفضله إذا اجتهدا عليها تمام السن منه و الذكاه

و قيل جرى المذكيات غلاب أى جرى المسار التى قد أسنت و معنى تمام السن النهاية فى الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد، فلا يقال له الذكاه. و الذكاه فى الفهم أن يكون فهماً تاماً سريع القبول و ذكيت النار إنما هو من هذا تأويله أتممت اشعالها فالمعنى على هذا ما ذكيتم أى ما أدركتم ذبحه على التمام.

و قوله: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ» فالنصب: الحجارة التى كانوا يعبدونها و هى الأوثان. واحداها نصب، و يجوز أن يكون واحداً، و جمعه أنصاب. (و ما) موضعه رفع عطفاً على ما تقدم. و تقديره و حرم عليكم ما ذبح على النصب. و به قال مجاهد و ابن جريج، و قتاده. و قال ابن جريج: النصب ليست أصناما الصنم يصور و ينقش، و هذه حجارة تنصب ثلاثمائة و ستون حجراً. و منهم من يقول ثلاثمائة منها لخزاعه، فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من الميت، و شرحوا اللحم، و جعلوه على الحجارة. فقال المسلمون: كان أهل

الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه، فانزل الله «لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا....
الاية» وقوله: «وَأَنْ تَشْتَقِسُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ» موضع (ان) رفع.
و تقديره، و حرم عليكم الاستقسام بالأزلام. و واحد الأزلام زلم و زلم قال الراجز:
بات يراعيها غلام كالزلم

و هي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها أمرنى ربي، و على بعضها نهانى ربي، فإذا أرادوا سفراً أو أمراً يهتم به. ضربوا تلك
القداح فان خرج السهم الذى عليه أمرنى ربي، مضى لحاجته و إن خرج الذى عليه نهانى ربي، لم يمض، و إن خرج ما ليس عليه
شئ أعادوها فبين الله (تعالى) أن ذلك حرام العمل به.

و الاستقسام الاستفعال من قسمت أمرى أى قلبته و دبرته قال الراعى:

و تركت قومي يقسمون أمورهم اليك أم يتلبثون قليلا

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٤

وقيل: معناه طلب قسم الأرزاق بالقداح التى كانوا يتفاءلون بها فى أسفارهم و ابتداءات أمورهم قال الشاعر يفتخر بقوة عزيمته و انه لا
يلتفت إلى ذلك.

أ و لم اقسام فترثبني القسوم «١»

و به قال ابن عباس، و قتادة و سعيد بن جبير، و مجاهد و السدى قال مجاهد:

هى سهام العرب، و كعاب فارس و الروم كانوا يتقمارون بها.

و قوله: «ذَلِكَمْ فِسْقٌ» معنى هذه الأشياء التى ذكرها فسق يعنى خروج من طاعة الله الى معصيته و هو قول ابن عباس، و أصله من فسقت
الرطبة: إذا خرجت من قشرها. قال الزجاج: و لو كان بعض هذه المرفوعات نصباً بتقدير و حرم الله الدم و لحم الخنزير، لكان جائزاً إلا
انه لم يقرأ به احد و القراءة متبعة، لا يجوز خلاف ما قرئ به.

و قوله: «الْيَوْمَ يَيْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ» نصب اليوم على الظرف.

و العامل فيه يئس ذو الفسق اليوم. و ليس يراد به يوماً. بعينه و معناه الآن يئس الذين كفروا من دينكم، كما يقول القائل: أنا اليوم قد
كبرت، و هذا لا يصلح إلى اليوم يريد الآن.

و يئس على وزن فعل يئس على وزن يفعل - بفتح العين، و روى بكسرهما - و قيل: يئس على وزن لعب بكسر اللام، و العين - و ذكر
يأيس.

و المعنى انا لله قد حول الخوف الذى كان يلحقكم منكم اليهم، و يئسوا من بطلان الإسلام، و جاءكم ما كنتم توعدون به من قوله،
ليظهره على الدين كله.

و الدين اسم لجمع ما تعبد الله به خلقه و أمرهم بالقيام به. و معنى يئس انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه، و ترجعوا منه إلى
الشرك. و به قال ابن عباس و السدى و عطا.

و قيل: إن اليوم الذى ذكر هو يوم عرفه من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها فى الإسلام. ذهب اليه مجاهد، و ابن جريج و ابن زيد.
و قيل: يوم جمعة، لما نظر

(١) فى المطبوعة «فتوئبني» بدل «فترثبني». الطبرى ٩- ٥١٠ مجاز القرآن لابی عبيدة: ١٥٢. قسوم جمع قسم: الحظ الربث حبسك
الإنسان عن حاجته.

النبي (صلى الله عليه وآله) فلم ير الا مسلماً موحداً، أو لم ير مشركاً.

وقوله: «فَلَا تَخْشَوْهُمْ» هذا خطاب المؤمنين نهاهم الله ان يخشوا و يخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام، و يقهروا المسلمين و يردوهم عن دينهم، و لكن اخشوني و خافوني إن خالفتم امرى و ارتكبتم معصيتى ان أحل بكم عقابى و أنزل عليكم عذابى و هو قول ابن جريج، و غيره.

و قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» فى تأويله ثلاثة اقوال:

أحدها- قال ابن عباس، و السدى و اكثر المفسرين إن معناه أكملت لكم فرائضى و حدودى و امرى و نهى و حلالى و حرامى بتزليلى ما أنزلت، و تبيانى ما بينت لكم، فلا زيادة فى ذلك، و لا نقصان منه بالمسخ بعد هذا اليوم. و كان ذلك اليوم عام حجة الوداع قالوا: و لم ينزل بعد هذا على النبي (ص) شىء من الفرائض فى تحليل شىء، و لا تحريمه و أنه (عليه السلام) مضى بعد ذلك بإحدى و ثمانين ليلة. و هو اختيار الجائى و البلخى، فان قيل: أ كان دين الله ناقصاً فى حال حتى أئمه ذلك اليوم؟ قيل: لم يكن دين الله ناقصاً فى حال، و لا كان إلا كاملاً، لكن لما كان معرضاً للنسخ، و الزيادة فيه. و نزول الوحي لم يمتنع أن يوصف غيره بانه أكمل منه، حين أمن جميع ذلك فيه. و ذلك يجرى مجرى وصف العشرة بأنها كاملة العدد، و لا يلزم أن توصف بأنها ناقصة، لما كان عدد المائة اكثر منها، و أكمل.

فكذلك ما قلناه. و قال الحكم و سعيد بن جبير و قتادة معناه أكملت لكم حجكم و أفردتكم بالبلد الحرام تحجون دون المشركين، و لا يخالطكم مشرك و هو الذى اختاره الطبرى قال لان الله قد انزل بعد ذلك قوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» و قال الفراء هى آخر آية نزلت. و هذا الذى ذكره لو صح لكان ترجيحاً لكن فيه خلاف. و قال الزجاج: معنى أكملت لكم الدين كفيتمكم خوف عدوكم و أظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كمل لنا الملك. و كمل لنا ما نريد أى كفينا ما كنا نخافه. و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع) أن الآية نزلت بعد أن نصب النبي (ص) علياً علماً للامة يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع، فانزل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٦

الله يومئذ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» .

و قوله: «وَ أَوْفَيْتُمْ عَلَىٰ كُمْ نِعْمَتِي» خاطب الله (تعالى) جميع المؤمنين بأنه أتم نعمته عليهم باظهارهم على عدوهم المشركين، و نفيهم إياهم عن بلادهم، و قطعة طمعهم من رجوع المؤمنين، و عودهم إلى مله الكفر، و انفراد المؤمنين بالحج و البلد الحرام.

و: قال ابن عباس و قتادة و الشعبى.

و قوله: «وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» معناه رضيت لكم الاستسلام لأمرى و الانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده، و فرائضه و معالمه ديناً يعنى بذلك طاعه منكم لى. فان قيل: أو ما كان الله راضياً للإسلام ديناً لعباده الا يوم أنزلت هذه الآية. قيل: لم يزل الله راضياً لخلقهم الإسلام ديناً، لكنه لم يزل يصف نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) و أصحابه فى درجات الإسلام، و مراتبه درجة بعد درجة، و مرتبة بعد مرتبة، و حالا بعد حال حتى أكمل لهم شرائعه و بلغ بهم أقصى درجاته، و مراتبه، ثم قال: حين أنزلت هذه الآية «وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» فالصفة التى لها اليوم و الحال التى أنتم عليها، فالزموه، و لا تفارقوه. قال ابن عباس و عمر و عامر الشعبى و قتادة، كان ذلك يوم الجمعة. و قال الطاووس بن شهاب، و شهر ابن خوشب، و اكثر المفسرين نزلت هذه الآية يوم عرفه حجة الوداع. و روى حنش عن ابن عباس، قال: ولد النبي (ص) يوم الاثنين، و خرج من مكة يوم الاثنين، و دخل المدينة يوم الاثنين، و أنزلت المائدة يوم الاثنين، و أنزلت «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ يوم الاثنين» و رفع الذكر يوم الاثنين. و قال الربيع بن أنس: نزلت فى المسير من حجة الوداع. و قوله: «فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَّجِئٍ لِإِيْتِمٍ» معناه من دعت الضرورة فى مجاعة لان المخمصه شدة ضمور البطن.

لا ثم أى غير مائل إلى إثم.

والمخمصة مفعلة، مثل المجنبه والمنجله من خمص البطن و هو طيه، واضطماره من الجوع، و شدة السغب ها هنا دون أن يكون مخلوقا كذلك. قال النابغة الدنباري التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٧

في صفة امرأة بخمص البطن:

و البطن ذو عكن خميص لين و النحر ينفجه بئدى مقعد «١»

و لم يرد بذلك وصفها بالجوع، لكن أراد وصفها بلطافة طي ما علا الا وراك و الأفخاذ من جسدها، لان ذلك المحمود من النساء. فاما الاضطمار من الضر فكقول أعشى ثعلبه.

تبيتون في المشى ملاء بطونكم و جاراتكم غير تبتن خماصاً «٢»

يعنى يبتن مضطمرات البطن من الجوع. و قال بعض نحوى البصريين:

المخمصة المصدر من خمصه الجوع. و غيره يقول: هو اسم للمصدر، و كذلك تقع المفعلة اسماً في المصادر للتأنيث، و التذكير: و الذى قلناه هو قول ابن عباس و قتادة و السدى و ابن زيد.

و قوله: «غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ» نصب على الحال. و المتجانف المتمايل للإثم المنحرف اليه. و معناه في هذا الموضع المعتمد له القاصد اليه من جنف القوم: إذا مالوا. و كل اعوج، فهو اجنّف.

و المعنى فمن اضطر الى أكل الميتة، و ما عدّد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد الى ذلك، و لا مختار له، و لا مستحل له على كل حال، فان الله أباحه له. تناول ذلك مقدار ما يمسك رمقه، لا زيادة عليه. و هو قول أهل العراق. و قال أهل المدينة: يجوز أن يشبع منه عند الضرورة. و ما قلناه قول ابن عباس، و مجاهد و قتادة. قال قتادة: «غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ» أى غير عاص بان يكون باغياً أو محاربا أو خارجا فى معصية. و قال ابن زيد: لا تأكل ذلك ابتغاء الإثم و لا جرأة عليه.

و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فى الكلام متروك دلّ ما ذكر عليه، لان المعنى فى اضطر فى مخمصة الى ما حرمت عليه مما ذكرت فى هذه الآية غير متجانف لإثم، فأكله لدلالة الكلام عليه.

و معنى «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ان الله لمن أكل ما حرمت عليهم بهذه الآية

(١) - ديوانه: ٦٦ و اللسان: (قعد). العكن: اطواء البطن. تنفجه: ترفعه. [...]

(٢) ديوانه: ١٠٩. و مجاز القرآن ا: ١٥٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٨

أكله فى مخمصة متجانف، لإثم غفور لذنوبه أى ساتر عليه أكله، و يعفو عن مؤاخذته به، و ليس يريد أن يغفر له عقاب ذلك، لأنه أباحه له، فلا يستحق عليه العقاب و هو رحيم أى رفيق بعباده. لان رحمته و رفقته أنه أباح لهم أكل ما حرم عليهم فى حال الخوف على النفس و

روى المثنى قال: قلنا يا رسول الله (ص) إنا بأرض يصيبنا فيها مخمصة، فما يصلح لنا من الميتة؟ قال: إذا لم تصطبحو أو تعتبخوا أو تختفوا بها بقل، فشانكم بها.

و قال الحسن: يأكل منها مسكته.

و ذكر فى تختفوا خمس لغات: تختفوا بالهمزة و تختفوا- بحذفها- و تختفوا- بقلبها ياء- و تختفوا و تخفوا- بالتخفيف- و الخفا أصل البردى كانوا يقشرونه و يأكلونه فى المجاعة، فمع وجود ذلك لا يجوز أكل الميتة.

و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» عقيب قوله: «فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ» لا يدل على ان له أن يعاقبهم على فعل المباح، لان الوجه فى ذلك أنه أراد أن يصف نفسه بمغفرة الذنوب و سترها، و الصفح عنها ليدل بذلك على أنه أحرى ألا يؤخذ بفعل

المباحات التي ليست بذنوب، كما قال: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فدل على أن ما يفعله من المغفرة أو العقوبة صواب و حكمه، ليكون أعم في الدلالة على استحقاقه الأوصاف المحموده. و أجاز بعضهم أن يكون ذلك ثواباً لبعض المكلفين قدمه كما انه يجوز ان تكون الحدود عقاباً لهم قدمه فلا شبهة في ذلك.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤].... ص: ٤٣٨

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)

- آية بلا خلاف-. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٣٩

موضع (ما) رفع و يحتمل أن يكون وحدها اسما و خبرها قوله: (ذا) و أحل من صله ذا. و تقديره أى شىء الذى أحل لهم؟ و يحتمل أن يكون ما و ذا اسما واحداً، و رفع بالابتداء و تقديره أى شىء أحل لهم؟ و أحل لهم خبر الابتداء.

فمعنى الآية يسألك يا محمد أصحابك ما الذى أحل لهم اكله من المطاعم، فقل لهم:

أحل لكم الطيبات منها و هى الحلال الذى أذن لكم ربكم فى أكله من الذبائح على قول الطبرى و الجبائى، و غيرهما و قال البلخى: الطيبات هو ما يستلذ به. قال قوم:

و أحل لكم أيضاً مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح و هى الكواكب من سباع الطير، و البهائم. و لا يجوز أن يستباح عندنا أكل شىء مما اصطاده الجوارح من السباع سوى الكلب إلا- ما أدرك ذكاته. و سميت الطير جوارح، لجرحها أربابها و كسبها إياهم أقواتهم من الصيد يقال منه: جرح فلان أهله خيراً إذا كسبهم خيراً.

و فلان جارحة أهله يعنى كاسبهم، و لا جارحة لفلانة أى لا كاسب لها قال اعشى بنى ثعلبة:

ذات خد منضج ميسمها تذكر الجراح ما كان اجترح

يعنى اكتسب. و قوله: «و ما علمتم» تقديره و صيد ما علمتم من الجوارح و حذف لدلالة الكلام عليه، لان القوم على ما روى كانوا سألوا رسول الله (ص) حين أمرهم بقتل الكلاب عما يحل لهم اتخاذه منها، و صيده، فأنزل الله (تعالى) فيما سألوا عنه هذه الآية، فاستثنى (عليه السلام) مما كان حرم اتخاذه منها، و أمر بقتله كلاب الصيد، و كلاب الماشية، و كلاب الحرث و أذن فى اتخاذه ذلك

ذكرت ذلك سلمى ام رافع عن أبى رافع. قال جاء جبرائيل إلى النبى (ص) يستأذن عليه، فاذن له فقال: قد اذنا لك يا رسول الله فقال: اجل و لكننا لا- ندخل بيتاً فيه كلب. قال ابو رافع: فأمرنى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن أقتل كل كلب بالمدينة، فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها. و جئت إلى رسول الله (ص) فأخبرته، فأمرنى فرجعت، و قتلت الكلب، فجاءوا فقالوا:

يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامه التى أمرت بقتلها، فسكت رسول الله (ص) التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤٠

فانزل الله «يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ»

و به قال عكرمة و محمد بن كعب القرطى و اختلفوا فى الجوارح التى ذكر الى الآية: بقوله: «و ما علمتم من الجوارح مُكَلِّبِينَ» فقال قوم: هو كل ما علم فصيد فيتعلمه بهيمة كانت او طائراً. ذهب اليه الحسن، و مجاهد و خيثمة بن عبد الرحمن. و

رووه عن ابن عباس، و طاوس و على بن الحسين و أبى جعفر (ع) و قالوا: الفهد و البازى من الجوارح. و قال قوم: عنى بذلك الكلاب خاصة دون غيرها من السباع. ذهب اليه الضحاك و السدى و ابن عمر و ابن جريج. و هو الذى رواه أصحابنا عن أبى عبد الله (عليهما

السلام)

فاما ما عدا الكلاب، فما أدرك ذكاته، فهو مباح، وإلا فلا يحل أكله. ويقوى قولنا قوله تعالى: «مكلبين» وذلك مشتق من الكلب و من صادر بالباز و الصقر لا يكون مكلباً.

وقوله: «مكلبين» نصب على الحال و تقديره و أحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح مكلبين أى فى هذه الحال. يقال: رجل مكلب و كلاب إذا كان صاحب صيد بالكلاب. و فى ذلك دليل على أن صيد الكلب الذى لم يعلم، حرام إذا [لم] «١» تدرك ذكاته.

وقوله: «تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ» معناه تؤدبون الجوارح، فتعلمونهن طلب الصيد لكم بما علمكم الله من التأديب الذى أدبكم به. و قال بعضهم: معناه كما علمكم الله. ذهب اليه السدى. و هذا ضعيف لأن من المعنى الكاف لا يعرب فى اللغة، و لا بينهما تقارب، لأن الكاف للتشبيه و من للتبويض و اختلفوا فى صفة التعليم للكلب فقال بعضهم: هو ان يستشلى لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه، و يمسك عليه إذا أخذه، فلا يأكل منه و يستجيب له إذا دعاه. فإذا توالى منه ذلك كان معلماً.

ذهب إليه ابن عباس و عطا و ابن عمر و الشعبي و طاوس و ابراهيم و السدى. قال عطا: إذا أكل منه فهو ميتة. و قال ابن عباس: إذا أكل الكلب من الصيد، فلا تأكل منه فإنما أمسك على نفسه. و هو الذى دلت عليه أخبارنا. غير أنهم اعتبروا ان يكون

(١) (لم) ساقطه من المطبوعه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤١

أكل الكلب للصيد دائماً. فاما إذا كان نادراً، فلا بأس بأكل ما أكل منه. و قال ابو يوسف، و محمد: حد التعليم أن يفعل ذلك ثلاث مرات. و قال قوم: لاحد لتعليم الكلاب، فإذا فعل ما قلناه، فهو معلم. و قد دل على ذلك رواية أصحابنا، لأنهم رويوا أنه إذا أخذ كلب مجوسى فعلمه فى الحال، فاصطاده به، جاز أكل ما يقتله.

و قد بينا أن صيد غير الكلب، لا- يحل أكله الا- ما أدرك ذكاته. فلا يحتاج أن تراعى كيف تعلمه، و لا اكله منه. و من أجاز ذلك أجاز أكل ما أكل منه البازى و الصقر. ذهب اليه عطا و ابن عباس و الشعبي و ابراهيم، و قالوا: تعلم البازى هو أن يرجع إلى صاحبه. و قال قوم:

جوارح الطير و السباع سواء فى ذلك ما أكل منه، و ما لا يؤكل. روى ذلك عن النبى (ص)

و الشعبي و عكرمة، و ابن جريج. و قال قوم: تعليم كل جارحة من البهائم و الطير واحد و هو أن يشلى على الصيد، فيستشلى، و يأخذ الصيد، و يدعوه صاحبه، فيجيب، فإذا كان كذلك كان معلماً أكل منه أو لم يأكل. روى ذلك عن سلمان رواه قتادة عن سعيد بن المسيب، عن سلمان، قال: و ان أكل ثلثه فكل. و به قال سعد بن أبى وقاص. و قال لو لم يبق إلا جذية، جاز أكلها و به قال ابو هريرة، و ابن عمر. و قد بينا مذهبنا فى ذلك و هو الذى رواه عدى بن حاتم عن النبى (صلى الله عليه و آله).

وقوله: «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ» يقوى قول من قال: ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله، لأنه أمسك على نفسه. و من شرط استباحه ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه سمي عند إرساله، فان لم يسم لم يجوز له اكله إلا إذا أدرك ذكاته وحده أن يجده يتحرك: عينه أو أذنه أو ذنبه، فيذكيه حينئذ بفرى الحلقوم و الأوداج، و اختلفوا فى (من) [من قوله: «مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ» فقال قوم:

هى زائدة، لان جميع ما يمسكه، فهو مباح. و تقديره فكلوا ما أمسكن عليكم. و جرى ذلك مجرى قوله: «يُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ» و قوله: «وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» و تقديره و ينزل من السماء جبالاً فيها برد. و قال بعضهم: و ينزل من التبيان فى تفسير

القرآن، ج ٣، ص: ٤٤٢

السماء من جبال فيها من برد أى من السماء من برد يجعل الجبال من برد فى السماء و يجعل الانزال منها و أنكر قوم ذلك و قالوا (من) للتبويض و يقوى قولهم: قد كان من مطر و كان من حديث. يقول هل كان من مطر، و هل كان من حديث:

عندكم و نكفر عنكم من سيئاتكم ما يشاؤه و يريده. و قوله: «وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» يجيز حذف (من) برد و لا يجيز

حذفها من الجبال. و يقول:

المعنى و ينزل من السماء من أمثال جبال برداً، ثم أدخلت في من البرد مفسر عنده عن أمثال الجبال. و قد أقيمت الجبال مقام الأمثال. و الجبال هي جبال فلا يجوز حذف (من) من الجبال، لأنها دالة على أن في السماء الذي أنزل منه البرد أمثال جبال برد، لا جبال برد. و أجاز حذف (من) من برد، لأن البرد مفسر من الأمثال، كما يقال: عندى رطلان زيتاً، و من زيت. و ليس عندك الرطلان و انما عندك المقدار، فمن تدخل في المفسر و تخرج منه، و كذلك عند هذا القائل من السماء من أمثال جبال، و ليس بجبال. و قال: فان كان أنزل من جبال في السماء من برد جبلاً، ثم حذف الجبال الثانية فالجبال الأولى في السماء جاز كما يقال: أكلت من الطعام يريد أكلت من الطعام طعاماً، ثم يحذف الطعام، و لا يحذف (من). و الأقوى أن تكون من في الآية للتبعيض، لأن ما يمسه الكلب من الصيد، لا يجوز أكل جميعه لأن في جملته ما هو حرام من الدم، و الفرث و الغدد، و غير ذلك مما لا يجوز أكله، فإذا قال: فكلوا مما أمسكن عليكم، أفاد ذلك بعض ما أمسكن، و هو الذي أباح الله أكله من اللحم، و غيره. و قوله: «نُكْفِرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» قد بينا الوجه فيه و سنين الوجه في قوله: «مَنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» إذا انتهينا إليه ان شاء الله.

و قوله: «وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» صريح في وجوب التسمية عند الإرسال.

و هو قول ابن عباس و السدى و غيرهما. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه و اجتنبوا ما نهاكم عنه، فلا تقربوه، و احذروا معاصيه في ارتكاب ما نهاكم عنه في أن تأكلوا من صيد الكلب غير المعلم، أو مما لم يمسه عليكم، أو تأكلوا مما لم يسم التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤٣

الله عليه من الصيد، و الذبائح مما صاده اهل الأوثان و الأصنام «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» معناه التخويف بأنه سريع حسابه لمن حسبه على نعمه، لا- يشغله حساب بعض عن بعض. و متى غاب الكلب و الصيد عن العين، ثم رآه ميتاً لا- يجوز أن يأكله، لأنه يجوز أن يكون مات من غير قتل الصيد.

و في الحديث: (كل ما أصميت و لا تأكل ما أنميت)

فمعنى أصميت أن تصطاد بكلب أو غيره، فمات و أنت تراه مات بصيدك. و اصل الصميان السرعة و الخفة: و معناه ها هنا ما أسرع فيه الموت و أنت تراه. و معنى ما أنميت ما غاب عنك فلا تدري مات بصيدك أو بعارض آخر يقال نمت الرمية: إذا مضت و السهم فيها. و أنميت الرمية: إذا رميتها، فمضت، و السهم فيها قال امرؤ القيس:

فهو لا تنمى رميته ماله لا عد من نفره

و قال الحارث بن و عله الشيباني:

قالت سليمة فد غنيت فتى فالآن لا تصمى و لا تنمى

أى عشت و متى أخذ الكلب الصيد و مات في يده من غير أن يجرحه، لم يجز أكله. و أجاز قوم ذلك. و الاول أحوط. و كل من لا تؤكل ذبيحته من أجناس الكفار، لا يؤكل صيده أيضاً. فأما الاصطياد بكلابه المتعلمه فحائز إذا صاده المسلم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥]..... ص: ٤٤٣

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ طَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤٤

آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه أحلّ للمؤمنين الطيبات، و هي الحلال على ما بينا القول فيه في الآية الاولى، دون ما حرم في الآية المتقدمة. وقيل: معنى الطيبات ما يستلذ و يستطاب. و ظاهر الآية على هذا يقتضى تحليل كل مستطاب إلا ما قام دليل على تحريمه. وقوله: «وَوَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّلٌ لَكُمْ» رفع بالابتداء «و حل لكم» خبره و ذلك يختص عند اكثر أصحابنا بالحبوب، لأنها المباحة من أطمعهم اهل الكتاب، فاما ذبائحهم و كل مائع يباشرونه بأيديهم فانه نجس و لا يحل استعماله و تذكيتهم لا تصح لان من شرط صحتها التسمية، لقوله: و لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه و هؤلاء لا يذكرون اسم الله. و إذا ذكروه قصدوا بذلك اسم من ابد شرع موسى أو عيسى أو اتخذ عيسى ابناً. و كذب محمداً (صلى الله عليه و آله) و ذلك غير الله. و قد حرم الله ذلك بقوله: «وَمَا أَهْلًا لِيُغَيِّرِ اللَّهُ بِهِ» على ما مضى القول فيه و اكثر المفسرين على أن قوله: «وَوَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» المراد به ذبائحهم و به قال قوم من أصحابنا: فمن ذهب اليه الطبرى و البلخى و الجبائى و اكثر الفقهاء، ثم اختلفوا، فمنهم من قال: أراد بذلك ذبائح كل كتابى ممن أنزل عليه التوراة و الإنجيل، أو ممن دخل فى ملتهم و دان بدينهم، و حرم ما حرموا، و حل ما حللوا. ذهب اليه ابن عباس و الحسن و عكرمة و سعيد بن المسيب، و الشعبي و ابن جريج، و عطا و الحكم و قتادة. و أجازوا ذبائح نصارى بنى تغلب و قال آخرون: إنما عنى به الذين أنزلت التوراة و الإنجيل عليهم، و من كان دخيلاً- فيهم من سائر الأمم، و دان بدينهم، فلا تحل ذبائحهم. حكى ذلك الربيع عن الشافعى من الفقهاء.

و

روى تحريم ذبائح نصارى تغلب عن على (عليه السلام)

و رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. و قال مجاهد، و ابراهيم و ابن عباس و قتادة و السدى و الضحاك، و ابن زيد و ابو الدرداء و إن اطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم و غيرها من الاطعمة. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤٥
و به قال الطبرى و الجبائى و البلخى و غيرهم.
و قوله: «وَوَطَعَامُكُمْ حَلَّلٌ لَهُمْ» فيه بيان إن طعامنا ايضاً حل لهم، فان قيل فما معنى ذلك، و هم لا يستحلون طعامنا بتحليلنا لهم ذلك؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- ان الله بين بذلك أنه حلال لهم ذلك سواء قبلوه، أو لم يقبلوه.

و الثانى- أن يكون حلال للمسلمين بذله لهم، و لو كان محرماً عليهم، لما جاز لمسلم بذله إياه.

و قوله: «وَالْمُحْصِنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ» معناه و أحل لكم العقد على المحصنات يعنى العفاف من المؤمنات. و قيل هن الحرائر منهن، و لا يدل ذلك على تحريم من ليس بعفيفة، لان ذلك دليل خطاب يترك لدليل يقوم على خلافه، و لا خلاف أنه لو عقد على من ليس بعفيفة، و لا أمة كان عقده صحيحاً غير مفسوخ، و ان كان الاولى تجنبه. و كذلك لو عقد على أمة بشرط جواز العقد على الامة على ما مضى القول فيه. و اختلف المفسرون فى المحصنات التى عناهن هاهنا فقال بعضهم عنى بذلك الحرائر خاصة: فاجرة كانت أو عفيفة و حرموا إماء اهل الكتاب بكل حال لقوله: «وَمَنْ لَمْ يَشْتِطْغْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبَائِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ». ذهب اليه مجاهد و طارق بن شهاب، و عامر الشعبي و الحسن و قتادة. و قال آخرون: أراد بذلك العفاف من الفريقين: حرائر كن او إماء، و أجازوا العقد على الامة الكتابية. روى ذلك أيضاً عن مجاهد، و عامر الشعبي و سفين و ابراهيم و الحسن بن أبى الحسن و قتادة فى روايه، ثم اختلفوا فى المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، فقال قوم: هو عام فى العفاف منهن: حرة كانت أو أمة، حريية كانت أو ذمية. و هو قول من قال المراد بالمحصنات العفاف. و قال آخرون:

أراد الحرائر منهن: حرييات كن أو ذميات. و على قول الشافعى المراد بذلك من كان من نساء بنى إسرائيل دون من دخل فيهن من سائر الملل. و قال قوم. أراد بذلك الذميات منهن. ذهب اليه ابن عباس. و اختار الطبرى أن يكون المراد بذلك الحرائر التبيان فى

من المسلمات و الكتابيات. و عندنا لا يجوز العقد على الكتابية نكاح الدوام، لقوله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» و لقوله: «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ» فإذا ثبت ذلك، قلنا في قوله: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» تأويلان. أحدهما- ان يكون المراد بذلك اللاتي أسلمن منهن. و المراد بقوله: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ» من كن في الأصل مؤمنات. ولدن على الإسلام قيل: إن قوماً كانوا يتخرجون من العقد على الكافرة إذا أسلمت فبين الله بذلك انه لا حرج في ذلك، فلذلك أفردهن بالذكر حتى ذلك البلخي.

و الثاني- أن يخص ذلك بنكاح المتعة أو ملك اليمين، لأنه يجوز عندنا وطؤها بعقد المتعة، و ملك اليمين على أنه روى أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) أن ذلك منسوخ بقوله: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» روى عن أبي عبد الله (ع) انه قال: هو منسوخ بقوله: «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ» و قوله: «إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ» يعني مهورهن. و هو عوض الاستمتاع بهن. و هو قول ابن عباس، و جميع المفسرين. و قوله: «مُحْصَنَاتٌ غَيْرُ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ» نصب على الحال و تقديره أحل لكم المحصنات من الفريقين، و أنتم محصنون غير مسافحين، و لا متخذى أخدان يعني اعضاء غير مسافحين بكل فاجرة، و هو الزنا، و لا متخذى أخدان يعني اعضاء غير مسافحين، و لا متخذى أخدان، و لا متفردين بغيه واحدة، خادنها و خادنته اتخذها لنفسه صديقه يفجر بها. و قد بينا معنى الإحصان و جوهه، و معنى السفاح و الخدن في سورة النساء، فلا وجه لإعادته و بذلك قال ابن عباس و قتادة و الحسن.

و قوله: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» يعني من يجحد ما أمر الله بالإقرار به، و التصديق به من توحيد الله، و نبوة نبيه، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤٧

و الإقرار بما جاء به فقد حبط عمله يعني الاعمال التي يعملها، و يعتقدها قربات الى الله، فإنها تنحبط، و لا يستحق عليها ثواباً، بل يستحق عليها العقاب، «وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» يعني الهالكين الذين غبنوا نفوسهم حظها من ثواب الله بكفرهم، و استحقاتهم العقاب على جحدهم التوحيد، و الإسلام. و قال قوم: إن قوله: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ» عنى به اهل الكتاب، لان قوماً تخرجوا من نكاح نساء اهل الكتاب، و أكل طعامهم و ما بين الله في هذه الآية. ذهب اليه قتادة و ابن جريج و مجاهد و ابن عباس. فان قيل ما معنى «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ» قيل:

الايان هو الإقرار بتوحيد الله، و صفاته، و عدله، و الإقرار بالنبي (صلى الله عليه و اله) و ما جاء به من عند الله. فمن جحد ذلك أو شيئاً منه كان كافراً بالايان.

و قد حبط عمله الذى يرجو به الفوز و النجاة. و هو فى الآخرة من الخاسرين. و قال مجاهد: معناه من يكفر بالله. قال البلخي لا يعرف تأويل مجاهد فى اللغة.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦]..... ص: ٤٤٧

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) - آية بلا خلاف -

القراء:..... ص: ٤٤٧

قرأ نافع و ابن عامر و الكسائي و حفص و يعقوب، و الأعشى إلا- النقار «و أرجلكم» - بالنصب- الباقون بالجر و قرأ لمستم بلا الف حمزة و الكسائي التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٤٨

و خلف الباقون لامستم بالف ها هنا و فى النساء هذا خطاب للمؤمنين أمرهم الله إذا أرادوا القيام إلى الصلاة، و هم على غير طهر، أن يغسلوا وجوههم، و يفعلوا ما أمرهم الله به فيها. و حذف الارادة، لان فى الكلام دلالة عليه، و مثله «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» و معناه و إذا أردت قراءة القرآن فاستعد، و إذا قمت فيهم فأقمت لهم الصلاة و معناه فأردت أن تقيم لهم الصلاة. ثم اختلفوا اهل يجب ذلك كلما أراد القيام إلى الصلاة او بعضها او فى اى حال هى؟ فقال قوم: المراد به إذا أراد القيام إليها، و هو على غير طهر. و هو الذى اختاره الطبرى و البلخى و الجبائى و الزجاج و غيرهم. و هو المروى عن ابن عباس، و سعد بن أبى وقاص، و أبى موسى الاشعري و أبى العالى، و سعيد بن المسيب و جابر بن عبد الله، و ابراهيم و الحسن و الضحاك، و الأسود و السدى، و غيرهم. و قال آخرون: معناه إذا قمت من نومكم إلى الصلاة ذهب اليه زيد ابن اسلم و السدى و قال آخرون: المراد به كل حال قيام الإنسان إلى الصلاة، فعليه ان يجدد طهر الصلاة. ذهب اليه عكرمة. و قال: كان على يتوضأ عند كل صلاة، و يقرأ هذه الآية. و قال ابن سيرين إن الخلفاء كانوا يتوضئون لكل صلاة. و الاول هو الصحيح عندنا. و ما روى

عن على (عليه السلام) فى تجديد الوضوء عند كل صلاة محمول على الندب.

و قال قوم: كان الفرض أن يتوضأ لكل صلاة، ثم نسخ ذلك بالتخفيف،

و هو المروى عن ابن عمر انه حدثه أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الغسيل حدثها أن النبى صلى الله عليه و آله أمر بالوضوء عند كل صلاة، فشق ذلك عليه فأمر بالسواك و رفع عنه الوضوء إلا من حدث

، فكان عبد الله يرى أن فرضه عليه، فكان يتوضأ

و روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يتوضأ لكل صلاة، فلما كان عام الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد. فقال عمر:

يا رسول الله صنعت شيئاً ما كنت تصنعه! قال: عمداً فعلته يا عمر.

و قال الحسين بن على المغربى: معنى إذا قمت إذا عزمتم عليها و همتمم بها. قال الراجز للرشيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص:

٤٤٩

ما قاسم دون الفتى ابن امه و قد رضينا فقم فسمه

فقال: يا أعرابى، ما رضيت ان تدعونا إلى عقد الامر له قعوداً حتى أمرتنا بالقيام، فقال: قيام عزم لا قيام جسم. و قال حريم الهمدانى:

فحدثت نفسى أنها أو خيالها أتانا عشاء حين قمنا لنهجعاً

أى حين عزمنا للهجوم. و أقوى الأقوال ما حكيناه أولاً من ان الفرض بالوضوء يتوجه إلى من أراد الصلاة و هو على غير طهر، فاما من كان متطهراً، فعليه ذلك استحباباً. و ما روى عن النبى (ص) و الصحابة فى تجديد الوضوء، فهو محمول على الاستحباب فى جميع الأحوال، لإجماع أهل العصر على أن الفرض فى الوضوء كان فى كل صلاة، ثم نسخ، فعلمنا بذلك أن ما روى من تجديد الوضوء كان على وجه الاستحباب. و قال قوم: إن الله (تعالى) أنزل هذه الآية اعلماً للنبى (صلى الله عليه و آله) أنه لا وضوح عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الاعمال، لأنه كان إذا أحدث امتنع من الاعمال حتى يتوضأ فأباح الله له بهذه الآية أن يفعل ما بدا له من الاعمال بعد الحدث إلى عمل الصلاة، توضأ أو لم يتوضأ. و أمره بالوضوء للصلاة.

روى ذلك عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة عن أبيه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا بال لم يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلاة، ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية.

وقوله: «فَاعْسُواْ وُجُوهَكُمْ» امر من الله بغسل الوجه واختلفوا في حد الوجه الذي يجب غسله، فحده عندنا من قصاص شعر الرأس إلى محاذى شعر الذقن طولاً و ما دخل بين الوسطى والإبهام عرضاً، و ما خرج عن ذلك فلا يجب غسله. و ما نزل من الشعر عن المحادر، فلا يجب غسله. و قال بعضهم: ما ظهر من بشرة الإنسان من قصاص شعر رأسه منحدرًا إلى منقطع ذقنه طولاً، و ما بين الأذنين عرضاً. قالوا و الأذنان و ما بطن من داخل الفم و الأنف و العين، فليس من الوجه، و لا يجب غسل ذلك، و لا غسل شيء منه.

و اما ما غطاه الشعر كالذقن، و الصدغين، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٠
فان إمرار الماء على ما علا الشعر عليه يجزى من غسل ما بطن منه من بشرة الوجه، لان الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر من ذلك يقابلها دون غيره. و هذا بعينه مذهبنا. إلا ما خرج عن الإبهام و الوسطى إلى الاذن، فانه لا يجب غسله. ذهب إلى ما حكيناه إبراهيم، و مغيرة و الحسن و ابن سيرين، و شعبة و الزهري و ربيعة و قتادة، و القاسم بن محمد و ابن عباس، و ابن عمر. قال ابن عمر: الأذنان من الرأس. و به قال قتادة و الحسن، و رواه أبو هريرة عن النبي (صلى الله عليه و آله) و قال آخرون:

الوجه كل ما دون منابت شعر الرأس إلى منقطع الذقن طولاً، و من الاذن الى الاذن الأخرى عرضاً ما ظهر من ذلك لعين الناظر، و ما بطن منه من منابت شعر اللحية، و العارضين، و ما كان منه داخل الفم و الأنف، و ما أقبل من الأذنين على الوجه. و قالوا: يجب غسل جميع ذلك و من ترك شيئاً منه لم تجزه الصلاة. ذهب اليه ابن عمر في رواية نافع عنه، و ابو موسى الأشعري، و مجاهد و عطا و الحكم، و سعيد بن جبير و طاوس، و ابن سيرين و الضحاک، و انس بن مالك و ام سلمة، و ابو أيوب و ابو امامة، و عمار بن ياسر و قتادة كلهم قالوا بتخليل اللحية، فاما غسل باطن الفم، فذهب اليه مجاهد، و حماد و قتادة. و اما من قال: ما أقبل من الأذنين يجب غسله، و ما أدبر يجب مسحه فالشعبي. و قد بينا مذهبنا في ذلك. و الذي يدل على صحة ذلك أن ما قلناه مجمع على انه من الوجه. و من ادعى الزيادة فعليه الادلة. و استوفينا ذلك في مسائل الخلاف و تهذيب الأحكام.

وقوله: «وَ أَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» منصوب بالعطف على الوجوه الواجب غسلها.
و يجب عندنا غسل الأيدي من المرافق، و غسل المرافق معها إلى رؤوس الأصابع، و لا يجوز غسلها من الأصابع إلى المرافق (و إلى) في الآية بمعنى مع كقوله: «تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ» و قوله: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» و أراد بذلك (مع) قال امرؤ القيس:
له كفل كالدعص لبدنه الندى الى حارك مثل الرتاج المضرب

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥١

و قال النابغة الجعدي:

و لوح ذراعين في بركة الى جوجؤ رهل المنكب

أراد مع حارك و مع رهل. و طعن الزجاج على ذلك فقال: لو كان المراد بالي مع، لوجب غسل اليد إلى الكتف، لتناول الاسم له. و انما المراد بالي الغاية و الانتهاء، لكن المرافق يجب غسلها مع اليدين. و هذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأننا لو خيلنا و ذلك، لقلنا بما قاله. لكن خرجنا بدليل. و دليلنا على صحة ما قلناه: اجماع الامة على أنه متى بدأ من المرافق كان وضوءه صحيحاً و إذا جعلت غاية ففيه الخلاف. و اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال مالك بن أنس: يجب غسل اليدين إلى المرفقين، و لا يجب غسل المرفقين. و هو قول زفر. و قال الشافعي:

لا- أعلم خلافاً في ان المرافق يجب غسلها. و قال الطبري: غسل المرفقين، و ما فوقهما مندوب اليه غير واجب. و انما اعتبرنا غسل المرافق، لإجماع الأمة على أن من غسلها صحت صلاته. و من لم يغسلها، ففيه الخلاف. و المرافق جمع مرفق. و هو المكان الذي يرتفق به، و يتكأ عليه على المرفقة و غيرها.

وقوله: «وَأَمْسَيْحُوا بِرُؤُسِكُمْ» اختلفوا في صفة المسح، فقال قوم: يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح، وهو مذهبنا. و به قال ابن عمر، و القاسم بن محمد، و عبد الرحمن بن أبي ليلى، و ابراهيم و الشعبي و سفيان. و اختاره الشافعي و أصحابه و الطبري. و ذهب قوم إلى انه يجب مسح جميع الرأس ذهب اليه مالك. و قال ابو حنيفة، و ابو يوسف و محمد: لا يجوز مسح الرأس باقل من ثلاثة أصابع. و عنه روايتان فيهما خلاف، ذكرناهما في الخلاف. و عندنا لا يجوز المسح إلا على مقدم الرأس. و هو المروي عن ابن عمر و القاسم بن محمد، و اختاره الطبري. و لم يعتبر احد من الفقهاء ذلك. و قالوا: أى موضع مسح أجزاءه و إنما اعتبرنا المسح ببعض الرأس، لدخول الباء الموجبة، للتبويض لان دخولها في الموضع الذى يتعدى الفعل فيه بنفسه لا وجه له غير التبويض و إلا كان لغوا. و حملها على الزيادة لا يجوز مع التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٢

إمكان حملها على فائدة مجددة، فان قيل: يلزم على ذلك المسح ببعض الوجه في التيمم قلنا كذلك نقول، لأننا نقول بمسح الوجه من قصاص الشعر إلى طرف الانف و من غسل الرأس، فانه لا يجزيه عن المسح عندنا و خالف جميع الفقهاء في ذلك، و قالوا يجزيه لأنه يشتمل عليه. و هذا غير صحيح، لان حد المسح هو إمرار العضو الذى فيه نداوة على العضو الممسوح من غير أن يجرى عليه الماء. و الغسل لا يكون الا بجريان الماء عليه. فمعناهما مختلف، و ليس إذا دخل المسح في الغسل يسمى الغسل مسحاً، كما أن العمامة لا تسمى خرقة، و ان كانت تشتمل على خرق كثيرة.

وقوله: «وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» عطف على الرؤوس فمن قرأ بالجر ذهب إلى انه يجب مسحهما كما وجب مسح الرأس، و من نصبهما ذهب إلى انه معطوف على موضع الرؤوس، لان موضعها نصب لوقوع المسح عليها، و انما جر الرؤوس لدخول الباء الموجبة للتبويض على ما بيناهما للقراءتان جميعاً تفيدان المسح على ما نذهب اليه. و ممن قال بالمسح ابن عباس و الحسن البصرى و ابو على الجبائى و محمد بن جرير الطبري، و غيرهم ممن ذكرناهم في الخلاف، غير أنهم أوجبوا الجمع بين المسح و الغسل المسح بالكتاب، و الغسل بالسنة، و خيرة الطبري في ذلك. و أوجبوا كلهم استيعاب جميع الرجل ظاهراً و باطناً. و عندنا أن المسح على ظاهرهما من رؤوس الأصابع إلى الكعبين. و هما الناتان في وسط القدم على ما استدل عليه. و قال عكرمة عن ابن عباس: الوضوء غسلتان و مسحتان. و به قال أنس بن مالك. و قال عكرمة ليس على الرجلين غسل إنما فيهما المسح. و به قال الشعبي: ألا ترى أن التيمم يمسح ما كان غسلًا و يلغى ما كان مسحاً. و قال قتادة افترض الله مسحتين و غسلتين.

روى ابن اوس قال: رأيت النبي (صلى الله عليه و آله) توضع على نعليه، ثم قام فصلى.

و روى حذيفة قال: أتى رسول الله (ص) سباطة قوم، فبال عليها قائماً، ثم دعا بماء، فتوضأ و مسح على نعليه.

و روى حبة الغربى قال: رأيت على ابن ابي طالب (عليه السلام) شرب في الرحبة قائماً، ثم توضأ و مسح على نعليه.

و روى عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله (صلى الله عليه و آله) فمسح التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٣ على رجله.

و عنه أنه قال: إن كتاب الله المسح و يأبى الناس الا الغسل. و عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) أنه قال ما نزل القرآن إلا بالمسح. فان قيل:

القراءة بالجر ليست على العطف على الرؤوس في المعنى. و انما عطف عليها على طريق المجاورة، كما قالوا: حجر ضب خرب، و خرب، من صفات الحجر لا الضب و كما قال الشاعر:

كان بشيراً في عرانيين و بله كبير أناس في بجاد مزمل

و المزمّل من صفة الكبير لا البجاد. و قال الأعشى.

لقد كان في حول ثواء ثويته تقضى لبانات و يسام سائم

قلنا: هذا لا يجوز من وجوه:

أحدها- ما قال الزجاج أن الاعراب بالمجاورة، لا يجوز في القرآن، و إنما يجوز ذلك في ضرورة الكلام و الشعر.

و الثاني- أن الاعراب بالمجاورة لا يكون مع حرف العطف فاما قول الشاعر:

فهل انت ان ماتت أتاتك راحل الى آل بسطام بن قيس فخطاب

قالوا: جر مع حرف العطف الذي هو الفاء، فانه يمكن أن يكون أراد الرفع و إنما جر الراوى و هما. و يكون عطفاً على راحل يكون قد أقوى لان القصيدة مجرورة. و قال قوم: أراد بذلك الامر و إنما جر لإطلاق الشعر.

و الثالث- أن الاعراب بالمجاورة و إنما يجوز مع ارتفاع اللبس. فاما مع حصول اللبس، فلا يجوز، و لا يشبهه على احد أن خرب من صفة حجر، لا الضب.

و كذلك قوله: مزمل من صفة الكبير لا الجاد. و ليس كذلك في الآية، لان الأرجل يمكن أن تكون ممسوحة و مغسولة، فاما قول الشاعر: ثواء ثويته، فإنما جره بالبدل من الحول و المعنى لقد كان في ثواء ثوبته تقضى لبانات. و هو من بدل الاشتمال، كقوله: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ». و قول الشاعر:

لم يبق الا أسير غير منفلت و موثق في عقال الأسر مكبول

فليس خفض موثق على المجاورة، لان معنى البيت لم يبق غير أسير فالأ معنى التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٤

غير و هى تعاقبها في الاستثناء. فقوله غير موثق عطف المعنى على موضع أسير.

و تقديره لم يبق غير أسير و غير منفلت. و اما قوله: «وَحُورٌ عَيْنٌ» فى قراءة من جرهما، فليس بمجرور على المجاورة، بل يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون عطفاً على قوله: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَّ أَبَارِيقٍ وَّ كَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ» الى قوله: «وَحُورٌ عَيْنٌ» عطف على أكواب. و قولهم:

انه لا يطاف إلا بالكأس غير مسلم، بل لا يمتنع أن يطاف بالهور العين كما يطاف بالكأس و قد ذكر فى جملة ما يطاف به الفاكهة و اللحم.

و الثاني- أنه لما قال: «أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» عطف بحور عين على جنات النعيم فكأنه قال: هم فى جنات النعيم. و فى مقاربة أو معاشره حور عين.

ذكره أبو على الفارسي، فاما من قال: الرجلان ممسوحان و يراد بالمسح الغسل، فقوله: يبطل بما قلناه من أن المسح غير الغسل. و استشهادهم بقولهم: تمسحت للصلاة و أنهم سمو الغسل مسحاً. و قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَّ الْأَعْنَاقِ»، و انه أراد غسلها باطل بما قدمناه، و لأنه لو كان ذلك محتملاً لغه، لما احتمل شرعاً، لان الشرع فرق بين الغسل و المسح، و لذلك قالوا بعض أعضاء الطهارة مغسولة، و بعضها ممسوحة. و فلان يرى غسل الرجلين، و فلان يرى مسحهما، و لأنه لا خلاف أن الرأس ممسوح مسحاً ليس بغسل، فلا بد أن يكون حكم الرجلين حكمه، لكونهما معطوفتين عليه. و قولهم: تمسحت للصلاة، فلأنهم لما أرادوا أن يخبروا بلفظ مختصر عن جميع أفعال الصلاة، لم يجوز أن يقولوا اغتسلت للصلاة، لان فى الطهارة ما ليس بغسل. و استطالوا أن يقولوا اغتسلت و تمسحت للصلاة قالوا: بدلا من ذلك تمسحت توسعاً، و مجازاً. و قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ» فأكثر المفسرين على ان المراد به فطفق ضرباً. ذهب اليه الفراء و أبو عبيدة. و قال آخرون: أراد المسح فى الحقيقة، و أنه كان مسح أعراقها و سوقها. و إنما حمل على الغسل شاذ منهم و من قال القراءة تقتضى المسح غير أنه المسح على الخفين، فقوله باطل، لان الخف التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٥

لا يسمى رجلاً فى لغة و لا شرع. و الله (تعالى) أمر بإيقاع الفرض على ما يسمى رجلاً فى الحقيقة. و اما لقراءة بالنصب، فقد بينا أنها معطوفة على موضع الرؤوس لان موضعها النصب، و الحكم فيها المسح و العطف على الموضع جائز، لأنهم يقولون:

لست بقائم و لا قاعداً. و يقولون حسبت بصدره و صدر زيد و ان زيدا فى الدار و عمرو، فيرفع عمر و بالعطف على الموضع. و قال

الشاعر:

معاوى اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال و لا الحديد

و قال آخر:

هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب أخا عون بن مخراق

و انما نصب عبد رب، لان التقدير باعث ديناراً، فحمله على الموضوع، و قد سوغوا العطف على المعنى، و ان كان اللفظ لا يقتضيه قال

الشاعر:

جننى بمثل بنى عمرو لقومهم أو مثل اسرة منظور بن سبار

لما كان معنى جننى هات مثلهم، أو اعطنى مثلهم. قال: أو مثل بالنصب عطفاً على المعنى، و عطف الأرجل على الايدي لا يجوز، لان

الكلام متى حصل فيه عاملان: قريب و بعيد لا يجوز إعمال البعيد دون القريب مع صحة حمله، عليه.

لا يجوز أن يقول القائل: ضربت زيدا و عمراً و أكرمت خالداً و بكرأ. و يريد بنصب بكر العطف على زيد أو عمرو المضروبين، لان

ذلك خروج عن فصاحة الكلام، و دخول فى معنى اللغو و بمثل ما قلناه ورد القرآن و اكثر الشعر قال الله تعالى: «وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا

ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا» و لو اعمل الاول، لقال:

كما ظننتموه. و قال «آتُونى أفرغ عَلَيْهِ قَطْرًا» و لو أعمل الاول، لقال أفرغه.

و قال: «هَؤُومُ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً» و لو اعمل الاول لقال: هَؤُومُ أَقْرَبُوهُ. و قال الشاعر:

قضى كل ذى دين فوفى غريمه و عزة ممطول معنى غريمها

و لو أعمل الاول، لقال: فوقاه غريمه. فاما قول امرئ القيس.

فلو انما أسعى لأدنى معيشة كفانى و لم اطلب قليل من المال

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٦

فإنما أعمل الاول للضرورة، لأنه لم يجعل القليل مطلوباً و انما كان المطلوب عنده الملك. و جعل القليل كافياً. و لو لم يرد هذا و

نصب، لفسد المعنى. فاما من نصب بتقدير و اغسلوا أرجلكم، كما قالوا:

مقلداً سيفاً و رمحاً و علفتها تبناً و ماء بارداً

فقد اخطأ، لان ذلك إنما يجوز إذا استحال حمله على اللفظ. فاما إذا جاز حمله على ما فى اللفظ، فلا يجوز هذا التقدير. و من قال

يجب غسل الرجلين، لأنها محدودتان كاليدين، فقوله ليس بصحيح، لأننا لا- نسلم ان العلة فى كون اليدين مغسولتين كونهما

محدودتين. و انما وجب غسلهما، لأنها عطفاً على عضو مغسول. و هو الوجه. فكذلك إذا عطف الرجلين على ممسوح هو الرأس،

وجب أن يكونا ممسوحين. و الكعبان عندنا هما الناتان فى وسط القدم. و به قال محمد بن الحسن و إن أوجب الغسل. و قال اكثر

المفسرين و الفقهاء: الكعبان هما عظما الساقين يدل على ما قلناه أنه لو أراد ما قالوا، لقال إلى الكعب، لان فى الرجلين منها أربعة. و

ايضاً فكل من قال: يجب مسح الرجلين، و لا- يجوز الغسل قال الكعب هو ما قلناه، لان من خالف فى أن الكعب ما قلناه على قولين:

قائل يقول بوجوب الغسل، و آخر يقول بالتخير. قال الزجاج: كل مفصل للعظام فهو كعب.

و فى الآية دلالة على وجوب الترتيب فى الوضوء من وجهين:

أحدهما- ان الواو يوجب الترتيب لغة على قول الفراء و أبى عبيد و شرعا على قول كثير من الفقهاء، و

لقوله (عليه السلام): ابدأوا بما بدأ الله به.

و الثانى- ان الله أوجب على من يريد القيام الى الصلاة إذا كان محدثاً أن يغسل وجهه أولاً، لقوله: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا» و

الفاء توجب التعقيب و الترتيب بلا خلاف، فإذا ثبت أن البداءة بالوجه هو الواجب، ثبت فى باقى الأعضاء، لان أحداً لا يفرق و يقويه

قوله (عليه السلام) للاعرابي - حين علمه الوضوء، فقال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به، فان كان رتب فقد بين انه الواجب الذي لا يقبل الله الصلاة إلا به

، و ان لم يرتب لزم أن يكون من رتب، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٧

لا يجزيه وقد اجتمعت الامة على خلافه. وفي الآية دلالة على أن من مسح على العمامة أو الخفين لا يجزيه، لان العمامة لا تسمى رأساً. والخف لا يسمى رجلاً كما لا يسمى البرقع وما يستر اليدين وجهاً ولا يداً. وما روى من المسح على الخفين أخبار آحاد لا يترك لها ظاهر القرآن. على أنه

روى عن علي (عليه السلام) أنه قال: نسخ ذلك بهذه الآية و كذلك قال لمن قال: اقبل المائدة أو بعدها.

و في الآية دلالة على وجوب النية في الوضوء، لأنه قال: إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا. و تقديره فاغسلوا للصلاة كما يقول القائل: إذا أردت لقاء عدوك، فخذ سلاحك بمعنى فخذ سلاحك للقائه و لا يمكن أن يكون غاسلاً هذه الأعضاء للصلاة إلا بنية. و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا» معناه و ان أصابتكم جنابة و أردتم القيام الى الصلاة فاطهروا بالاعتسال. و الجنابة تكون بشيئين.

أحدهما - بانزال الماء الدافق في النوم أو اليقظة. و على كل حال بشهوة كان أو بغير شهوة.

و الآخر - بالتقاء الختانين وحده غيبوبة الحشفة أنزل أو لم ينزل، و الجنب يقع على الواحد و الجماعة و الاثنين، و المذكر و المؤنث مثل رجل عدل، و قوم عدل، و رجل زور و قوم زور، و نحو ذلك و هو بمنزلة المصدر قال الزجاج: تقديره ذو جنب. و يقال أجنب الرجل و جنب و اجنب و الفعل الجنابة و قد حكي في جمعه أجناب و الأول أظهر. و اصل الجنابة البعد قال علقمة:

فلا تحرمنى نائلاً عن جنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب

و قوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ» معناه و ان كنتم مرضى يعني ان كنتم جرحى أو مجدرين أو مرضى يضر بكم استعمال الماء و كنتم جنباً أو على غير وضوء قد بينا ذلك في سورة النساء و قوله: «أَوْ عَلَى سَفَرٍ» معناه و ان كنتم مسافرين و أنتم جنباً و جاء أحد منكم من الغائط معناه أو جاء أحد منكم من الغائط قد قضى حاجته فيه، و هو مسافر أو لامستم النساء معناه أو جامعتم النساء و أنتم مسافرون. و قد بينا اختلاف الفقهاء في اللمس، و بينا أصح الأقوال في ذلك، فلا وجه لإعادته، فان قيل: ما معنى التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٥٨

تكرير قوله: لامستم النساء إن كان معنى اللمس الجماع مع انه قد تقدم ذكر الواجب عليه لقوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا» قلنا وجه ذلك أن المعنى في قوله:

«وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا» غير المعنى الذي ألزمه الله بقوله: او لامستم النساء، لأنه (تعالى) بين الحكم بقوله: «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا» معناه إذا كنتم واجدين للماء ممكنين لاستعماله، ثم بين حكمه إذا عدم الماء، أو لا يتمكن من استعماله أو هو مسافر غير مريض مقيم، فاعلمه أن التيمم هو فرضه، و هو طهارته. و قد بينا حكم التيمم و معناه و كيفيته فيما مضى. و قوله: «فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ» قد بينا جميع ذلك فيما مضى جملته أنه يقول: أيها المؤمنون إذا قمتم الى الصلاة، و أنتم على غير طهر، و لم تجدوا ماء، و لا - تتمكنون من استعماله، فاقصدوا وجه الأرض طاهراً نظيفاً غير نجس، و لا قدر «فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ» يعني مما يعلق باديكم منه يعني من الصعيد و قد بينا كيفية التيمم، و أنه من قصاص الشعر الى طرف الانف، و من الزند الى أطراف الأصابع في اليدين. و قد بينا اختلاف المفسرين و الفقهاء في ذلك، فلا معنى لإعادته. و

قوله: «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ» معناه ما يريد الله مما فرض عليكم من الوضوء إذا قمتم الى الصلاة و الغسل من الجنابة و التيمم صعيداً طيباً عند عدم الماء أو تعذر استعماله، لئلا يترككم في دينكم من ضيق، و لا ليفتنكم فيه، و هو قول علي (عليه السلام)

و مجاهد و جميع المفسرين. و قوله: «وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه لكن يريد الله ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء و الغسل من الأحداث و الجنابة أن ينظف بذلك أجسامكم من الذنوب. و اللام في قوله: «ليطهركم» دخلت لتبيين الارادة و المعنى ارادته لتطهيركم كما قال الشاعر:

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل

روى ما قلناه عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي امامة ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: إن الوضوء يكفر ما قبله و قوله: «وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ التَّيْبَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٣، ص: ٤٥٩ عَلَيَّكُمْ»

معناه و يريد الله مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم إياه فيما فرض عليكم من الوضوء و الغسل إذا قمتم الى الصلاة مع وجود الماء، و التيمم مع عدمه، أن يتم نعمته بإباحته لكم التيمم، و تصييره لكم الصعيد الطيب طهوراً رخصه منه لكم في ذلك مع سوابغ نعمه التي أنعم بها عليكم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه و لتشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم بطاعتكم إياه فيما أمركم به و نهاكم عنه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧]..... ص: ٤٥٩

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) آية بلا خلاف.

في هذه الآية اذكار نعم الله تعالى عليهم برسوله (صلى الله عليه و آله) و ميثاقه الذي واثقهم به عند ما ضمنوا لرسول الله (ص) السمع و الطاعة، ثم حذرهم ان ينقضوا ذلك بقلوبهم، و أعلمهم أنه عليهم بذات الصدور.

و الميثاق الذي واثقهم به قال البلخي: و الجبائي هو ما

أخذ عليهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) عند إسلامهم و بيعتهم بأن يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم أو سرهم.

قال الجبائي: هو مبايعتهم له ليلة العقبة و بيعه الرضوان و هو قول ابن عباس و قال آخرون: هو ما اخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم (ع) و اشهدهم على أنفسهم الست بربكم؟ قالوا: بلى. ذهب اليه مجاهد. و الصحيح قول ابن عباس لامرين: أحدهما- ان الخبر مروى في أخذ الميثاق على من استخرج من صلب آدم (ع) ضعيف تحيله العقول.

و الثاني- أن الله (تعالى) ذكر بعقب تذكيره المؤمنين ميثاقه الذي واثق به اهل التوراة بعد ما أنزل كتابه على نبيه موسى (ع) فيما أمرهم به و نهاهم عنه، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٠

فقال: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» الآيات بعدها منبهاً بذلك أصحاب رسول الله محمد (صلى الله عليه و آله) على مواضع حظوظهم من الوفاء لله بما عاهدهم عليه و تعريفهم سوء عاقبه هل الكتاب في تضييعهم من الوفاء لله بما عاهدهم عليه و ما ضيعوا من ميثاقه الذي واثقهم به في أمره و نهيه زاجراً لهم عن نكث عهده لئلا يحل بهم ما حل بمن تقدم من الناكثين عهده من اهل الكتاب.

و قال ابو الجارود عن أبي جعفر (ع)- الميثاق هو ما بين لهم في حجة الوداع من تحريم كل مسكر و كيفية الوضوء على ما ذكره الله و غير ذلك و نصب امير المؤمنين (عليه السلام) اماماً للخلق و هذا داخل فيما حكيناه عن ابن عباس إذ هو بعض ما أمر الله به.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨]..... ص: ٤٦٠

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)

آية - بلا خلاف -

هذا خطاب للمؤمنين أمرهم الله تعالى ان يكونوا قوامين بالقسط أى قائمين بالعدل يقومون به، و يدومون عليه شهداء. الله أى مبيّنون عن دين الله، لان الشاهد يبين ما شهد عليه.

و «قوامين» نصب بانه خبر كان (شهداء) نصب على الحال.

و قوله: «و لا يجرمنكم» قد فسرناه فيما مضى. قال الكسائي: و ابو عبيد معناه لا يحملنكم بغض قوم على الا تعدلوا يقال: جرمنى فلان على أن فعلت كذا أى حملنى عليه و قال الفراء يجرمنكم يكسبنكم يقال: جرمت على أهلى أى كسبتهم. و فلان جريمة أهله أى كاسبهم قال الكسائي: و فيه لغتان جرمت أجرم جرماً و أجمرت أجراماً. و شأن قال الكسائي: معناه البغض و فيه لغتان: فتح التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦١

النون الاولى و جزمها. و قد بينا اختلاف القراء فيه. قال الزجاج: من حرك النون أراد بغض قوم. و من سكن أراد بغض قوم. و حكى ايضاً جرم و أجمرت لغتين و قيل أجمرت أدخلته فى الجرم كما قيل آثمته و معناه أدخلته فى الإثم و المعنى لا يحملنكم شأن قوم اى بغض قوم ألا تعدلوا فى حكمكم فيهم، و سيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم. و

قال عبد الله بن كثير: نزلت هذه الآية فى يهود حين مضى النبى (ص) إلى حصن بنى قريظة يستعينهم فى دية فهموا أن يقتلوه، فنزلت هذه الآية، ثم أمرهم بعد النهى عن الجور أن يفعلوا العدل مع كل أحد ولياً كان أو عدواً

، فان فعل العدل أقرب لكم أيها المؤمنون إلى التقوى، ثم حذرهم تعالى فقال: «و اتَّقُوا اللَّهَ» أى خافوا عقابه باجتناب معاصيه و فعل طاعاته، فان الله خير أى عالم بأعمالكم و الكناية فى قوله: «هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى كَنَايَةٌ عَنِ الْعَدْلِ أَيْ الْعَدْلُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، و لو لم يكن هو فى الكلام، لكان أقرب نصباً، كما قال: انتهوا خيراً لكم و كنى عن الفعل فى هذا الموضع بهو.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٩]..... ص: ٤٦١

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)

- آية بلا خلاف -

وعد الله تعالى فى هذه الآية الذين صدقوا بوحدانية الله و أقروا بنبوته نبيه محمد (صلى الله عليه و آله) و عملوا الصالحات ان لهم مغفرة و وعدهم مغفرة و وقعت الجملة موقع المفرد كما قال الشاعر:

وجدنا الصالحين لهم جزاء و جنات و عيناً سلسبيلاً

و تكون الجملة التى هى لهم مغفرة فى موضع النصب، و لذلك عطف فى البيت و عيناً، فنصب على الموضع، و يحتمل أن يكون موضع (لهم مغفرة) فى موضع الرفع، و يكون الموعود به محذوفاً، و يكون التقدير لهم مغفرة و أجر عظيم فيما التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٢

وعدهم أو لهم مغفرة و أجر عظيم هو الجنة. و هو معنى قول الحسن و الجبائى و الوعد، هو الخبر الذى يتضمن النفع من المخبر. و الوعيد: هو الخبر الذى يتضمن الضرر من المخبر. و تقول: وعدته خيراً و أوعدته شراً و الا يعاد مطلقاً يكون فى الشر.

و الوعد مطلقاً فى الخير، فإذا قيدته بذكر الخير او الشر، قلت فيهما معاً وعدته و أوعدته معاً فيما حكاه الزجاج. و المغفرة أصلها التغطية و معناها تكفير السيئة.

و التكفير ايضاً: التغطية و منه تكفر فى السلاح: إذا تغطى به قال لبيد:

فى ليله كفر النجوم غمامها

و الأجر المذكور في الآية هو الثواب الذي وعد الله المؤمنين به على فعلهم الطاعات. و الفرق بين الثواب و الأجر في العرف أن الثواب هو الجزاء على الطاعات. و الأجر قد يكون مثل ذلك و قد يكون في المعنى المعاوضة على المنافع بمعنى الأجر.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٠]..... ص: ٤٦٢

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠)
- آية -

قوله: «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه جحدوا توحيد الله، و صفاته و عدله، و أنكروا نبوة نبيه، و الاعتراف بما جاء به من عند الله، و كذبوا بآيات الله أخبر الله عنهم أنهم اصحاب الجحيم. و جحيم اسم من اسماء جهنم، فعلى هذا قوله، «و الذين» في موضع رفع على الابتداء «و كفروا» في صلة الذين و كذبوا بآياتنا عطف على ما في الصلة. و قوله: أولئك اصحاب الجحيم جملة في موضع خبر الذين. و حد الكفر عندنا كل معصية يستحق بها عقاب دائم، لان ما ليس بكفر من المعاصي لا يستحق عليه إلا عقاب منقطع، ثم ينقسم قسمين فان كان كفر ردة، تعلق عليه أحكام من منع الموارثة من المسلم و الصلاة عليه، و الدفن في مقابر المسلمين، و غير ذلك. و ان كان كافر مله بأن يكون مظهراً للشهادتين لم يجر عليه شيء من هذه الأحكام. و قال قوم: إن الكفر أعظم الأجرام، لأنه جحد أنعم الله، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٣

و نعمته أعظم النعم، و يستحق عليها أعظم الشكر، فيجب أن يكون كفرها و جحدها أعظم الاجرام و المكذب بآيات الله، و ان يعلمها آيات، فهو كافر إذا كان له سبيل إلى معرفتها. و معنى أصحاب الجحيم أنهم يخلدون في النار، لان المصاحبة تقتضى الملازمة كما يقال اصحاب الصحراء بمعنى الملازمين لها.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١١]..... ص: ٤٦٣

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)
- آية بلا خلاف -

هذا خطاب للمؤمنين ذكرهم الله نعمته عليهم حين هم قوم أن يبسطوا اليهم أيديهم. و اختلفوا في الباسطين أيديهم على خمسة اقوال: فقال مجاهد و قتادة و ابو مالك: هم اليهود هموا بأن يقتلوا النبي (ص) لما مضى إلى بنى قريظة يستعين بهم على دية مقتولين من بنى كلاب بعد بئر معونة كانا وفدا على النبي (صلى الله عليه و آله) فلقيهما عمرو بن أمية الضمري فقال: أ مسلمين؟ فقالا: بل رافدين، فقتلها، فقال له النبي (ص) قتلت قتيلين قبل أن يبلغا الماء و الله لا دينهما. و مضى إلى يهود بنى قريظة يستعين بهم. و قيل: كان يستقرض لأجل الدية لأنه كان يحملها، فهتم بنو قريظة بالفتك به و بقتله، فأعلم الله تعالى النبي (ص) ذلك فانصرف عنهم.

و قال الحسن: إنما بعثت قريش رجلا- ليفتكك بالنبي (صلى الله عليه و آله) فاطلع الله نبيه على أمره و منعه الله منه، لأنه دخل على النبي (ص) و سيفه مسلول فقال له: أرنيه فأعطاه إياه، فلما حصل في يده قال: ما الذي يمنعني من قتلك؟ فقال النبي (صلى الله عليه و آله) الله يمنعك فرمى بالسيف و أسلم.

و اسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن أمية ليغتاله (صلى الله عليه وآله) بعد بدر، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٤

فاعلمه الله ذلك. و كان ذلك سبب إسلام عمرو بن وهب.

و قال الواقدي. غزا رسول الله (ص) جمعاً من بنى ذبيان و محارب بنى أمر فتحصنوا براءوس الجبال، و نزل رسول الله (ص) بحيث يراهم، فذهب لحاجته فأصابه مطر فبل ثوبه، فنشره على شجرة و اضطجع تحته بعيداً من أصحابه، و الاعراب ينظرون اليه فأخبروا سيدهم دعشور بن الحارث المحاربي فجاء حتى وقف على رأسه بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد (ص) من يمنعك مني اليوم؟ فقال: الله و دفع جبرائيل في صدره و وقع السيف من يده، فأخذه رسول الله (ص)، و قام على رأسه و قال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال: لا احد و انا اشهد ان لا اله إلا الله، و ان محمداً رسول الله (ص) فنزلت الآية.

و قال ابو علي الجبائي المعنى بذلك ما لطف الله (تعالى) المسلمين من كف أعدائهم عنهم حين هموا باستئصالهم بأشياء شغلهم بها من الأمراض و القحط، و موت الأكابر، و هلاك المواشي و غير ذلك من الأسباب التي انصرفوا عنها عن قتل المؤمنين: و قال ابن عباس. كانت اليهود دعوا رسول الله (ص) إلى طعام لهم، و عزموا على الفتك به، فاعلم الله ذلك نبيه (ص) فلم يحضر. و قال آخرون: نزلت الآية فيما عزم المشركون على الإيقاع بالنبي (ص) و أصحابه يوم بطن النخلة إذا دخلوا في الصلاة، فاعلمه الله ذلك، فصلى بهم صلاة الخوف. و انما جعل الله تخلص النبي مما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث كان إمامهم و سيدهم، و كان مبعوثاً اليهم بما فيه مصالحهم، فمقامه بينهم نعمة على المؤمنين، فلذلك اعتد به عليهم. و قال قوم: هو مردود على قوله: «الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ» و معناه جملة الظفر.

اللغة:..... ص: ٤٦٤

و الذكر هو حضور المعنى للنفس يقال: ذكر يذكر ذكراً. و اذكروه إذكاراً و تذاكروا تذاكراً. و ذاكره مذاكرة. و ذكره تذكيراً. و استذكر استذكراً و اذكر اذكراً.

و قد يستعمل الذكر بمعنى القول، لأن من شأنه أن تذكر به المعنى. و التذكر هو طلب التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٥ المعنى لا طلب القول. و الفرق بين الذكر و العلم ان الذكر ضده الجهل. و قد يجمع الذكر للشئ و الجهل به من وجه واحد. و محال ان يجتمع العلم به و الجهل به من وجه واحد و الفرق بين الذكر و الخاطر أن الخاطر مرور المعنى على القلب. و الذكر حصول المعنى في النفس و ايضاً الذكر يجرى على نقيض النسيان، لأنه يستعمل بعد ما نسيه. و ليس كذلك الخاطر. و الهم بالأمر هو حديث النفس بفعله. يقال: هم بالأمر يهمهما. و منه الهم.

و هو الفكر الذي يغم. و جمعه هموم و اهتم اهتماماً. و أهمة الأمر إذا عني به، فحدث نفسه به و الفرق بين الهم بالشئ و القصد اليه انه قد يهم بالشئ قبل أن يريد و يقصده بان يحدث نفسه به و هو مع ذلك مميل في فعله ثم يعزم اليه و يقصد اليه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٢]..... ص: ٤٦٥

إشارة

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢)

- آية بلا خلاف -.

الميثاق: اليمين المؤكدة، لأنه يستوثق بها من الأمر، فأخذ الله ميثاقهم بإخلاص العبادة له، و الايمان برسله. و ما يأتون به من شرايع دينه.

و قوله: «بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا» فالنقيب فيه أربعة أقوال:

قال الحسن: هو الضمين و قال الربيع: هو الأمين.

و قال قتادة: هو الشهيد على قومه. و قال قوم: هو الرئيس من العرفاء.

اللغة:..... ص: ٤٦٥

و اصل النقيب في اللغة النقب و هو الثقب الواسع. و قال ابو مسلم: هو فعيل بمعنى مفعول كأنه اختير و نقر عليه، فقيل نقيب، لأنه ينقب

عن احوال التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٦

القوم، كما ينقب عن الاسرار. و منه نقاب المرأة. و منه المناقب و هي الفضائل.

و النقب: الطريق في الجبل. و يقال نقب الرجل على القوم ينقب نقبا: إذا صار نقيباً. و نكب عليهم ينكب نكابة: إذا صار منكباً. و هو

عون العريف. و قد نقب نقابة. و النقبه سراويل بغير رجلين لاتساع نقبه تلبسه المرأة. و أول الجرب النقبه و جمعها النقب. و النقب قال

الشاعر:

متبذلاً تبدوا محاسبه يضع الهاء مواضع النقب

و يقال: كلب نقيب إذا نقب حنجرته، لثلا يرتفع صوته في نباحه يفعل ذلك البخلاء، لثلا يطرقهم ضعيف بسماع نباح الكلاب. و منه

نقبت الحائط: إذا بلغت في النقب آخره.

و في معنى قوله: «اثنى عشر نقيباً» قولان:

أحدهما- قال الحسن و الجبائي: أنه أخذ من كل سبط منهم ضمناً بما عقد عليهم بالميثاق من امر دينهم.

الثاني قال مجاهد و السدي: إنهم بعثوا إلى الجبارين، ليقفوا على آثارهم و يرجعوا بذلك إلى موسى، فرجعوا ينهون قومهم على

قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم، و عظم خلقهم إلى اثنين منهم.

و قال البلخي: يجوز أن يكون النقباء رسلا و يجوز ان يكونوا قادة. و قوله:

«بعثا» لا- يدل على أنهم رسل، كما إذا قال القائل: الخليفة بعث الأمير أو القضاة لا يفيد أنهم رسل، بل يفيد أنه ولاهم و قلدهم. و

الغرض بذلك إعلام النبي (ص) أن هؤلاء الذين هموا بقتل النبي (ص) صفاتهم و أخلاقهم أخلاق أسلافهم الغدر، و نقض العهد.

و قوله: «و قال الله إني معكم» معناه ناصركم على عدوكم و عدوى الذي أمرتكم بقتالهم إن قاتلوهم، و وفيتهم بعهدى و ميثاقى الذى

أخذته عليكم. و فى الكلام حذف، و تقديره و قال الله: إني معكم. و إنما حذف استغناء بقوله: «و لقد أخذ الله ميثاق بينى إسرائيل»

ثم ابتدأ تعالى قسماً، لئن أقمتم الصلاة معشر بنى إسرائيل التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٧

«و آتيتم الزكاة» أى أعطيتموها «و آمنتم برسلى» معناه و صدقتم بما أتاكم به رسلى من شرائع دينى و قال الربيع بن أنس: هذا الخطاب

من الله للنقباء و قال غيره:

هو خطاب لبنى إسرائيل. و التقدير ان موسى (ع) قال لهم عن الله تعالى: إن الله ناصركم على عدوكم ما أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة

و آمنتم برسلى «و عززتموهم» قيل معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و السدي: معناه نصرتموهم و هو اختيار الزجاج.

الثانى- قال عبد الرحمن بن زيد: معناه و نصرتموهم و أطعتموهم. و به قال أبو عبيدة. و العزر- فى اللغة-: الرد و المنع فى قول الفراء

تقول: عزرت فلاناً: إذا أدبته، و فعلت به ما يردعه عن القبيح. و قال تعالى: «وَتُعْزِرُوهُ وَتُقَوِّوهُ» و معناه تنصروه. و إلا كان تكراراً. و هو اختيار الطبرى و أنشد أبو عبيدة فى التعزير بمعنى التوقير قول الشاعر:

و كم من ما جد لهم كريم و من ليث يعزر فى الندى «١»

أى يعظم. و هو قول أبى على.

و قوله: «وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» معناه و أنفقتم فى سبيل الله، و جهاد عدوه و عدوكم قرضاً حسناً. و قيل: معناه بطيئه نفس. و قيل معناه الا- يتبعه من و لا- أذى. و قيل من الحلال دون الحرام. و انما قال: قرضاً، و لم يقل إقراضاً، لأنه رده إلى قرض قرضاً، كما قال:

«أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا» «٢» و لم يقل إنباتاً و يقال: أعطيته عطاء. و قال امرؤ القيس:

و رضى فذلت صعبة اى إذلال «٣»

لان فيه معنى أذلت.

و قوله: «لَا كُفْرَانَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» اللام جواب القسم. و هو قوله: «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ» فالأولى لام القسم و الثانية جوابه. و قال قوم: كل واحد منهما

(١) مجاز القرآن لابی عبيدة: ١٥٧ و تفسير الطبرى ١٠: ١٢٠. الندى مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه.

(٢) سورة نوح، آية ١٧.

(٣) ديوانه: ١٤١. راض الدابة علمها السير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٨

قسم. و صحيح الأول، لان الكلام لم يتم فى قوله: «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ» و معنى «لَا كُفْرَانَ» لأعطين بعفوى و صفحى عن عقوبتكم على ما مضى اجرامكم، و لأدخلنكم مع ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار و الجنات البساتين و الكفر و معناه الجحود، و التغطية و الستر. قال ليلى:

فى ليلة كفر النجوم غمامها «١»

و قوله تجرى من تحتها يعنى من تحت أشجار هذه الجنات الأنهار.

و قوله: فمن كفر بعد ذلك منكم يعنى من جحد منكم يا معشر بنى إسرائيل ما أمرته به، فتركه أو ركب ما نهيته عند بعد اخذى الميثاق عليه، فقد ضل يعنى أخطأ قصد الطريق الواضح، و زال عن منهاج السبيل القاصد. و الضلال هو الركوب على غير هدى. و سواء السبيل يعنى وسطه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٣]..... ص: ٤٦٨

إشارة

فَبِمَا نَفَضَتْ هِمَّ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)

- آية بلا خلاف -.

القراءة:..... ص: ٤٦٨

قرأ حمزه و الكسائي قسيه بلا الف - وقرأ الباقون قاسية - بالف .

المعنى: ص: ٤٦٨

المعنى بالآية تسلية النبي (ص) فقال الله له: لا تعجب من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا أيديهم اليك و إلى أصحابك و نكتوا العهد الذي بينك

(١) - انظر ا: ٦٠ .

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٦٩

و بينهم، و غدروا بك، فان ذلك من عاداتهم، و عادات أسلافهم، لاني أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى على طاعتي، و بعثت منهم اثني عشر نقيباً، فنقضوا ميثاقى، و نكتوا عهدي، فلعنهم بنقضهم ميثاقهم. و فى الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر عليه. و المعنى فمن كفر بعد ذلك منكم، فقد ضل سواء السبيل، فنقضوه، فلعنتم فيما نقضهم ذلك لعناهم فاكتفى بقوله: فيما نقضهم من ذكر فنقضوا.

(و ما) زائدة و التقدير بنقضهم (و ما) مؤكدة. و هو قول قتادة و جميع المفسرين و مثله قول الشاعر:

لشيء ما يسود من يسود

و الهاء و الميم كنايةان عن بنى إسرائيل و اللعن هو الطرد للسخط على العبد، و هو الابعاد من رحمة الله على جهة العقوبة. و قال الحسن: هو المسخ الذى كان فيهم حين صاروا قرده، و خنازير. و معنى جعلنا- ها هنا- قال البلخي: سميها بذلك عقوبة على كفرهم، و نقض ميثاقهم. قال: و يجوز أن يكون المراد ان الله بكفرهم لم يفعل بهم اللطف الذى تشرح به صدورهم كما يفعل بالمؤمن. و ذلك مثل قولهم: أفسدت سيفك: إذا تركت تعاهده حتى صدئ. و يقولون: جعلت أظفرك سلاحك: إذا لم تقصها. و يشهد للأول قوله تعالى: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ» و أراد بذلك انهم سموا لله شركاء. و قال ابو على: هو البيان عن حالهم، و جفا قلوبهم عن الايمان بالله و رسوله، كما يقال: جعلته فاسقاً مهتوكاً: إذا أبان عن حاله للناس.

و معنى قاسية. أى يابسئ يقال للرحيم: لين القلب، و لغير الرحيم: قاسى القلب. و القاسى و القاسح - بالحاء - الشديد الصلابة. و يقال: قسا يقسو قسوة و منه «فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» و قسيه أشد مبالغة. و قاسية أعرف و أكثر فى الاستعمال. و قال ابو عبيدة: قاسية معناه فاسدة من قولهم: درهم قسى أى زائد قال أبو زيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٠

لها صواهل فى صم السلام كما صاح القسيات فى ايدى الصياريف.

يصف وقع المساحى فى الحجارة. و قال ابو عباس. الدرهم انما سمي قسياً إذا كان فاسداً لشدة صوته بالقس الذى فيه، فهو راجع الى الاول. و قال الراجز:

وقد قسوت و قسا لداتي

و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» فالتحريف يكون بأمرين: بسوء التأويل، و بالتغيير و التبديل، كما قال تعالى: «وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» بعد قوله: «وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ» و الكلم جمع كلمة.

و قوله: «وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» معناه تركوا نصيباً مما ذكروا به يعنى مما أنزل على موسى. و هو قول الحسين و السدى و ابن عباس.

و قوله: «وَ لَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ» معناه على خيانه منهم و فاعله فى اسماء المصادر كثير، نحو عافاه الله عافية. و الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ وَ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاعِيَةِ و يقال: قائله بمعنى القيلولة. كل ذلك بمعنى المصدر و راغية الإبل و تاغية الشاة. و يقال: رجل خائنه قال

الشاعر:

حدثت نفسك بالوفاء و لم تكن للغدر خائنه مغل الإصبع
فخائنه على وجه المبالغة، كما قالوا: رجل نسابه، لأنه يخاطب رجلا.
و معناه لا تخن، فتغلل إصبعك في المتاع أى تدخلها الخيانة، و مغل بدل من خائنه.
و يجوز أن يكون على خائنه معناه على فرقه خائنه.
و قوله: «إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ» نصب على الاستثناء من الهاء و الميم فى قوله:
«عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ» .

و قوله: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» قال قتادة: هو التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧١
منسوخ بقوله: «فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» و قال ابو على بقوله: «وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» و
قال البلخى: يجوز أن يكون أمر بالعفو و الصفح بشرط التوبة أو بذل الجزية، لأنهم إذا بذلوا الجزية لا يؤاخذون بشيء من كفرهم. و
هو قول الحسن، و جعفر بن مبشر. و اختار الطبرى هذا. فعلى هذا لا- يكون منسوخا و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» لا- يدل على أنه جعل
قلوبهم قاسية، ليحجروا بل يحتمل أمرين:
أحدهما- ان يكون كلاماً مستأنفاً و يكون التمام عند قوله: «قاسية» ثم أخبر عنهم بأنهم يحرفون الكلام عن مواضعه.
الثانى- أن يكون ذلك حالا، لقوله: «فبما نقضهم ميثاقهم يحرفون» أى يحرفون الكلم ناسين لحفظهم «لَعَنَاهُمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً» .

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٤]..... ص: ٤٧١

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)
- آية بلا خلاف-

قوله: «وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى انما لم يقل: من النصارى لما قاله الحسن: من أنه أراد تعالى بذلك أن يدل على أنهم ابتدعوا
النصرانية التى هم عليها اليوم، و تسموا بها.
و قوله: «أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ» يعنى بتوحيد الله عز و جل، و الإقرار بنبوة المسيح، و جميع أنبياء الله و انهم كلهم عبيد الله لا يذكر. و قال ابو
على: معناه تركوا العمل به، فكان كالذى لا يذكر.
و قوله: «مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» يعنى فيما أنزله الله على موسى و عيسى فى التوراه و الإنجيل، و الكتب المتقدمه. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣،
ص: ٤٧٢

و قوله: «فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ» قال مجاهد و قتاده و ابن زيد و السدى و الجبائى:

معناه بين اليهود و النصارى. و قال الربيع و الزجاج و الطبرى:

معناه بين النصارى. و هو ما وقع بينهم من الخلاف نحو الملكية، و هم الروم و النسطورية و يعقوبية من العداوة. و أصل الإغراء تسليط
بعضهم على بعض.

و قيل: معناه التحريش. و أصله اللصوق. يقال: غريت بالرجل غرى- مقصور و ممدود- و معناه لصقت به. قال كثير:

إذا قيل مهلا قالت العين بالبكاء غراء و مدتها حوافل تهمل

و أغريت زبداً بكذا حتى غرى به. و منه الغراء الذى يغرى به للصوص و الإغراء بالشىء معناه الإلصاق من جهة التسليط. و انما أغرى
بينهم بالأهواء المختلفه فى الدين فى قول إبراهيم. و قيل: بإلقاء البغضاء بينهم- عن الحسن و قتاده- و قيل:

يأمر بعضهم أن يعادى بعضاً في قول أبي على فكأنه يذهب إلى ما تقدم من الامر لهم بمعاداة الكفار. و الذي يقوله أن الوجه في إغراء الله فيما بينهم أنه امر النصارى بمعاداة اليهود فيما يفعله اليهود من القبيح في التكذيب بالمسيح، و شتم امه، و القذف لها و الغريه عليها، و اضافتها اليه تعالى، و وصفها بما لا يليق، و امر اليهود بمعاداة النصارى في اعتقادهم الثلاث، و ان المسيح ابن الله و غير ذلك من اعتقاداتهم الفاسدة، نقضوا هذا الميثاق و عرضوا عنه حتى صار بمنزلة المنسى فكان في ذلك أمر كل واحد منهما بالطاعة، فان قيل يمنع من ذلك قوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعَزَّنَا فِي بَيْنِهِمْ الْعِدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءَ» فجعل اغراء لهم بالعداوة جواباً لقوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» لان الفاء تدل على الجواب. و إذا كانت جواباً، و جب أن يكون (تعالى) إنما أغرى بينهم لأجل نسيانهم للحظ الذي ذكروا به، و انه عاقبهم بهذا الإغراء، و ليس في الامر و النهى و العبادات عقوبات - بلا - خلاف - فدل جوابه بالفاء في قوله: «فَأَغْرَيْنَا» عقيب قوله: «فَنَسُوا حَظًّا» على أنه عاقب بالإغراء لا على ما قلموه؟ قيل: قوله: «فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ» جوابه و انه فعل هذا الإغراء، لأجل نسيانهم. غير أنه ليس بعقوبة، و ان كان جواباً. فكا التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٣

لأجل نسيانهم. غير أنه ليس بعقوبة، و ان كان جواباً. فكان الإغراء إنما وقع بينهم من أجل نسيانهم لحظهم من قبل أنهم نسوا ما ذكروا به من معرفة التوحيد، و التدوين به، فصاروا إلى القول بالاتحاد و الشرك و القرية عليه (تعالى) فلأجل ذلك أمر الله أصدادهم بمعاداتهم، و اغرائهم بهم. فان قيل: فان الله (تعالى) ذكر النصارى في هذه الآية بنسيان حظهم ثم أجاز بالفاء في قوله: «فَأَغْرَيْنَا فِي بَيْنِهِمْ» و ليس يصح على هذا أن يكون أغرى بينهم من اجل ما فعله النصارى من الكفر، لأنه إذا أمر اليهود بمعاداة النصارى، لأجل نسيان النصارى و كفرهم فإنما هذا عن امر الله اليهود بهم، و ليس بإغراء بعضهم ببعض، و قوله: «فَأَغْرَيْنَا فِي بَيْنِهِمْ» يدل على ان الله بعث كل واحد من الفريقين على صاحبه، و هذا يوجب خلاف قولكم؟! قيل: الامر على ما قلمت من أن امر اليهود بمعاداة النصارى هو إغراء لهم بهم، و ليس بإغراء بين النصارى، لكنه تعالى قد ذكر اليهود فيما تقدم من هذه السورة، و تكذيبهم، و فريتهم على الله، ثم ذكر النصارى، فلما جمع بين الفريقين في الذكر في هذه السورة، و ان لم يجمعهم في هذه الآية، جاز ان يذكر انه اغرى بينهم العداوة بان امر كل واحد منهما بمعاداة عدوه فيما عصى فيه. و صح الإغراء بينهم و إلقاء العداوة و التباعد و المنافرة، و صح أن يجعل ذلك جواباً. و قد قال البلخي جواباً آخر: و هو ان يكون الإغراء بين النصارى خاصة لبعضهم البعض على ظاهر الآية، و هو أن الله تعالى نصب الادلة على إبطال قول كل فرقة من فرق النصارى، فإذا عرفت طائفة منها فساد مذهب الأخرى فيما نصب الله لها من الادلة، و ان جهلت فساد مقالة نفسها لتفريطها في ذلك، و سوء اختيارها، فجاز على هذا أن يضاف الإغراء في ذلك إلى الله من حيث انه امر كل فرقة منها بمعاداة الاخرى على ما تعتقده، و ان أمرها ايضاً بأن تترك ما هي متمسكة به لفساده و هذا واضح بحمد الله، فان قيل: أ يجوز على هذا ان يقال ان الله اغرى بين المؤمنين و الكفار العداوة؟

قلنا: اما إغراء المؤمن بالكفار فصحيح، و اما إغراء الكافر بالمؤمن، فليس بصحيح، لان ما عليه المؤمنون حق، و ما عليه الكفار، باطل.

و إنما يقال: إن الله اغرى بين التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٤

قوم و قوم إذا كان على بطلان قول كل طائفة منهما دليل يدل على فساد قول من يخالفها فعلى هذا لا يصح إطلاق القول بما قالوه، و متى قيد القول على ما بيناه، جاز، و أن لم يخبر مع الإطلاق.

و قوله: «وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» لما قال (تعالى) لنبية:

«فَاعْفُ عَنَّهُمْ وَ اصْفَحْ» بين انه من وراء الانتقام منهم، و انه سيجازيهم عند ورودهم عليه، بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض الميثاق، و نكث العهد و يعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): الآيات ١٥ الى ١٦]..... ص: ٤٧٤

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ

(١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)

آيتان كوفي و ثلاث بصرى و مدنى. هذا خطاب لأجل الكتاب من اليهود و النصارى الذين عصوا الرسول فيما أمرهم به، و دعاهم اليه، فقال لهم قد جاءكم رسولنا محمد (صلى الله عليه و آله) يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب أى يبين للناس ما كنتم تخفونه. و قال ابن عباس و قتادة: إن مما بينه رجم الزانين، و أشياء كانوا يحرفونها بسوء التأويل. و انما لم يقل: يا أهل الكتابين، لأن الكتاب اسم جنس. و فيه معنى العهد، و هو أو جزوا حسن فى اللفظ من حيث كانوا، كأنهم أهل كتاب واحد. و الوجه فى تبين بعضه، و ترك بعضه أنه يبين ما فيه دلالة على نبوة النبى (ص) من صفاته، و نعته، و بشارته به، و ما يحتاج إلى علمه من غير ذلك مما تنفق له الأسباب التى يحتاج معها إلى استعمال ذلك، كما اتفق فى الرجم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٥ و ما عدا هذين مما ليس فى تفصيله فائدة يكفى ذكره فى الجملة.

و قوله: «وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» معناه يترك كثيراً لا يأخذكم به، و لا يذكره لأنه لم يؤمر به على قول أبى على و قال الحسن: و يصفح عن كثير بالتوبة منه.

و معنى النور فى الآية يحتمل أمرين:

أحدهما- أنه النبى (صلى الله عليه و آله) فى قول الزجاج.

والاخر- هو القرآن على قول أبى على و انما سمي نوراً، لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور، و يجب ان يتبع لأنه نور مبين عن الحق من الباطل فى الدين. و الاولى ان يكون كناية عن النبى، لأن قوله: «وَكِتَابٌ مُبِينٌ» المراد به القرآن، و قوله: «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ» يعنى يفعل اللطف المؤدى الى سلوك طريق الحق يعنى بالنبى (صلى الله عليه و آله) او الكتاب «مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ» يعنى رضا الله و الرضوان الرضا من الله ضد السخط. و هو ارادة الثواب لمستحقه و قال قوم: هو المدح على الطاعة و الثناء. و قال الرمانى: هو جنس من الفعل يقتضى وقوع الطاعة الخالصة مما يبطلها، و يضاف الغضب. قال لان الرضا بما كان يصح، و ارادة ما كان لا يصح إذ قد يصح أن يرضى بما كان، و لا يصح أن يريد ما كان. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشىء من الغير، غير انها لا تسمى بذلك إلا إذا وقع مرادها، و لم يتخللها كراهة، فتسميتها بالرضا موقوفة على وقوع المراد إلا أن بعد وقوع المراد بفعل ارادة هى رضا لما كان فسقط ما قاله.

و قوله: «سُبُلَ السَّلَامِ» السبل جمع سبيل. و فى السلام قولان:

أحدهما- هو الله فى قول الحسن و السدى- و المعنى دين الله. و قال:

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ» الثانى- قال الزجاج: إنه السلامة من كل مخافة و مضرة إلا ما لا يعتد به، لأنه يؤول إلى نفع فى العاقبة.

و قوله: «يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ» معناه من الكفر الى الايمان، لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير فى الظلام، و يهتدى بالايمان إلى النجاة كما التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٦

يهتدى. بالنور و قوله: «بإذنه» معناه بلطفه.

و قوله: «يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» معناه يرشدهم إلى طريق الحق. و هو دين الحق. و قال الحسن: هو الذى يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة. و به قال أبو على. و معنى «صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» طريق مستقيم و هو دين الله القويم الذى لا اعوجاج فيه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٧]..... ص: ٤٧٦

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)

آية بلا- خلاف- اللام في قوله: «لَقَدْ كَفَرَ» جواب للقسم و تقديره أقسم لقد كفر الذين قالوا. و انما كفروا بقولهم: إن الله هو المسيح بن مريم على وجه التدين به، لأنهم لو قالوه على وجه الحكاية منكرين لذلك لم يكفروا به. و انما كانوا بذلك كافرين من وجهين: أحدهما- انهم كانوا بالنعمة من حيث أضافوها إلى غير الله ممن ادعوا إلهيته.

و الثاني- كفر صفة لأنهم وصفوا المسيح و هو محدث بصفات الله تعالى، فقالوا: هو إله واحد فكل جاهل بالله كافر، لأنه لما ضيع حق نعمة الله، كان بمنزلة من أضافها إلى غيره و معنى من يملك من الله شيئاً من يقدر ان يدفع من أمر الله شيئاً من قولهم: ملكت على فلان أمره: إذا اقتدرت عليه حتى لا- يمكنه إنفاذ شيء من أمره الا- بك. و تقديره من يملك من أمره شيئاً. و وجه الاحتجاج بذلك انه لو كان المسيح إلهاً، لقدرة على دفع أمر الله إذا اتى بإهلاكه و إهلاك غيره، و ليس التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٧

بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم (تعالى) إذ ذلك من صفات المحتاج الدليل.

و قوله: «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا» انها لم يقل و ما بينهما مع ذكر السموات على الجمع، لأنه أراد به النوعين أو الصنفين كما قال الشاعر:

طرقاً فتلك هما همى اقريهما قلصاً لواقح كالقسي و حولا

فقال: طرفاً، ثم قال: فتلك هما همى. فان قيل: كيف حكى عنهم ان الله هو المسيح بن مريم. و عندهم هو ابن الله؟ قلنا: لأنهم زعموا انه اله. و هذا الاسم انما هو للاله بمنزلة ذلك، كما لو قال الدهرى: إن الجسم قديم لم يزل، و ان لم يذكره بهذا الذكر.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٨]..... ص: ٤٧٧

وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)
- آية بلا خلاف-

روى عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبي حين حذرهم بنقمة الله و عقوباته، فقالوا: لا تخوفنا فاننا أبناء الله و احباؤه و قال السدى: إن اليهود تزعم ان الله عز و جل أوحى الى بنى إسرائيل إن ولدك بكر من الولد. و قال الحسن: انما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد. و اما قول النصارى، فقليل فيه: إنهم تأولوا ما فى الإنجيل من قول عيسى اذهب الى أبى و أبيكم. و قال قوم: لما قالوا:

المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم، كما يقولون: هذيل شعراء أى منهم شعراء و كما قالوا فى رهط مسيلمه قالوا: نحن أنبياء أى قال قائلهم. و كما قال جرير:

ندسنا أبا مندوسه القين بالقنى

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٨

فقال: ندسنا. و انما النداس رجل من قوم جرير.

و قوله: «وَ أَحِبَّاؤُهُ» جمع حبيب، فقال الله لنبية محمد (صلى الله عليه و آله) قل لهؤلاء المفتريين على ربهم: «فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ» فلاى شيء يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم، فان الأب يشفق على ولده. و الحبيب على حبيبه، لا يعذبه و هم يقرون بأنهم معذبون، لأنهم لو لم يقولوا به، كذبوا بكتبهم و أباحوا الناس ارتكاب فواحشهم. و اليهود تقرر انهم يعذبون أربعين يوماً. و هى عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل.

و قوله: «بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ» معناه قل لهم: ليس الامر على ما زعمتم انكم أبناء الله و احباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بنى آدم ان أحسنتم

جوزيتم على إحسانكم مثلهم، و إن أسأتم، جوزيتم على إساءتكم، كما يجازى غيركم. و ليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه. و قوله: «يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ» فانه و ان علق العذاب بالمشيئة، فالمراد به المعصية، لأنه تعالى لا يشاء العقوبة إلا لمن كان عاصياً، فكان ذكرها أوجز و أبلغ، لما في ذلك من رد الامر الى الله الذي يجازى به على وجه الحكمة. (١)

و انما هذا وعيد من الله لهؤلاء اليهود و النصارى المتكئين على منازل أسلافهم في الجنان عندهم. فقال الله تعالى: لا تغتروا بذلك فإنهم نالوا ما نالوا بطاعتي و إثارت رضاي، لا بالاماني. و قال السدي: معنى «يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ» يعنى يهدى من يشاء في الدنيا فيغفر له، و يميت من يشاء على كفره، فيعذبه.

و قوله تعالى: «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» معناه انه يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه، فقد وجب اليأس مما قدروا من كل جهة، و أنه لا منجى لهم الا بالعمل بطاعة الله و اجتناب معاصيه. و قال أبو علي: ذلك بأنه يملك السموات، و الأرض و ما بينهما على أنه لا ولد له، لان المالك لذلك لا شبه له، و لان المالك لا يملك ولده لخلقه له.

و قوله: «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» معناه انه يؤول اليه امر العباد في أنه لا يملك ضرهم،

(١)- في المطبوعة (يجز بها).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٧٩

و لا- نفعهم غيره- عز و جل-، لأنه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما ملكهم في دار الدنيا كما يقال: صار أمرنا الى القاضى لا على معنى قرب المكان، و إنما يراد بذلك أنه المتصرف فينا و الأمر لنا دون غيره.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ١٩]..... ص: ٤٧٩

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)

- آية بلا خلاف-

هذا خطاب لليهود و النصارى ناداهم الله خصوصاً لينبههم على ما يذكر لهم.

و قوله (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ) يدل على أنه اختصه من العلم بما ليس مع غيره «عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ» يعنى على انقطاع من الرسل. و فيه دلالة على أن زمان الفترة: لم يكن فيه نبى. و الفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين. و الأصل فيها الانقطاع عما كان عليه من الجد فيه من العمل، يقال: فتر عن عمله و فترته عنه. و فتر الماء إذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة. و امرأة فاترة الطرف أى منقطعة عن حدة النظر. و فتور البدن كفتور الماء، و الفتر ما بين السبابة و الإبهام إذا فتحا. و قال الحسن: كانت هذه الفترة بين عيسى و محمد (ص) ستمائة سنة و قال قتادة خمسمائة و خمسين سنة. و قال الضحاك أربعمائة سنة و بعضاً و ستين سنة.

و قوله (أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) يدل على بطلان مذهب التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٠

المجبرة في القدرة، لان الحججة بمنع القدرة أو كد من الحججة بمنع اللطف، و تكون الحججة في ذلك لمن علم الله أن بعثه الأنبياء مصلحة لهم، فإذا لم يبعث، تكون لهم الحججة، فاما من لا- يعلم ذلك فيهم، فلا- حجة لهم، و ان لم يبعث اليهم الرسل. و معنى «أَنْ تَقُولُوا» ألا تقولوا «ما جاءنا من بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ».

على قول الفراء و غيره من الكوفيين، كقوله تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا» و معناه ألا- تضلوا. و قال البصريون: معناه كراهة أن تضلوا، و كراهة أن تقولوا، و حذف كراهة. كما قال «وَسَيَلِّ الْقُرْيَةَ» و إنما أراد أهلها. و أن «تقولوا» في موضع نصب عند أكثر

البصريين و قال الخليل و الكسائي:

موضعه الجر و تقديره لثلاثه تقولوا. و البيان الذى أتاها به النبى (ص) هو دين الإسلام الذى ارتضاه الله. و هو بيان نفس الحق من الباطل، و ما يجب.

و البشير هو المبشر لكل مطيع بالثواب. و النذير هو المنذر المخوف كل عاص لله بالعقاب ليتمسك المطيع بطاعته، و يجتنب العاصى لمعصيته. و الجملة التى ذكرناها قول ابن عباس و قتادة و جميع المفسرين.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٠]..... ص: ٤٨٠

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)

آية بلا خلاف فى هذه الآية اعلام من الله تعالى للنبي (ص) قديم تمادى هؤلاء اليهود فى الغى و بعدهم من الحق و سواء اختيارهم لأنفسهم و شدة خلافهم لانبيائهم مع التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨١

كثيرة نعم الله عليهم و تتابع أياديه و آلائه عليهم، مصلياً بذلك نبيه (ص) من مقاساتهم فى ذات الله. فقال: فاذا ذكر يا محمد إذ قال موسى لهم (يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم) و أياديه لديكم و آلائه عليكم. و هو قول ابن عباس و ابن عيينه.

و قوله (إذ جعل فيكم أنبياء) يعنى ان موسى ذكر قومه بنعمه عليهم، و بلائهم فقال لهم (اذكروا نعمت الله عليكم) إذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء يخبرونكم بأبناء لغيره، و لم يعط ذلك غيركم فى زمانكم هذا. و قيل ان الأنبياء الذين ذكرهم الله أنهم جعلوا فيهم هم الذين اختارهم موسى إلى الجبل: و هم السبعون الذين ذكرهم الله تعالى فقال (وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَائِعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا) «١» و قال قوم: هم الأنبياء الذين كانوا بعد موسى (ع).

و قوله (وَ جَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا) معناه سخر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم.

و قال قتادة: لأنهم أول من سخر لهم الخدم من بنى إسرائيل، و ملكوا. و قال قوم: كل من ملك بيتاً أو خادماً أو امرأةً و لا يدخل عليه إلا بأمره فهو ملك - كائناً من كان - ذهب اليه عمرو بن العاص و زيد بن اسلم و الحسن و الفراء قال:

هؤلاء إنما خاطبهم موسى بذلك لأنهم كانوا يملكون الدور و الخدم و لهم نساء و أزواج. و به قال الحسن و ابن عباس و مجاهد. و روى عن النبي (ص).

و قال السدى جعلهم ملوكاً يملك الرجل منهم نفسه و أهله و ماله. و قال الزجاج: جعلكم الله تملكون أمركم و لا يغلبكم عليه غالب. و قال البلخى:

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٥٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٢

ليس ينكر أن يكون الله يجعل لهم الملك و السلطان و وسع عليهم التوسعة التى يكون الإنسان بها ملكاً. و قال المؤرج: معناه - بلغة كنانة و هذيل - جعلكم أحراراً. و قال أبو على: الملك هو الذى له ما يستغنى به عن تكلف الاعمال و تحمل المشاق، و التسكع فى المعاش. و قال ابن عباس، و مجاهد: جعلوا ملوكاً باليمن و السلوى و الحجر و الغمام. و زاد الجبائى: و بغير ذلك من الأموال. و قال قوم: ملوكاً أنفسهم بالتخلص من الغيظ.

و قوله: (وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) يعنى أعطاكم ما لم يعط أحداً من عالمى زمانهم. و هو قول الحسن و البلخى. و قال أبو على: أعطاكم ما لم يعط أحداً من العالمين أى من اجتماع هذه الأمور و كثرة الأنبياء فيهم، و الآيات التى جاءتهم، إنزال المن و

السلوى عليهم. و هو قول الفراء و الزجاج.

و قال ابن عباس و مجاهد و الحسن: هذا خطاب موسى لأمته- و هو الأظهر- و قال سعيد بن جبير، و أبو مالك: هو خطاب من الله لأمه محمد (ص). و إنما قلنا: أن الاول أولى لأن الله أخبر حاكياً عن موسى (ع) أنه قال لهم (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكًا) ثم عطف على ذلك قوله:

(وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) فالعدول عن ذلك من غير ضرورة لا يجوز.

و قوله: «أنبياء» لا ينصرف في معرفة و لا نكرة لان علامة التانيث فيها لازمة مثل حمراء تانيث أحمر. و يخالف ذلك علامة التانيث في طلحة و قائمة تانيث قائم فلذلك انصرف هذا في النكرة دون المعرفة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٣

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢١]..... ص: ٤٨٣

يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لَا تَزِدُّوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١)
آية بلا خلاف.

هذه حكاية عن موسى (ع) أنه خاطب قومه و أمرهم بالدخول الى الأرض المقدسة و هي: بيت المقدس على قول ابن عباس، و ابن زيد، و السدي و أبي علي. و قال الزجاج و الفراء: هي دمشق و فلسطين و بعض الأردن. قال الفراء بتشديد النون- و قال قتادة: هي الشام. و قال مجاهد هي أرض الطور.

و المقدسة في اللغة: المطهرة. و قيل: إنها طهرت من الشرك و جعلت مسكناً و قراراً للأنبياء و المؤمنين، و الأصل التقديس، و هو التطهير، و منه قيل للسطل الذي يتطهر منه: القدس. و قيل: بيت المقدس لأنه يطهر من الذنوب. و منه تسيح الله و تقديسه سبحانه قدوس، و هو تنزيهه عما لا يجوز عليه من نحو الصحابة و الولد و الظلم و الكذب.

و قوله: «كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» يعني في اللوح المحفوظ. فان قيل: كيف كتب الله لهم مع قوله «فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ»؟ قلنا عنه جوابان: أحدهما- قال ابن إسحاق: إنها كانت هبة من الله لهم ثم حرمهم إياها.

و الثاني- إن ظاهر ذلك يقتضي العموم بأن الله كتب لهم، فلما قال «فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» استثنى ذلك من جملته. و يحتمل أن يكون المراد انها يدخلها قوم منهم. و قيل: ان القوم الذين كتب لهم دخولها غير الذين حرم عليهم، و الذين كتب لهم دخولها مع يوشع بن التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٤

نون بعد موت موسى بشهرين.

و قوله: «وَ لَا تَزِدُّوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ» فيه قولان:

أحدهما- لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته- في قول أبي علي.

الثاني- لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها.

و قوله «فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- أنه كان فرض عليهم دخولها كما فرضت الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج، فلما لم يفعلوا فقد خسروا الثواب. هذا قول قتادة و السدي.

و الثاني- أنه أراد بذلك خسران حظهم كالخسران في البيع بذهاب رأس المال.

و خاسرين نصب على الحال، و العامل فيه «فتنقلبوا» دون قوله «وَ لَا تَزِدُّوا».

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٢]..... ص: ٤٨٤

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكَ لَنُدْخِلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)

آية بلا- خلاف هذه حكاية من الله عن قوم موسى لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة، انهم قالوا: إن في الأرض قوماً جبارين، و نصب (جبارين) ب (أن) و (فيها) خبر (إن) قدم على الاسم. و الجبار هو الذى لا ينال بالقهر و أصله- فى النخل- ما فات اليد طولاً و الجبار من الناس هو الذى يجبرهم على ما يريد.

و قال ابن عباس: بلغ من جبرية هؤلاء القوم أنه لما بعث موسى من قومه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٥ اثني عشر نقيباً ليخبروه، خبرهم، رآهم رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم فى كفه مع فاكهة كان حملها من بستانه و أتى بهم الملك فترهم بين يديه و قال معجباً للملك منهم: هؤلاء يريدون قتالنا؟! فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا. و قال قتادة و مجاهد مثله. قال مجاهد كانت فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود لهم خمسة رجال بالخشب. و يدخل فى قشر نصف رمانه خمسة رجال. و ان موسى كان طوله عشرة أذرع و له عصا طولها مثل ذلك و نزا من الأرض مثل ذلك، فبلغ كعب عوج بن عوق فقتله. و قيل كان سريره مائة ذراع.

و أصل الجبار من الإجبار على الامر و هو الإكراه عليه. و الجبر جبر العظم و هو كالاكراه على الصلاح. قال العجاج:
قد جبر الدين الاله فجبر و عور الرحمن من ولى العور «١»

أى أصلحه و لأمه كجبر العظم كرهاً. و الجبار هدر الأرش لأن فيه معنى الكره. و الجبار فى صفات الله صفة التعظيم، لأنه يفيد الاقتدار، و تقول: لم يزل الله جباراً بمعنى أن ذاته تدعو العارف بها إلى تعظيمها. و الفرق بين الجبار و القهار أن القهار هو الغالب لمن ناوأه أو كان فى حكم المناوئ بمعصيته إياه، و لا يوصف فيما لم يزل بأنه قهار. و الجبار فى صفة المخلوقين صفة ذم، لأنه يتعظم بما ليس له من العظمة. فان العظمة لله تعالى. و قوله (وَإِنَّا لَنَنذُرُكَ لَنُدْخِلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا) يعنى هؤلاء الجبارين

(١) لسان العرب (جبر)، (عور)، و العور هنا بمعنى قبح الامر و فساده، تقول: عورت عليه أمره أى أفسدته عليه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٦

«فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» تمام الحكاية عن قوم موسى.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٣]..... ص: ٤٨٦

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)

آيتان فى البصرى و آية عند الباين.

هذا إخبار من الله تعالى عن رجلين من جملة النقباء الذين بعثهم موسى لتعرف خبر القوم. و قيل هما يوشع بن نون، و كالب، و قيل كلاب بن يوفنا، فى قول ابن عباس و مجاهد و السدى و قتادة و الربيع. و قال الضحاك: هما رجلان كانا فى مدينة الجبارين و كانا على دين موسى (ع). و قوله «مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ» قال قتادة: يخافون الله- عز و جل- و قال أبو على يخافون الجبارين أى لم يمنعهم الخوف من الجبارين أن قالوا الحق «أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا» بالتوفيق للطاعة. و قال الحسن: أنعم الله عليهما بالإسلام. و كان سعيد بن جبير يقرأ «يخافون» بضم الياء. و روى تأويل ذلك عن ابن عباس: انهما كانا من الجبارين أنعم الله عليهما بالإسلام.

وقوله: «ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ» اخبار عن قول الرجلين انهما قالا ذلك. و إنما صار الظفر بدخول باب مدينة الجبارين لما رأوا من رعبهم و ما ألقى الله في قلوبهم من حكمة بأنه كتبها لهم، و ما تقدم من وعد موسى (ع) إياهم بأنهم إن دخلوا الباب غلبوا.

وقوله «وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه فتوكلوا على الله في التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٧ نصره إياكم على الجبارين إن كنتم مؤمنين بالله، و بما آتاكم به رسوله من عنده.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٤]..... ص: ٤٨٧

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)
آية بلا خلاف.

هذا اخبار عن قوم موسى أنهم قالوا: لا- ندخل هذه المدينة ما دام الجبارون فيها، لأنهم جنبا و خافوا من قتال الجبارين لعظم أجسامهم و شدة بطشهم، و لم يثقوا بوعد نبيهم بالنصر لهم عليهم و الغلبة لهم.

وقوله «فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ» إنما أبرز الضمير ليصح العطف عليه، لأنه لا يجوز العطف على الضمير قبل أن يؤكد. و إنما جاز في قوله «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ» «١» ذلك، لأن ذكر المفعول صار عوضاً عن المنفصل مثل (لا) في «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَ لَا آبَاؤُنَا» «٢» و إنما لم يقرن قوله «فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا» بالنكير- إذ الذهاب لا يجوز عليه تعالى- لأمرين:

أحدهما- لأن الكلام كله يدل على الإنكار عليهم و التعجب من جهلهم في تلقيهم أمر نبيهم بالرد له و المخالفة عليه.

الثاني- لأنهم قالوا ذلك على المجاز بمعنى و ربك معين لك- على ما ذكره البلخي- و الأول أقوى لأنه أظهر من أولئك الجهال. و إنما يتأول على ما قاله البلخي لو كانوا ممن لا يجوز عليهم مثل ذلك. و قال الحسن: هذا القول منهم يدل على أنهم كانوا مشبهة و أنهم كفروا بذلك بالله. و قال أبو علي: إن كانوا قالوه على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر، لان

(١) سورة يونس آية ٧١

(٢) سورة الانعام آية ١٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٨

ذلك جل بالله تعالى. و إن قالوه على وجه الخلاف فهو فسق.

فان قيل: هل يجوز وصفه تعالى بالقتال كما قال (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) «١» ؟

قلنا: هذا مجاز، و المعنى إن عداوته لهم عداوة المقاتل، و انه يحل بهم ما يحل بالمقاتل المستعلى بالاعتدار و عظم السلطان، و ليس كذلك قول هؤلاء الجهال.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٥]..... ص: ٤٨٨

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَأَفْرِقْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥)
آية بلا خلاف.

في هذه الآية اخبار من الله تعالى عما قاله موسى (ع) عقيب ما كان من قومه من الخلاف و قلة القبول على نبيهم، و خرج ذلك مخرج الغضب منه على قومه لما كان من عصيانهم إياه. و مثل ذلك لا يخرج إلا على غضب.

وقوله «لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي» مجاز، لأن الإنسان لا يصح أن يملك نفسه، لأن الأصل في الملك القدرة، و المالك هو القادر، و

محال أن يقدر الإنسان على نفسه، ثم من حق المملوك أن يكون مقدوراً عليه أو في حكم المقدور عليه في أن له أن يصرفه تصريف المقدور عليه كملك الإنسان للمال والعبد ونحوه، فلا يجوز على هذا أن يملك نفسه. ومعنى الآية أنه لما ملك تصريف نفسه في طاعة الله جاز أن يصف نفسه بأنه يملكها، لأنه مما يجوز أن يملكه. وقوله: «و أخى» لأنه كان أيضاً طائعاً له فيما يأمره به، فكان كالقادر عليه. و يحتمل موضعه أربعة أوجه:

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣١ و سورة ٦٥ المنافقون آية ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٨٩

أحدهما- الرفع على موضع (إن) و تقدره: إني لا أملك إلا نفسي و أخى لا يملك إلا نفسه.

الثاني- الرفع أيضاً بالعطف على الياء في (إني).

الثالث- النصب بالعطف على الياء في (إني).

الرابع- النصب بالعطف على نفسي.

وقوله «فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» قيل في الوجه الذي سأل الفرق بينه و بينهم قولان:

أحدهما- أن يحكم و يقضى بما يدل على بعدهم عن الحق و ذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان و لذلك القوا في التيه. هذا قول ابن عباس و الضحاك.

الثاني- قال أبو علي إنما دعا بأن يفرق بينه و بينهم في الآخرة بأن يكون هؤلاء في النار، و أن يكون هؤلاء في الجنة. و لو دعا بالهلاك في الدنيا لأهلكهم الله.

و قال قوم: إنما سأل أن ينصره الله عليهم حتى يرجعوا الى الحق. و قال البلخي معناه باعد، و افصل. و حكى عن المؤرج ان معناه: اقض- بلغه مدب- و الفرق الذي يدل على المباعده مثل قول الراجز:

يا رب فافرق بينه و بيني أشد ما فوّقت بين اثنين

و قوله «الفاسيقين» - في الآية- لا يدل على ان ما وقع منهم كان فسقاً لا كفراً، لأن الكفر قد يوصف بالفسق، لأن الفسق هو الخروج من الطاعة الى المعصية على وجه التمرد، و يكون ذلك في الكفر قال الله تعالى «إِلَّا إِلَيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» «١» و كان بذلك كافراً بلا خلاف.

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٥١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٠

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٦]..... ص: ٤٩٠

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)

هذه الآية إخبار من الله، و خطاب لموسى (ع) أن قومه قد حرم عليهم دخول بلد الجبارين أربعين سنة، و في كيفية التحريم قولان:

أحدهما- قول أكثر المفسرين: أنه تحريم منع كما قال الشاعر:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصرى انى امرؤ صرعى عليك محرم

يعنى دابته التى هو راكبها و يريد بذلك إني فارس لا يمكنك أن تصرعنى. و قال أبو علي: يجوز أن يكون المراد به تحريم تعبد- و

الأول هو الأظهر- و قال البلخي: يجوز أن يكونوا أمروا بأن يطوفوا فيه أربعين سنة يتيهون في الأرض يعنى في المسافة التى بينهم و

بينها. وقال الربيع: و كان مقداره ستة فراسخ. و قال مجاهد، و الحسن: كانوا يصبحون حيث أمسوا. و يسمون حيث أصبحوا. و قال الحسن: لم يمّت موسى (ع) في التيه. و روى عن ابن عباس أنه مات في التيه على علم منه فيه. و أما هارون فانه مات قبل موسى في التيه، و كان أكبر من موسى. و استخلف موسى يوشع بعده. و قال: إن الله بعثه نبياً. و في دخوله أيضاً مدينة الجبارين خلاف. و أصل التيه التحير الذى لا- يهتدى لأجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود. و أصله الحيرة. يقال: تاه يتيه تيهاً: إذا تحير. و تيهته و توهته، و الباء أكثر. و التيهاء- من الأرض- هى التى لا يهتدى فيها. يقال: أرض تيه و تيهاء. قال الشاعر: تيه أتاويه على السفاط

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩١

فان قيل: يجوز على جماعة- عقلا- كثيرين أن يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها؟ قلنا عنه جوابان: أحدهما- قال أبو على: يكون ذلك بأن تحول الأرض التى هم عليها إذا ناموا فيردهم الى المكان الذى ابتداءوا منه. الثانى. أن يكون بالاشتباه. و الأسباب المانعة من الخروج عنها إما بأن يمحو العلامات التى يستدل بها أو بان يلقى شبه بعضها على بعض، و يكون ذلك معجزة خارقة للعادة. و قيل: إن التيه كان عقوبة لهم بعدد الأيام التى عبدوا فيها العجل عن كل يوم سنة. و من قال هذا قال: لم يكن موسى و هارون فيها، أو كانا فيها غير متوهين، كما كان ابراهيم فى نار نمرود غير متألم بها. و قوله: (أربعين سنة) نضبه يحتمل أمرين:

أحدهما- على قول الربيع ب «محرمه» حرّمها عليهم أربعين سنة.

و الثانى- «يتيهون» على قول الحسن و قتادة، لأنهما قالوا: إنه ما دخلها أحد منهم. و قيل: انه دخلها يوشع بن نون و كالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين. قالوا لأنه لا- خلاف بين المفسرين أن دخلوها كان محرّم عليهم على طريق التأييد. و إنما دخلها أولادهم مع يوشع و كالب بن يوفنا. و قوله:

«فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» خطاب لموسى (ع) أمره الله أن لا يحزن على هلاكهم لفسقهم. و الاسى: الحزن يقال أسى بأسى أسى أى حزن قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى و تجمل

و قال الزجاج: هو خطاب للنبي (ص).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٢

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٧]..... ص: ٤٩٢

وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) آية بلا خلاف.

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى أراد أن يبين أن حال اليهود فى الظلم و نقض العهد و ارتكاب الفواحش من الأمور كحال ابن آدم قابيل فى قتله أخاه هابيل، و ما عاد عليه من الوبال بتعديه. فأمر نبيه أن يتلو عليهم اخبارهما و فيه تسلياً للنبي (ص) لما ناله من جهلهم بالتكذيب فى جحوده و تبكيت اليهود.

و قوله: «إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا» متعلق بنبي، و تقديره: اقرأ عليهم خبر ابنى آدم و ما جرى منهما إذ قربا قرباناً. و القربان يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البر و هو على وزن فعلان من القرب، كالفرقان من الفرق، و العدوان من العدو، و الشكران من الشكر، و الكفران

من الكفر.

قال ابن عباس و عبد الله بن عمر، و مجاهد، و قتادة، و أكثر المفسرين:

إن المتقين كانا ولدى آدم لصلبه: قابيل، و هابيل. و قال الحسن، و أبو مسلم محمد بن بحر، و الزجاج: هما من بنى إسرائيل، لأن علامة تقبل قربان لم تكن قبل ذلك. و كان سبب قبول قربان أحدهما. ورد الآخر أحد أمرين:

أحدهما- أنه رد قربان أحدهما لأنه كان فاجراً فاسقاً. و قبل قربان هابيل لأنه كان متقياً مطيعاً، و لذلك قال الله (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ).

الثاني- انه قَرَّبَ بشر ماله و أخسه. و قرب الآخر بخير ماله، و أشرفه. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٣
فتقبل الأشرف، و رد الأخس.

و قال قوم ان سبب القربان أنه لم يكن هناك فقير فمن أراد القربان أخرج من ماله ما أحب، ففعلاً ذلك، فأكلت النار قربان أحدهما دون الآخر، و لم يكن ذلك عن أمر الله. و قال أكثر المفسرين و رواه أبو جعفر و غيره من المفسرين:

أنه ولد لكل واحد من قابيل و هابيل اخت توأم له فأمر آدم كل واحد بتزويج اخت الآخر. و كانت اخت قابيل أحسن من الاخرى. فارادها، و حسد أخاه عليها، فقال آدم قربا قرباناً، فأيكما قبل قربانه فهي له، و كان قابيل صاحب زرع فعمد الى أخبث طعام. و عمد هابيل الى شاء سمينه و لبن و زبد، فصعدا به الجبل فأنت النهار فأكلت قربان هابيل، و لم تعرض لقربان قابيل. و كان آدم غائباً عنهما بمكة، فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا، و قد تقبل قربانك و لم يتقبل قرباني. و تريد أن تأخذ اختي الحسناء. و أخذ أختك القبيحة، فقال له هابيل: ما حكاه الله تعالى، فشدخه بحجر فقتله، ثم حمله على عاتقه و كان يضعه على الأرض ساعة و يبكي و يعود يحمله كذلك ثلاثة أيام إلى أن رأى الغرايين.

و قوله: «لأقتلنك» معناه قال الذي لم يتقبل قربانه: و «قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ» يعنى الذى تقبل قربانه، و إنما حذف لدلالة الكلام عليه. و قيل فى علامة القبول قولان:

قال مجاهد كانت النار تأكل المردود. و قال غيره بل كانت العلامة فى ذلك ناراً تأتي فتأكل المتقبل و لا تأكل المردود.

و قال قوم فى الآية دلالة على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها. و اما النافلة فيصل اليه ضرب من النفع بها. و تقبل الطاعة إيجاب الثواب عليها- و هذا الذى ذكروه غير صحيح- لأن قوله «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٤
مِنَ الْمُتَّقِينَ»

: معناه إنما يستحق الثواب على الطاعات من يوقعها لكونها طاعة فاما إذا فعلها لغير ذلك فانه لا يستحق عليها ثواباً. فإذا ثبت ذلك، فلا يمتنع أن تقع من الفاسق يوقعها على الوجه الذى يستحق عليها الثواب فيستحق الثواب و لا تحابط عندنا بين ثوابه و ما يستحق عليه العقاب. و الاتقاء يكون لكل شىء يمتنع منه غير أنه لا يطلق اسم المتقين إلا على المتقين للمعاصى خاصة بضرب من العرف، لأنه أحق ما يجب أن يخاف منه كما لا يطلق خالق إلا على الله- عز و جل- لأنه أحق بهذه الصفة من كل فاعل، لان جميع أفعاله تقع على تقدير و ترتيب و قوله: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» يعنى القرايين إنما

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٨]..... ص: ٤٩٤

لئن بسطت إلى يديك لتقتلني ما أنا بأسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨)

يتقبلها الله من الذين يتقون معاصى الله خوف عقابه دون من لا يتقيها.

فى هذه الآية إخبار عن ولد آدم المقتول، و هو هابيل أنه قال لأخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه و لم يتقبل قربان أخيه، فقال «لئن بسطت إلى يديك» و معناه لئن مددت إلى يدك. و البسط هو المد و هو ضد القبض «لتقتلني» و معناه لأن تقتلني ما أنا بأسط

يدى اليك لأن أقتلك.

فان قيل لم قال ذلك وقد وجب بحكم العقل الدفع عن النفس و إن أدّى إلى قتل المدفوع؟! قلنا: عنه جوابان: أحدهما- أن معناه لئن بدأتى بقتل لم أبدأك لا على أنى لا أدفعك عن نفسى إذا قصدت قتلى هذا قول ابن عباس و جماعة، وقيل: إنه قتله غيلة بأن ألقى عليه و هو نائم صخرة شدخه بها. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٥ الثاني- قال الحسن، و مجاهد، و الجبائى: إنه كان كتب عليهم إذا أراد الرجل قتل رجل تركه و لم يمتنع منه. و كان عمرو بن عبيد يجيز الوجهين و هو الأقوى لأن كلا الامرين جائز.

فان قيل كيف يجوز الوجه الأخير و فيه اطماع فى النفس؟! قلنا: ليس فيه شىء من ذلك لأنه يجرى مجرى قول القائل لغيره لئن ظلمتنى لم أظلمك، و لئن قبحت فى أمرى لم أقبح فى أمرك بل فى ذلك غاية الزجر و الردع عن القبيح، لأن القبيح منفر عن نفسه صارف عن فعله.

و قوله: «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» يعنى أخاف الله فى ابتداء مدى اليك يدى لقتلك «رب العالمين» يعنى رب الخلائق. و اللام فى قوله «لئن» لام القسم و تقديره أقسم «لئن بسطت إلى يدك» و جوابه «ما أنا بأسيط» و لا تقع (ما) جواباً للشرط و الفرق بينهما أن ل (ما) صدر الكلام و القسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم ب (أن) و لام الابتداء، و لم يجز بالفاء لأن المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم و إنما القسم يؤكد، و جواب الشرط يجب بوجوبه، و إذا اجتمع القسم و الجزاء كان جواب القسم أولى من جواب الجزاء، لأنه لما تقدم و صار الجزاء فى حشو الكلام غلبه على الجواب فصار له و اكتفى به من جواب الجزاء لدلالته عليه.

و روى غياث بن ابراهيم عن أبى اسحق الهمداني عن على (ع) أنه قال: لما قتل ابن آدم (ع) أخاه بكا و قال:

تغيرت البلاد و من عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى لون و طعم و قل بشاشة الوجه المليح

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٦

فأجاب آدم (ع):

أيا هاويل قد قتلا جميعاً و صار الحى بالموت الذبيح

و جاء بشرة قد كان فيه على خوف ف جاء بها يصيح

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٢٩]..... ص: ٤٩٦

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩)

فى هذه الآية إخبار عن ابن آدم (ع) المقتول أنه قال: لا أبدأك بالقتل لأنى «أريد أن تبوء بإثمى» و معناه أن ترجع، و أصله الرجوع الى المنزل يقال: باء إذا رجع الى المباءة و هى المنزل «و بأؤ بغضب من الله» (١) أى رجعوا. و البوء الرجوع بالقود، و هم فى هذا الأمر بواء أى سواء، لأنهم يرجعون فيه الى معنى واحد. و قال الشاعر:

ألا تنتهى عنا ملوك و تنقى محارمنا لا يبؤؤ الدم بالدم (٢)

أى لا يرجع الدم بالدم. و قوله «بإثمى و إثمك» معناه اثم قتلى ان قتلتنى، و اثمك الذى كان منك قبل قتلى - هذا قول ابن عباس، و ابن مسعود و الحسن، و قتادة، و الضحاك، و مجاهد- و قال مجاهد معناه خطيئاتي و دمى، ذهب الى ان المعنى مثل إثمى. و قال الجبائى، و الزجاج. و إثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك. و يجوز أن يريد باثمى الأول اثم قتلى ان قتلتنى

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦١ و سورة ٣ آل عمران آية ١١٢. [...]

(٢) اللسان (بوء) وفيه روايتان: لا يباء، لا ييؤء.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٧

و اثمك الذى قتلتنى، فاضافة تارة الى المفعول و اخرى الى الفاعل، لأنه مصدر يصح ذلك فيه، كما تقول ضرب زيد عمراً و ضرب عمرو زيداً فتضيفه تارة الى الفاعل و اخرى الى المفعول.

فان قيل: كيف جاز أن يريد منه الإثم و هو قبيح؟

قلنا: المراد بذلك عقاب الإثم، لأن الرجوع بالإثم رجوع بعقابه، لأنه لا يجوز لأحد أن يريد معصية الله من غيره كما لا يجوز أن يريد ما من نفسه، و هو قول أبى على و غيره. و قال قوم: التقدير إنى أريد أن لا تبوء باثمي كما قال «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا» و معناه ألا تضلوا. و هذا وجه يحتمله الكلام لكن الظاهر خلافه، و إنما يحتمل على ذلك إذا دل الدليل على أنه لا يجوز أن يريد من غيره الإثم. و ليس هاهنا ما يدل عليه و الكلام يدل على أنه أراد العقاب لا محالة لو أراد الإثم. و قوله «فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» لا يدل على فساد القول بالارجاء، لان ظاهره يقتضى أنه يستحق بذلك النار و العذاب، و ان ذلك جزاءه و ليس فى ذلك ما يمنع من جواز إسقاطه بغير توبة فينبغى أن لا يمنع منه.

و فى الآية دلالة على أن الوعيد بالنار قد كان فى زمن آدم بخلاف ما يدعيه جماعة من اليهود و النصرى.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٠]..... ص: ٤٩٧

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)

آية بلا خلاف التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٨

قيل فى معنى «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ» ثلاثة أقوال:

أحدها- شجعته نفسه على قتل أخيه فى قول مجاهد. و قال قتادة زينت له نفسه قتل أخيه. و قال قوم: معناه ساعدته نفسه على قتل أخيه، فلما حذف حرف الجر نصب قوله «قَتَلَ أَخِيهِ».

و من قال معناه زينت نصبه كأنه مفعول به. يقال طاع لهذه الظبية اصول الشجرة، و طاع لفلان كذا أى أتاها طوعاً، و يقال أيضاً انطاع. و لا يقال اطاعته نفسه، لأن (أطاع) يدل على قصد لموافقته معنى الأمر، و ليس كذلك طوع، لأنه بمنزلة انطاع له اصول الشجرة. و فى الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه، و قتل نفسه. و فيه ما لا يتعدى نحو أمر و نهى، لأن الأمر و النهى لا يكون إلا ممن هو أعلى لمن هو دونه.

و قال ابن عباس و ابن مسعود و أبو مالك و أبو جعفر (عليه السلام): إنه قتله بصخرة شدخ رأسه بها

، و قال مجاهد: لم يدر كيف يقتله حتى ظهر له إبليس فعلمه ذلك، ظهر فى صورة طير، فأخذ طيراً آخر و ترك رأسه بين حجرين فشدخه، و قابيل ينظر اليه ففعل مثله. و قيل هو أول قتل كان فى الناس. و قوله: «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» لا يدل على أنه قتله ليلاً، لأن معناه صار من الخاسرين بقتله ليلاً أو نهاراً، لأنه يحسن فى هذا أن يقال:

أصبح، لأنه بمنزلة الأمر الذى بيت ليلاً، فكانت ثمرته الوبال و الخسران.

و المعنى- هاهنا- ذهاب رأس المال بهلاك نفسه. و ذلك أعظم الخسران كما قال تعالى «حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فمعنى الآية أصبح من الذين باعوا الآخرة بالدنيا، فخسروا فى ذلك و خابت صفقتهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٤٩٩

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣١]..... ص: ٤٩٩

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)
آية بلا خلاف.

قرأ الحسن (يا ويلىتى) مضاف، و هما لغتان يقال يا ويلتا و يا ويلتى ذكره الأزهرى.

قيل: إنه كان أول ميت من الناس فلذلك لم يدر كيف يواريه و كيف يدفنه حتى بعث الله غرابين أحدهما حى و الآخر ميت، و قيل كانا حين فقتل أحدهما صاحبه ثم بحث الحى الأرض فدفن فيه الغراب الميت، ففعل به مثل ذلك قابيل، و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و ابن مالك و مجاهد و الضحاك و قتادة. و فى ذلك دلالة على فساد ما قال الحسن و أبو على و أبو مسلم إنهما كانا من بنى إسرائيل، لأنه لم يكن الناس الى زمان بنى إسرائيل، لا يدرون كيف يدفنون ميتهم، قال الرمانى و لا يجوز أن يكون الغراب مكلفاً، لأن المعلوم من دعوة الرسول أن المكلفين هم الملائكة و الانس و الجن، و المعلوم ضرورة أنه لا مطيع لله أحد إلا من هذه الثلاثة أصناف، و أيضاً فقد بعث الله النبى (ص) الى كل مكلف سوى الملائكة و لا يقول أحد: إنه مبعوث الى الغراب. و معنى «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا» ألهمها ذلك. و قال الزجاج أكرم الله التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٠

المقتول بأن بعث غراباً حثا عليه التراب ليريه كيف يوارى سؤأه أخيه. و قال قوم: كان ملكاً فى صورة الغراب. و قال أبو على يجوز أن يكون الغراب قد زاد الله فى عقله ما عقل أمر الله لا على وجه التكليف كما نأمر صبياننا و أولادنا فيفهمون عنا.

و معنى «سَوْأَةَ أَخِيهِ» قيل فيه قولان: أحدهما- قال أبو على: إنه جيفه أخيه، لأنه كان تركه حتى أنتن فقيل لجيفته سوءه. و قال غيره: معناه عورة أخيه و الظاهر يحتمل الأمرين. و أصل السوء التكره تقول ساءه يسوءه إذا أتاه بما يكرهه. و روى الحسن عن النبى (ص) (أن الله ضرب لكم مثلاً ابني آدم فخذوا من خيرهما و دعوا شرهما).

و قوله «قَالَ يَا وَيْلَتَى فِيهِ حَذْفٌ لِأَن تَقْدِيرَهُ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْأَةَ أَخِيهِ فَوَارَاهُ قَالَ وَالْقَائِلُ أَخَاهُ يَا وَيْلَتَاهُ. و قال الزجاج الوقف فى غيره القرآن عليها يا ويلتاه، و النداء لغير الآدميين نحو «يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ» (١).

و «يَا وَيْلَتَى أَلِدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ» (٢). و قال يا ويلتا و إنما وقع فى كلام العرب على تنبيه المخاطب و ان الوقت الذى يدعى هذه الأشياء هو وقتها، و المعنى يا ويلتا تعالى فانه من ابانك أى قوله: منى الويل و كذلك يا عجبا: المعنى يا أيها العجب هذا وقتك. و قال سيبويه: الويل كلمة تقال عند الهلكة.

و قيل الويل واد فى جهنم و قوله «أعجزت» يقال أعجزت عن الأمر أعجز عجزاً و معجزة.

(١) سورة يس آية ٣٠.

(٢) سورة هود آية ٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠١

و قوله «فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ» قيل كانت توبته غير صحيحة، لأنها لو كانت صحيحة لاستحق عليها الثواب. و قال أبو على: ندم على قتله على غير الوجه الذى يكون الندم توبة لأنه ندم لأنه لم ينتفع به و ناله ضرر بسببه من أبيه و اخوته. و لو كان على الوجه الصحيح لقبلى الله توبته. و على مذهبننا كان يستحق الثواب لو كانت صحيحة، و إن لم يسقط العقاب.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٢]..... ص: ٥٠١

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا

النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)
 آية عند الجميع قرأ أبو جعفر و الزبير (من أجل) ذلك بفتح النون و اسكان الهمزة و مثله (قد أفلح) و ما أشبهه. الباكون يقطعون الهمزة بفتح النون بنقل الحركة من الهمزة الى ما قبلها. و من أسكنها تركها على أصلها.
 و معنى (من أجل) من جراء ذلك و جريرته. و قال الزجاج: معناه من جناية ذلك. يقال أجلت الشيء أجلاً إذا اجنيت. قال الخوانى:
 و أهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا فى عاجل أنا آجله «١»

(١) اللسان (أجل) و روايته (كنت بينهم) بدل (ذات بينهم) و فى الصحاح مثل هنا و قائله خوات بين جبير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٢

أى جانيه و قيل جاره عليهم. قال عدى بن زيد.

أجل ان الله قد فضلكم فوق من احكأ صلباً بإزار «١»

و أصله الجر. و منه الأجل الوقت الذى يجر اليه العقد الأول و منه الأجل نقيض العاجل. و منه (أجل) بمعنى نعم، لأنه انقياد الى ما يجر اليه و منه الآجال القطيع من بقر الوحش، لأن بعضها ينجر الى بعض.

و «ذلك» اشارة الى قتل أحد ابني آدم أخاه ظلماً. حكمننا الى بنى إسرائيل أنه من قتل منهم نفساً بغير نفس أو فساد كان منها فى الأرض فاستحقت بذلك قتلها. و فسادها فى الأرض إنما يكون بالحرب لله و لرسوله و اخافه السبيل - على ما سنبينه فيما بعد - و هو قول الضحاك و جميع المفسرين. و اختلفوا فى تأويل قوله (مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) على ستة أقوال:

أحدهما - قال الزجاج: معناه إنه بمنزلة من قتل الناس جميعاً فى أنهم خصومه من قبل ذلك الإنسان.

و الثانى - قال أبو على: إن عليه مثل مآثم كل قاتل من الناس لأنه سنّ القتل و سهله لغيره، فكان بمنزلة المشارك فيه. و مثله

قوله (ع): (من سنن سنه حسنه كان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيمة، و من سن سنه سيئه كان له وزرها و وزر من عمل بها).

الثالث - قال الحسن و قتادة و مجاهد: إن معناه تعظيم الوزر و المآثم

(١) اللسان (أجل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٣

و تقديره يا ابن آدم انك لو قتلت الناس جميعاً كان لك من عملك ما تفوز به و تنجو من النار؟! - و الله - كذبتك نفسك و الشيطان، فكذلك قتلك ظلماً الإنسان أى كنت تستحق الخلود فى النار كما كنت تستحقه بقتل الناس جميعاً.

الرابع - قال ابن عباس: معناه من شد على عضد نبي أو امام عدل، فكأنما أحيا الناس جميعاً. و من قتل نبياً أو إماماً عدلاً، فكأنما قتل الناس جميعاً.

الخامس - قال ابن مسعود و غيره من الصحابة: معناه (مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) عند المقتول «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً» عند المستنقذ.

السادس - قال ابن زيد معناه انه عليه من القود و القتل مثل ما يجب عليه لو قتل الناس جميعاً. و قوله: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) قال مجاهد معناه من نجاها من الهلاك مثل الغرق و الحرق. و قال الحسن و ابن زيد معناه من عفا عن دمها و قد وجب القود عليها. و قال أبو على معناه من زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيها بأن يقتدى به فيها بأن يعظم تحريم قتلها كما حرمه

اللَّهِ. فلم يقدم عليه فقد حى الناس بسلامتهم منه و ذلك إحياءه إياها. و هو اختيار الطبرى و اللّهُ تعالى هو المحيى للخلق لا يقدر على ذلك غيره تعالى. و إنما قال: (أحياها) على وجه المجاز بمعنى نجاها من الهلاك كما حكى عن نمرود ابراهيم «أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ» فاستبقا واحداً و قتل الآخر. قوله (وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ) قسم من اللّهُ تعالى أن رسله أتت بنى إسرائيل الذين ذكر قصصهم و أخبارهم بالآيات الواضحة و الحجج الدالة على صدق رسله و صحة ما أتوا به ثم أخبر أن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٤ كثيراً منهم يعنى من بنى إسرائيل لمسرفون بعد مجيئ رسل اللّهُ اليهم و معنى (لمسرفون) لعاملون بمعاصى اللّهُ، و مخالفون أمره و نهيته باتباعهم غير رسل اللّهُ. و الإسراف الخروج عن التقصير و الاقتصاد و ضده التقطير. و الاقتصاد هو التعديل بلا إسراف و لا إقتار و قد يمدح بالاقتصاد.

و قال أبو جعفر (ع): المسرفون هم الذين يستحلون المحارم و يسفكون الدماء.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٣].... ص: ٥٠٤

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَشِيعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)

آية بلا خلاف.

المحارب عندنا هو الذى أشهر السلاح و أخاف السبيل سواء كان فى المصر أو خارج المصر، فان اللص المحارب فى المصر و غير المصر سواء. و به قال الاوزاعى و مالك و الليث بن سعد و ابن لهيعة و الشافعى و الطبرى. و قال قوم: هو قاطع الطريق فى غير المصر ذهب اليه أبو حنيفة و أصحابه و هو المروى عن عطاء الخراسانى. و معنى (يُحَارِبُونَ اللَّهَ) يحاربون أولياء اللّهُ و يحاربون رسوله (وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً) و هو ما ذكرناه من

إشهار السيف و اخافة السبيل. و جزاءهم على قدر الاستحقاق إن قتل قتل و ان أخذ المال و قتل قتل و صلب و ان أخذ المال و لم يقتل قطعت يده و رجله من خلاف. و ان أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفى لا غير هذا مذهبا. و هو المروى عن أبى جعفر التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٥

عليه السلام و أبى عبد اللّهُ (ع)

و هو قول ابن عباس و أبى مجلز و سعيد بن جبير، و السدى، و قتادة، و الربيع و ابراهيم- على خلاف عنه- و به قال أبو على الجبائى و الطبرى و حكى عن الشافعى أنه إن أخذ المال جهراً كان للإمام صلبه حياً و ان لم يقتل.

«و ان يقتلوا» فى موضع رفع و تقديره إنما جزاؤهم القتل، و الصلب أو القطع من موضع الخلاف، و معنى (إنما) ليس جزاؤهم الا هذا قال الزجاج: إذا قال جزاؤك عندى درهم جاز أن يكون معه غيره، فإذا قال انما جزاؤك درهم كان معناه ما جزاؤك إلا درهم.

و اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس و الضحاک، نزلت فى قوم كان بينهم و بين النبى (ص) موادة فنقضوا العهد، و أفسدوا فى الأرض، فخير اللّهُ نبيه فى ما ذكر فى الآية، و قال الحسن و عكرمة نزلت فى أهل الشرك.

و قال قتادة، و أنس و سعيد بن جبير و السدى: انها نزلت فى العرنيين و العكليين حين ارتدوا و أفسدوا فى الأرض فأخذهم النبى (ص) و قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و سمل أعينهم «١» و فى بعض الاخبار أحرقهم بالنار.

ثم اختلفوا فى نسخ هذا الحكم الذى فعله بالعرنيين، فقال البلخى و غيره نسخ ذلك بنهيه عن المثلة. و منهم من قال: حكمه ثابت فى نظرائهم لم ينسخ.

و قال آخرون لم يسمل النبى (ص) أعينهم و إنما أراد أن يسمل فأنزل اللّهُ آية المحاربة، و الذى نقوله: إن عندنا ان كان فيهم طليعة لهم حتى يقتلوا قوماً

(١) سمل أعينهم أى فقأها بحديدة محمأة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٦

سلمت عين الربيه (١) و أجرى على الباين ما ذكرناه. و قال قوم: الامام مخير فيه ذهب اليه ابن عباس في روايه و مجاهد و الحسن و سعيد بن المسيب، و عطا و ابراهيم في روايه عنه. فمن قال بالأول، ذهب الى أن (أو) في الآيه تقتضى التفصيل و من قال بالثاني ذهب الى انها للتخيير.

و معنى قوله: «وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ» معناه أن يقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى. و لو كان موضع (من) (على) أو (الباء) لكان المعنى واحداً.

و قوله «أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ» في معناه ثلاثة أقوال:

أحدهما- أنه يخرج من بلاد الإسلام ينفى من بلد الى بلد إلا أن يتوب و يرجع و هو الذى نذهب اليه. و به قال ابن عباس، و أنس بن مالك، و مالك ابن أنس، و الحسن و السدى و الضحاك، و قتاده، و سعيد بن جبير، و الربيع ابن انس، و الزهرى. و قال أصحابنا لا يمكن أيضاً من دخول بلاد الشرك، و يقاتل المشركون على تمكينهم من ذلك حتى يتوبوا و يرجعوا الى الحق.

و قال الفراء النفى أن يقال: من قتله فدمه هدر.

و الثانى- انه ينفى من بلد الى بلد غيره ذهب اليه سعيد بن جبير في روايه أخرى، و عمر بن عبد العزيز.

الثالث ان النفى هو الحبس ذهب اليه أبو حنيفه و أصحابه.

أصل النفى الإهلاك و منه النفى الاعدام، فالنفى الإهلاك بالاعدام.

و منه النفايه لردء المتاع. و منه النفى، و هو ما تطاير من الماء عن الدلو، قال الراجز:

(١) ربيئه القوم عينهم الذى يطلعهم على أخبار العدو. يقف على مرتفع عال و يرقب حركات العدو.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٧

كأن متنيه من النفى مواقع الطير على الصفى (١)

و النفى الطرد قال أوس بن حجر:

ينفون عن طرق الكرام كما ينفى المطارق ما يلي الفرد

و قوله: «ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا» معناه أن فعل ما ذكرناه من الأحكام خزى في الدنيا، و الخزى الفضيحة يقال خزى خزياً إذا

افتضح و خزى يخزى خزاية إذا استحيا و خزوته اخزوه خزوا إذا سسته و منه قول لبيد:

و اخزها بالبر لله الأجل (٢)

«وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» معناه زياده على ذلك و هذا يبطل قول من قال اقامه الحدود تكفير للمعاصى لأنه يقال مع اقامه

الحدود عليهم بين ان لهم فى الآخرة عذاباً عظيماً و معنى ان لهم فى الآخرة عذاباً عظيماً انهم يستحقون ذلك و لا يدل على انه يفعل

بهم ذلك لا محاله لأنه يجوز أن يعفو الله عنهم و يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم.

(١) اللسان (نفى) و روايته:

كأن متنيه من النفى من طول اشرافى على الطوى

مواقع الطير على الصفى

(٢) اللسان (خزا) و قبله:

أكذب النفس إذا حدثتها ان صدق النفس يزدى بالأمل

غير أن لا تكذبها في التقى و اخزها بالبر لله الأجل

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٨

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٤]..... ص: ٥٠٨

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤)
آية بلا خلاف.

قال الزجاج يحتمل الذين ان يكون في موضع الرفع بالابتداء و خبره فاعلموا ان الله غفور رحيم و المعنى غفور رحيم لهم و المعنى لكن التائبون من قبل القدرة عليهم فالله غفور رحيم. و يجوز أن يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)..

لما بين الله حكم المحارب- على ما فصلناه- استثناء من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل أن يؤخذ، و يقدر عليه لأن توبته بعد حصوله في قبضة الامام، و قيام البيئة عليه بذلك لا ينفعه، و وجب اقامة الحد عليه.

و اختلفوا فيمن تدرأ عنه التوبة الحدود: هل هو المشرك أو من كان مسلماً من أهل الصلوة؟ فقال الحسن، و قتادة، و مجاهد و الضحاك: هو المشرك دون من كان مسلماً. فأما من أسلم، فانه لم يؤخذ بما جناه إلا أن يكون معه عين مال قائمة فانه يجب عليه ردها و ما عداه يسقط. و أما على (ع) فانه حكم بذلك فيمن كان مسلماً و هو حارثه بن بدر، لأنه كان قد خرج محارباً ثم تاب فقبل على (ع) توبته. و جعل له أماناً على يد سعيد بن قيس.

و حكم به أبو موسى الأشعري في فلان المرادى جاء تائباً بعد كونه محارباً فقبل توبته. و أبو هريرة في على الاسدى و به قال السدى و مالك بن أنس إلا أن مالكا قال يؤخذ بالدم إذا طالب به وليه. و قال الليث بن سعيد لا يؤخذ به و قال الشافعي تضع توبته عنه حد الله الذي وجب لمحاربه، و لا يسقط عنه التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٠٩

حقوق بنى آدم و هو مذهبا، فعلى هذا إن أسقط الآدمى حق نفسه و يكون ظهرت منه التوبة قبل ذلك لا يقاص عليه الحد، و إن لم يكن ظهرت منه التوبة أقيم الحد، لأنه محارب فيتحتم عليه الحد. و هو قول أبي على.

و لا خلاف أنه إذا أصيب المال بعينه في يده أنه يرد الى أهله. فاما المشرك المحارب فمتى أسلم و تاب سقطت عنه الحدود، سواء كان ذلك منه قبل القدرة عليه أو بعدها بلا خلاف.

فاما السارق إذا قدر عليه بعد التوبة و تكون التوبة منه بعد قيام البيئة فانه لا يسقط عنه الحد. و إن كان قبل قيام البيئة استقطت عنه. و قال قوم:

لا تسقط التوبة الحد عن السارق- و لم يفصل. و ادعى في ذلك الإجماع.

قالوا لأن الله جعل هذا الحكم للمحارب بالاستثناء بقوله: «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و لم يكن غير المحارب في معناه فيقاص عليه، لأن ظاهر هذا التفرد و ليس كذلك هو في المحارب الممتنع بفئة و في الآية حجة على من قال لا تصح التوبة مع الاقامة على معصية أخرى يعلم صاحبها أنها معصية، لأنه تعالى علق بالتوبة حكماً لا يحل به الاقامة على معصية هي السكر أو شرب نبيذ التمر على غير التأويل بإجماع المسلمين.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٥]..... ص: ٥٠٩

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥)
آية بلا خلاف.

خاطب الله في هذه الآية المؤمنين و أمرهم أن يتقوه و معناه أن يتقوا معاصيه و يجتنبوها و يبتغوا اليه معناه يطلبون إليه الوسيلة و هي القربة في التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٠

قول الحسن و مجاهد و قتادة و عطا و السدي و ابن زيد و عبد الله بن كثير و أبي و ابل. و هي على وزن (فعلية) من قولهم توسلت اليك أى تقربت قال عنتره ابن شداد:

إن الرجال لهم اليك وسيلة أن يأخذوك فلجلجي و تخضبي
و قال الآخر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا و عاد التصافي بيننا و الوسائل

يقال منه سلت أسأل أى طلبت و هما يتساولان أى يطلب كل واحد منهما من صاحبه. و الأصل الطلب و الوسيلة التى ينبغى أن يطلب مثلها.

فان قيل كيف قال تعالى «اتَّقُوا اللَّهَ» و هو غاية التحذير مع أنه تعالى رغب فى الدعاء إليه و هما كالمتنافرين؟ قيل إنما قال ذلك لثلا يكون المكلف على غرور من أمره بكثرة نعم الله عليه فيظن أنها موجبة للرضا عنه فحقيقة الدعاء اليه باتقائه من جهة اجتناب معاصيه و العمل بطاعته. فان قيل هل يجوز أن يتقى المعاقب من أجل عقابه كما يحمد المحسن من أجل إحسانه.

قلنا: لا- لأن أصل الاتقاء الحجز بين الشيئين لثلا يصل أحدهما الى الآخر من قولهم اتقاه بالترس. و منه اتقاه بحقه، فالطاعة له تعالى حاضرة بين العقاب و بين العبد أن يصل إليه. و أما حمد الإنسان، فمجاز لأن المحمود فى الحقيقة يستحق الولاية و الكرامة.

و قوله: «و جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ» أمر منه تعالى بالجهاد فى دين الله، لأنه و صلته و طريق الى ثوابه. و يقال لكل شىء وسيلة الى غيره هو طريق إليه فمن ذلك طاعة الله فهى طريق الى ثوابه. و الدليل على الشىء طريق الى العلم به و التعرض للشىء طريق الى الوقوع فيه و اللطف طريق الى طاعة الله و الجهاد التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١١

فى سبيل الله قد يكون باللسان و اليد و القلب و السيف و القول و الكتاب.

و قوله: (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يحتمل أمرين:

أحدهما- اعملوا لتفلحوا و معناه و يكون غرضكم الصلاح فهذا يصح مع اليقين.

الثانى- اعملوه على رجاء الصلاح به فهذا مع الشك فى خلوصه مما يحبطه و هذا الوجه لا يصح إلا على مذهب من قال بالإحباط. فاما من لا- يقول به فلا- يصح ذلك فيه غير أنه يمكن أن يقال الشك فيه يجوز أن يكون فى هل أوقعه على الوجه المأمور به أم لا؟ لأنه لا حال إلا و هو يجوز أن يكون فرط فيما أمر به «هُمُ الْمُفْلِحُونَ» هم الفائزون بما فيه غاية صلاح أحوالهم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): الآيات ٣٦ الى ٣٧].... ص: ٥١١

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)
يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّتِمِّمٌ (٣٧)

آيتان بلا خلاف أخبر الله تعالى فى هذه الآية «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ» و افتدوا بجميع ذلك من العذاب الذى يستحقونه على كفرهم «مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ».

و الذين فى موضع نصب بان و خبر (ان) الجملة فى (لو) و جوابها.

و قوله: «و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يحتمل أمرين: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٢

أحدهما- أن يكون في موضع الحال.

و الثاني- أن يكون عطفاً على الخبر، و لا يجوز أن يكون خبراً من «يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ، وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا». و (لو) في موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو رآه عدوه لرحمه، لأنه في موضع معتمد الفائدة مع أن الثاني في استئناف (إنه) و لا يحكم بقطع الخبر، و إنما أجيبت (لو) ب (ما) و لم يجز أن يجاب (أن) ب (ما) لأن (ما) لها صدر الكلام و جواب (لو) لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم، لأنه غير عامل. و (أن) عامله فلذلك صلح أن يجاب ب (لا) و لم يصلح ب (ما) كقولك إن تأتي لا يلحقك سوء، و لا يجوز (ما) لأن (لا) تنفى عما بعدها ما وجب لما قبلها في أصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو و (ما) تنفى عما بعدها ما لم يجب لغيرها، فلذلك كان لها صدر الكلام. و إنما نفى الله أن يقبل منهم فدية من غير تقييد بالتوبة، لأمرين: أحدهما لأنهم لا يستحقون هذه الصفة لو وقعت منهم التوبة مع البيان عن أن الآخرة لا تقبل فيها توبة.

الثاني ان ذلك مقيد بدليل العقل و السمع الذي دل على وجوب إسقاط العقاب عند التوبة كقوله «غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ» (١) و عندنا أنه لم يقيده بالتوبة لأن التوبة لا يجب إسقاط العقاب عندها عندنا و إنما يتفضل الله بذلك عند التوبة فأراد الله أن يبين أن الخلاص من عقابه الذي استحق على الكفر به و معاصيه لا يستحق على وجه. و إنما يكون ذلك تفضلاً على كل حال. و اللام في قوله: «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» لام الملك لأن حقيقتها الاضافة

(١) سورة غافر آية ٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٣

على معنى الاختصاص غير أنها إذا أضيفت تصحح أن يكون فعلاً إلى ما يصحح أن يكون فاعلاً فالإضافة بمعنى اضافة الفعل الى الفاعل نحو «إن قام زيد» و يجوز أن يكون على معنى المفعول بقريته ككلام زيد و نحوه. و قوله: «لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» يدل على أنه ليس لهم ما في الأرض جميعاً، لأنه لو كان لهم لكان الأبلغ أن يقال يسلبون النعمة به من غير فدية تسقط عنهم شيئاً من العقوبة. و قوله: «يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ» في معناه ثلاثة أقوال. أحدها- قال أبو علي معناه يتمنون أن يخرجوا منها فجعل الارادة هاهنا تمناً.

و قال الحسن معناه الارادة على الحقيقة، لأنه قال كلما رفعتهم النار بلهبها رجوا أن يخرجوا منها، و هو قوله: «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرَجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا» (١). و قال بعضهم معناه يكادون أن يخرجوا منها، إذا رفعتهم بلهبها كما قال- عز و جل- «جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ» (٢) أي يكاد و يقارب.

فان قيل كيف يجوز أن يريدوا الخروج من النار مع علمهم بأنهم لا يخرجون؟ قلنا: لأن العلم بأن الشيء لا يكون لا يصرف عن إرادته. كما أن العلم بأنه يكون لا يصرف عن إرادته و إنما يدعو الى الارادة حسنها أو الحاجة اليها كما أن المراد بهذه المنزلة. فان قيل: هل يجوز أن يطمعوا في الخروج من النار كما قال الحسن. قلنا الخروج منها الى غير عذاب يجري مجرى عذابها فلا يجوز لعلمهم بأن العذاب دائم لا يفتر عنهم فان كان معه العلم بأنهم لا يخرجون منها لم يجز أن يطمعوا في الخروج، لأن العلم ينافي

(١) سورة الم السجدة آية ٢٠.

(٢) سورة الكهف آية ٧٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٤

الطمع و لا- ينافي الارادة كما لا- يطمع العاقل في أن يعود في الدنيا شاباً كما كان. و قال أبو علي: إنما يتمنون الخلاص منها قبل دخولها، لما في التمني من التروح، و ليس ذلك من صفة أهلها. و لا يجوز أن يقال في الكلام يريدون أن يستخرجون من النار كما

جاز (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى «١» لأن أن المخففه من الشديده لتحقيق كائن في الحال أو الماضي أو المستقبل، و ليس في الارادة تحقيق وقوع المراد لا- محاله، كما ليس في الأمر تحقيق وقوع الأمور به، فلذلك لم يجز أمرته أن سيقوم، و جاز أمرته أن يقوم. قوله «وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا» يعنى من جهنم «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» أى دائم ثابت لا يزول و لا يحول، كما قال الشاعر:

فان لكم بيوم الشعب منى عذاباً دائماً لكم مقيماً

و روى أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس يا أعمى القلب يا أعمى البصر تزعم ان قوماً يخرجون من النار و قد قال الله تعالى: «وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا»! فقال ابن عباس ويحك أ و ما فقحت هذه للكفار!؟.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٨].... ص: ٥١٤

وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)
آية بلا خلاف.

و قوله «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ» قال سيبويه الأجود فيه النصب و مثله «الزَّائِيَةُ وَ الزَّانِي» . و بالنصب قرأ عيسى بن عمر و هو بخلاف ما عليه القراء لا يجوز أن يقرأ به و الوجه الرفع. و مثله «الذَّانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا» .

(١) سورة المزمل آية ٢٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٥

و يحتمل رفعهما شيئين:

أحدهما- قال سيبويه إنه على تفسير فرض فيما يتلى عليكم حكم السارق و السارقة. و منه «وَ الذَّانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ» «١» .
الثانى- قال المبرد و الفراء لأن معناه الجزاء و تقديره من سرق فاقطعوه، و له صدر الكلام. و قال الفراء و لو أردت سارقاً بعينه لكان النصب الوجه و يفارق ذلك قولهم زيدا فاضربه، لأنه ليس فيه معنى الجزاء.
و ظاهر قوله «وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ» يقتضى عموم وجوب القطع على كل من يكون سارقاً أو سارقة، لأن الألف و اللام إذا دخلا على الأسماء المشتقة أفادا الاستغراق إذا لم يكونا للعهد دون تعريف الجنس- على ما ذهب اليه قوم-. و قد دللنا على ذلك فى أصول الفقه. فأما من قال القطع لا- يجب إلا- على من كان سارقاً مخصوصاً من مكان مخصوص مقداراً مخصوصاً و ظاهر الآية لا ينبئ عن تلك الشروط، فيجب أن تكون الآية مجمله مفتقرة الى بيان، فقوله فاسد لأن ظاهر الآية يقتضى وجوب القطع على كل من يسمى سارقاً و إنما يحتاج الى معرفه الشروط ليخرج من جملتهم من لا يجب قطعه فأما من يجب فانا نقطعه بالظاهر، فالآية مجمله فيمن لا يجب قطعه دون من يجب قطعه فسقط ما قالوه.

و قوله «فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» أمر من الله بقطع أيدي السارق و السارقة.

و المعنى إيمانها. و إنما جمعت أيدي لأن كل شىء من شيئين، فثبته بلفظ الجمع كما قال- عز و جل -: «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» «٢» و قال الفراء كلمها

(١) سورة النساء آية ١٥. [.....]

(٢) سورة التحريم آية ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٦

كان فى البدن منه واحد فثبته بلفظ الجمع لأن أكثر أعضائه فيه منه اثنان، فحمل ما كان فيه الواحد على مثل ذلك، فقليل قلوبهما و

ظهورهما. كما قيل عيونهما وأيديهما. وقال الفراء إنما فعلوا ذلك للفصل بين ما في البدن منه واحد وبين ما في البدن منه اثنان، فجعل ما في البدن منه واحد تثنيته وجمعه بلفظ واحد ولم يثن أصلاً، لأن الاضافة تدل عليه، ولأن التثنية جمع، لأنه ضم شيء الى شيء. وإن ثنى جاز قال الشاعر:

ظهورهما مثل ظهور الترسين

فجمع بين الأمرين. وإنما اعتبرنا قطع الايمان، لإجماع المفسرين على ذلك. كالحسن والسدي والشعبي وغيرهم. وفي قراءة ابن مسعود «و السارقون و السارقات فاقطعوا إيمانهما» والنصاب الذي يتعلق القطع به قيل فيه ستة أقوال:

أولها- على مذهبنا، وهو ربع دينار. وبه قال الاوزاعي والشافعي، لما

روى عن النبي (ص) أنه قال القطع في ربع دينار.

الثاني- ثلاثة دراهم وهو قيمة المجن. ذهب اليه مالك بن أنس.

الثالث- خمسة دراهم

روى ذلك عن علي (ع) وعن عمر، وانهما قالوا: لا يقطع الخمس إلا في خمسة دراهم

وهو اختيار أبي علي، قال: لأنه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكاة في أنه فاسق.

الرابع- قال الحسن: يقطع في درهم، لأن ما دونه تافه.

الخامس- عشرة دراهم ذهب اليه أبو حنيفة وأصحابه لما رووا أنه كان قيمة المجن عشرة دراهم.

السادس- قال أصحاب الظاهر وابن الزبير يقطع في القليل والكثير. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٧

ولا يقطع إلا- من سرق من حرز. و الحرز يختلف، فكل شيء حرز يعتبر فيه حرز مثله في العادة. وحدّه أصحابنا بأنه كل موضع لم يكن لغيره الدخول اليه و التصرف فيه إلا- باذنه فهو حرز. وقال أبو علي الجبائي الحرز أن يكون في بيت أو دار مغلق عليه و له من يراعيه و يحفظه.

و من سرق من غير حرز لا يجب عليه القطع. قال الرماني، لأنه لا يسمى سارقاً حقيقة وإنما يقال ذلك مجازاً كما يقال سرق كلمة أو معنى في شعر لأنه لا يطلق على هذا اسم سارق على كل حال. وقال داود: يقطع إذا سرق من غير حرز.

و كيفية القطع عندنا يجب من أصول الأصابع الأربعة و يترك الإبهام و الكف- وهو المشهور

عن علي (ع): و قال أكثر الفقهاء: إنه يقطع من الرسغ.

وهو المفصل بين الكف و الساعد. وقالت الخوارج يقطع من الكتف. و أما الرّجل فعندنا تقطع الأصابع الأربعة من مشط القدم و يترك الإبهام و العقب.

دليلنا أن ما قلناه مجمع على وجوب قطعه. و ما قالوه ليس عليه دليل.

و لفظ اليد يطلق على جميع اليد الى الكتف و لا يجب قطعه- بلا خلاف إلا ما حكيناه عن لا يعتد به. و قد استدل قوم من أصحابنا على صحته ما قلناه بقوله «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ» (١) و إنما يكتبونه بالأصابع.

- و المعتمد ما قلناه- و عليه اجماع الفرقة المحقة.

و متى تاب السارق قبل أن يرفع الى الامام. و ظهر ذلك منه ثم قامت عليه البينة، فانه لا يقطع. غير أنه يطالب بالسرقة و إن تاب بعد قيام البينة

(١) سورة البقرة آية ٧٩.

عليه وجب قطعه على كل حال. وقال الفقهاء يجب قطعه على كل حال. فان كان تاب كان قطعه امتحاناً، وان لم يكن تاب كان عقوبةً وجزاءً. ومتى قطع فانه لا يسقط عنه رد السرقة سواء كانت باقية أو هالكة، فان كانت باقية ردها- بلا خلاف- وإن كانت هالكة رد عندنا قيمتها. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يجمع عليه القطع والغرامة معاً، فان قطع سقطت الغرامة وان غرم سقط القطع. وقد دللنا على صحته ما قلناه- في مسائل الخلاف- ومتى سرق بعد قطع اليد دفعة ثانية قطعت رجله اليسرى حتى يكون من خلاف. فان سرق ثلثه حبس عندنا. وبه قال الحسن. وقال أبو علي تقطع اليد الاخرى، فان سرق في الحبس قتل عندنا. ولا يعتبر ذلك أحد من الفقهاء.

و ظاهر الآية يقتضى وجوب قطع العبد والأمة إذا سرقا لتناول اسم السارق و السارقة لهما.

وقوله: «جزاء بما كسبنا» معناه استحقاقاً على فعلهما «نكالاً من الله» أى عقوبة على ما فعلاه. قال زهير:

ولو لا أن ينال أبا طريفٍ عذاب من خزيمه أو نكال

أى عقوبة. و نصبه يحتمل أمرين:

أحدهما- مفعول له و تقديره لجزاء فعلهما.

الثانى- نصب على المصدر الذى دل عليه فاقطعوا لأن معنى فاقطعوا:

جاوزهم و نكلوا بهم. و قال الازهرى معناه لينكل غيره نكالاً عن مثل فعله يقال نكل ينكل إذا جبن، فهو ناكل «و الله عزير حكيم» أى

مقتدر لا يغالب «حكيم» فيما يأمر به من قطع السارق و السارقة، و فى غيره من الافعال.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥١٩

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٣٩]..... ص: ٥١٩

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩)

آية بلا خلاف أخبر الله تعالى أن من تاب و أقلع و ندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة و غيرها و فعل الفعل الجميل الصالح «فإن الله يتوب عليه» و معناه يقبل توبته بإسقاط العقاب بها عن المعصية التى تاب منها. و وصف الله تعالى بانه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة، لأن فى ذلك ترغيباً للعاصى فى فعل التوبة، و لذلك قال تعالى واصفاً نفسه بأنه تواب رحيم. و وصف العبد بأنه تواب معناه أواب و هى صفة مدح من أجل المدح على التوبة التى يسقط العقاب عندها. و لا خلاف فى سقوطه عندها و هى الندم على ما مضى من القبيح أو الإخلال بالواجب و العزم على ترك الرجوع الى مثله فى القبح.

و فى الناس من قال يكفى الندم مع العزم على ترك المعاودة. و الذى ذكرناه أولى، لأن سقوط العذاب عنده مجمع عليه. و ان اختلفوا هل هو واجب أو تفضل؟ و ما قالوه فيه خلاف. و يمكن التوبة من الحسن إلا أن حسنه لا يدعو الى التوبة منه كما يدعو قبح القبيح الى التوبة منه لكن قد يتوب الإنسان منه لقبحه فيما يتوهمه أو لمضرة تلحقه به. و لا يجوز التوبة من الحسن كيف تصرف الحال لأنه تحريم لما ليس بحرام، و تقييح لما ليس بقبيح. و يمكن أن تكون التوبة من القبيح معصية لله كالذى يتوب من الإلحاد و يدخل فى النصرانية.

و قال مجاهد: ان الحد كفرارة. و هذا غير صحيح، لأن الله تعالى دل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٠

على معنى الأمر بالتوبة. و إنما يتوب المذنب من ذنبه. و الحد من فعل غيره.

و أيضاً فمتى كان مُصراً كان إقامة الحد عليه عقوبة. و العقوبة لا تكفر الخطيئة. كما لا يستحق بها الثواب. و قوله «إن الله غفور رحيم» يدل على ما نذهب اليه من أن قبول التوبة و إسقاط العقاب عندنا تفضل من الله، فلذلك صح و صفة بانه غفور رحيم. و لو كان الغفران واجباً عند التوبة لم يلق به غفور رحيم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٠]..... ص: ٥٢٠

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)
 قيل فيمن يتوجه هذا الخطاب إليه قولان:

أحدهما- أنه متوجه إلى النبي (ص) والمراد به أمته كما قال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ» .

والثاني- أنه متوجه إلى كل مكلف من الناس وتقديره: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا إِنْسَانَ. واتصال هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد. وما ذكره من الأحكام.

والمعنى أَلَمْ تَعْلَمْ يَا إِنْسَانَ «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» يعني له التصرف فيهما من غير دافع ولا منازع «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» إذا كان مستحقاً للعقاب «وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» إذا عصاه ولم يتب، لأنه إذا تاب، فقد وعد بأنه لا يؤاخذ به بعد التوبة. وعند المخالفة يقبح مؤاخذته بعدها.

فعلى الوجهين معاً لا يعلق ذلك بالمشيئة. وفي ذلك دلالة على أنه قادر على التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢١
 أن يعاقب على وجه الجزاء، لأنه لو لم يكن قادراً عليه لما كان فيه وجه مدح «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه هاهنا أن من ملك السموات والأرض وقدر على هذه الأجسام والأعراض التي يتصرف فيها ويديرها، فهو لا يعجزه شيء لقدرته على كل جنس من أجناس المعاني. وقوله «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عام في كل ما يصح أن يكون مقدرًا له تعالى. ولا يحتاج إلى أن يقيد بذكر ما تصح القدرة عليه لأمرين:

أحدهما- ظهور الدلالة عليه، فجاز ألا يذكر في اللفظ.

والآخر- أن ذلك خارج مخرج المبالغة كما يقول القائل أتانى أهل الدنيا. ولعله لم يجئه إلا خمسة فاستكثرهم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤١]..... ص: ٥٢١

يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ
 لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرُفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
 (٤١)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٢

هذا خطاب للنبي (ص) نهاه الله أن يحزنه الذين يسارعون في الكفر أي يبادرون فيه. و (يحزنك) - بفتح الياء وضمها - لغتان. وقد قرئ بهما.

وقد قدمنا ذكره مستوفى.

من المنافقين «الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا» يعني صدقنا «بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» يعني لم تصدق قلوبهم «وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ» وقف هاهنا. و «سماعون» فيه مبالغة من سامع مثل جابر وجبار. وقيل في رفع «سماعون» قولان:

أحدهما- قال سيويوه رفع على الابتداء والخبر «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا» كما تقول من قومك عقلاء.

الثاني- قال الزجاج: على أنه خبر الابتداء. وتقديره: المنافقون هم، واليهود سماعون للكذب. وقيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما- «سماعون» كلامك للكذب عليك سماعون كلامك «لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ» ليكذبوا عليك إذا رجعوا إليهم أي هم عيون عليك.

وقيل انهم كانوا رسل اهل خيبر لم يحضروا. فلماذا جالسوك، هذا قول الحسن و الزجاج و أبو علي.

الثاني - قال أهل التفسير «سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ» قائلون له كما يقال لا تسمع من فلان أى لا تقبل منه، و منه سمع الله لمن حمده «سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ» أرسلوا بهم فى قضية زان محصن. فقالوا لهم: إن أفتاكم محمد (ص) بالجلد فخذوه و إن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه، لأنهم قد كانوا حرفوا حكم الجلد الذى فى التوراة الى جلد أربعين، و تسويد الوجه و الاشهار على حمار.

هذا قول ابن عباس، و جابر، و سعيد بن المسيب و السدى، و ابن زيد. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٣

و قال قتادة: إنما كان ذلك فى قتل منهم قالوا: إن أفتاكم بالديه فاقبلوه و إن أفتاكم بالقود فاحذروه.

و قال أبو جعفر (ع) نزلت الآية فى أمر بنى النضير و بنى قريظة و قوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ»

قيل فى معنى (تحريفهم) قولان:

أحدهما - تحريف كلام النبى (ص) بعد سماعه. للكذب «يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا» أى دين اليهود فاقبلوه «وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» أن تقبلوا خلافه - فى قول الحسن و أبى علي.

الثاني - جعلهم بدل رجم المحصن جلد أربعين تغييراً لحكم الله - فى قول المفسرين.

و قوله: «مِنْ بَعِيدٍ مَوَاضِعِهِ» لأن المعنى من بعد استقراره فى مواضعه، و مضى الأيام عليه. و قال الزجاج من بعد أن فرض فروصه، و أحل حلاله، و حرم حرامه. و لو قال مكان «بَعِيدٍ مَوَاضِعِهِ» عن مواضعه لجاز، لأن معناه متقارب، هذا كما يقول القائل: أتيتك عن فراغى من الشغل، و بعد فراغى منه، و لا يجوز قياساً على ذلك أن تقول بدل قولك: رميت عن القوس، رميت بعد القوس، و لا فى قولك: جاء زيد بعد عمرو، أن تقول:

عن عمرو، لأن المعنى يختلف. و ذلك أن (عن) لما عدا الشىء الذى هو كالسبب له، و (بعد) إنما هى لما تأخر عن كون الشىء، فما صح معنى السبب و معنى التأخر جاز فيه الأمران، و ما لم يصح إلا أحد المعنيين لم يجز إلا أحد الحرفين.

و قوله: «وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ» فى الفتنة ثلاثة أقوال:

أحدهما - قال الزجاج معناه من يرد فضيخته بإظهار ما ينطوى عليه.

الثاني - قال السدى من يرد الله هلاكه. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٤

الثالث - قال الحسن و أبو علي و البلخى من يرد الله عذابه من قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أى يعذبون. و قوله «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» أى عذابكم. و قوله «إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» يعنى الذين عذبوا.

و أصل الفتنة التخليص من قولهم: فتنت الذهب فى النار أى خلصته من الغش و الفتنة الاختبار تسمى بذلك لما فيها من تخليص الحال لمن أراد الإضلال. و إنما أراد الحكم عليه بذلك بإيراد الحجج. ففيه تمييز و تخليص لحالهم من حال غيرهم من المؤمنين. و من فسره على العذاب فلأنهم يحرقون كما يحرق خبث الذهب فهم خبث كلهم. و من فسره على الفضيحة فلما فيها من الدلالة عليهم التى يتميزون بها من غيرهم. و قوله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ» قيل فيه قولان:

أحدهما - قال أبو علي و غيره لم يرد الله أن يظهرها من الحرج و الضيق الدال على دنس الكفر عقوبة لهم.

الثاني - قال البلخى و غيره: لم يرد أن يطهرها من الكفر بالحكم بأنها بريئة منه ممدوحة بضده كما يطهر قلوب المؤمنين بذلك. و لا يجوز أن يكون المراد بذلك الذين لم يرد الله منهم الايمان، لأنه لو لم يكن مريداً منهم الايمان، لم يكن مكلفاً لهم، لأن التكليف هو إرادة ما فيه المشقة و الكلفة، و لأن الله أمرهم بالايمان - بلا خلاف - و الأمر لا يكون أمراً إلا بإرادة المأمور به على ما بين فى غير موضع.

و قوله: «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» يعنى لهؤلاء الكفار و المنافقين الذين ذكرهم فى الآية، فبين أن لهم خزيًا من عذاب الله فى الدنيا. و هو

ما كان يفعله بهم من الذل و الهوان، و البغض و الزام الجزية على وجه الصغار «و لَهُمْ التَّبْيَانُ» فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٥

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»

مضافاً الى عذاب الدنيا و خزيها.

و قال أبو جعفر (ع) و جماعة من المفسرين ذكرنا أسماءهم: إن امرأه من خير- في شرف منهم- زنت و هي محصنة فكرهوا رجمها، فأرسلوا الى يهود المدينة يسألون النبي (ص) طمعاً أن يكون أتى برخصة، فسألوه، فقال:

هل ترضون بقضائي؟ قالوا: نعم، فأنزل الله عليه الرجم، فأبوه. فقال جبرائيل: سلهم عن ابن سوريا، ثم اجعله بينك و بينهم، فقال: تعرفون شاباً أبيضاً أعوراً أمرداً يسكن فداً يقال له ابن سوريا؟ قالوا: نعم هو أعلم يهودى على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى. قال: فأرسلوا اليه فأرسلوا فأتى، فقال له رسول الله (ص): أنت عبد الله بن سوريا. قال: نعم. قال:

أنت أعلم اليهود قال: كذلك يقولون. قال رسول الله (ص): فاني أنا شدك الله الذى لا-إله إلا- هو القوى إله بنى إسرائيل الذى أخرجكم من أرض مصر، و فلق لكم البحر فأنجاكم و أغرق آل فرعون، و ظلل عليكم الغمام و أنزل عليكم المنّ و السلوى، و أنزل عليكم كتابه فيه حلاله و حرامه، هل تجدون فى كتابكم الذى جاء به موسى الرجم على من أحصن؟ قال عبد الله بن سوريا:

نعم، و الذى ذكرتنى لو لا مخالفتى من رب التوراة أن يهلكنى إن كتمت ما اعترفت لك به، فأنزل الله فيه «يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ» (١) فقام ابن سوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله (ص) ثم قال: هذا مقام العائذ بالله و بك أن تذكر لنا الكثير الذى أمرت أن تعفو عنه، فأعرض النبي (ص) عن ذلك، ثم سأله ابن سوريا عن نومه و عن شبه الولد بأبيه و امه و ما حظ الأب من

(١) سورة ٤ النساء آية ١٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٦

أعضاء المولود؟ و ما حظ الام؟ فقال: تنام عيناى و لا ينام قلبى، و الشبه يغلبه أى المائين علا، و للأب العظم و العصب و العروق، و للام اللحم و الدم و الشعر. فقال: أشهد أن أمرك أمر نبى، و أسلم، فشمته اليهود.

فقال المنافقون لليهود: إن أمرك محمد بالجلد فاقبلوه و إن أمركم بالرجم فلا تقبلوا. و هو قوله: «يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ» يعنى الجلد «وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» و سلاه عن ذلك بقوله: «لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» فلما أرادوا الانصراف تعلقت قريظة بالنضير، فقالوا يا أبا القاسم- و كانوا يكرهون أن يقولوا يا محمد لثلا يوافق ذلك ما فى كتابهم من ذكره- هؤلاء إخواننا بنوا النضير إذا قتلوا منا قتيلاً لا يعطونا القود و أعطونا سبعين وسقاً من تمر، و إن قتلنا منهم قتيلاً أخذوا القود و معه سبعون وسقاً من تمر، و إن أخذوا الدية أخذوا منا مائة و أربعين وسقاً. و كذلك جراحاتنا على أنصاف جراحاتهم، فأنزل الله تعالى «وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا، وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ» (١) فحكم بينهم بالسواء، فقالوا:

لا نرضى بقضائك، فأنزل الله «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (٢).

ثم قال «وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» شاهداً لك بما يخالفونك. ثم فسر ما فيها من حكم الله فقال «وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» الآية «فَإِنْ تَوَلَّوْا» يعنى بنى النضير، لما قالوا لا تقبل حكمك «يُصِيبُهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» و هو إجلاؤهم من ديارهم.

(١) سورة ٥ المائدة آية ٥٣.

(٢) سورة ٥ المائدة آية ٤٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٧

و اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية. وقال السيدى نزلت في أبي لبابة الانصارى لقوله لبنى قريظة حين حاصرهم النبي (ص): إنما هو الذبح فلا تنزلوا على حكم سعد.

وقال عكرمة و عامر الشعبي: نزلت في رجل من اليهود قتل رجلا من أهل دينه فقال القاتل لحلفائهم من المسلمين سلوا لى محمداً (ص) فان بعث بالدية اختصمنا اليه و ان كان يأمرنا بالقتل لم نأته. وقال أبو هريرة: نزلت في عبد الله بن سوريا، و ذلك أنه ارتد بعد إسلامه على ما وصفناه عن أبي جعفر (ع)

وقال ابن جريج و مجاهد: نزلت في المنافقين و هم السماعون لقوم آخرين و الأصح من هذه الأقوال أنها نزلت في ابن سوريا على ما قدمناه عن أبي جعفر (ع) و هو اختيار الطبرى لأنه رواه أبو هريرة و البراء بن عازب و هما صحبايان.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٢]..... ص: ٥٢٧

سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاؤُكَ فَآخُكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَآخُكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)

قرأ السحت - بضم السين و الحاء - ابن كثير و أهل البصرة و الكسائي و أبو جعفر (ع) الباقون بإسكان الحاء.

وقوله: «سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ» وصف لهؤلاء اليهود الذين تقدم وصفهم.

ورفعه كما رفع سماعون الأول سواء، لأنه صفة بعد صفة. و قد يجوز التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٨

النصب في الموضوعين على القطع لكن لم يقرأ به، و قد فسرنا معنى الكذب.

وقوله: «أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ» معناه أنه يكثر أكلهم للسحت، و هو الحرام.

و روى عن النبي (ص) أنه قال: (السحت الرشوة في الحكم)

و في السحت لغتان ضم الحاء و إسكانها. و قد قرئ بهما على ما بيناه، فالسحت اسم للشىء المسحوت و ليس بمصدر، و المصدر بفتح السين. و قال الحسن سمعوا كذبه و أكلوا رشوته. و قال ابن مسعود و قتادة و ابراهيم و مجاهد و الضحاك و السدى: السحت الرشوى

و روى عن على (ع) أنه قال: (السحت الرشوة في الحكم و مهر البغى و عسب الفحل، و كسب الحجام، و ثمن الكلب، و ثمن الخمر، و ثمن الميتة، و حلوان الكاهن و الاستعجال في المعصية).

و روى عن أبي هريرة مثله.

و قال مسروق سألت عبد الله عن الجور في الحكم قال: ذلك الكفر، و عن السحت فقال الرجل يقتضى لغيره الحاجة فيهدى له الهدية.

و أصل السحت الاستئصال اسحت الرّجل إسحاثاً و هو أن يستأصل كل شىء يقال: سحته و أسحته إذا استأصله. و أذهب. قال الفرزدق:

و عض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف «١»

و يقال للحائق: اسحت أى استأصل، و منه قوله: «فَيَسْحَتُكُمْ بِعَذَابٍ» «٢» أى يستأصلكم به و فلان مسحوت المعدة إذا كان أكلها شراً.

(١) اللسان (جلف). عض زمان: ساء زمان. المسحت الشىء المهلك و المجلف - بضم الميم و تشديد اللام - الشىء الذى بقى منه

بقية قليلة لا يعتنى بها.

(٢) سورة طه آية ٦١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٢٩

و قد اسحت ماله إذا أفسده و أذهبه، ففي اشتقاق السحت أربعة أقوال:

قال الزجاج لأنه يعقب عذاب الاستئصال و البوار. و قال أبو علي هو حرام لا بركة فيه لأهله، لأنه يهلك هلاك الاستئصال. و قال الخليل هو القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب و الخمر فعلى هذا يسحت مروءة الإنسان.

و قال بعضهم حرام يحمل عليه الشره، فهو كشره المسحوت المعدة.

و قوله: «فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» قال ابن عباس، و الحسن، و مجاهد، و ابن شهاب: خيره الله تعالى في الحكم بين اليهود في زناء المحصن، و في رواية أخرى عن ابن عباس، و قتادة، و ابن زيد أنه خيره في الحكم بينهم في قتل من اليهود. و كلا القولين قد رواه أصحابنا على ما قدمناه.

و روى أن علياً (ع) دخل في بيت المال فأفرط فيه ثم قال لا أمسى و فيك درهم ثم أمر رجلاً فقسمه بين الناس، فقيل له لو عوضته شيئاً، فقال إن شاء لكنه سحت

و في اختيار الحكام، و الأئمة الحكم بين أهل الذمة إذا احتكموا اليهم قولان:

أحدهما- قال ابراهيم و الشعبي و قتادة و عطاء و الزجاج، و الطبري، و هو

المروى عن علي (ع) و الظاهر في رواياتنا أنه حكم ثابت و التخيير حاصل.

و قال الحسن و عكرمة، و مجاهد، و السدي، و الحكم، و جعفر بن مبشر، و اختاره الجبائي: أنه منسوخ بقوله: «وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» (١) فنسخ الاختيار و أوجب الحكم بينهم بالقسط، و هو العدل يقال أقسط إقساطاً إذا عدل «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» يعنى العادلين، و قسط يقسط قسوطاً إذا جار. و منه قوله: «أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

(١) سورة المائدة آية ٥٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٠

«١» أى الجائرون و قوله: «وَأَنْ تُعْرِضَ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً» أى لا يقدرون لك على ضر فى دين، و لا دنياً، فدع النظر ان شئت و إن حكمت فاحكم بما أنزل الله.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٣]..... ص: ٥٣٠

وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ مَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣)
آية بلا خلاف.

المعنى كيف يحكمكم هؤلاء اليهود يا محمد بينهم، فيرضوا بك حكماً، و عندهم التوراة فيها حكم الله التى أنزلها على موسى التى يقرون بها أنها كتابى وجه التعجب للنبي (ص) و فيه تفريع لليهود الذين نزلت فيهم فكانه قال الذى أنزلته على نبيى و إنه الحق و إن ما فيه حكم من حكمى لا- يتناكرونه و يعلمونه، و هم مع ذلك يتولون: أى يتركون الحكم به جرأة على كيف تقرون أيها اليهود بحكم نبيى محمد مع جحدكم نبوته، و تكذيبكم إياه و أنتم تتركون حكمى الذى تقرون به أنه واجب و أنه حق من عند الله.

و قوله: «فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» قال أبو علي فيه دليل على أنه لم ينسخ لأنه لو نسخ لم يطلق عليه بعد النسخ أنه حكم الله كما لا يطلق أن حكم الله تحليل الخمر أو تحريم السبت. و قال الحسن «فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» بالرجم. و قال قتادة و عصياناً لى.

«فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» بالقود.

(١) سورة الجن آية ١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣١

فان قيل كيف يقولون «فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» و عندكم أنها محرّفة مغيرة؟:

قلنا: على ما قال الحسن و قتادة لا يتوجه، لأنها و إن كانت مغيرة محرّفة لا يمتنع أن يكون فيها هذان الحكمان غير مبدلين، و هو رجم المحصن و وجوب القود. و يحتمل أن يكون المراد بذلك فيها حكم الله عندهم، لأنهم لا يقرون بأنها مغيرة بل يدعون أنها هي التي أنزلت على موسى (ع) بعينها.

و الحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة فيما يفصل به، و قد يفصل بالبيان أنه الحق و قد يفصل بالزام الحق و الأخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع الخصومة و تثبت القضية. و قوله: «ثم يتولون» فالتولى هو الانصراف عن الشيء و التولى عن الحق: الترك له. و هو خلاف التولى اليه، لأن الإقبال عليه و التولى له فالله صرف النصرة و المعونة اليه و منه تولى الله للمؤمنين.

و قوله: «مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ» قال عبد الله بن كثير: إشارة الى حكم الله في التوراة. و قال قوم هو إشارة الى تحكيمك، لأنهم ليسوا منه على ثقة، و إنما طلبوا به الرخصة. و قوله: «وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- و ما هم بالمؤمنين بحكمك أنه من عند الله مع جحدهم نبوتك و العدول عما يعتقدونه حكماً لله فيه لا على من يقرون بنبوته، فبين أن حالهم يناهض حال المؤمن به. و الثاني- قال أبو علي أن من طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر بالله و هكذا هؤلاء اليهود.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٤]..... ص: ٥٣١

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرِّبَاثُونَ وَ الْأَحْبَابُ بِمَا اسْتَحْفُظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوُا اللَّهَ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٢

آية عند الجميع.

قرأ «اخشوني» بياء في الوصل أهل البصرة و أبو جعفر، و إسماعيل، و يقف يعقوب بالياء.

أخبر الله تعالى أنه الذي أنزل التوراة فيها هدى أى بيان أن أمر النبي حق و أنّ ما سألوكم عنه في حكم الزانيين حق، و القود حق «و نور» يعنى فيها جلاء ما أظلم عليهم و ضياء ما التبس عليهم «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» يعنى يحكم بالتوراة النبيون الذين أذعنوا بحكم الله و أقرّوا به.

و قال الحسن و قتادة و عكرمة و الزهرى و السدى: إن النبي (ص) داخل في ذلك، بل قال أكثرهم: هو المعنى بذلك لما حكم في رجم المحصن، و لا يدل ذلك على أنه كان متعبداً بشرع موسى (ع) لأن الله تعالى هو الذي أوجب عليه بوحي أنزل عليه لا بالرجوع الى التوراة فصار ذلك شرعاً له و إن وافق ما فى التوراة و إنما نبه اليهود بذلك على صحة نبوته من حيث علم ما هو من غامض علم التوراة و مما قد التبس على كثير منهم و هو قد عرف ذلك من غير قراءة كتبهم، و الرجوع الى علمائهم، فلم يكن ذلك إلا باعلام الله له ذلك و ذلك من دلائل صدقه (صلى الله عليه و آله). التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٣

و قوله: «لِلَّذِينَ هَادُوا» العامل فى (الذين) أحد شيئين:

أحدهما (يحكم) فى قول الزجاج و أبى على و جماعة من أهل التأويل.

و الثاني - قال قوم العامل (أنزلنا) كأنه قال أنزلناها للذين هادوا.

و الربانيون. قد فسرناه فيما مضى «١» و هو جمع رباني و هم العلماء البصراء بسياسة الناس و تدبير أمورهم، قال السدي: عنا به ابن صوريا.

و قال الباقون - و هو الأولى - إنه على الجمع، و الإجماع جمع جبر، و هو العالم مشتق من التحبير و هو التحسين فالعالم يحسن الحسن و يقبح القبيح، و قال الفراء، أكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر. و قوله «بِمَا اسْتُحْفِظُوا» معناه بما استودعوا. و العامل في الباء أحد سببين: أحدهما - «الأخبار» كأنه قال العلماء بما استحفظوا.

و الثاني - (يحكم) بما استحفظوا.

و قوله: «وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ» قيل في معناه قولان:

أحدهما - قال ابن عباس شهداء على حكم النبي (ص) في التوراة.

الثاني - شهداء على ذلك الحكم أنه الحق من عند الله.

و قوله: «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ أَحْشَوْنِ» قيل في معناه قولان:

أحدهما - لا تخشوهم يا علماء اليهود في كتمان ما أنزلت ذهب إليه السدي.

الثاني - لا تخشوهم في الحكم بغير ما أنزلت بل اخشوني فان النفع و الضر بيدي «وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا» معناه لا تأخذوا بترك الحكم الذي أنزلته على موسى (ع) أيها الأخبار خسيماً. و هو الثمن القليل. و إنما

(١) في تفسير آية ٧٩ من سورة آل عمران المجلد الثاني ص ١١٠ - ١١١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٤

نهامهم عن أكل السحت على تحريفهم كتاب الله و تغييرهم حكمه، و هو قول ابن زيد و السدي.

و قوله: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» معناه من كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه و جعله حكماً بين عباده، فأخفاه و حكم بغيره: من رجم المحصن و القود «فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» .

و اختلفوا هل الآية على عمومها أم لا؟ فقال ابن مسعود و الحسن و ابراهيم هي على عمومها. و قال ابن عباس: هي في الجاحد لحكم الله.

و قيل في اليهود خاصة في قول الجبائي، لأنه قال لا حجة للخوارج فيها من حيث هي خاصة في اليهود. و قال البلخي يجوز أن تكون (من) بمعنى (الذي) و تكون للعهد، و هو من تقدم ذكره من اليهود. و يحتمل أن يكون خرج مخرج الشتم لا على وجه المجازاة كما يقول القائل: من فعل كذا فهو الذي لا حسب له و لا أصل، و لا يريد أنه استحق الدناءة بالفعل الذي ذكروا أنه إنما كان غير حسيب من أجل فعله و إنما يريدون الشتم و إن كان قد يفعل ذلك لعارض الحسيب العظيم الهمة. و اختار الرماني قول ابن مسعود غير أنه قال الحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة عند الحاكم بخلاف ما أنزل الله، لأنه بمنزلة من قال الحكمة خلاف ما أنزل الله. و الأولى أن تقول هي عامة فيمن حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً لذلك، فانه يكون كافراً بذلك - بلا خلاف - و متى لم يكن كذلك فالآية خاصة على ما قاله ابن عباس في الجاحدين أو ما قاله أبو علي في اليهود.

و روى البراء بن عازب عن النبي (ص) أن هذه الآيات الثلاث: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ. وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٥

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

. وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» في الكفار خاصة

، و به قال ابن مسعود و أبو صالح. و قال ليس في أهل الإسلام منها شيء و به قال الضحاك و أبو مجلز و عكرمة و قتادة. و قال الشعبي: نزلت «الكافرون» في المسلمين «و الظالمون» في اليهود «و الفاسقون» في النصارى و قال عطا و طاوس أراد به كفوفاً دون كفر، و ظلماً دون ظلم، و فسقاً دون فسق. و روه عن ابن عباس. و قال إبراهيم هي عامة في بنى إسرائيل و غيرهم من المسلمين، و به قال الحسن: و قد بينا الأقوى من هذه الأقاويل.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٥].... ص: ٥٣٥

وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)

آية بلا خلاف.

قرأ الكسائي

«و العين بالعين و الأنف بالأنف و الاذن بالاذن و السن بالسن» بالرفع فيهن. و روى ذلك عن النبي (ص) و أنه كان يقرأ به.

و قرأ نافع «الاذن» بسكون الذال حيث وقع. و قرأ نافع و عاصم و حمزة و خلف و يعقوب «و الجروح قصاص» بالنصب.

قوله «وَ كَتَبْنَا» أى فرضنا عليهم يعنى اليهود الذين تقدم ذكرهم «فيها» يعنى فى التوراة «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» و معناه إذا قتلت نفس نفساً أخرى متعمداً أنه يستحق عليها القود إذا كان القاتل عاقلاً مميزاً، و كان التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٦

المقتول مكافياً للقاتل. أما بأن يكونا مسلمين حرين أو كافرين أو مملوكين، فأما أن يكون القاتل حراً مسلماً و المقتول كافراً أو مملوكاً فإن عندنا لا يقتل.

و فيه خلاف بين الفقهاء. و إن كان القاتل مملوكاً أو كافراً أو المقتول مثله أو فوفه فانه يقتل به - بلا خلاف -.

و قوله: «وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ» من نصب جميع ذلك عطفه على المنصوب بواو الاشتراك ثم استأنف، فقال و الجروح قصاص. و من نصب الجروح عطفها على ما قبلها من المنصوبات. و من لم ينصب غير النفس فعلى أن ذلك هو المكتوب عليهم.

ثم ابتداء ما بعده بياناً مبتدأ. و يحتمل أن يكون الواو عاطفة جملة على جملة و لا يكون الاشتراك فيمن نصب. و يحتمل أن يكون حمل على المعنى، لأن التقدير قلنا لهم «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» فحمل «الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ» على المعنى دون اللفظ. و يحتمل أن يكون عطف على الذكر المرفوع فى الظرف الذى هو الخبر، و إن لم يؤكد المعطوف عليه بضمير منفصل، كما قال «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا» (١) فلم يؤكد كما أكد فى قوله: «يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ» (٢) ذكر الوجوه الثلاثة الزجاج، و أبو على الفارسي و من نصب الجميع جعل الكل فيما كتب عليهم.

هذا و إن كان إخبار من الله أنه ما كتب عليهم فى التوراة فانه لا خلاف أن ذلك ثابت فى هذا الشرع و يراعى فى قصاص الأعضاء ما يراعى فى قصاص النفس من التكافؤ. و متى لم يكونا متكافئين، فلا قصاص على الترتيب

(١) سورة ٦ الأنعام آية ١٤٨.

(٢) سورة ٧ الأعراف آية ٢٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٧

الذى رتبناه فى النفس سواء. و فيه أيضاً خلاف، و يراعى فى الأعضاء التساوى أيضاً، فلا تقلع العين اليمنى باليسرى، و لا تقطع اليمين باليسار. و تقطع الناقصة بالكاملاً. فمن قطع يمين غيره و كانت يمين القاطع شللاً. قال أبو على: يقال له إن شئت قطعت يمينه الشلاء أو

تأخذ دية يدك. وقد ورد في أخبارنا أن يساره تقطع إذا لم يكن للقاطع يمين، فأما عين الأعور، فإنها تقلع بالعين التي قلعها سواء كانت المقلوعة عوراء أو لم تكن. وإن قلعت العين العوراء كان فيها كما الدية إذا كانت خلقة أو ذهب بآفة من الله أو يقطع إحدى عيني القالع و يلزمه مع ذلك نصف الدية. وفي ذلك خلاف ذكرناه في الخلاف.

و أما الجروح، فإنه يقتص منها إذا كان الجراح مكافياً للمجروح على ما بيناه في النفس، و تقتص بمثل جراحته الموضحة بالموضحة و الهاشمة بالهاشمة و المنقلة بالمنقلة «١» و لا- قصاص في المأمومة و هي التي أم الرأس و لا الجافية، و هي التي تبلغ الجوف، لأن في القصاص منها تعزيراً بالنفس. و لا ينبغي أن يقتص من الجراح إلا بعد أن تندمل من المجروح، فإذا اندمل اقتص حينئذ

(١) الموضحة هي الجراح التي بلغت العظم فأوضحت عنه.

(الهاشمة) قيل: شجة تهشم العظم. و قيل: هي التي هشمت العظم و لم يتباين فراشه. و قيل هي التي هشمت العظم فنقش و اخرج، فتباين فراشه. و (المنقلة)- بكسر القاف و تشديده- هي التي تنقل العظم أي تكسره حتى يخرج منها فراش العظم و هي قشور تكون على العظم دون اللحم. و فيها أقوال أخر و روايات في الشرع من شاء فليراجع كتب الفقه الاستدلالية.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٨

من الجراح. و إن سرت الى النفس كان فيها القود. و كسر العظم لا قصاص فيه، و إنما فيه الدية. و كل جراحة كانت ناقصة فإذا قطعت كان فيها حكومة.

و لا يقتص لها الجراحة الكاملة كيد شلاء و عين لا تبصر و سن سوداء متأكلة «١»، فإن جميع ذلك حكومة لا تبلغ دية تلك الجراحة. و قد روى أن في هذه الأشياء مقدوراً و هو ثلث دية العضو الصحيح. و تفصيل أحكام الجنائيات و الديات استوفيناها في النهاية و المبسوط في الفقه لا نطول بذكره هاهنا.

و قوله: «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ» الهاء في «كَفَّارَةٌ لَهُ» يحتمل عودها الى أحد أمرين:

أحدهما- و هو الأقوى- ما قاله عبد الله بن عمر و الحسن و قتادة و ابن زيد و ابراهيم- على خلاف عنه- و الشعبي بخلاف عنه: إنها عائدة على المتصدق من المجروح أو ولي المقتول، لأنه إذا تصدق بذلك على الجراح لوجه الله كفر عنه بذلك عقوبة ما مضى من معاصيه.

الثاني- على المتصدق عليه لأنه يقوم مقام أخذ الحق عنه ذهب اليه ابن عباس و مجاهد، و إنما رجحنا الأول، لأن العائد يجب أن يرجع الى المذكور، و هو من تصدق، و المتصدق عليه لم يجر له ذكر، و معنى «من تصدق» به عفا عن الحق و اسقط.

فان قيل: هل يكفر الذنب إلا التوبة أو اجتناب الكبيرة؟

قلنا: على مذهبنا يجوز أن يكفر الذنب شيء من أفعال الخير، و يجوز أن يتفضل الله بإسقاط عقابها. و قال قوم: يجوز أن يكفر بالطاعة الصغيرة

(١) (المتأكلة) هي السن المحتكة اما من الكبر أو من عاهة فيها و هي أيضاً السن التي قد ذهب منها شيء و بقي منها بقية. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٣٩

حتى يسقط بها.

و قوله «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قد بينا أن في الناس من قال ذلك يختص باليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله في التوراة من القود و الرجم. و يمكن أن يحمل على عمومه في كل من لم يحكم بما أنزل الله و حكم بخلافه بأنه يكون ظالماً لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب.

و هذا الوجه يوجب أن ما تقدم ذكره من الأحكام يجب العمل به في هذا الشرع و إن كان مكتوباً في التوراة.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٦]..... ص: ٥٣٩

وَ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصِداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ وَ مُصِداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦)
آية عند الجميع.

قوله: (و قفينا) معناه أتبعنا يقال: قفاه يقفوه و قفواً و منه قافية الشعر لأنها تتبع الوزن و منه القفا، و ينثى قفوان، و استقفاه إذا قفا أثره ليسلبه.

و القفى الضيف، لأنه يقفى بالبر و اللطف. و قوله «على آثارهم» فالآثار جمع أثر و هو العمل الذى يظهر للحس، و آثار القوم ما أبقوا من أعمالهم، و منه المأثرة، و هى المكرمه التى يأتريها الخلف عن السلف، لأنها عمل يظهر نصاً المنفس، و الأثير الكريم على القوم لأنهم يؤثرونه بالبر، و منه الإيثار بالاختيار، لأنه اظهار أحد العاملين على الآخر و استأثر فلان بالشىء إذا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٠

اختاره لنفسه. و الهاء و الميم فى قوله: «آثارهم» قيل فيمن يرجع اليه قولان:

أحدهما- اختاره البلخى و الرمانى: انهما يرجعان الى النبيين الذين أسلموا، و قد تقدم ذكرهم. و قال أبو على يعودان على الذين فرض عليهم الحكم الذى مضى ذكره، لأنه أقرب. و الأول أحسن فى المعنى. و هذا أجود فى العريه.

و قوله: «بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصِداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ» نصب مصداً على الحال. و المعنى أنه يصدق على ما مضى من التوراة الذى أنزلها الله على موسى و يؤمن بها. و إنما قال لما مضى قبله بين يديه لأنه إذا كان ما يأتى بعده خلفه، فالذى مضى قبله قدامه و بين يديه.

و قوله (وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ) يعنى عيسى أنزلنا عليه الإنجيل «فيه» يعنى فى الإنجيل «هدى» يعنى بيان، و حجة «و نور» سماه نوراً لما فيه من الاهتداء به كما يهتدى بالنور و «هدى» رفع بالابتداء «و فيه» خبره قدّم عليه. و «نور» عطف عليه و «مُصِداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ» نصب على الحال و ليس ذلك بتكرير لأن الأول حال لعيسى (ع) و أنه يدعوا الى التصديق بالتوراة. و الثانى- أن فى الإنجيل ذكر التصديق بالتوراة و هما مختلفان و «هدى» فى موضع نصب بالعطف على «مُصِداً» .

و (موعظة) عطف على «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» . و إنما اضافه الى المتقين، لأنهم المنتفعون بها. و قد مضى مثل ذلك فيما مضى. و المتقون هم الذين يتقون معاصى الله و ترك واجباته خوفاً من عقابه و الوعظ و الموعظة هو الزجر عما كرهه الله الى ما يحبه الله و التنبيه عليه. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤١

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٧]..... ص: ٥٤١

وَ لِيُحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)
آية.

قرأ حمزة (و ليحكم) بكسر اللام، و نصب الميم. الباقون بجزم اللام على الأمر.

حجة حمزة أنه جعل اللام متعلقه بقوله «وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ» لأن إتياءه الإنجيل انزال ذلك عليه، فصار كقوله «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ» «١» و حجة من جزم الميم انه جعله أمراً بدلالة قوله: «وَ أَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» فكما أمر النبى (ص) بالحكم بما أنزل عليه كذلك أمر عيسى (ع) بالحكم بما أنزل الله فى الإنجيل. و فى معنى الأمر قولان:

أحدهما- و قلنا: «لِيُحَكِّمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ» فيكون على حكاية ما فرض عليهم و حذف القول لدلالة ما قبله في قوله و قفينا، و آتينا كما قال: «و الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» «٢» أى يقولون سلام عليكم.
الثانى - أنه استأنف الأمر لأهل الإنجيل على غير حكاية، لأن أحكامه كانت حينئذ موافقة لأحكام القرآن. و لم تنسخ بعد- هذا قول أبى على - و الأول أقوى- و هو اختيار الرمانى.
و قوله: «بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» يعنى الإنجيل، و هو يذكر و يؤنث،

(١) سورة ٤ النساء آية ١٠٤.

(٢) سورة ١٣ الرعد آية ٢٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٢

و الإنجيل إفعال من النجل و هو الأصل، و النجل النزل من الماء. و النجل الولد. و النجل القطع. و منه سمي المنجل. و قرأ الحسن (أنجيل) بفتح الهمزة و هو شاذ و هو ضعيف. لأنه ليس فى كلام العرب شىء على وزن (أفعال) و إنما جازمت لام الامر و نصبت لام كى، لأن لام الأمر توجب معنى لا يكون للاسم فأوجبت إعراباً لا يكون للاسم و لام كى يقدر بعدها (أن) بمعنى الاسم. و قوله: «و مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- قال أبو على ان (من) بمعنى الذى و هو خبر عن قوم معرفين، و هم اليهود الذين تقدم ذكرهم.

و الثانى- قال غيره ان ذلك خرج مخرج المجازة و المعنى أن من لم يحكم بما أنزل الله من المكلفين فهو فاسق، لأن اطلاق الصفة يدل على أنه ذهب الى ان الحكمة فى خلاف ما أمر الله به فلهذا كان كافراً.

و قال ابن زيد: الفاسقون- هاهنا- و فى أكثر القرآن بمعنى الكاذبين كقوله «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ» «١» يعنى كاذب.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٨]..... ص: ٥٤٢

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)

(١) سورة ٤٩ الحجرات آية ٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٣

آية بلا خلاف.

هذا خطاب النبى (ص) بأنه تعالى أنزل إليه الكتاب يعنى القرآن «بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا» نصب على الحال يصدق ما بين يديه من الكتاب يعنى التوراة و الإنجيل و ما فيهما من توحيد الله و عدله و الدلالة على نبوته (ع) و الحكم بالرجم و القود على ما تقدم ذكره. و فيه دلالة على أن ما حكا الله أنه كتبه عليهم فى التوراة حكم بأنه يلزمنا العمل به، لأنه جعل القرآن مصدقاً لذلك و مهيمناً عليه.

و قيل فى معنى (المهيمن) خمسة أقوال: أحدهما- قال ابن عباس و الحسن و قتادة، و مجاهد: معناه أمين عليه و شاهد. و قال قوم: مؤتمن.

و قال آخرون: شاهد. و قال آخرون: حفيظ. و قال بعضهم: رقيب.

و الأصل فيه (مؤيمن) فقبلت الهمزة هاء، كما قيل فى أرقت الماء: هرقت.

هذا قول أبي العباس و الزجاج و قد صُيرف، فقيل (هيمن) الرجل إذا ارتقب، و حفظ و شهد، يهيمن هيمنة فهو مهيمن. و قال بعضهم مهيمناً- بفتح الميم الثانية- و هو شاذ. و فى معنى المهيمن هاهنا قولان:
قال ابن عباس، و الحسن و أكثر المفسرين: إنه صفة للكتاب.

الثانى- قال مجاهد هو صفة النبى (ص) و الأول أقوى، لأجل حرف العطف، لأنه قال: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ» ثم قال: «و مهيمناً» و لا يجوز أن يعطف على حال لغير الأول. لا تقول ضربت هند زيدا قاعداً و قائمته، و لو قلت قائمته بلا و او لكان جائزاً. و يجوز التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٤
أن يكون عطفاً على مصدقا و يكون مصدقاً حالاً للنبى (ص) و الأول أظهر.

و قوله «فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» قال ابن عباس، و الحسن، و مسروق: يدل على أن أهل الكتاب إذا ترافعوا الى احكام يجب أن يحكموا بينهم بحكم القرآن و شريعة الإسلام، لأنه أمر من الله تعالى بالحكم بينهم و الأمر يقتضى الإيجاب. و قال أبو على ذلك نسخ بالتخير فى الحكم بين أهل الكتاب و الاعراض عنهم و الترك. و قوله: «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» نهى له (ص) عن اتباع أهوائهم فى الحكم، و لا يدل ذلك على أنه كان اتبع أهواءهم، لأنه مثل قوله «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» (١) و لا يدل ذلك على أن الشرك كان وقع منه. و قوله «عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» أى لا تتبع أهواءهم عادلاً عما جاءك من الحق.

و قوله «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا» فالشريعة و الشريعة واحد و هى الطريقة الظاهرة. و الشريعة هى الطريق الذى يوصل منه الى الماء الذى فيه الحياة فقيل الشريعة فى الدين أى الطريق الذى يوصل منه الى الحياة فى النعيم، و هى الأمور التى تعبد الله- عز و جل- بها من جهة السمع قال الشاعر:

أ تنسونى يوم الشريعة و القنا بصفين فى لباتكم قد تكسرا

يريد شريعة الفرات و الأصل فيه الظهور أشرفت القنا إذا أظهرته.

و شرعت فى الأمر شروعاً إذا دخلت فيه دخولا ظاهرا، و القوم فى الأمر شرع سواء أى متساوون. و المنهاج الطريق المستمر يقال: طريق نهج و منهج أى بين قال الراجز:

(١) سورة الزمر آية ٦٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٥

من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء و طريق نهج (١)

و قال المبرد: الشريعة ابتداء الطريق، و المنهاج الطريق المستمر قال:

و هذه الألفاظ إذا تكررت فلزيادة فائدة منه. و منه قول الحطيئة:

ألا حبذا هند و أرض هند و هند أتى من دونها النأى و البعد (٢)

قال فالنأى لما قل بعده و البعد لما كثر بعده فالنأى للمفارقة، و قد جاء بمعنى واحد. قال الشاعر:

حييت من طلل تقادم عهده أقوى و أفقر بعد أم الهيثم

و أفقر و أقوى معناهما خلا و قال ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاك «شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا» أى سنه و سبيلا و الشريعة التى جعلت «لكل» قيل فيه قولان: أحدهما- قال مجاهد شريعة القرآن لجميع الناس لو آمنوا به. الثانى- قال قتادة و غيره و اختاره الجبائى أنه شريعة التوراة و شريعة الإنجيل و شريعة القرآن.

و قوله «منكم» قيل فى المعنى به قولان:

أحدهما أمة نبينا و أمم الأنبياء قبله على تغليب المخاطب على الغائب.

الثاني - أنه أراد أمة نبينا وحده، وهو قول مجاهد. والاول أقوى لأنه تعالى بين أنه جعل لكل شرعةً ومنهاجاً غير شرعة صاحبه و يقوى ذلك قوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» و لو كان الأمر على ما قال مجاهد لما كان لذلك معنى، لأنه تعالى قد جعلهم أمة واحدة بأن أمرهم بالدخول

(١) مجاز القرآن لابي عبيدة ١: ١٦٨ و اللسان (روى). و قد رواه الطبرى (من يك فى شك).

(٢) اللسان «نأى» .

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٦

فيها و الانقياد لها. و قوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» قيل فى معناه أقوال:

أحدها قال الحسن و الجبائى انه اخبار عن القدرة كما قال «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» (١) .

الثانى قال البلخى معناه لو شاء الله لفعل ما يختارون عنده الكفر، لكنه لا يفعله، لأنه مناف للحكمة و لا يلزم على ذلك أن يكون فى مقدوره ما يؤمنون عنده فلا يفعله، لأن ذلك لو كان مقدوراً لوجب أن يفعله ما لم يناف التكليف.

الثالث قال قوم: لو شاء الله لجمعهم على ملء واحدة فى دعوة جميع الأنبياء و الأول أصح لأن دعوة الأنبياء تابعة للمصالح، فلا يمكن جمع الناس على شريعة واحدة مع اختلاف المصالح.

الرابع قال الحسين بن على المغربى: معناه لو شاء الله ألا يبعث اليهم نبياً، فيكونون متعبدين بما فى العقل و يكونون أمة واحدة. و أقوى الوجوه أولها.

و قوله «وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ» معناه ليختبركم بما كلفكم من العبادات و هو عالم بما يؤل اليه أمركم، لأنه عالم لنفسه و قد فسرنا معنى البلوى فيما مضى. «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما - بادروا فوت الحظ بالتقدم فى الخير.

الثانى - بادروا الفوت بالموت ذكره الجبائى.

(١) سورة ٣٢ حم السجدة آية ١٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٧

و قوله «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» أى الى الله مرجعكم يعنى الى الموضع الذى لا يملك أحد فيه لكم ضرراً و لا نفعاً غيره فجعل رجوعهم الى هذا الحد بالموت رجوعاً اليه تعالى و بين أنه يعلمهم ما كانوا يختلفون فيه فى الدنيا من أمر دينهم و أنه يحكم فى ذلك بينهم بالحق.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٤٩]..... ص: ٥٤٧

وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)

آية بلا خلاف.

موضع «أن احكم» نصب و العامل فيها و أنزلنا و التقدير و أنزلنا اليك أن احكم بينهم بما انزل الله. و يجوز أن يكون موضعها رفعاً و تقديره و من الواجب أن احكم بينهم بما أنزل الله. و وصلت أن بالأمر و لا يجوز صلة الذى بالأمر لأن (الذى) اسم ناقص مفتقر الى صلة فى البيان عنه فتجرى مجرى صفة النكرة و لذلك لا بد لها من عائد يعود اليها و ليس كذلك «ان» لأنها حرف، و هى مع ما

بعدها بمتزلة شيء واحد فلما كان في فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره.
و انما كرر الأمر بالحكم بينهم، لامرين:
أحدهما-

أنهما حكمان أمر بهما جميعاً لأنهم احتكموا اليه في زناء المحصن ثم احتكموا اليه في قتل كان منهم ذكره أبو علي وهو المروى
عن التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٨
أبي جعفر (ع).

الثاني- ان الأمر الاول مطلق و الثاني دل على أنه منزل.

و قوله «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» نهى له (ص) أن يتبع أهواءهم فيحكم بما يهوونه.
و قوله «وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» في معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس احذرهم ان يضلوك عن ذلك الى ما يهوون من الأحكام اطماعاً منهم في الاستجابة الى الإسلام.

الثاني- قال ابن زيد احذرهم ان يضلوك بالكذب عن التوراة بما ليس فيها فاني قد بينت لك حكمها. و قال الشعبي الآية و ان
خرجت مخرج الكلام على اليهود فان المجوس داخلون فيها.

و قوله «فَبِإِنْ تَوَلَّوْا» معناه فان أعرضوا عن حكمك بما أنزل الله «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَغْضِ ذُنُوبِهِمْ» قيل في معناه أربعة
أقوال:

أحدهما- قال الجبائي انه و ان ذكر لفظ الخصوص فان المراد به العموم كما قد يذكر العموم و يراد به الخصوص.

الثاني- انه على تغليط العقاب أى يكفى أن يؤخذوا ببغض ذنوبهم في إهلاكهم و التدمير عليهم.

الثالث ان يعجل بعض العقاب بما كان من التمرد في الاجرام لان ذلك من حكم الله في العباد.

الرابع- قال الحسن: ان المراد به اجلاء بنى النضير بنقض العهد و قتل بنى قريظة و قوله «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ» معناه تسليته

للنبي (ص) عن اتباع هؤلاء القوم الى اجابته و الإقرار بنبوته بأن قليلا من الناس الذين التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٤٩

يؤمنون، و ان الأكثر هم الفاسقون، فلا ينبغي ان يعظم ذلك عليك.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٠]..... ص: ٥٤٩

أَفْحَكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)

آية بلا خلاف.

قرأ (تبغون) بالتاء ابن عامر وحده الباقون بالياء. من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم، و من قرأ بالياء، فلأن ما قبله على لفظ الغيبة و هو قوله

«وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ» فحملوا عليه. و الكناية في قوله «أَفْحَكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» قيل فيها قولان:

أحدهما- إنها كناية عن اليهود في قول مجاهد، و أبو علي قال أبو علي لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه. و
إذا وجب على أقويائهم بالغنى و الشرف في الدنيا لم يأخذوهم به، فقيل لهم «أَفْحَكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ» يعنى عبدة الأوثان «تبغون» و أنتم
أهل كتاب.

الثاني- انها كناية عن كل من طلب غير حكم الله أى انما خرج منه الى حكم الجاهلية. و كفى بذلك خزيًا أن يحكم بما يوجهه
الجهل دون ما يوجهه العلم.

و نصب «أَفْحَكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» و هو مفعول به و معنى تبغون تطلبون يقال بغى يبغى بغياً إذا طلبه و البغاه هم الذين يطلبون التآمر

على الناس و التراس بغير حق و البغى الفاجرة لأنها تطلب الفاحشة، و منه قوله «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُضْهِرَّنَّهُ

اللَّهُ» (١) «أى من طلب عليه الاستعلاء

(١) سورة الحج آية ٦٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٠

بالظلم. وقوله «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا» نصب على التمييز أى فصلاً بين الحق والباطل من غير محاباة، ولا مقاربة لأنه لا يجوز للحاكم أن يحابي فى الحكم بأن يعمل على ما يهواه بدلاً مما يوجب العدل وقد يكون حكم أحسن من حكم بأن يكون أولى منه و أفضل منه وكذلك لو حكم بحق يوافق هواه كان ما يخالف هواه أحسن مما يوافقها وقوله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» معناه عند قوم يوقنون بالله و بحكمه فأقيمت اللام مقام (عند) هذا قول أبى على، وهذا جائز إذا تقاربت المعانى ولم يقع اللبس لأن حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥١]..... ص: ٥٥٠

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)

قوله «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» إخبار منه تعالى ان الكفار يوالى بعضهم بعضاً وقوله «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ» يعنى من استنصرهم واتخذهم أنصاراً فانه منهم أى محكوم له بحكمهم فى وجوب لعنه والبراءة منه و يحكم بأنه من أهل النار. وقوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» معناه لا يهديهم الى طريق الجنة لكفرهم، واستحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار، هذا قول أبى على. و قال غيره: معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين فى المدح و الثناء و النصره على الأعداء.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥١

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٢]..... ص: ٥٥١

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)

آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبي (ص) أعلمه الله أنه يرى الذين فى قلوبهم مرض أى شك و نفاق «يقولون» فى موضع الحال، و تقديره قائلين نخشى أن تصيبنا دائرة. و الذين يخشون أن تصيبهم دائرة قيل فيه قولان:

أحدهما- قال مجاهد و قتادة و السدى و أبو على الجبائى: إنهم قوم من المنافقين.

وقال عطية بن سعد و عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت: إنه عبد الله ابن أبى بن سلول.

و «الدائرة» الدولة التى تحول الى من كانت له عمن هى فى يديه، قال الشاعر:

ترد عنك القدر المقدورا و دائرة الدهر أن تدورا»

يعنى دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم.

وقوله «فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ» عسى موضوعه فى اللغة للشك و هى من الله تعالى تفيد الوجوب، لأن الكريم إذا أطلع فى خير يفعلها، فهو بمنزلة

(١) مجاز القرآن ا: ١٦٩ و تفسير الطبرى ١٠: ٤٠٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٢

الوعد به في تعلق النفس به وإرجائها له، ولذلك حق لا يضيع و منزله لا تخيب.

و الفتح القضاء و الفصل - و هو قول قتاده- و منه قوله «أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ» (١) و قال أبو على هو فتح بلاد المشركين على المسلمين و قال السدى: هو فتح مكة و يقال للحاكم الفتح، لأنه يفتح الحكم و يفصل به الأمر. و قوله «أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

قال السدى: هو تجديد أمر فيه إذلال المشركين و عز للمؤمنين، و قيل هو الجزية.

و قيل: هو اظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتلهم في قول الحسن و الزجاج.

و قال أبو على: هو أمر دون الفتح الأعظم أو موت هذا المنافق، لأنه إذا أتى الله المؤمنين ذلك ندم المنافقون و الكفار على تقويتهم بأنفسهم ذلك، و كذلك إذا ماتوا أو تحققوا ما يصيرون اليه من العقاب ندموا على ما فعلوه في الدنيا من الكفر و النفاق.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٣]..... ص: ٥٥٢

و يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣)
آية قرأ ابن كثير، و عامر، و نافع «يقول» بلا واو. الباقون بالواو، و كلهم قرأ بضم اللام إلا أبا عمرو، فانه فتحها. من نصب اللام فالمعنى عسى

(١) سورة الأعراف آية ٨٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٣

أن يقول، و من رفعه فعلى الاستئناف.

فان قيل كيف يجوز النصب و لا يجوز أن يقول الذين آمنوا؟

قيل: قال أبو على الفارسي يحتمل ذلك أمرين غير هذا:

أحدهما- أن يحمل على المعنى، لأنه إذا قال عسى الله أن يأتي بالفتح و كأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح، «و يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» كما قال «فَأَصْدَقَ وَ أَكُنَّ» كأنه قال: أصدق و أكن، و قد جاء مثله نحو قوله «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ» (١) و قال «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَّ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا» (٢).

و وجه آخر و هو: أن يبدل (أن يأتي) من اسم الله كما أبدلت (أن) من الضمير الذى فى قوله «وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» (٣) فإذا أبدلته فكأنك قلت عسى أن يأتي الله بالفتح، و يقول الذين آمنوا. و أما من رفع فلانه عطف جملة على جملة، و لم يجعلها عاطفة على مفرد. و يقوى الرفع قراءة من قرأ بلا واو و أما إسقاط الواو و إثباتها فجميعاً حسنان: أما الحذف فلان فى الجملة المعطوفة ذكراً فى المعطوف عليها و ذلك أن من وصف بقوله «يَسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ» الى قوله «نادمين» هم الذين قال فيهم «أ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» فلما صار فى كل واحدة من الجملتين ذكر فيما تقدم من الأخرى حسن عطفها بالواو و بغير الواو، كما أن قوله

(١) سورة البقرة آية ٢١٦.

(٢) سورة النساء آية ٨٣.

(٣) سورة ١٨ الكهف آية ٦٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٤

«سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» (١) لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر ما تقدم اكتفى بذلك عن الواو. ويدل على حسن اثبات الواو قوله «وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» .

وقوله «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» أي الذين صدقوا بالله ورسوله ظاهراً وباطناً تعجباً من نفاق المنافقين «أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ» في معاونتكم على أعدائكم و نصرتكم «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» أي ضاعت أعمالهم التي عملوها، لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه المأمور به، لأن ما فعلوه فعلوه على وجه النفاق دون التقرب به إلى الله. وقوله «فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ» ليس المراد به معنى الصباح، وإنما معناه صاروا خاسرين، ومثل ذلك قولهم: ظل فلان بفعل كذا، و بات يفعل كذا، وليس بمراد وقت بعينه، وإنما وصفهم بالخسران، لأنهم فوتوا نفوسهم الثواب واستحقوا عوضاً منه العقاب فأى خسران أعظم من ذلك.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٤]..... ص: ٥٥٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)

آية قرأ نافع وأهل المدينة «يرتدد» بدالين، و به قرأ ابن عامر، وكذلك

(١) سورة الكهف آية ٢٢. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٥

هو في مصاحفهم. الباقون بدال واحدة مشددة، وكذلك هو في مصاحفهم.

من أظهر ولم يدغم قال: لأن الحرف المدغم لا يكون إلا ساكناً ولا يمكن الإدغام في الحرف الذي يدغم حتى يسكن، لان اللسان يرتفع عن المدغم والمدغم فيه ارتفاعاً واحداً، فإذا لم يسكن لم يرتفع اللسان ارتفاعاً واحداً، وإذا لم يرتفع كذلك لم يمكن الإدغام، فإذا كان كذلك لم يسغ الإدغام في الساكن لأن المدغم إذا كان ساكناً والمدغم فيه كذلك التقى ساكناً، والتقاء الساكنين في الوصل في هذا النحو ليس من كلامهم فأظهر الحرف الاول في حركته وأسكن الثاني من المثليين، وهذه لغة أهل الحجاز، فلم يلتق الساكنان.

وحجة من أدغم أنه لما أسكن الحرف الاول من المثليين للإدغام لم يمكنه أن يدغمه في الثاني والثاني ساكن فحرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين وهذه لغة بني تميم. وفي القرآن نظيره قال الله تعالى: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ» (١) وقال: «مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (٢).

و اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقول:

فقال الحسن و قتادة و الضحاك و ابن جريج إنها نزلت في أبي بكر.

الثاني - قال السدي: نزلت في الأنصار.

الثالث - قال مجاهد:

نزلت في أهل اليمن، و روى ذلك عن النبي (ص)

و اختاره الطبري لمكان الرواية.

و روى أنهم قوم أبي موسى الأشعري.

و كانت وفودهم قد أتت أيام عمر، و كان لهم في نصره الإسلام أثر. و قال أبو جعفر و أبو عبد الله (ع) و روى ذلك عن عمار و حذيفة، و ابن عباس: أنها نزلت في أهل البصرة و من قاتل علياً (ع) فروى عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال:

(١) سورة ٤ النساء آية ١١٤.

(٢) سورة ٨ الانفال آية ١٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٦

يوم البصرة «و الله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم» و تلا هذه الآية.

و مثل ذلك روى حذيفة، و عمار و غيرهما. و الذى يقوى هذا التأويل أن الله تعالى وصف من عناده بالآية بأوصاف وجدنا أمير المؤمنين (ع) مستكملاً لها بالإجماع، لأنه قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»

و قد شهد النبي (ص) لأمير المؤمنين (ع) بما يوافق لفظ الآية في قوله و قد ندبه لفتح خيبر بعد فرار من فر عنها واحداً بعد واحد (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه) فدفعها الى أمير المؤمنين، فكان من ظفروه ما وافق خبر الرسول (ص).

ثم قال «أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» فوصف من عناه بالتواضع للمؤمنين و الرفق بهم، و العزة على الكافرين. و العزيز على الكافرين هو الممتنع من أن ينالوه مع شدة نكايته فيهم و وطأته عليهم، و هذه أوصاف أمير المؤمنين (ع) التى لا يدانى فيها و لا يقارب. ثم قال «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» فوصف - جل اسمه - من عنا بهذا الجهاد و بما يقتضى الغلبة فيه، و قد علمنا أن أصحاب الرسول (ص) بين رجلين: رجلاً لا - عناء له في الحرب و لا جهاد. و الآخر له جهاد و عناء، و نحن نعلم قصور كل مجاهد عن منزلة أمير المؤمنين (ع) في الجهاد، فإنهم مع علو منزلتهم في الشجاعة و صدق البأس لا يلحقون منزلته و لا يقاربون رتبته لأنه عليه السلام المعروف بتفريج الغمم، و كشف الكرب عن وجه الرسول (ص) و هو الذى لم يحم قط عن قرن، و لا - نكص عن هول، و لا ولى الدبر، و هذه حاله لم تسلم لأحد قبله و لا بعده فكان (ع) بالاختصاص بالآية أولى لمطابقتها أوصافه لمعناها. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٧

فاما من قال أنها نزلت في أبى بكر فقوله بعيد من الصواب، لأنه تعالى إذا كان وصف من أرادته بالآية بالعزة على الكافرين و بالجهاد في سبيله مع اطراح خوف اللوم كيف يجوز أن يظن عاقب توجه الآية الى من لم يكن له حظ في ذلك الموقف لأن المعلوم أن أبى بكر لم يكن له نكايه في المشركين، و لا قتيل في الإسلام، و لا وقف في شىء من حروب النبي (ص) موقف أهل البأس و الفناء، بل كان الفرار شيمته، و الهرب ديدنه، و قد انهزم عن النبي (ص) في مقام بعد مقام، فانهزم يوم أحد و يوم حنين، و غير ذلك، فكيف يوصف بالجهاد في سبيل الله - على ما يوصف في الآية - من لا جهاد له جملة. و هل العدول بالآية عن أمير المؤمنين (ع) مع العلم الحاصل. بموافقة أوصافه لها الى غيره إلا عصبية ظاهرة. و لم يذكر هذا طعناً على أبى بكر (رضى الله عنه) و لا قدحاً فيه، لان اعتقادنا فيه أجمل شىء، بل قلنا أ ليس في الآية دلالة على ما قال.

و معنى «أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى أهل لين ورقة «أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى أهل جفاهة و غلظة. و الذل بكسر الذال غير الذل بضمها، لأن الأول اللين و الانقياد و الثانى و الهوان و الاستخفاف.

و روى عن على (ع) و ابن عباس (رحمة الله عليه) أن معنى «أذلة» أهل رحمة و رقة. و معنى «أعزة» أهل غلظة و شدة. و قال الأعمش «أذلة» يعنى ضعفاء.

و محبة الله تعالى لخلقه إرادة ثوابهم و إكرامهم و إجلالهم. و محبتهم له إرادتهم لشكره و طاعته و تعظيمه. و الارتداد- عندنا- على ضريين: مرتد عن فطرة الإسلام، فانه يجب قتله و لا يستتاب، و يقسم ماله بين ورثته و تعتد منه زوجته عدة الوفاة من يوم ارتداده. و الآخر من أسلم عن كفر التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٨

ثم ارتد فهذا يستتاب، فان تاب و إلا وجب عليه القتل، فان لحق بدار الحرب.

اعتدت منه زوجته عدة الطلاق، فان رجع الى الإسلام في زمان العدة كان أملكك بها، و إن لم يرجع و انقضت العدة فقد ملكت نفسها، و لا- سبيل له عليها و إن رجع فيما بعد. و أما المرأة فإنها تستتاب على كل حال، فان تابت و إلا حبست حتى تموت. و في ذلك خلاف قد بيناه في مسائل الخلاف. فأما من يعتقد الجبر و التشبيه و أزيله صفات قديمة معه تعالى فهو كافر بلا خلاف بين أهل العدل. و اختلفوا فمنهم من قال حكمه حكم المرتد يستتاب فان تاب و إلا قتل. و منهم من قال يستتاب و لا يقتل لأنه لم يخرج عن الملة لإقراره بالشهادتين.

و قوله «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» صفة للقوم الذين وعد الله أن يأتي بهم إن ارتدوا. و قوله «وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» أى لا يخشون لوم أحد و عذلة و لا يصددهم ذلك عن العمل بما أمرهم الله به و ذلك اشارة الى هذا النعت الذى نعتهم به «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ» أى ذلك فضل من الله و تيسر منه و لطف منه، و منه من جهته «وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» يعنى جواد على من وجود به عليه لا- يخاف نفاد ما عنده «عليم» بموضع جوده و عطائه و لا يبذله الا لمن تقتضى الحكمة إعطاؤه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٥].... ص: ٥٥٨

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)
آية بلا خلاف.

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه، فروى أبو بكر الرازى فى كتاب التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٥٩
أحكام القرآن على ما حكاه المغربى عنه، و الطبرى، و الرماني، و مجاهد، و السدى:
إنها نزلت فى على (ع) حين تصدق بخاتمه و هو راکع، و هو قول أبى جعفر و أبى عبد الله (ع)
و جميع علماء أهل البيت. و قال الحسن و الجبائى:

انها نزلت فى جميع المؤمنين. و قال قوم نزلت فى عبادة بن الصامت فى تبرئه من يهود بنى قينقاع، و حلفهم الى رسول الله و المؤمنين. و قال الكلبي نزلت فى عبد الله بن سلام و أصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم، فنزلت الآية.
و اعلم إن هذه الآية من الأدلة الواضحة على إمامة أمير المؤمنين (ع) بعد النبى بلا فصل.
و وجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولي فى الآية بمعنى الأولى و الأحق.

و ثبت أيضاً أن المعنى بقوله «وَالَّذِينَ آمَنُوا» أمير المؤمنين (ع) فإذا ثبت هذا الاصلان دل على إمامته، لأن كل من قال: ان معنى الولي فى الآية ما ذكرناه قال إنها خاصة فيه. و من قال باختصاصها به (ع) قال المراد بها الامامة.
فان قيل دلوا أولاً على ان الولي يستعمل فى اللغة بمعنى الأولى و الاحق ثم على ان المراد به فى الآية ذلك، ثم دلوا على توجيهها الى أمير المؤمنين (ع).

قلنا: الذى يدل على أن الولي يفيد الأولى قول أهل اللغة للسلطان المالك للأمر: فلان ولي الأمر قال الكمي:

و نعم ولي الأمر بعد وليه و منتجج التقوى و نعم المؤدب

و يقولون: فلان ولي عهد المسلمين إذا استخلف للأمر لأنه أولى بمقام من قبله من غيره

و قال النبى (ص) (أیما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل)

يريد من هو أولى بالعقد عليها. وقال تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ التَّبِيَانَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٣، ص: ٥٦٠
وَلِيًّا يَرِثُنِي وَبِرِّثٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»

«١» يعنى من يكون أولى بحيازة ميراثى من بنى العم. وقال المبرد: الولى و الأولى و الأحق و المولى بمعنى واحد و الأمر فيما ذكرناه ظاهر، فاما الذى يدل على أن المراد به فى الآية ما ذكرناه هو ان الله تعالى نفى ان يكون لنا ولى غير الله و غير رسوله، و الذين آمنوا بلفظة «إنما» و لو كان المراد به الموالاة فى الدين لما خص بها المذكورين، لأن الموالاة فى الدين عامة فى المؤمنين كلهم. قال الله تعالى «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» «٢» و إنما قلنا: أن لفظه (إنما) تفيد التخصيص، لأن القائل، إذا قال إنما لك عندى درهم فهم منه نفى ما زاد عليه، و قام مقام قوله: ليس لك عندى إلا درهم. و لذلك يقولون إنما النحاة المدققون البصريون و يريدون نفى التدقيق عن غيرهم. و مثله قولهم: إنما السخاء سخاء حاتم يريدون نفى السخاء عن غيره، قال الأعشى:

و لست بالأكثر منهم حصى و إنما العزة للكائر «٣»

أراد نفى العزة عن من ليس بكائر. و احتج الأنصار بما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال (إنما الماء من الماء) فى نفى الغسل من غير انزال.

و ادعى المهاجرون نسخ الخبر، فلو لا أن الفريقين فهموا التخصيص لما كان الأمر كذلك و لقالوا (إنما) لا تفيد الاختصاص بوجوب الماء من الماء.

و يدل أيضاً على أن الولاية فى الآية مختصة أنه قال: «وليكم» فخاطب به جميع المؤمنين و دخل فيه النبى (ص) و غيره ثم، قال و رسوله، فاخرج

(١) سورة مريم آية ٤-٥.

(٢) سورة التوبة آية ٧٢.

(٣) اللسان (كثر) و الأكثر هنا و الكائر بمعنى العدد الكثير و ليس هو للتفضيل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦١

النبى (ص) من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته، فلما قال «وَالَّذِينَ آمَنُوا» و جب أيضاً أن يكون الذى خوطب بالآية غير الذى جعلت له الولاية. و إلا أدى الى أن يكون المضاف هو المضاف اليه و أدى الى أن يكون كل واحد منهم ولى نفسه، و ذلك محال. و إذا ثبت أن المراد بها فى الآية ما ذكرناه، فالذى يدل على أن أمير المؤمنين (ع) هو المخصوص بها أشياء:

منها- أن كل من قال: ان معنى الولى فى الآية معنى الأحق قال إنه هو المخصوص به. و من خالف فى اختصاص الآية يجعل الآية عامة فى المؤمنين و ذلك قد أبطناه.

و منها- ان الطائفتين المختلفتين الشيعة و أصحاب الحديث رووا أن الآية نزلت فيه (عليه السلام) خاصة.

و منها- أن الله تعالى وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصله إلا فيه، لأنه قال: «وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» فبين أن المعنى بالآية هو الذى أتى الزكاة فى حال الركوع. و أجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة فى حال الركوع غير أمير المؤمنين (ع)، و ليس لأحد أن يقول: إن قوله «وَهُمْ رَاكِعُونَ» ليس هو حالاً ل «يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» بل المراد به أن من صفتهم إيتاء الزكاة، لأن ذلك خلاف لأهل العربية، لأن القائل إذا قال لغيره لقيت فلانا، و هو راكب لم يفهم منه الا- لقاءه له فى حال الركوب، و لم يفهم منه أن من شأنه الركوب، و إذا قال: رأيتك و هو جالس أو جاءنى و هو ماش لم يفهم من ذلك كله إلا موافقة رؤيته فى حال الجلوس أو مجيئه ماشياً. و إذا ثبت ذلك و جب أن يكون حكم الآية مثل ذلك.

فان قيل: ما أنكرتم أن يكون الركوع المذكور فى الآية المراد به التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٢

الخشوع كأنه قال يؤتون الزكاة خاضعين متواضعين كما قال الشاعر:

ولا تهين الفقير عليك أن ترقع يوماً و الدهر قد رفعه «١»

و المراد عليك أن تخضع، قلنا الركوع هو التواطأ المخصوص، وإنما يقال للخضوع ركوعاً تشبيهاً و مجازاً، لأن فيه ضرباً من الانخفاض، يدل على ما قلناه نص أهل اللغة عليه، قال صاحب العين: كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبتيه الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطى رأسه فهو راعع قال لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأنى كلما قمت راعع «٢»

و قال ابن دريد: الراعع الذى يكبو على وجهه، و منه الركوع فى الصلاة قال الشاعر:

و أفلت حاجب فوق العوالى على شقاء ترقع فى الظراب «٣»

أى تكبوا على وجهها. و إذا كانت الحقيقة ما قلناه، لم يجز حمل الآية على المجاز.

فان قيل قوله «الَّذِينَ آمَنُوا» لفظ جمع كيف تحملون ذلك على الواحد؟

قيل: قد يعبر عن الواحد بلفظ الجمع إذا كان معظماً على الذكر قال تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» «٤» و قال: «رَبِّ أَرْجِعُونِ»

(١) قائله الأضبط بن قريع الاسدى. و هو فى اللسان (ركع). و قد مر فى موارد كثيرة من هذا الكتاب.

(٢) اللسان (ركع) و قد مر فى ١ / ١٩٥.

(٣) اللسان (ركع) و قد مر فى ١ / ١٩٥.

(٤) سورة الحجر آية ٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٣

و قال «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» «١» و نظائر ذلك كثيرة. و قال:

«الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» «٢» و لا خلاف فى أن المراد به واحد، و هو نعيم بن مسعود الأشجعى. و قال: «أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» «٣» و المراد رسول الله (ص) و قال «الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا» «٤» نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول.

فإذا ثبت استعمال ذلك كان قوله «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» محمولاً على الواحد الذى قدمناه.

فان قيل: لو كانت الآية تفيد الامامة لوجب أن يكون ذلك إماماً فى الحال و لجاز له أن يأمر و ينهى و يقوم بما يقوم به الأئمة.

قلنا: من أصحابنا من قال: إنه كان إماماً فى الحال و لكن لم يأمر لوجود النبى (ص) و كان وجوده مانعاً من تصرفه، فلما مضى النبى (ص) قام بما كان له. و منه من قال- و هو الذى نعتمده- أن الآية دلت على فرض طاعته و استحقيقه للامامة. و هذا كان حاصله. و أما التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة كما يثبت استحقيق الأمر لولى العهد فى حياة الامام الذى قبله و إن لم يجز له التصرف فى حياته. و كذلك يثبت استحقيق الوصية للوصى و ان منع من التصرف وجود الموصى. و كذلك القول فى الأئمة و قد استوفينا الكلام على الآية فى كتب الامامة بما لا يحتمل بسطه ها هنا.

فان قيل: أليس قد روى أنها نزلت فى عبادة بن الصامت أو عبد الله بن سلام و أصحابه؟ فما أنكرتم أن يكون المراد بالذين آمنوا هم دون من

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٩٩.

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٤

ذهبتم اليه؟

قلنا: أول ما نقوله: إنا دللنا على أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين (ع) بنقل الطائفتين، و لما اعتبرناه من اعتبار الصفة المذكورة في الآية و أنها ليست حاصله في غيره بطل ما يروى في خلاف ذلك، على أن الذي روى في الخبر من نزولها في عبادة بن الصامت لا ينافي ما قلناه، لأن عبادة لما تبرأ من حلف اليهود أعطى ولاية من تضمنته الآية، فأما ما روى من خبر عبد الله بن سلام فيخلاف ما ذهبوا اليه، لأنه روى أن عبد الله بن سلام لما اسلم قطعت اليهود حلفه و تبرؤوا منه فاشتد ذلك عليه، و على أصحابه فأنزل الله تعالى الآية تسلياً لعبد الله ابن سلام و أصحابه و أنه قد عوضهم من محالفه اليهود، ولاية الله و ولاية رسوله و ولاية الذين آمنوا. و الذي يكشف عما قلناه أنه

قد روى أنها لما نزلت خرج النبي (ص) من البيت، فقال لبعض أصحابه (هل أعطى أحد سائلاً شيئاً فقالوا: نعم يا رسول الله قد أعطى على بن أبي طالب السائل خاتمه، و هو راعك. فقال النبي (ص) الله أكبر قد أنزل الله فيه قرآنا) ثم تلا الآية الى آخرها. و في ذلك بطلان ما قالوه. و قد استوفينا ما يتعلق بالشبهات المذكورة في الآية في كتاب الاستيفاء و حللتها بغاية ما يمكن، فمن أراد و وقف عليه من هناك. فأما الولي بمعنى الناصر فلسنا ندفعه في اللغة لكن لا- يجوز أن يكون مراداً في الآية لما بيناه من نفى الاختصاص.

و إقامة الصلاة اتهامها بجميع فروضها من قولهم فلان قائم بعمله الذي وليه أى يوفى العمل جميع حقوقه، و منه قوام الأمر. و في الآية دلالة على أن العمل القليل لا يفسد الصلاة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٥

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٦].... ص: ٥٦٥

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)

آية قيل في معنى قوله «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» قولان:

أحدهما- قال أبو على من يتولى القيام بطاعة الله و رسوله و نصره المؤمنين.

الثاني- من يكون ولياً لله و رسوله و المؤمنين: بنصرة دين الله و الإخلاص له. و لا يدل ذلك على أن الولاية الأولى هي تولى النصره من حيث كان في هذه الآية كذلك. لأنه لا تنافي بين أن تفيد الآية الاولى الطاعة و إن أفادت الثانية تولى النصره و ليس يجب أن تحمل الثانية على الآية الاولى من غير ضرورة.

على أن في أصحابنا من قال: هذه الآية مطابقة للأولى و أنها تفيد وجوب طاعة الله و طاعة رسوله و طاعة الذين آمنوا، و هم الذين ذكرهم الله في الآية فعلى هذا زالت الشبهة.

و «من» رفع بالابتداء. و الجملة خبر عنه و في «يتولى» ضمير يعود الى (من) و العائد الى «من» معنى الخبر، كأنه قال، فهو غالب و صار هذا الكلام في موضعه، و هذا العائد في موضع الجواب. و معنى «من» في الجزاء معنى «إن» فلهذا جازمت الفعل المضارع، و «لو» لا تجزم لأنها للماضى، و ليست بمعنى «إن» و إنما يعرب الفعل المضارع دون الماضى.

و الفرق بين «من» و «الذى» من ثلاثة أوجه أحدها- أن «من» لما يعقل التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٦

و «الذى» مشتركة. و «من» فى الجزء لما يستقبل، و هى فى معنى «إن» و ليس كذلك «الذى» و ثالثها- أن «من» تجزم و لا تحتاج فى الجزء و الاستفهام الى صلة و لا يكون جوابها إلا بالفعل و الفاء.
 و قوله: «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» قال الحسن حزب الله جند الله.
 و قال غيره أنصار الله قال الشاعر:
 و كيف أضوى و بلال حزبى «١»
 أى كيف استضام، و بلال ناصرى. و أصله النائية من قولهم: حزبه الأمر يحزبه حزباً إذ أنابه، و كل قوم تشابهت قلوبهم و أعمالهم فهم أحزاب. و منه قوله «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» «٢» «و كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» «٣» .
 و «إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» و تحزب القوم إذا اجتمعوا كالاتماع على النائية. و أرض حزبه غليظة و حمار حزائيه مجتمع الخلق غليظة.

(١) قائلة رؤبه بن العجاج. ديوانه: ١٦، و مجاز القرآن ١: ١٦٩ من ارجوزه يمدح بها بلال بن أبى بردة و قد ذكر نفسه ثم اعترض من يعترضه فى الهجاء فقال:

ذاك و ان عبي لى المعجبي و طحطح الجد لحاء القشب
 ألقىت أقوال الرجال الكذب و كيف اضوى و بلال حزبي
 و رواية الديوان «و لست اضوى». (طحطح الشيء): فرقه.

و (اللحاء): المخاصمة و (القشب)- بفتح القاف و سكون الشين- الكلام المفترى. [.....]

(٢) سورة ص آية ١٣.

(٣) سورة المؤمنون آية ٥٤ و سورة الروم آية ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٧

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٧]..... ص: ٥٦٧

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَ لَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُوبَهُ مُؤْمِنِينَ (٥٧)

آية قرأ «و الكفار» بالجر أبو عمرو، و نافع، و الكسائى. و الباقر بالنصب، فمن نصب عطف على «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ» و حجتهم فى ذلك قوله: «لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ». و من جر عطف على «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» أى و من الكفار أولياء و حجتهم فى ذلك أن الحمل على أقرب العاملين أجود، لأنها لغة القرآن و حسن الحمل على الجر، لان فرق الكفار ثلاث المشرك. و المنافق. و الكتابى الذى لم يسلم و قد كان منهم الهزء فساغ لذلك أن يكون الكفار مجروراً و تفسيراً للموصول و موضحاً له.

و قد اخبر الله تعالى أن المشركين كان منهم استهزاء بقوله «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «١» و عن المنافقين فى قوله: «وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ» «٢» و اخبر عن الكتابى فى هذه الآية. فقال «لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَ لَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ» و إن وقع على جميع الأصناف، فهو فى من ليس من أهل الكتاب أليق، و عليه أغلب، فذلك أفرد بالذكر. و قال الحسن: المعنى بالكفار مشركوا العرب، و إنما دخل غيرهم فى الحكم بما صحب الكلام من الدليل

(٢) سورة البقرة آية ١٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٨

وقال غيره: يدخل فيه جميع أصناف الكفار، وانما وصفهم الله تعالى بما كانوا عليه من التلاعب بالدين لافرين: أحدهما- لاغراء المؤمنين بعداوتهم والبراءة منهم.

الثاني- ذمهم و تحذيراً من مثل حالهم لأنها حال السفهاء الذين لا خلاق لهم. وقال ابن عباس: كان رفاعه بن زيد بن تابوت و سويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ثم نافقا، و كان رجال من المسلمين يوادونهما، فانزل الله هذه الآية و يجوز في «هزواً» أربعة أوجه: الاول «هزواً» بضم الزاي و تخفيف الهمزة، الثاني هزواً بالواو و من غير همز على التخفيف لأن الهمزة مفتوحة قبلها ضمه كجون، الثالث هزاً بسكون الزاي و الهمزة. الرابع هزى على وزن هدى بفتح الزاي و إسقاط الهمزة. و الهزة السخرية و هو اظهار ما يلهي تعجباً مما جرى. قال الله تعالى: «وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» (١) و قال الشاعر:
ألا هزئت و أعجبها المشيب فلا نكر لديك و لا عجب
و يقال هزئ به يهزأ و هزواً و هزواً و استهزواً به استهزاءً. و هو (اللعب) الأخذ على غير طريق الحق، و مثله العبث و أصله من لعب الصبي يقال:

لعب يلعب لعباً إذا سال لعبه لأنه يخرج الى غيره جهته و كذلك اللاعب يمر في غير جهة الصواب.

و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: قيل في معناه قولان:

أحدهما- ان كنتم مؤمنين بوعدده و وعيده.

الثاني- إن من كان مؤمناً غضب لإيمانه على من طعن فيه. و كافاه

(١) سورة الانعام آية ١٠ و سورة الأنبياء آية ٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٦٩

بما يستحقه من المقت له.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٥٨]..... ص: ٥٦٩

وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨)
آية بلا خلاف.

النداء و الدعاء بمد الصوت على طريقة يا فلان و أصله ندى الصوت و هو بعد مذهبه و ضجئه جرمه. و منه قولهم: أناديك و لا أناجيك أى أعالنك النداء، و لا أسر لك النجوى، و أصل الباب الندو، و هو الاجتماع يقال ندى القوم يندون ندواً إذا اجتمعوا فى النادي، و منه دار الندوة و ندى الماء، لأنه يجتمع قليلا قليلا و ندى الصوت لأنه عن جرم ندى.

أخبر الله تعالى عن صفة الكفار الذين نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم أولياء بأنهم إذا نادى المؤمنون الى الصلاة و دعوا اليها اتخذوها هزواً و لعباً و فى معنى ذلك قولان:

قال قوم: إنهم كانوا إذا أذن المؤمنون للصلاة تضاحكوا فيما بينهم و تغامزوا على طريق السخف و الجنون تجهيلاً لأهلها، و تنفيراً للناس عنها، و عن الداعى اليها.

الثاني- أنهم كانوا يرون المنادى اليها بمنزلة اللاعب الهازئ بفعلها جهلاً منهم بمنزلها و قال أبو ذهيل الجمحى:

و أبرزتها من بطن مكة بعد ما أصات المنادى بالصلاة فأعتما

(١) سورة البقرة آية ١٣٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٢

قلنا: أكثر ما نشاهده كذلك، من ذلك أن الإنسان يعلم أن القتل يورده النار، فيقتل إما إيثاراً لشفاء غيظ أو لاخذ مال. و كما فعل إبليس مع علمه بأن الله يدخله النار بمعصيته فأثر هواه على القربة من الله و عمل لما يدخله النار. و هذا ظاهر في العادات.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٠]..... ص: ٥٧٢

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّهٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)

قراء حمزة «و عبد الطاغوت» بضم الباء و خفض التاء يريد خدام الطاغوت في قول الأعمش، و يحيى بن رثاب. الباكون بفتح الباء و الدال و نصب التاء.

قال أبو علي: حجة حمزة أنه حمل على ما عمل فيه (جعل) كأنه قال و جعل منهم من عبد الطاغوت. و معنى (جعل) خلق، كما قال «و جَعَلَ مِنْهَا زُوجَهَا» «١» و قال «و جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ» «٢» قال: و ليس (عبد) لفظ جمع لأنه ليس في أبنية الجمع شيء على هذا البناء لكنه واحد في موضع جمع كما قال «و إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» «٣» و جاء على (فعل) لأن هذا البناء يراد به الكثرة نحو يقط و ندس و (عبد) في الأصل صفة، و ان

(١) سورة الاعراف آية ١٨٨.

(٢) سورة الانعام آية ١.

(٣) سورة الرعد آية ٣٤ و سورة النحل آية ١٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٣

كان استعمل استعمال الأسماء، و لا يزيل ذلك عنه كونه صفة كما لم يزل في الأبرق و الأبطح حيث كسر تكسير الأسماء لم يزل عنهما معنى الصفة بدلالة أنهم تركوا صرفهما كما تركوا صرف (أحمر) و لم يجعلوه كأوكل و أبداع.

و أما من فتح فانه عطفه على مثال الماضى الذى فى الصلته، و هو قوله «لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» و أفرد الضمير فى (عبد) و ان كان المعنى فيه كثرة لأن الكلام محمول على لفظ (من) دون معناه، و لو حمل الكلام أو البعض على المعنى لكان صواباً قال الفراء: و قرأ أبى و عبد الله «و عبد الطاغوت» على الجمع، و المعنى و الذين عبد الطاغوت- بضم العين و الباء- مثل ثمار و ثمر، و عبيد و عبد، على أنه جمع جمع، و يكون المعنى و جعل منهم عبد الطاغوت كما تقول: جعلت زيدا أخاك أى نسبته اليك و يجوز على هذا رفع الدال على تقدير، و هم عبد الطاغوت لكن لم يقرأ به أحد. قال:

و لو قرأ قارئ و عبد الطاغوت كان صواباً يريد به عبدة الطاغوت و يحذف الهاء للاضافة كما قال الشاعر:

قام ولاها فسقوه صرخدا «١»

يريد ولايتها و حكى فى الشواذ و (عبد الطاغوت) على ما لم يسمى فاعله، ذكره الرماني. قال الطبرى هى قراءة أبى جعفر المدنى. و حكى البلخى (عابد الطاغوت، و عبد الطاغوت) مثل شاهد و شهد. و حكى ايضا (عباد الطاغوت) مثل كافر و كفار، و لا يقرأ بشيء من ذلك. و قال الطبرى

(١) معانى القرآن للفراء ١: ٣١٤. و الطبرى ١: ٤٤١ (صرخد) موضع فى الشام تنسب له الخمره الجيده.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٤

عن بريده الاسلمى انه قرأ (عابد الطاغوت) فهذه ثمانيه أوجه، لكن لا يقرأ إلا بقرائتين أو ثلاثه، لان القراءه متبوعه يؤخذ بالمجموع عليه، قال الفراء (عبد) على ما قرأ حمزه إن كانت لغه فهو مثل حذر و حذر، و عجل و عجل فهو وجه و الا فانه أراد قول الشاعر:

أبنى لبنى إن أمكم أمه و إن آباءكم عبد «١»

فحرك و هذا فى ضروره الشعر لا فى القراءه و أنشد الأخفش:

أنسب العبد الى آباءه اسود الجلده من قوم عبد «٢»

أمر الله تعالى فى هذه الآيه نبيه (ص) أن يخاطب الكفار و يقول لهم «هَيْلُ أُنْبِيَّكُمْ» أى هل أخبركم «بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ» أى من الذى طعنتم عليه من المسلمين، و مما رغبتم عنه و نتمتم عليه، و انما قال «بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ» و ان لم يكن من المؤمن شر و كذلك قوله «أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا» على الانصاف فى الخطاب و المظاهره فى الحجاج لأن الكفار يعتقدون ان هؤلاء أشرار، و أن ما فيهم شر فخرج على ما يعتقدونه.

و قوله: «مثوبه» معناها الثواب الذى هو الجزاء و وزنها مفعوله مثل مقوله و مجوزه و مضافه على معنى المصدر و قال الشاعر:

و كنت إذا جارى دعا لمضوفه أشمر حتى ينصف الساق مثرى «٣»

(١) قائله أوس بن حجر. ديوانه القصيده: ٥ البيت ٤ و معانى القرآن للفراء ١: ٣١٤، ٣١٥ و اللسان (عبد).

(٢) اللسان (عبد).

(٣) قائله ابو جندب الهذلى. اشعار الهذليين ٣: ٩٢ و مجاز القرآن لابي عبيده ١٧٠ و اللسان (ضيف)، (نصف). المضيفه، و المضافه:

الامر يشفق منه و قد روى البيت بهما جميعاً. [...]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٥

و قال ابو عبيده هي (مفعلة) مثل مكرهه و معقله و مشغله.

و موضع (من) يحتمل ثلاثه أوجه من الاعراب: أحدها- الجر و التقدير بشر من ذلك لمن لعنه الله و الرفع على من لعنه الله، و النصب على أنبتكم من لعنه الله. و قيل فى معنى (الطاغوت) قولان:

أحدهما- قال الحسن: هو الشيطان، لأنهم أطاعوه طاعة المعبود.

و الثانى- كل ما دعا الى عبادته من دون الله من الفراعنه، فشب به ما عبد من الأصنام و نحوها. قال ابو على: و هو هنا العجل الذى عبدته اليهود، لأن الكلام كله فى صفتهم.

و قوله «أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا» يعنى هؤلاء الذين وصفهم بأنهم لعنهم و غضب عليهم، و انهم عبدة الطاغوت شر مكانا يعنى فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة. و هو نصب على التمييز و قوله «وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» يعنى أجوز عن الطريق المستقيم. و ظن بعضهم ان قوله (و جعل منهم القرده جعلهم كذلك و الخنازير و عبد الطاغوت) يفيد أنه جعلهم يعبدون الطاغوت- يتعالى الله عن ذلك- لأنه لو كان جعلهم كذلك لما كان عليهم لوم، و انما المعنى ما قلناه: من أنه اخبر عمن هو شر ممن عابوه، و هم الذين لعنهم و غضب عليهم، و من جعل منهم القرده و الخنازير، و من عبد الطاغوت، لأنه تعالى هو الخالق لهم، و ان كان لم يخلق عبادتهم للطاغوت. و قال ابو على: هو معطوف على قوله «مَيْنَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» و من «عَبَدَ الطَّاغُوتَ» و من جعل منهم القرده و الخنازير و ليس بمعطوف على قوله (وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ) فعلى هذا سقطت الشبهه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٤

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦١]..... ص: ٥٧٦

وَ إِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)
آية بلا- خلاف أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين بأنهم إذا جاؤوا المؤمنين (قالوا آمنا) أى صدقنا (وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ) قيل فيه قولان:

أحدهما- قال الحسن و ابن عباس و السدى و قتادة و أبو علي: و قد دخلوا بالكفر بخلاف ما أظهره على النبي (ص) و خرجوا به من عنده.

الثانى- و قد دخلوا به فى أحوالهم و قد خرجوا به الى احوال آخر كقولك هو يتقلب فى الكفر و يتصرف به، و معناه تقريب الماضى من الحال و لهذا دخلت (فى) هذا الموضوع. و قال الخليل: و يكون لقوم ينتظرون الخبر كقولك قد ركب الأمير لمن كان ينتظره، و هو راجع الى ذلك الأصل لأنه تقريب من الحال المنتظرة و أصل الدخول الانتقال الى محيط كالوعاء إلا أنه قد كثر حتى قيل دخل فى هذا الامر، و لا يدخل فى المعنى ما ليس منه. و دخل فى الإسلام. و خرج بالردة منه. و كان ذلك مجاز. و قوله:

(جاؤكم) لا- يجوز ان يكون عاملاً فى «إذا» كما يعمل فى «متى» لو قيل: متى جاؤكم، قالوا آمنا، لان «إذا» مضافة الى ما بعدها و المضاف اليه لا يعمل فى المضاف لأنه من تمامه. و ليس كذلك «متى» لأنها جزاء.

و قوله «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ» معناه ما يكتُمونه من نفاقهم إذ أظهروا بألسنتهم ما أضمرُوا خلافه فى قلوبهم فبين الله للناس أمرهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٧

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٢]..... ص: ٥٧٧

وَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ أَكْلِهِمْ السُّخْتِ لَبَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)
آية بلا- خلاف وصف الله تعالى المنافقين الذين تقدم وصفهم لنبىه (ص) بأنه «تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ» أى يبادرون فى الإثم و العدوان.

قال السدى: الإثم الكفر، و قال غيره و هو يقع على كل معصية و هو الاولى. و الفرق بين الإثم و العدوان أن الإثم الجرم كائنا ما كان، و العدوان الظلم، فهم يسارعون فى ظلم الناس و فى الجرم الذى يعود عليهم بالوبال و الخسران. و قيل: العدوان من عدوهم على الناس بما لا يحل. و قيل- لمجازتهم حدود الله و تعديتهم إياها. و يقال قائم إذا تخرج من الإثم. و الآثم الفاعل للآثم. و السحت الرشوة فى الحكم- فى قول الحسن- و أصله استئصال القطع فيكون من هذا لأنه يقتضى عذاب الاستئصال و يتكرر لأنه يقتضى استئصال المال بالذهاب.

و انما قال «يسارعون» بدل قوله «يعجلون» و ان كانت العجلة أدل على الذم لامرين:

أحدهما- أنهم يبادرون اليه كالمبادرة الى الحق، فأفاد «يسارعون» أنهم يعملونه كأنهم محقون فيه.

و الآخر- لازالة إبهام أن الذم من جهة العجلة. و إيجابه فى الإثم و العدوان.

و قوله «لَبَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» يدل على أن الحمد و الذم يكونان التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٨

للافعال، لأنه بمنزلة بئس العمل عملهم، و هذا ذم لذلك العمل إلا انه جرى على طريقة الحقيقة أو طريقة المجاز بدليل آخر يعلم. و قد كثر استعماله حتى قيل الأخلاق المحمودة و الأخلاق المذمومة. و نعم ما صنعت و بئس ما صنعت و أصل الذم و اللوم واحد إلا أن الذم كثر فى نفس العمل دون اللوم، لأنه لا- يقال: لمت عمله كما يقال ذممت عمله. و (ما) فى قوله «لبس ما» يحتمل أمرين:

أحدهما- ان تكون كافة كما تكون في انما زيد منطلق و ليتما عمرو قائم، فلا- يكون لها على هذا موضع. الثاني ان تكون نكرة موصوفة كأنه قيل: لبئس شيئاً كانوا يعملون.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٣].... ص: ٥٧٨

لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَ الْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)
آية معنى «لولا» ها هنا هلا. و أصلها ان يمتنع الشيء لوجود غيره.

(لو) معناها امتناع الشيء لامتناع غيره. و قال الرماني أصلها التقدير لوجوب الشيء عن الاول فنقلت الى التحضيض على فعل الثاني من أجل الاول. و ان لم يذكر و لا بد معها من دلالة دخلها معنى: لم لا يفعل.

فان قيل كيف تدخل (لولا) على الماضي و هي للتحضيض و في التحضيض معنى الامر؟! قيل: لأنها تدخل للتحضيض و التوبيخ، فإذا كانت مع الماضي فهي توبيخ كقوله تعالى «لَوْ لَا جَاؤُا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ» (١) و قوله «لَوْ لَا- إِذِ سَجَعْتُمْوه ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» (٢).

(١، ٢) سورة ٢٤ النور آية ١٢-١٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٧٩

و «الرباني» العالم بالدين الذي من قبل الرب، و هو منسوب الى الرب على وجه تغيير الاسم، كما قالوا روحاني في النسبة الى الروح، و بحراني في النسبة الى البحر. و قال الحسن «الربانيون» علماء أهل الإنجيل و الأخبار علماء أهل التوراة. و قال غيره كله في اليهود، لأنه يتصل بذكرهم.

و قوله: «لبئس ما» اللام فيه لام القسم و لا يجوز أن تكون لام الابتداء، لأنها لا تدخل على الفعل الا في باب «أن» خاصة لأنها زحلت عن الاسم الى الخبر لثلاثي جمع بين حرفين في موضع واحد بمعنى واحد و الصنع و العمل واحد. و قيل الفرق بينهما أن الصنع مضمن بالجودة من قولهم: ثوب صنيع، و فلان صنيعه فلان إذا استخلصه الى غيره و صنع الله لفلان أى احسن اليه و كل ذلك كالفعل الجيد.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٤].... ص: ٥٧٩

وَ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا وَ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَ يَسْتَعِزُّونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)

آية التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٠

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن اليهود انها قالت: إن «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» و قيل في معنى (مغلولة) قولان: أحدهما قال ابن عباس و قتادة، و الضحاك:

إن المراد بذلك أنها مقبوضة من العطاء على وجه الصفة له بالبخل كما قال تعالى «وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ» (١) و انما قالوا ذلك لما نزل قوله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» (٢) قالوا:
إن رب محمد فقير يستقرض منا فأنزل الله هذه الآية.

الثاني- قال الحسن معناها انها مقبوضة عن عذابنا.

و قال البلخي يجوز ان يكون اليهود، قالوا قولاً و اعتقدوا مذهباً معناه يؤدي الى ان الله يبخل في حال و يوجد في حال أخرى، فحكي

اللَّهُ تعالى ذلك على وجه التعجب منهم و التكذيب لهم. و يجوز أن يكون ذلك على وجه التعجب منهم و التكذيب لهم. و يجوز ان يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزاء حيث لم يوسع على النبي (ص) و على أصحابه. و ليس ينبغي أن يتعجب من قوم يقولون لموسى: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» و من اتخذ العجل إلهًا، و من زعم أنه ربه أبيض الرأس و اللحية جالس على كرسى، كيف يقولون إن الله يبخل مرة و وجود اخرى. و قال الحسين بن على المغربى حدثنى بعض اليهود الثقات منهم بمصر ان طائفه قديمه من اليهود قالت ذلك بهذا اللفظ.

و اما اليد فإنها تستعمل على خمس أوجه: أحدها- الجارحة. و الثانى- النعمة. الثالث- القوة. الرابع- الملك. الخامس- تحقيق إضافة الفعل،

(١) سورة الإسراء آية ٢٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٥ و سورة الحديد آية ١١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨١

قال الله تعالى «أُولَى الْأَيْدَى وَ الْأَبْصَارِ» (١) معناه القوى و يقال لفلان على فلان يد أى نعمه و له على يد أشكرها أى نعمه. و قال الشاعر:

له فى ذوى الحاجات أيد كأنها مواقع ماء المزن فى البلد القفر

و مثل ذلك يقولون له عليه صنع حسنة. و قوله «الَّذى يَبْدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ» (٢) معناه من يملك ذلك و قوله «لِما حَلَقْتُ يَدَيْ» (٣) أى توليت خلقه. و قوله «غَلَّتْ أَيْدِهِمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الزجاج و غيره معناه الزموا البخل على مطابقة الكلام الأول فهم أبخل الناس.

الثانى- قال الحسن و أبو على «غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ» فى جهنم.

و قوله «وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا» أى أبعدوا من رحمة الله و ثوابه. و قوله «بَلْ يَدَاؤُهُ مَبْسُوطَاتِنِ» تكذيب منه تعالى لما قالوا و إخبار أن يديه مبسوطتان أى نعمه مبسوطه. و قيل فى وجه تشبيه اليد ثلاثة أقوال:

أحدها- أنه أراد نعمه الدنيا و نعمه الدين أو نعمه الدنيا و نعمه الآخرة.

الثانى- قال الحسن معناه قوتاه بالثواب و العقاب و الغفران و العذاب بخلاف قول اليهود إن يده مقبوضة عن عذابنا.

الثالث- أن التشبيه للمبالغة فى صفة النعمة مثل قولهم: لبيك و سعديك، و كما يقول القائل: بسط يديه يعطى يمنة و يسرة و لا يريدون الجارحة و إنما يريدون كثرة العطية و قال الأعشى:

(١) سورة ص آية ٤٥.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٧.

(٣) سورة ص آية ٧٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٢

يداك يدا مجد فكف مفيدة و كف إذا ما ضن بالزاد تنفق (١)

و قوله تعالى «يُتَّفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» معناه يعطى من شاء من عباده و يمنع من شاء منهم، لأنه متفضل بذلك و يفعل حسب ما تقتضيه المصلحة.

و قوله «وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا» أى و سيزدادون عند ذلك طغياناً و كُفْرًا لأن القرآن لا يفعل شيئاً

من ذلك، كما يقول القائل: و عظتك فكانت موعظتي و بالاً عليك. و ما زادتك إلا شراً أى انك ازددت عندها شراً. و ذلك مشهور في الاستعمال. و الطغيان هنا هو الغلو في الكفر.

و قوله «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- إن المراد بذلك بين اليهود و النصارى على ما قلناه في قوله «فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ» (٢) هذا قول الحسن و مجاهد. و قد جرى ذكرهم في قوله «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ» (٣).

الثاني- ان الكناية راجعة على اليهود خاصة. و المراد ما وقع بينهم من الخلاف بين الاشمعيين و العنانية و غيرهم من طوائف اليهود ذكره الرماني.

و بما ذا القى بينهم العداوة و البغضاء؟ قيل فيه قولان:

أحدهما- قال أبو علي بتعريف اليهود قبح مذهب النصارى في عبادة المسيح و بتعريف النصارى قبح مذهب اليهود في الكفر بالمسيح.

الثاني- قال الرماني بوضع البغضاء عقاباً على الاختلاف بالباطل.

و قوله «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» فيه دلالة على أنهم لا يجتمعون على مذهب

(١) ديوانه: ١٥٠

(٢) سورة المائدة آية ١٥.

(٣) سورة المائدة آية ٥٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٣

واحد الى يوم القيامة. و لا بد أن يكون ذلك مختصاً بمن يعلم الله من حالهم انهم لا يؤمنون.

و قوله «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد: لحرب محمد (ص) و في ذلك دلالة و معجزة، لأن الله أخبر عن الغيب و كان كما أخبر، لأن اليهود كانت أشد أهل الحجاز بأساً و أمنعهم داراً حتى أن قريشاً كانت تعتصد بهم و الأوس و الخزرج تستبق الى محالفتهم و التكثر بنصرتهم، فأباد الله حضراءهم و اقتلع أصلهم فأجلى النبي (ص) بنى قينقاع و بنى النضير، و قتل بنى قريظة و شرد أهل خيبر و غلب على فدك و دان له أهل وادى القرى. فمحا الله آثارهم صاغرين و حقق بخبر نبيه (ص). و هذه كلمة مستعملة في اللغة في التشاغل بالحرب و الاستعداد لها. قال عوف ابن عطية.

إذا ما اجتئنا جنا منهل شيبنا لحرب بعلياء نارا

الثاني- قال قتادة: هو عام. و المعنى إن الله أذلهم بذلك لا يغزون أبداً و إنما يطفئ الله بلطفه نار حربهم و ما يوقى نبيه (ص) من نقض ما يبرمون.

و ما يطلعه عليه من أسرارهم و يمن به عليه من النصر و التأييد، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود «يَشِيعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً» يعنى بمعصية الله و تكذيب رسله و مخالفة أمره و نهييه، و اجتهادهم في دفع الإسلام و محو ذكر النبي (ص) من كتبهم، و ذلك هو سعيهم بالفساد، ثم قال «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» يعنى لا يحب من كان عاملاً بمعاصيه في أرضه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٥]..... ص: ٥٨٣

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٤

آية قد بينا أن معنى (لو) امتناع الشيء لامتناع غيره. وقال الرماني معناه وجوب المعنى الثاني، بالأول على جهة التقدير بطريقة لو كان كذا لكان كذا، فان قطع الأول قطع الثاني بطريقة كقولك وقد كان كذا وكذا، وقد كان كذا وما كان كذا، فما كان كذا فنحوه. و ما كُفِّرنا عنهم سيئاتهم فما آمنوا و اتقوا. و الفرق بين (لو) و (إن) - مع أن كل واحدة منهما تعلق المعنى الأول - أن «لو» للماضي و «ان» للمستقبل كقولك: ان أتيتني أكرمتك. و لو أتيتني لاكرمتك، فيقدر الإكرام بالإتيان في الماضي. و في «إن» وعد و ليس في «لو» ذلك.

أخبر الله تعالى أن هؤلاء اليهود و الكفار لو آمنوا و اتقوا معاصيه لكفر عنهم سيئاتهم أي غطاها عليهم و أزال عقابها عنهم و أثابهم على إيمانهم و تقواهم.

«وَلَاذْخُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ» اللام لام القسم و أصل التكفير التغطية.

و منه يكفر في السلاح قال الشاعر:

في ليلة كفر النجوم غمامها «١»

و قوله «وَلَاذْخُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ» و ان كان على لفظ الماضي فالمراد به الاستقبال و إنما كان كذلك، لأنه قدر تقدير الماضي كما قال «وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا» و ذلك يدل على أن «لو» أوسع من «ان».

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٦].... ص: ٥٨٤

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)

(١) قد مر في ١: ٦٠ منسوب الى ليبيد.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٥

آية قد بينا معنى (لو) فيما مضى و إنما فتحت (أنهم) بعدها لأن هذا موضع قد خالف الابتداء بأنه بالفعل أولى فصار بمنزلة العامل الذي يختص بالفعل دون الاسم أو الاسم دون الفعل يبين ذلك امتناع اللام من الدخول على الخبر في (لو) و ليس كذلك (حتى) و (الا). و معنى «أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ» علموا بما فيهما على ما فيهما دون أن يحرفوا شيئاً منهما أو يغيروا أو يبدلوا كما كانوا يفعلون و يحتمل أن يكون معناه بما فيهما بأن أقاموهما نصب أعينهم لئلا يزالوا في شيء من حدودهما.

و قوله «وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ» يحتمل أمرين:

أحدهما- قال ابن عباس و أبو على و غيرهما: المراد به الفرقان.

الثاني- قال قوم: كل ما دل الله عليه من امور الدين. و قوله «لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ» بإرسال السماء عليهم مدراراً «وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» بإعطاء الأرض خيرها و بركتها و قال قوم «من فوقهم» ثمار النخل و الأشجار «وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» الزرع. و المعنى لو آمنوا لأقاموا في أوطانهم، و أموالهم و زروعهم، و لم يجلو عن بلادهم، ففي ذلك التأسيف لهم على ما فاتهم، و الاعتداد بسعته ما كانوا فيه من نعمه الله عليهم، و هو جواب التبخيل في قولهم «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» «١».

الثاني- ان المعنى فيه التوسعة، كما يقال: هو في الخير من قرنه الى

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٦

قدمه أى يأتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها. واختار الطبرى الوجه الأول.

وقد جعل الله التقى من أسباب الرزق فقال «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (١) وقال «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (٢) وقال «اسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا» (٣) وقال «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» (٤).

وقوله «مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ» يعنى من هؤلاء الكفار قوم معتدلون فى العمل من غير غلو ولا تقصير. قال أبو على: وهم الذين أسلموا منهم، و تابعوا النبى (ص)، وهو المروى فى تفسير أهل البيت.

وقال قوم: نزلت فى النجاشى وأصحابه. وحكى الزجاج عن قوم أنهم قالوا: نزلت فى قوم لم يناصروا النبى (ص) مناصبه هؤلاء. والأول أقوى، لأن الله تعالى لا يجوز أن يسمى الناصب مقتصدًا بحال. ويحتمل أن يكون أراد به من يقر منهم بأن المسيح عبد الله، ولا يدعى فيه الالهية والنبوة.

وقال مجاهد: هم مسلمو أهل الكتاب. و به قال ابن زيد، والسدى.

واشتقاق المقتصد من القصد، لأنه القاصد الى ما يعرف، فكان خلاف الطالب المتحير فى طلبه. والاقتصاد الاستواء فى العمل المؤدى الى الغرض. وقوله «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ» أخبار منه تعالى أن أكثر هؤلاء اليهود والنصارى. ويعملون الاعمال السيئة وهم الذين يقيمون على

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ٢-٣.

(٢) سورة الاعراف آية ٩٥.

(٣) سورة نوح آية ١٠-١٣ [.....]

(٤) سورة الجن آية ١٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٧

الكفر والجحود بالنبى (ص) وقوله «سَاءٌ» معناه قبح و «مَا يَعْمَلُونَ» يحتمل أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر والتقدير: بشس شيئاً عملهم كما قال: «سَاءٌ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا». والثانى أن تكون (ما) بمعنى الذى و ما بعدها صلة لها والعائد محذوف.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٧]..... ص: ٥٨٧

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)

آية بلا خلاف قرأ نافع وعاصم فى رواية أبى بكر و ابن عامر «رسالاته» على الجمع.

الباقون «رسالته» على التوحيد. من قرأ على الجمع ذهب الى أن الأنبياء يعثون بضروب الرسائل واختلاف العبادات. و من وحد، فلأنه يدل على الكثرة.

قيل فى سبب نزول هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها قال محمد بن كعب القرطى، وغيره: إن اعرابياً هم بقتل النبى (ص) فسقط السيف من يده و جعل يضرب برأسه شجرة حتى انتشر دماغه.

الثانى -

أن النبي (ص) كان يهاب قريشاً فأزال الله - عز و جل - بالآية تلك الهيبة.

و

قيل كان النبي (ص) حراس بين أصحابه، فلما نزلت الآية قال الحقوا بملاحقكم، فان الله عصمني من الناس.

الثالث - قالت عائشة إن المراد بذلك إزالة التوهم أن النبي (ص) كتم شيئاً من الوحي للتقية. التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٨
الرابع -

قال أبو جعفر و أبو عبد الله (عليهما السلام) إن الله تعالى:

لما أوحى الى النبي (ص) أن يستخلف علياً كان يخاف، أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره بادائه.

و الآية فيها خطاب للنبي (ص) و إيجاب عليه تبليغ ما أنزل اليه من ربه و تهديد له إن لم يفعل و انه يجرى مجرى إن لم يفعل و لم يبلغ رسالته.

فان قيل كيف يجوز ذلك؟ و لا يجوز أن يقول: إن لم تبلغ رسالته.

فما بلغت لأن ذلك معلوم لا فائدة فيه! قلنا: قال ابن عباس: معناه إن كتمت آية مما أنزل اليك فما بلغت رسالته و المعنى ان جريمته كجريمته لو لم يبلغ شيئاً مما أنزل اليه في انه يستحق به العقوبة من ربه.

و قوله «وَاللَّهُ يَعَصِي مُكَ مِنَ النَّاسِ» معناه يمنعك أن ينالوك بسوء من فعل أو شر أو قهر. و أصله عصام القربة، و هو وكاؤها الذي يشد به من سير أو خيط. قال الشاعر:

و قلت عليكم مالكاً إن مالكاً سيعصمكم إن كان في الناس عاصم «١»

أى سيعصمكم. و قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» قيل في معناه قولان:

قال الجبائي: إن الله لا يهدي الى الثواب و الجنة الكافرين.

و قال الرماني: معنى الهداية هاهنا المعونة بالتوفيق و الألفاظ الى الكفر بل إنما يهديهم الى الايمان و الثواب، لأن من هداه الى غرضه فقد أعانه

(١) مجاز القرآن ا: ١٧١ و الطبرى ١٠: ٤٧٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٨٩

على بلوغه، و لا يجوز أن يكون المراد به أنه لا يهديهم الى الايمان، لأنه تعالى هداهم اليه بأن دلهم عليه و رغبتهم فيه و حذرهم من خلافه.

و فى الآية دلالة على صحة نبوة النبي (ص) من وجهين:

أحدهما - أنه لا يقدم على الاخبار بذلك محققاً إلا من يأمن أن يكون مخبره على ما هو به، لأنه لا داعى له الى ذلك غير الصدق.

و الثانى - أنه لما وقع مخبره على ما أخبر به فيه و فى نظائره دل على أنه من عند علام الغيوب. و حكى البلخى أن بعد قوله تعالى «وَاللَّهُ يَعَصِي مُكَ مِنَ النَّاسِ» لم يكن الكفار قادرين على قتل النبي و لا منهيون عن قتله، لأن مع المنع لا يصح النهى عنه، قال و إنما هم منهيون عن أسباب القتل التى تقتل غالباً، لأنهم كانوا قادرين عليها. قال و وجه آخر أنهم كانوا قادرين لكن علم أنهم لا يقتلونه. و أنه يحول بينهم و بين القتل. و الأول لا يصح، لأن القدرة على بعض الأجناس قدرة على كل جنس تتعلق القدرة بها.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ . وَ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ :
رَبُّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)

سبب نزول هذه الآية ما

روى عن ابن عباس أنه جاء جماعة من اليهود، فقالوا: يا محمد أ لست تقول: إن التوراة من عند الله؟ قال بلى. قالوا فانا التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٠

نؤمن بها و لا نؤمن بما عداها فنزلت الآية.

و معناها أنه تعالى أمر نبيه (ص) أن يقول لأهل الكتاب «لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ» . و قيل في معناه قولان:

أحدهما- حتى تقيموهما بالتصديق بما فيهما من البشارة بالنبي (ص) و العمل بما يوجب ذلك فيهما.

الثاني- قال أبو علي يجوز أن يكون الأمر باقامة التوراة و الإنجيل و ما فيهما إنما كان قبل النسخ لهما.

و قوله «وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يريد به القرآن الذي أنزله على جميع الخلق.

الثاني- أن يريد جميع ما نصبه الله من الأدلة الدالة على توحيده و صفاته و صدق نبيه (صلى الله عليه و آله).

و قوله: «وَ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ» و المراد أنهم يزدادون عند نزوله طغياناً و كفراً، لأن القرآن المنزل لا يزيد شيئاً طغياناً.

فان قيل هذا هو المفسد بعينه، لأنهم إذا فسدوا عنده و لولاه لما فسدوا كان ذلك مفسدة!!!

قيل ليس في الآية أنه لو لم ينزل القرآن لم يكونوا يفعلون الكفر بل لا يمتنع أنه لو لم ينزل القرآن لفعلوا من الكفر ما هو أعظم، فصار إنزال القرآن لطفاً في استنفاص الكفر و تقليل المفسدة، فالمفسدة زائلة و اللطف حاصل، على أنه لا يمنع أن يكونوا يفعلون الكفر بعينه لو لم ينزل القرآن التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩١

فحقيقة المفسدة إذا ليست بحاصلة، لأن حد المفسدة ما وقع عنده الفساد و لولاه لم يقع من غير أن يكون تمكيناً.

و الطغيان هاهنا تجاوز الحد في الظلم و الغلو فيه و أصله تجاوز الحد.

و منه قوله تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ» (١) و قوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» (٢) أى يتجاوز الحد في الخروج عن الحق.

و قوله: «فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» معناه لا تحزن تقول أسى بأسى أساً إذا حزن. قال الشاعر:

و انحلبت عيناه من فرط الأسى (٣)

و هذا تسليء للنبي (ص) و ليس بنهى عن الحزن، لأنه لا يقدر عليه لكنه تسليء و نهى عن التعرض للحزن. قال البلخي ذلك يدل على بطلان ما

روى من أن النبي (ص) دعا للكفار بالهداية، لأنه نهاه عن الحزن و أمره بلعنهم و لا يجتمع قول اللهم العنهم، و اهدهم و اغفر لهم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٦٩]..... ص: ٥٩١

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئُونَ وَ النَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)

أخبر الله تعالى أن الذين صدقوا الله و أقروا بنبوته نبيه (ص) «و الَّذِينَ هَادُوا» يعنى الذين اعتقدوا اليهودية و نبوة موسى، و تأييد شرعه «و الصابئون»

(١) سورة الحاقة آية ١١.

(٢) سورة العلق آية ٦.

(٣) قائله العجاج. ديوانه: ٣١ و مجاز القرآن ا: ١٧١ و الكامل للمبرد ا: ٣٥٢ و اللسان (حلب)، (كرس).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٢

و هو جمع صابئ، و هو الخارج عن دين عليه امه عظيمه من الناس الى ما عليه فرقه قليله، و هم عباد الكواكب. و عندنا لا يؤخذ منهم الجزية.

و عند المخالفين يجرون مجرى أهل الكتاب و صبأ ناب البعير و سن الصبي إذا خرج. و صبأ- بالضاد المعجمة- معناه اختبأ في الأرض، و منه اشتق ضابئ البرجمي. و «النصاري» و هم الذين يقرون بالمسيح (ع) و قوله: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» قيل فيه قولان:

أحدهما- يعنى الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم، و هم المنافقون ذكره الزجاج.

الثانى- من دام على الايمان و الإخلاص و لم يرتد عن الإسلام.

و قيل فى معنى رفع الصابئين ثلاثة أقوال: أحدها- قال سيويه: إنه على التقديم و التأخير و التقدير: ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحاً فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و الصابئون كذلك. قال الشاعر:

و إلا فاعلموا أنا و أنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

و المعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا فى شقاق و أنتم كذلك. و قال ضابئ البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينه رحله فانى و قيار بها لغريب «١»

و الثانى- قال الكسائى هو عطف على الضمير فى (هادوا) و كأنه قال هادوا هم و الصابئون. قال الرماني هذا غلط من وجهين:

أحدهما- ان الصابئ لا يشارك اليهود فى اليهودية. و الآخر أنه عطف على الضمير المتصل

(١) قد مر هذا البيت فى ا: ٢٠٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٣

من غير تأكيد بالمنفصل.

و الثالث قال الفراء: إنه عطف على ما لا يتبين فيه الاعراب و هو (الذين) و يجوز النسق على مثل (الذين) و على المضممر نحو انى و زيد قائمان، فعطف على موضع (ان).

و قوله «وَعَمَلٌ صَالِحًا» فالعمل و الفعل واحد. و قال الرماني: فعل الشىء إحداثه و إيجاده بعد أن لم يكن و عمله إحداث ما يكون به متغيراً سواء كان إحداثه نفسه أو احداث حدث فيه.

و قوله تعالى «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» مع ما يمر بهم من أجل يوم القيامة لأمرين: أحدهما- أن ذلك لا- يعتد به لأنه عارض، ثم يصيرون الى النعيم الدائم. و منه قوله «لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ» «٢» و هو عذاب النار كما يقال للمريض لا بأس عليك.

الثانى أن أهوال يوم القيامة إنما تنال الصالين دون المؤمنون. و الأول أقوى لعموم قوله: «يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»

«٣»

و روى عن النبى (ص) أن الناس يلجمهم العرق. و انهم يحشرون حفاة عراة عزلا، فقالت عائشة لا يحتشمون من ذلك، فقال (ص):

«لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»

«٤» فأما قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» وقد ذكر الذين آمنوا، فأمن المعنى بالذين آمنوا هاهنا- في قول الزجاج- المنافقون بدلالة قوله «لا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» «٥» و التقدير من

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٣.

(٣) سورة الحج آية ٢.

(٤) سورة عبس آية ٣٧.

(٥) سورة المائدة آية ٤٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٤

آمن منهم. وقال قوم: من آمن يرجع الى من عدا الذين آمنوا وحمل «الَّذِينَ آمَنُوا» على ظاهره من حقيقة الايمان. و منهم من قال: يرجع الى الجميع و يكون المعنى في «من آمن» من يستديم على الايمان و يستمر عليه. و قد استوفينا ما يتعلق بذلك في سورة البقرة.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٠]..... ص: ٥٩٤

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) آية عند الجميع.

اللام في قوله «لقد» لام القسم. أقسم الله تعالى أنه أخذ الميثاق و هو الأيمان المؤكدة التي أخذها أنبياءهم على بنى إسرائيل في قول أبي علي.

و قال غيره: يجوز أن يكون الميثاق هي الآيات البينة التي قرر بها علم ذلك عندهم. و إنما أخذ ميثاقهم على الإخلاص لتوحيد الله تعالى، و العمل بما أمر به، و الانتهاء عما نهى عنه و التصديق برسله و البشارة بالنبى الامى و الإقرار به، حسب ما تقدمت صفته عندهم. و وجه الاحتجاج على أهل الكتاب بما أخذ على آبائهم من الميثاق أنهم قد عرفوا ذلك في كتبهم، و أقرؤا بصحته، فحجته لازمه لهم. و العمل به واجب عليهم، و عيب المخالفة يلحقهم كما لحق آباءهم الذين نقضوا الميثاق الذى أخذ عليهم.

و قوله «كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ» و الهوى هو لطف محل الشىء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغي، فلذلك غلب على الهوى التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٥

صفة الدم، كما قال تعالى: «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (١) و يقال: منه: هو يهوى و يقال: هوى يهوى هويًا إذا انحط في الهواء و أهوى بيده إذا انحط بها ليأخذ شيئًا. و «فَأُمَّهُ هَآوِيَةٌ» (٢) أى جهنم، لأنه يهوى فيها. و هم يتهاوون في الهواء إذا سقط بعضهم في أثر بعض و الفرق بين الهوى و الشهوة: أن الشهوة تتعلق بالمدرجات فيشتهى الإنسان الطعام، و لا يهوى الطعام. و هواء الجو ممدود، و هوى النفس مقصور.

و قوله: «وَ أَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ» (٣) قيل فيه قولان: أحدهما- أنها منحرفة لا تعى شيئًا كهواء الجو. و الآخر أنه قد أطارها الخوف. و منه قوله «كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا» (٤) أى استهوته من هوى النفس.

و قوله: «فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ» نصب فريقًا فى الموضوعين بأنه مفعول به قدم. و إنما قال فى الأول «كذبوا» بلفظ الماضى. و فى الثانى «يقتلون» بلفظ المستقبل لأمرين:

أحدهما- ليدل بذلك على أن من شأنهم ذلك و عادتهم ففیه معنى كذبوا و قتلوا و يكذبون و يقتلون مع موافقته لرؤوس الآى.

الثانى- أن يكون على معنى فريقًا كذبوا، و لم يقتلوا و فريقًا كذبوا و قتلوا فيكون يقتلون صفة الفريق.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧١]..... ص: ٥٩٥

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)

(١) سورة النازعات آية ٤٠-٤١.

(٢) سورة القارعة آية ٩.

(٣) سورة ابراهيم آية ٤٣.

(٤) سورة الانعام آية ٧١. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٦

آية بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائي «ألا تكون» بالرفع. الباقون بالنصب. و لم يختلفوا في رفع (فتنة) فمن رفع، فالمعنى حسبوا فعلهم غير فاتن لهم، لأنهم كانوا يقولون «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» و من نصبه فلأن «أن» تنصب الفعل المضارع. و قال أبو علي الفارسي الأفعال على ثلاثة أضرب: فعل يدل على ثبات الشيء و استقراره نحو العلم، و فعل يدل على خلاف الاستقرار و الثبات، و فعل يحتمل الأمرين، فما كان معناه العلم وقع بعده (أن) الثقيلة، و لم تقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل، لأن الثقيلة معناها إثبات الشيء و استقراره و العلم بأنه كذلك أيضاً، فإذا أوقع عليه و استعمل معه كان وقعه ملائماً له. و لو استعملت الناصبة للفعل بعد ما معناه العلم و استقرار الشيء له لتباينا و تدافعا، فمن استعمال الثقيلة بعد العلم و إيقاعه عليها قوله: «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» (١) و «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَرَى» (٢)، لأن الباء زائدة. و كذلك التبين و التيقن، و ما كان معناه العلم كقوله «ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ» (٣) فهذا ضرب من العلم لأنه تبيين لأمر قد بان فلذلك كان قسما كما كان علمت قسما في نحو قوله:

و لقد علمت لتأتين منيتي و كذلك «ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ» (٤) فهو

(١) سورة النور آية ٢٥.

(٢) سورة العلق آية ١٤.

(٣، ٤) سورة يوسف آية ٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٧

بمنزلة علموا ليسجننه و على ذلك قول الشاعر:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى (و لا سابقا شيئا إذا كان جائيا)

فأوقع بعدها الشديدة كما يوقعها بعد علمت و اما ما كان معناه ما لم يثبت و لم يستقر فنحو (أطمع) و (أخاف) و (اشفق) و (أرجو) فهذا و نحوه لا- يستعمل بعده إلا- الخفيفة الناصبة للفعل كقوله تعالى: «وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي» (١) و قوله «تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ» (٢) و قوله: «إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» (٣) و قوله: «فَخَشِينَا أَنْ يُزْهِقَهُمَا» (٤) و قوله: «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا» (٥) و كذلك أرجو، و عسى، و لعل فأما ما يستعمل في الأمرين نحو حسبت و ظننت و زعمت فهذا النحو يجعل مرة بمنزلة (أرجو) و (أطمع) من حيث كان أمراً غير مستقر و مرة يجعل مرة بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله. و من حيث كان خلافه. و الشيء قد يجرى مجرى الخلاف نحو (عطشان) و (ريان) فاما استعمالهم استعمال العلم، فلأنهم قد أجابوه بجواب القسم. حكى سيويه ظننت ليسقيني. و قيل في قوله «وَوَظُّنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» (٦) ان النفي جواب الظن كما كان

جواباً لعلمت في قوله «عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُوَ لِإِلَّا رَبِّ السَّمَاوَاتِ» (٧) و كلاً الوجهين جاء به القرآن مثل قراءة من نصب قوله «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا» (٨)

(١) سورة الشعراء آية ٨٢.

(٢) سورة الانفال آية ٢٦.

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٩.

(٤) سورة الكهف آية ٨١.

(٥) سورة المجادلة آية ١٣.

(٦) حم السجدة آية ٤٨.

(٧) سورة الإسراء آية ١٠٢.

(٨) سورة العنكبوت آية ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٨

«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ»

«٩» «الْمَ أَمْ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا» (١٠) و مثل قراءة من رفع قوله «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ» (١١) «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ» (١٢) «أَمْ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ» (١٣) فهذه مخففة من الشديدة. و مثل ذلك في الظن قوله: «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» (١٤) و قوله «إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» (١٥) و من الرفع قوله: «وَ أَنَا ظَنْنَا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ.. وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا» (١٦) و إنما هنا الخفيفة من الثقيلة لأن الناصبة للفعل لا تقع بعدها (أن) لاجتماع الحرفين في الدلالة على الاستقبال كما لم تجتمع الناصبة مع السين، و لم يجتمعا كما لم يجتمع الحرفان بمعنى واحد. و لذلك كانت (ان) في قوله «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ» (١٧) المخففة من الشديدة. و من ذلك قوله «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ» (١٨) فاما قوله: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ» (١٩) و قوله: «ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ» (٢٠) فالظن هنا بمعنى العلم، و حسن وقوع الخفيفة من الشديدة في قول من رفع و إن كان بعده فعل لدخول (لا) و كونها عوضاً من حذف الضمير معه و إيلاء

(٩) سورة الجاثية آية ٢٠.

(١٠) سورة العنكبوت آية ٢.

(١١) سورة الزخرف آية ٨٠. [...]

(١٢) سورة المؤمنون آية ٥٦.

(١٣) القيامة آية ٣.

(١٤) سورة القيامة آية ٢٥.

(١٥) سورة البقرة آية ٢٣٠.

(١٦) سورة الجن آية ٥-٧.

(١٧) سورة المزمل آية ٢٠.

(١٨) سورة يونس آية ٢٢.

(١٩) سورة البقرة آية ٤٦.

(٢٠) سورة الحاقة آية ٢٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٥٩٩

ما لم يكن يليه. و لو قلت علمت أن يقول لم يجز حتى يأتي بما يكون عوضاً نحو (قد) و (لا) و (السين و سوف، كما قال «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ» و لا يدخل على ذلك قوله: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» (٦) فلم يدخل بين (أن) و (ليس) شيء لأن (ليس) ليس بفعل على الحقيقة. و أما (فتنة) فلو نصب لكان صحيحاً في العربية على تقدير: أن لا يكون قولهم فتنة.

و لكن لم يقرأ به أحد. قال الرماني: وحد الحسابان هو قوة أحد النقيضين في النفس على الآخر و أصله الحساب، فالنقيض القوى يحتسب به دون الآخر أي هو فيما يحتسب و لا يطرح و منه الحسب لأنه مما يحسب و لا يطرح لأجل الشرف و منه قولهم: حسبك أي يكفيك، لأنه بحساب الكفاية و منه احتساب الأجر، لأنه فيما يحتسب و يكفي.

و الفتنة ها هنا العقوبة. و قيل البلية- في قول السدي و قتادة و الحسن و مجاهد- و قيل: الشدة. و كل ذلك متقارب. و قال ابن عباس: الفتنة- ها هنا- الشرك. و أصل الفتنة الاختبار، و منه افتتن بفلانة إذا هواها، لأنه يظهر ما يطوى من خبره بها. و فتنت الذهب في النار إذا خلصته ليظهر خبره في نفسه متميزاً من شائب غيره. و قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» (١) أي يحرقون. فإذا هم خبث كلهم «وَفَتْنَاكَ فُتُونًا» (٢) أي اختبرناك اختباراً أي ليظهره خبرك على خلوص أمرك في طاعتك أو غير ذلك من حالك.

و قوله «فَعَمُوا وَ صَمُّوا» معناه عن الحق على وجه التشبيه بالأعمى

(٦) سورة النجم آية ٣٩.

(١) سورة الذاريات آية ١٣.

(٢) سورة ٢٠ طه آية ٤٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٠

و الأعمى لأنه لا يهدى الى طريق الرشد في الدين كما لا يهتدى هذا الى طريق الرشد في الدنيا لأجل العمى و الصمم، فكذلك أولئك لاعراضهم عن النظر.

و قوله «ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» إخبار منه تعالى أن هؤلاء الكفار حسبوا أن لا يكون فتنة على ما فسرناها «فَعَمُوا وَ صَمُّوا» و قتلوا الأنبياء و كذبوهم ثم أن فريقاً منهم تابوا فتاب الله عليهم «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» يعني عادوا الى ما كانوا عليه. و قيل قوله «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا» في الإقرار بالنبى (ص) و قوله: «كَثِيرٌ مِنْهُمْ» قال الزجاج يحتمل رفعه ثلاثة أوجه:

أحدها- ان يكون بدلاً من الفاء، فكانه لما قال «عَمُوا وَ صَمُّوا» أبدل الكثير منهم أى عمى و صم كثير منهم كما يقول جاءنى قومك أكثرهم.

و الثانى- أن يكون جمع الفعل متقدماً على لغه من قال اكلونى البراغيث، و ذهبوا قومك. قال أبو عمرو الهذلى:

و لكن ديافى أبوه و امه بحوران يعصرون السليط أقرابه (١)

الثالث ان يكون (كثيراً) خبر ابتداء محذوف و التقدير ذو العمى و الصمم «كَثِيرٌ مِنْهُمْ» ثم بين تعالى «إنه بصير» أى عالم «بِمَا يَعْمَلُونَ» أى بأعمالهم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٢]..... ص: ٦٠٠

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)

(١) اللسان (سلط)، (ديف) نسبه الى الفرزدق.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠١
آية بلا خلاف.

اللام في قوله «لقد» لام القسم. أقسم الله تعالى بأنه «كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» والكفر هو الجحود لما يجب عليه الإقرار به، والتصديق له. وقال الرماني: هو تضييع حق النعمة بالجحد او ما جرى مجراه في عظم الجرم. ولذلك كان من قتل نبياً فهو كافر وان أقر بجميع نعم الله. وعندنا إن قتل نبي يدل على ان قاتله جاحد لما يجب عليه الإقرار به، والاعتقاد لتصديقه. والذين يقولون من النصارى: إن الله هو المسيح بن مريم هم اليعقوبية، وهم مع ذلك مثثة، لأنهم يقولون إن الأب والابن وروح القدس إله واحد.

وغيرهم يقولون: إن المسيح ابن الله. ولا يقولون هو الله وأجمعوا على أنه إله.

وقوله: «وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ» اخبار عن المسيح (ع) أنه قال لبني إسرائيل الذين كانوا في زمانه «اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ» الذي يملكني وإياكم وإني وإياكم عبيده، ومن خلقتني وخلقكم «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فالشرك هو الكفر. وإنما يطلق على من أشرك في عبادة الله غيره، وإنما كان كافراً، لأنه جحد نعمه الله بإضافتها الى غيره، وزعمه أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى. والشرك أصله الاجتماع في الملك، فإذا كان الملك بين نفسين، فهما شريكان وكذلك كل شيء يكون بين نفسين، ولا يلزم على ذلك ما يضاف الى كل واحد منهما منفرداً كالعبد يكون مالكاً للتبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٢

لله وهو ملك للإنسان، لأنه لو بطل ملك الإنسان، لكان ملكاً لله كما كان، لم يزد في ملكه شيء لم يكن.

وقوله: «فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» اخبار عن المسيح لقومه أن من يشرك بالله، فان الله يمنعه الجنة. والتحرير هنا هو تحرير منع لا تحرير عبادة.

وقوله: «وَمَا وَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» معناه أنهم مع حرمانهم الجنة مستقرهم النار، ولا ناصر لهم يدفع عنهم ويخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٣]..... ص: ٦٠٢

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)
آية بلا خلاف.

وهذا قسم آخر من الله بأنه كفر من قال: «إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ» والقائلون بهذه المقالة هم جمهور النصارى من الملكانية، واليعقوبية والنسطورية، لأنهم يقولون: أب، وابن، وروح القدس إله واحد، ولا يقولون ثلاثة آلهة. ويمنعون من العبارة. وإن كان يلزمهم أن يقولوا إنهم ثلاثة آلهة.

وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة. وإنما قلنا: يلزمهم، لأنهم يقولون الابن إله والأب إله وروح القدس إله. والابن ليس هو الأب.

ومعنى «ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ» أحد ثلاثة. وقال الزجاج، لا يجوز نصب ثلاثة لكن العرب فيه مذهب آخر وهو أنهم يقولون رابع ثلاثة، فعلى هذا يجوز التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٣
الجر والنصب، لأنه معناه الذي صير الثلاثة أربعة بكونه فيهم.

ثم أخبر تعالى، فقال «وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ» أى ليس إلا اله واحد. و دخلت (من) للتوكيد. و قوله: «وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ» أى إن لم يرجعوا و يتوبوا عما يقولون من القول بالتثليث أقسم «لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يعنى الذين يستمرون على كفرهم و المس- ها هنا- ما يكون معه احساس و هو حلوله فيه، لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به و يكون المس بمعنى اللمس، لأن فى اللمس طلباً ل احساس الشئ،، فل هذا اختير ها هنا المس.

و اللمس ملاصقه معها إحساس و إنما قال «لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» لأمرين:

أحدهما- ليعم الوعيد الفريقين الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، و الذين قالوا هو ثالث ثلاثة و الضمير عائد الى أهل الكتاب. الثانى- أنه من أقام منهم على الكفر لزمه هذا الوعيد فى قول أبى على، و الزجاج، و ليس فى الآية ما يدل على أن فى أفعال الجوارح ما هو كفر لأن الذى فيها هو الاخبار عن أن من قال الله ثالث ثلاثة فهو كافر، و هذا لا خلاف فيه. و ليس فيها أن هذا القول بعينه هو كفر أو دلالة على الكفر، فمن يقول الكفر هو الجحود، و ان الايمان هو التصديق بالقلب يقول إن فى أفعال الجوارح ما يدل على الكفر الذى هو الجحود فى القلب مثل القول الذى ذكره الله تعالى. و مثل ذلك السجود للشمس و عبادة الأصنام و غير ذلك، فلا دلالة فى الآية على ما قالوه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٤

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٤]..... ص: ٦٠٤

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)

آية الألف فى قوله «أفلا» الف إنكار و أصلها الاستفهام، لأنه لا يصح للسؤال جواب عن مثل هذا فيكون حينئذ تقريباً لهم و إنكاراً عليهم ترك التوبة و إنما دخلت «الى» فى قوله: «يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ» لأن معنى التوبة الرجوع الى طاعة الله، لأن التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها، و قد بينا فيما مضى أن التوبة طاعة يستحق بها الثواب، فأما إسقاط العقاب عندها فهو تفضل من الله غير واجب. و الفرق بين التوبة و الاستغفار أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء أو التوبة أو غيرها من الطاعة. و التوبة الندم على القبيح مع العزم على أن لا يعود إلى مثله فى القبيح أو الإخلال بالواجب و الاستغفار مع الإصرار على القبيح لا يصح و لا يجوز. و فى الآية تحضيض على التوبة و الافلاع من كل قبيح و الإنكار لتركها، و حث على الاستغفار «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» إخبار منه تعالى أنه يستر الذنوب و يغفرها رحمة منه لعباده.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٥]..... ص: ٦٠٤

مِمَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)

آية بلا خلاف أخبر الله تعالى فى هذه الآية أنه ليس المسيح بن مريم إلا رسول أرسله الله «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» أى انه رسول ليس بآله كما ان الأنبياء قبله بيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٥

رسل ليسوا بآلهة. و انه أتى بالمعجزات من قبل الله كما أتوا بها من قبل ربهم، فمن ادعى له الإلهية فهو كمن ادعى الإلهية لجميعهم لتساويهم فى المنزلة و معنى «خلت» مضت. «وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنها كانت تصدق بآيات ربها و منزلة ولدها، و تصدقه فيما أخبرها به بدلالة قوله «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا» «١» ذكر ذلك الحسن، و الجبائى.

الثانى- لكثرة صدقها و عظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها أو سميت صديقة على وجه المبالغة، كما قيل: رجل سكت. أى مبالغ

في السكوت.

وقوله «كأنا يأْكُلَانِ الطَّعَامَ» فيه احتجاج على النصارى، لأن من ولدته النساء، و كان يأكل الطعام لا يكون إلهًا للعباد لأن سبيله سيئهم في الحاجة الى الصانع المدبر، لأن من فيه علامة الحدث، لا يكون قديماً. و من يحتاج الى غيره لا يكون قادراً لا يعجزه شيء و قيل إن ذلك كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام لا بد أن يحدث حدثاً مخصوصاً على مجرى العادة.

وقوله «انظُرْ كَيْفَ بُيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ» أمر للنبي و أمته بأن يكفروا فيما بين الله من الآيات و الدلالات لهم على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح، و نبوته ثم أمره بأن ينظر ثانياً «أَنِّي يُؤْفَكُونَ» أى كيف يؤفكون. و قيل من أين يؤفكون و معنى «يؤفكون» يصرفون. و قيل يقبلون. و المعنى متقارب، لان المعنى انظر كيف يصرفون عن الآيات التي بينها لهم و يقال:

لكل مصروف عن شيء مأفوك عنه، و قد أفكت فلاناً عن كذا أى صرفته عنه صرفاً. فأنا آفكه إفكاً فهو مأفوك و قد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر،

(١) سورة التحريم آية ١٢. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٦

و الافك الكذب، لأنه صرف الخبر عن وجهه. و المؤتفكات المنقلبات من الرياح، و غيرها، لأنها صرفت بقلبها عن وجهها.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٦]..... ص: ٦٠٦

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)

آية أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهؤلاء النصارى الذين قالوا «إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ»: «أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا» أى توجهون عبادتكم الى من لا يقدر على الضرر و النفع، لأن القادر عليهما هو الله تعالى او من يمكنه الله من ذلك. و لو جاز توجيه العبادة الى المسيح الذى لا يملك ذلك لجاز توجيهها الى الأصنام كما يقوله عباد الأصنام. و قد علمناك خلاف ذلك. و الملك: هو القدرة على تصريف ما للقادر عليه أن يصرفه، فملك الضرر و النفع أخص من القدرة عليهما، لأن القادر عليهما قد يقدر من ذلك على ماله أن يفعل، و قد يقدر منه على ما ليس له أن يفعله. و النفع: هو فعل اللذة أو السرور او ما أدى اليهما أو الى واحد منهما مثل الملاذ التي تحصل فى الحيوان. و الصلة بالمال و الوعد باللذة، فان جميع ذلك نفع، لأنه يؤدى الى اللذة. و الضرر هو فعل الألم أو الغم أو ما أدى اليهما أو الى واحد منهما كالآلام التي توجد فى الحيوان و القذف و السب، لأن جميع ذلك يؤدى الى الآلام و الغضب ضرر لأنه من الأسباب المؤدية الى الآلام.

وقوله «وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» قيل فى معناه ها هنا قولان: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٧

أحدهما- أنه ذكر للاستدعاء الى التوبة فهو يسمع قول العبد فيها و ما يضمرة منها.

و الآخر التحذير من الجزاء بالسيئة، لأنه يعلم الاعمال و يسمع الاسرار و الاعلان. و ذلك دليل على ملك الجزاء بالثواب و العقاب.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٧]..... ص: ٦٠٧

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)

آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يخاطب أهل الكتاب، و هم النصارى ها هنا.

و قال قوم: المراد به اليهود و النصارى، لأن اليهود أيضاً غلوا فى تكذيب عيسى، و محمد (ص) و يقول لهم «لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ» و

معناه لا تتجاوزوا الحد الذي حده الله لكم الى الازدياد. و ضده التقصير و هو الخروج عن الحد الى النقصان. و الزيادة في الحد و النقصان معاً فساد أى و دين الله الذى أمر به هو بين الغلو، و التقصير، و هو الاقتصاد.

و قوله «وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ» و قل لهم: لا تسلكوا سبيل الأوثال، لأن الاتباع هو سلوك الثانى طريقه الأول على وجه الاقتداء به و قد يتبع الثانى الأول فى الحق و قد يتبعه فى الباطل. و إنما يعلم أحدهما بدليل.

و المراد ها هنا النهى عن اتباع سبيلهم الباطل. و (الأهواء) ها هنا المذاهب التى تدعوا اليها الشهوة دون الحجة، لأن قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة، و يميل طبعه الى بعض المذاهب فيعتقده، و هو ضلال فيهلك به. و قوله: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٨ «قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» فيه قولان:

قال الحسن، و مجاهد: هم اليهود.

و قال أبو على هم أسلافهم الذين هم رؤساء ضلالتهم الذين سنوا لهم هذا الكفر من الفريقين اليهود و النصارى «وَأَضَلُّوا كَثِيرًا» يعنى هؤلاء الذين ضلوا من قبل و أضلوا أيضاً كثيراً من الخلق. و نسب الإضلال اليهم، من حيث كان بدعائهم و إغوائهم.

و قوله «وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ضلوا باضلالهم غيرهم فى قول الزجاج.

الثانى- و ضلوا من قبل، و ضلوا من بعد، فلذلك كرر. و قيل «ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» عن الهدى فى الدنيا «وَأَضَلُّوا كَثِيرًا» عن طريق الجنة. و «سَوَاءِ السَّبِيلِ» معناه مستقيم الطريق. و المعنى فيه الحق من الدين، لأنه يستقيم بصاحبه الى الجنة، و الخلود فى النعيم. و قيل له: سواء لاستمراره على استواء.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٨]..... ص: ٦٠٨

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)
آية بلا خلاف.

قيل فى معنى «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» الآية ثلاثة أقوال:

أحدهما- إياسهم من مغفرة الله مع الإقامة على الكفر و المعصية لله- عز و جل- لدعاء الأنبياء (عليهم السلام) عليهم بالعقوبة و دعوتهم مستجابة مع ما فى ذلك من الفضيحة، و انطواء أولياء الله لهم على العداوة، و المظاهرة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦٠٩

عليهم فى إقامة الحجة.

الثانى- قال الحسن و مجاهد و قتادة و أبو مالك لعنوا على لسان داود، فصاروا قرده و على لسان عيسى، فصاروا خنازير. و انما ذكر عيسى و داود، لأنهما أنبه الأنبياء المبعوثين بعد موسى (ع) و لما ذكر داود أغنى عن ذكر سليمان، لأن قولهما واحد.

و قال أبو جعفر (ع) أما داود فلعن أهل ايلة لما اعتدوا فى سبتهم و كان اعتداؤهم فى زمانه، فقال: اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء و مثل المنطقة على الحقوين، فمسخهم الله قرده. و أما عيسى فلعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك.

الثالث- قال أبو على الجبائى: إنه إنما أظهر ذلك لئلا يوهمو الناس أن لهم منزلة بولادة الأنبياء تنجيهم من عقوبة المعاصى.

و اللعن هو الابعاد من رحمة الله، فلعله الله يعنى أبعد الله من رحمته الى عقوبته، و لا يجوز لعن من لا يستحق العقوبة من الأطفال و المجانين و البهائم، لأنه تعالى لا يبعد من رحمته من لا يستحق الابعاد عنها. و قوله:

«ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» إشارة الى اللعن الذى تقدم ذكره بمعصيتهم و اعتدائهم.

ف (إذا) لما قرب و (ذلك) لما بعد، لأنه اجتزئ فى دلالة الخطاب لما قرب بالإقبال عليه. و فى القريب بالإشارة اليه فلما بعد لم يصلح

الاجتزاء فيهما كما يصلح فيما قرب، فاتى بالكاف للخطاب و أكد ذلك باللام و كسرت لالتقاء الساكنين و الكاف فى ذلك حرف و فى غلامك اسم، و لهذا لم يؤكد بما يؤكد فى غلامك لأنك لا تقول ذلك نفسك. كما تقول فى غلامك نفسك.
و إنما قال: «بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ» و إن كان الكفر أعظم الاجرام التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١٠
ليدل على أن من خلصت معصيته مما يكفرها أو بقتة، و أنهم مع كفرهم قد عصوا بغير الكفر من الجرم الذى فسر فى الآية التى بعد.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٧٩]..... ص: ٦١٠

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)
آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم لم يكونوا يتناهون عن منكر أى لم يكن ينهى. بعضهم بعضاً مثل قولك لا يتضاربون و لا يترامون و لا ينتهون و معناه لا يكفون عما نهوا عنه.

و قوله: «لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» و فتحت اللام لام القسم و تقديره اقسام لبئس ما كانوا يفعلون كما فتحت لام الابتداء لأنها لما لم تكن عاملة ك (لام الاضافة) اختير لها أخف الحركات. و لا يجوز أن تكون لام الابتداء، لأنها لا تدخل على الفعل الا فى باب (أن) و لا تدخل على الماضى.

و (ما) فى قوله «لَبِئْسَ مَا» قيل فيها قولان: أحدهما- أن تكون (ما) كافه ل (بئس) كما تكف فى (إنما) و (بعد ما) و (ربما) و الآخر- أن تكون اسماً نكرة كأنه قال: بئس شيئاً فعلوه، كما تقول بئس رجلاً كان عندك.
و فى الآية دلالة على وجوب انكار المنكر، لأن كل شىء ذم الله عليه.

فواجب تركه إلا- أن يفيد بوقت يخصه، لأن ظاهر ذلك يقتضى قبحه، و التحذير منه. و المنكر هو القبيح، سمي بذلك لأنه ينكره العقل من حيث أن العقل يقبل الحسن و يعترف به، و لا ياباه و ينكر القبيح و ياباه و الإنكار التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١١
ضد الإقرار. فما يقر به العقل هو الحق، و ما ينكره، فهو الباطل.

و قيل فى معنى (المنكر)- ها هنا- ثلاثة أقوال: أحدها صيد السمك فى السبت. و الثانى- أخذ الرشوة فى الحكم. و الثالث- أكل الربا و أثمان الشحوم.

و قال رسول الله (ص) لا قدست أمة لا تأخذ لضعيفها حقه غير مضيع.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨٠]..... ص: ٦١١

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)
آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله للنبي (ص) يقول له «تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ» يعنى من هؤلاء اليهود فى قول الحسن و أبى على. و قال غيرهما يعنى أهل الكتاب أى «يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» من عبدة الأوثان فى قول الحسن و غيره. و قال أبو جعفر يتولون الملوك الجبارين و يزينون لهم أهوائهم ليصيبوا من دنياهم.

فان قيل: كيف يتولى أهل الكتاب عبدة الأوثان مع إكفارهم إياهم على تلك العبادة؟! قلنا لأنهم يعملون عمل المتولى بالنصرة و المعاونة و الرضا بما يكون منهم من عداوة النبي (ص) و محاربتة. و يجوز أن يكونوا تولوهم على ذلك فى الحقيقة، فيكون على جهة تقييد الصفة.

فان قيل ما الفائدة فى اخباره (ص) يراه و هو عالم به؟ قلنا: عنه جوابان:

أحدهما- التوبيخ لصاحبه فيقرعون بما هو معلوم من حالهم.

و الآخر التنبيه على باطن أمرهم بما يدل عليه ظاهر حالهم المعلومة التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١٢
فينكشف باطنهم القبيح.

وقوله «لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ» قيل في معناه قولان:

أحدهما بئس شيئاً قدموه من العمل لمعادهم في الآخرة في قول أبي علي.

و اللام لام القسم على ما بيناه.

و الثاني- إنه يجرى مجرى قوله: «سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ» أى قدمت لهم أنفسهم بما بعثهم على تولى الذين كفروا مع مخالفتهم. و قوله:

«أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» قيل في موضع «أَنْ سَخِطَ اللَّهُ» قولان:

أحدهما- رفع كقولك: ما قدموه لأنفسهم سخط الله أى هو سخط الله عليهم و خلودهم في النار بما كان من توليهم و رفعه كرفع

(زيد) في قولك:

بئس رجلاً زيد.

الثانى- أنه جر على تقدير لان سخط الله عليهم و حصلوا على الخلود في النار و قال الزجاج: يجوز أن يكون نصباً على تقدير بئس

الشيء ذلك، لأن أكسبهم السخطة عليهم.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨١].... ص: ٦١٢

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)

آية بلا خلاف.

قيل فى معنى قوله «وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ» مع العلم بأنهم لا يؤمنون بالنبي قولان:

أحدهما- قال الحسن و مجاهد أنه فى المنافقين من اليهود.

الثانى- المراد بالنبي موسى (ع) و معنى (لو)- ها هنا- النفي التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١٣

لايمانهم و إن لم يكون حرف نفي لكنه خرج مخرج الحجاج الذى يدل على نفي الايمان. و انما معناه تعليق الثانى بالأول فى أنه

يجب بوجوبه، فإذا ظهر أن الثانى لم يجب دل على ان الأول لم يكن قد دخله معنى النفي من هذه الجهة.

فان قيل: إذا كان المؤمن بالله لا يطلق عليه اسم مؤمن إلا و هو مؤمن بالنبي و بما أنزل اليه فلم ذكره؟.

قلنا للدلالة على التفصيل لان تلك الصفة و ان كانت دالة فإنما تدل على طريق الجملة و قوله «مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ» يعنى هؤلاء لو

كانوا مؤمنين على الحقيقة لما اتخذوا المشركين أولياء و (ما) يجوز أن تكون جواب (لو) و لا يجوز أن تكون جواب (ان) لأن حرف

الجزاء يعمل فيما قبله و (ما) لها صدر الكلام فلا يعمل فيها. و ليس كذلك (لم) فلذلك لم يجر ان آتىنى ما ضرك و يجوز ان آتىنى

لم يضررك. لأنه يجوز أن تقول زيدا لم أضرب و لا يجوز أن تقول زيدا ما ضربت و قوله: «وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» إنما وصفهم

بالفسق و إن كان الكفر أعظم فى باب الذم لامرين:

أحدهما إن معناه خارجون عن أمر الله فهذا المعنى لا يظهر بصفة كافر.

و الآخر ان الفاسق فى كفره هو المتمرد فيه و الكلام يدل على أنهم فاسقون فى كفرهم أى خارجون الى التمرد فيه.

قوله تعالى: [سورة المائدة (٥): آية ٨٢].... ص: ٦١٣

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

قَسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١٤

آية بلا خلاف.

قيل في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس و سعيد بن جبير و عطاء و السدي: إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة و أصحابه لما اسلموا. و قال قتادة: نزلت في قوم من أهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى (ع) فلما جاء محمد (صلى الله عليه و آله) آمنوا به.

و قال مجاهد: نزلت في الذين جاءوا مع جعفر بن أبي طالب (رحمه الله) مسلمين و اللام في قوله «لتجدن» لام القسم. و النون دخلت لتفصل بين الحال و الاستقبال، هذا مذهب الخليل، و سيويه و غيرهما. و قوله: «عداوة» منصرف منتصب على التمييز.

وصف الله تعالى اليهود و المشركين بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، لأن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع أن المؤمنين يؤمنون بنبوة موسى و التوراة التي أتى بها، فكان ينبغي أن يكونوا الى من وافقهم في الايمان بنبيهم و كتابهم أقرب. و ظاهروا المشركين حسداً للنبي (عليه السلام).

و قوله: «وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» يعني الذين قدمنا ذكرهم- عن المفسرين. و قال الزجاج يجوز أن يكون أراد به النصارى، لأنهم كانوا أقل مظاهرة للمشركين، و به قال الجبائي.

و روى عن ابن عباس أنه قال: من زعم أنها في النصارى فقد كذب. و إنما التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١٥ هم النصارى الأربعة الذين فاضت أعينهم حين قرأ النبي (ص) عليهم القرآن اثنان و ثلاثون من الحبشة، و ثمانية من أهل الشام. و سارعوا الى الإسلام و لم يسارع اليهود.

و المودة هي المحبة إذا كان معها ميل الطباع يقال: وددت الرجل أوده ودا ووداداً و مودة: إذا أحببته و ودته: إذا تمنيته أوده وداً. و منه قوله «وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ» (١).

و قوله «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا» فالقسيسون العباد في قول ابن زيد و القس و القسيس واحد الا أنه قد صار كالعلم على رئيس من رؤساء النصارى في العبادة. و يجمع قسوساً و أصله في اللغة النميمة يقس قساً إذا نم الحديث. قال رؤبة بن العجاج: يضحكن عن قس الأذى غوافلا لا جعبريات و لا طهاملا (٢)

الطهامل من النساء القباح. و مصدره القسوسة و القسيسة فالقس الذي ينم حاله بالاجتهاد في العبادة. و الرهبان جمع راهب، كراكب و ركبان و فارس و فرسان. قال الشاعر:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا و العصم من شعف العقول الفادر (٣)

و قيل: إنه يكون واحداً و يجمع رهابين كقربان و قرابين و رهابنة أيضاً قال الشاعر:

(١) سورة القلم آية ٩.

(٢) اللسان (قسس)، (جعبر) و رايته (يمسين) بدل «يضحكن».

(٣) قائله جرير ديوانه: ٣٠٥ و اللسان (ذهب)، و معجم البلدان (مدين).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٦١٦

لو عاينت رهبان دير في القلل لأقبل الرهبان يمشى و نزل (١)

و كل ذلك من الرهبة التي هي المخافة و رهب يرهب رهبا إذا خاف و الترهيب ضد الترغيب. و قوله «وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» معناه إن هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق و الانقياد له كما استكبر اليهود و عباد الأوثان و انفوا من قبول الحق، و أخبر الله تعالى فى هذه الآية عن مجاورى النبى (ص) من اليهود، و مودة النجاشى و أصحابه الذين أسلموا معه من الحبشة لأن الهجرة كانت الى المدينة و بها اليهود و الى الحبشة و بها النجاشى و أصحابه فأخبر عن عداوة هؤلاء و مودة أولئك.

(١) تفسير القرطبي ٦: ٢٥١ و تفسير الطبرى ١٠: ٥٠٣.

تم المجلد الثالث من التبيان و يليه المجلد الرابع و أوله قوله تعالى: «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).
قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأدق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى جامعه، و...
- منها العدالة الاجتماعيّة: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافة الاسلاميّة و الإيرانيّة - فى أنحاء العالم - من جهة أخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيّة و مكتبيّة، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

و) الإطلاق والدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينية كمسجد جَمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فاني/ "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزات الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعه، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكّن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

